

بِتَحْقِيقِ وَتَرْجُومَةِ
عبد الله محمد طه

مكتبة الجوامع
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثالث

العثمانية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

الناشر
مكتبة المتاحف بمصر
ومكتبة المشيقي ببغداد



بِحَقِّيقِ وَشَرِّعِ
عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ

مَكْتَبَةُ الرَّجَائِظِ
أَبِي عَثْمَانَ عَسْرُونَ بِحَرِّ الْجَاهِظِ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثالث

الْعُثْمَانِيَّةُ

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

مطبعة
دار الكتاب العربي ببيروت
محمد بن الحسين بن أبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة العُجب كما نعوذ بك من فتنة الأثر ،
ونعوذ بك من شر الحاسد كما نعوذ بك من رَيْبِ الصاحب ، وقديماً
ما تمودوا بالله من كيدها ، وتوجهوا إلى الله في السلامة منهما . قال الله
جلَّ وعزَّ : « ومن شرَّ حاسِدٍ إذا حسد » ، وقال حكيم : « اللهم اكفني
شر أصدقائي ، أما أعدائي فقد عرفتهم » .

سألتني - أيديك الله - أن أبعث لك فيما أبعث - كتاب
أبي عثمان في « الثمانية » ، وقلت : إنه كتابٌ نادر الأصل ، عزيز
النصيب ، وأنت كنت لم تسمع به من قبل ، وأنَّ غيرك من الناس
كثير لم يعلوا به ولم يقرع لهم سمعاً ، إلا ما ظهر لهم أخيراً في مناقضة
الإسكافي له ، وذلك في جمهرة من رسائل بعثها أدب كريم فيما يبعث
الناس من هذا النتاج العربي الخالد .

وقد كنتُ على أن أسرع في إجابة طلبتك ، وأن أبذُر إلى تلبية
هذه الرغبة ، فقد زعمتُ لك من قبل أنني نصبت نفسي لهذا الصنيع ،
ودعوت الله أن ينسأ في الأجل عسى أن أبذل لأبي عثمان من الوفاء كفاء
ما بذله هو للإنسانية من وفاء بها وبرٍّ عظيم .

وكان ما صنعَ الله من عون في بعث كتابي « الحيوان » و « البيان »
على وجهٍ أراه قد أَرْضَى جمهوراً صالحاً من المنصفين ، وأسخط قلة نادرة
من الشُّناة الحاسدين .

وقد حال دون مبادرتي لإسعافك ما يحول بين المرء وأمانه الجسام ،
من حادث الدهر وعوادي أيامه . وقد كنت أخشى أن يستبدّ بك الجزع
بعد هذه المأثرة ، ولكنك صبرت وصبرت ، فجزيتك في نفس خيرا ،
حتى شاء الله أن يتم هذا الكتاب — وهو كتابٌ عَجَبٌ — بعد لأيٍ
شديد ، ومصارعة طال بها الأمد .

ومسى أن تغفر لي — حفظك الله — ما زلّ به القلم ، أو أخطأ
القلب ، وهو ما لم أتمسده إن شاء الله ، فإنك بالنفوس حريٌّ به
وبالصفيح جدير .

تقديم

المبانيّة :

هم أنصار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمحتجون لفضله ، المناضلون عنه ، الدافسون مطاعن المخالفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم . عرفوا قديماً بهذا الاسم ، وهم فرع من « العمريّة » أصحاب عمر بن الخطاب ، كما تدل على ذلك إشارة الجاحظ في قوله : « ثم أوصى إليه عثمان بن عفان ، وهو أصل العمريّة والمبانيّة » ، وكما قرن بين الطائفتين ابن النديم في أثناء أخبار الجهمي : « ووقع بينه وبين قوم من العمريين والمبانيين شر » . وقال الجاحظ في حكاية قول المبانيّة : « ولا قول فيه لما ذكرنا عثمانية وعمرية ، قولكم في عمر وعثمان » .

وكانت المبانيّة أشد الفرق الإسلامية السياسية خلافاً على عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما كانت الشيعة أشدّ الناس لهم عداوة .

وكان اتجاه الشيعة في طعنهم على عثمان أن يطمعوا في أسلافه : أبي بكر وعمر ، وتشتدّ حملتهم على أبي بكر خاصة ، لأنه أعلى الثلاثة الخلفاء الراشدين شأنًا وأظهرهم مناقب . ولهذا السبب نفسه فيما أرى اتجهت أفكار المبانيّة إلى أن تعلّى من شأن أبي بكر وتلتبس له من المناقب ما ترى فيه انتصاراً على الشيعة وإخفاً لهم . فيقولون^(١) :

« إن أفضل هذه الأمة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي قحافة ... وكان أول ما دلهم عند أنفسهم على فضيلته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه إسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه أحدٌ في طاله وفي عصره » .

ويندفعون إلى الموازنة بين فضائله وفضائل عليّ :

فصحبةُ أبي بكرٍ للرسول في النار أظهر فضلاً من مبيت عليٍّ في الفراش^(١). وقد ظفر من النبي بقلب الصديق ، وهو ما لم يظفر بمثله علي^(٢). وهو كذلك. قد انفرد بالرسول في العريش^(٣)، وقدَّمه النبي في الحديدية^(٤) وسائرَ الرسول وحده. يوم فتح مكة^(٥)، وأنزل فيه من القرآن ما لم ينزل في أحد من الصحابة^(٦). وقد نال فضلاً عظيماً بإمامته الناس في مرض النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) وكان هو إماماً لعلي^(٨). وكان المحكَّم في موضع دفن الرسول^(٩). وهو الذي تدارك الأمة بحزمه. بعد وفاة الرسول^(١٠).

وأما الشيعة فيجعلون إسلام عليٍّ فوق إسلام أبي بكر^(١١). وعلى كان أفتق من أبي بكر^(١٢). وكان عليٌّ يتصدق وهو في الصلاة^(١٣). وفيه وفي ابنه أزلت سورة كاملة من القرآن^(١٤). وله يقول الرسول : « أنت مني كهaron من موسى^(١٥) ». وقد كان عليٌّ مواخياً للرسول^(١٦). وقد أسرَّ إليه يعلم ما كان وما سيكون^(١٧). ويقولون : نحن نعلم في صلاة أبي بكر بالناس^(١٨). وخلافة أبي بكر كانت بنير إجماع^(١٩). ويقولون يكفر من أنكر إمامة علي^(٢٠). ويقولون : كان بلال وعمار ابن ياسر يطعمان علي أبي بكر وعمر^(٢١). ويرمون أبا بكر وعثمان بالجبن^(٢٢). والمفاخر التي يدعيها العثمانية لأبي بكر مدحوضة كاذبة^(٢٣). وأما مطاعن العثمانية في علي فإنها واهية مردودة^(٢٤).

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| (١) الثمانية ٤٢ . | (٢) من ١٢٨ ، ١٢٣ . |
| (٣) من ٣٥ . | (٤) من ٧٠ . |
| (٥) من ٧٢ . | (٦) من ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ . |
| (٧) من ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ . | (٨) من ١٢٩ . |
| (٩) من ٨٣ . | (١٠) من ١٨٤ ، ١٩٩ . |
| (١١) من ١٨ ، ٢٠ . | (١٢) من ٨٤ . |
| (١٣) من ١١٩ . | (١٤) من ١١٦ . |
| (١٥) من ١٥٣ ، ١٥٨ . | (١٦) من ١٦١ . |
| (١٧) من ٢٤٣ . | (١٨) من ١٧٠ . |
| (١٩) من ١٧٢ . | (٢٠) من ٣٢٥ . |
| (٢١) من ١٨٠ ، ١٨٢ . | (٢٢) من ٢٤٢ . |
| (٢٣) من ٢٣٨ . | (٢٤) من ٢٣٩ . |

وقد جعل الجاحظ نفسه حكماً بين هذه المطاعن والمناقضات ، ولم يستطع أن يكتم ما في نفسه من التحامل على الشيعة ، كما لم يستطع أن يكذب على التاريخ فيسلب علياً رضوان الله عليه جمهور مناقبه المالية ، بل هو يجهر بتمجيد لملي كرم الله وجهه ، ويحمل شيعة على تبعة هذه المهارات ، فيقول :

« وليس أنه — أي على — لم يكن في طبعه النجدة والشهامة ، وفي غريزته الدفع والحماية ^(١) » .

« ولم ترد بهذا الكلام تنقّص على رحمة الله ، ولا إخراج من الفناء واحتمال المكروه ^(٢) » .

« والمجب إن كان كما تزعمون ، كيف لم يصب على أبي موسى فيجذمه ، أو على جيش صفين فيهمزه ؟ بل كان على أظهر سداً ، وأرجح حلاً وأشدّ ورعاً ، وأكثر قهراً وأبين فضلاً ، من أن يدعى هذا وشبهه ^(٣) » .

ومدار الكلام في هذا كله على «الإمامة» ، فالنزاع بين الفريقين يطوّف مايطوّف ثم يأوي إلى هذا المعنى الديني السياسي .

وفي ذلك يقول الجاحظ ^(٤) : « ولكن كتابي هذا لم يوضع إلا في الإمامة . وربما ذكرت من المقالة والملة والنحلة التي تعرض في الإمامة صدىً ، طلباً للتمام وتعريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها » .

مضى ألف الجاحظ كتاب الثمانية :

نستطيع أن نجعل حداً لتأليف هذا الكتاب قبل سنة ٢٤٠ ، وهي السنة التي توفي فيها أبو جعفر الإسكافي ^(٥) . فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن أبا جعفر الإسكافي قنع كتاب الثمانية على أبي عثمان الجاحظ (في حياته) . وذكر

(٢) س ٤٨ .

(١) الثمانية س ٣٠ .

(٤) س ٢٠٦ .

(٣) س ١٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ : ٤١٦ وروج الذهب ٣ : ٢٥٤ وابن أبي الحديد ٤ : ١٥٩ .

أيضاً أن الجاحظ دخل سوق الوراقين ينفد فقال : من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لتفنى كتابى ؟ وأبو جعفر جالس ، فاخفى منه حتى لم يره . وقد ألف كتابه هذا قبل كتاب « العباسية » ، قال فى المئانية ^(١) : « وسنخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة المئانية » . وألفه كذلك قبل كتاب المعرفة ^(٢) ، وقبل كتاب الحيوان ، فهو يقول فى مقدمة الحيوان ^(٣) : « وعبتى بحكاية قول المئانية والضرارية ^(٤) ، وأنت تسمنى أقول فى أول كتابى : وقالت المئانية والضرارية ، كما سمعتنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمت على بالنصب لحكايتى قول المئانية ، فهلاً حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة » .

تحقيق اسم الكتاب :

إن نسخة الأصل لم يثبت على ظاهرها عنوان خاص ، ولكنها تحمل فى ظاهرها خاتم مكتبة كوبرلى ورقم ٨١٥ وسماها الفهرسون : « جل جوابات المئانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية » اقتباساً من عبارة وردت فى أواخر هذه النسخة (ص ٢٨٩ ص ٦) .

والحق أن اسم هذا الكتاب هو « كتاب المئانية » عرفه بذلك ابن أبى الحديد ^(٥) .

(١) ص ١٨٧ .

(٢) ص ٢٦١ .

(٣) الحيوان ١ : ١١ .

(٤) هؤلاء أتباع ضرار بن عمرو صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى أول أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلى ، ثم خالفه فى خلق الأعمال ، وإنكار مذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويمكن من ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل ١ : ١١٥ . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل لأن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان ٣ : ٢٠٣ . ومن الواضح أن حكاية قول الضرارية كان فى كتاب آخر غير كتاب المئانية .

(٥) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٠٣ / ٤ : ١٥٩ .

وعلى هذه التسمية منع أبو جعفر الإسكافي كتابه الذى سماه « نقص المنيانية^(١) » .

ويقول السعوى فى مروج الذهب^(٢) :

« وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيدّه بالبراهين ، وعصده بالأدلة فيما تصوّره من عقله ، ترجمه بكتاب المنيانية ، يحل (٩) فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ، ومحتج فيه لغيره ، طلباً لإماتة الحق ، ومضادة لأهله . والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

ثم يقول : « ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب المنيانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر فى إمامة الروانبة وأقوال شيعتهم ؛ ورأيت مترجماً بكتاب إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان فى الاتصاف له من على بن أبى طالب رضى عنه وشيعة الرافضة ، يذكر فيه رجال الروانبة ، ويؤيد فيه إمامة بنى أمية وغيرهم » .
ويقول بعد ذلك : « ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل المنيانية ، يذكر فيه ما فاتته ذكره ونقصه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا » .

والراجع أن كلمة « المنيانية » فى النص الأخير معرفة عن « المباسية » ؛ وذلك لأن « مسائل المباسية » هو الكتاب الذى وعد به الجاحظ فى أثناء كتاب المنيانية وفى ختامه .

يقول فى الموضع الأول^(٣) : « وسنخبر عن مقالة المباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة المنيانية » .

وفى الموضع الثانى^(٤) : « ونحن مبتدئون فى كتاب المسائل » يعنى بذلك « مسائل المباسية » .

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ (التى وردت خطأ مطبعياً بعد ص ٢٥٦) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

(٣) ص ٢٨٠ .

(٤) ص ١٨٧ .

قدر الكتاب :

لو لم يكن من قدر هذا الكتاب إلا أنك تقرأ من قلم الجاحظ ثمانين صفحة ومائتين لكننى ذلك فضلاً له ، فإن ما كتبه الجاحظ فى كتابيه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يمدُّ بالنسبة إلى النصوص والنقول التى حشدها فى ذينك الكتائين شيئاً ليس بالغالب . وأما المئانية فهى سَوْغٌ كريم للجاحظ ، ومتاعٌ لدارس المسائل الدينية ، والقضايا التاريخية والسياسية التى نجمت فى فجر الإسلام وأوائل الدول الإسلامية . وهو كذلك معرض كبير للجدال والحجاج الفسكرى فى عصر من أزهى العصور الإسلامية الأولى .

نقض المئانية :

ظهر كتاب المئانية فى زمان كثر فيه الجدل والنزاع حول المصيبة الدينية والسياسية ، وكان المعتزلة فى أوج قوتهم ونشاطهم . ويبدو كذلك أن الحرية الفكرية لم تكن تلقى من القیود ما يكفكف من غربها . فالجاحظ نفسه يقول فى المئانية^(١) معبراً عن زوال التقية وانطلاق الفكر بقوله :

« ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم استحل كتابه مع زوال التقية ، وصلاح الدهر ، وإنصاف القيم » .

لذلك وجدنا المئانية تلقى من ينقضها فى حياة الجاحظ . ومن المعجب أن الذى ينقض المئانية وهو شيخ من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم ، وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل على عليه السلام ، وإلى القول بإمامة الفضول كما يقول المسمودى^(٢) ، وذلك الناقض هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى .

وقد هداه قاضى القضاة^(٣) فى الطبقة السابعة من المعتزلة ، مع عباد بن سليمان الصيمرى ،

(١) المئانية ص ١٥٤ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاستراباذى . كان شيخاً للمعتزلة فى عصره ، ولم يلقونه قاضى القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . ومات بالرى سنة ٤١٥ . تاريخ بغداد ١١ : ١١٣ والرسالة المنطوقة ١٢٠ .

وزرقان ، وعيسى بن المهيم . كما جعل أول هذه الطبقة ثمانية بن أشرس ، ثم أباه عثمان الجاحظ ، ثم أباه موسى عيسى بن صبيح المردار ، ثم أباه عمران يونس ابن عمران ، ثم محمد بن إسماعيل المسكري ، ثم عبد الكريم بن روح المسكري ، ثم يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أباه الحسين الصالحى ، ثم صالح قبة ، ثم الجعفران : جعفر بن جرير ، وجعفر بن ميسر ، ثم أباه عمران بن النقاش ، ثم أباه سميد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عباد بن سليمان ، ثم أباه جعفر الإسكافي هذا .

وقال : كان أبو جعفر فاضلاً عالماً ، وصنف (سبعين كتاباً) في علم الكلام . وهو الذى قضى كتاب المئانية على أبى عثمان الجاحظ (فى حياته) . ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال : من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تمرض لنقض كتابى ؟ ! وأبو جعفر جالس ، فاخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول (بالترغيب) على قاعدة معتزلة ببغداد ويبالغ فى ذلك . وكان علوى الرأى محققاً منصفاً قليل المصيبة^(١) .

ولتوضيح هذا النص الأخير نورد ما ذكره ابن أبى الحديد فى صدر كلامه فى شرح نهج البلاغة ، إذ يقول^(٢) .

« القول فيما يذهب إليه أصحابنا المنزلة فى الإمامة ، والترغيب ، والبنائة ، والحوارج :

اتفق شيوخنا كافة — رحمهم الله — المتقدمون منهم والتأخرون ، والبصريون والبغداديون ، على أن ييمة أبى بكر الصديق صحيحة شرعية ، وأنها لم تكن عن نص ، وإنما كانت بالاختيار ، الذى ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة . واختلفوا فى (الترغيب) ، فقال قدماء البصريين كأبى عثمان عمرو بن عبيد ، وأبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبى معن

(١) ابن أبى الحديد ٤ : ١٥٩ .

(٢) ابن أبى الحديد ١ : ٣ .

ثامه بن أنس ، وأبي عمدهشام بن عمرو الفوطي ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعة غيرهم ، أن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام ، وهؤلاء يميلون ترتيب الأريمة في الفضل كترتيبهم في الخلافة .

وقال البنداديون قاطبةً قداماً ومتأخراً ومكابي سهل يشتر بن المتمر ، وأبي موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي الحسين الخياط ، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته ، أن علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر . وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً . وكان من قبل من المتوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته . وقال في كثير من تصانيفه : إن صح خبر الطائر^(١) فلي أفضل .

ثم إن قاضي القضاة رضي الله عنه ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي^(٢) رضي الله عنه ، يوم مات ، استدنى ابنه هاشم إليه ، وكان قد ضعف من رفع الصوت ، فألقى إليه أشياء ، من جللها القول بتفضيل علي عليه السلام . وعمن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي البصري رضي الله عنه ، كان متحققاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وصنف فيه كتاباً مفرداً .

وعمن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رضي الله عنه . ذكر ابن متويه عنه ، في كتاب الكفاية في علم الكلام ، أنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر ، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام ، بكامل النزلة .

ومن البصريين الناهيين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب

(١) انظر الثانية ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) يعني أبا علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي .

التذكرة ، نص في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ، واحتج لذلك وأطال في الاحتجاج .

فهذان المذهبان كما عرفت . وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما ، وهو قول أبي حذيفة واصل بن عطاء ، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف من المتقدمين . وما وإن ذهبنا إلى الوقف بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر ، قاطعان على تفضيله على عثمان .

ومن الداهيين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي رحمهما الله ، والشيخ أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري رضي الله عنه .

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام . وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل ؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لزاي الفضل والخلال الحميدة ؟ وبيننا أنه عليه السلام أفضل ، على التفسيرين معاً . . . » .

فهذه الوثيقة النادرة تبين لنا مدى الملاقة بين التشيع والاعتزال ، وتمللنا بعض الدوافع التي حدت بالجاحظ أن يصنع كتاب المئانية .

وكتب « نقض المئانية » من الكتب التي افترضت ، ولم يبق منه إلا نصوص متناثرة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(١) ، الذي طبع للمرة الأولى في طهران سنة ١٢٧٠ ثم في مصر سنة ١٢٩٠ ، ١٣٢٩ .

وقد أفرد الأستاذ حسن السندوبي هذه النصوص في كتابه « رسائل الجاحظ » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢ وجاء بها على ترتيبها الذي وجدت عليه في شرح نهج البلاغة ، بصد أن أفرد نصوص المئانية التي قضاها أبو جعفر الإسكافي على ترتيبها في ذلك الشرح .

(١) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد اللدائي القزويني ، الفقيه الشافعي . ولد سنة ٥٧٦ هـ وتوفي سنة ٦٥٥ هـ . فوات الوفيات .

وذلك أن ابن أبي الحديد يسوق النص من الثمانية ثم يقب عليه بمناقضة أبي حنن نصاً بنص . ولكن الأستاذ السدوي أفرد الأولى جميعها ، ثم أفرد الأخرى جميعها كذلك .

وقد وجدت أن النصوص التي أوردها ابن أبي الحديد من الثمانية تدور حول مواضع لا تتجاوز اثنتين وستين صفحة من صدر الثمانية بحسب^(١) ، ووجدت أن التعقيب عليها في أسفل الصفحات بمناقضات أبي جعفر يحلّ بالوضع الذي يجب أن يخرج عليه الكتاب ، فوضعت إشارات بالنجوم في الأصل وأشرت في الحواشي إلى أرقام المناقضات التي تقابلها والتي أفردتها وحدها بمد نهاية نص الثمانية . ولم أشأ أن أعتمد على النسخة المطبوعة المتداولة من شرح ابن أبي الحديد ، وهي طبعة سنة ١٣٢٩ فرجعت إلى المخطوطة الكاملة المودعة برقم ٥٧٩ أدب ، وقابلت نصّها بنصّ النسخة المطبوعة ، التي أشرت إليها بالرمز « ط » .

وقد لحظت أن النصوص التي يوردها ابن أبي الحديد من الثمانية لا تطابق الأصل مطابقة تامة ، بل يتصرّف فيها بالاختصار^(٢) ، مع أن ابن أبي الحديد

(١) علل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ بما يلي :
« ويبنى أن يذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو حنن الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب الثمانية في تفضيل إسلام أبي بكر على إسلام علي عليه السلام ، لأن هذا الموضع يتضمنه ، أقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله : وعمل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا لأنهم استصغروا سنه فاستحققوا أمر محمد صلى الله عليه وآله ، حيث لم يصدق في دهواه إلا غلام صغير السن . وشبهة الثمانية التي قررها الجاحظ من هذه الشبهة نقأت ، ومن هذه الكلمة تفرعت ، لأن خلاصتها أن أبي بكر أسلم وهو ابن أربعين سنة ، وعلى أسلم ولم يبلغ الحلم ، فكان إسلام أبي بكر أفضل . ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافي على الجاحظ في كتابه المعروف بتفضيل الثمانية . وينتصب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث في الإسلاميين إلى البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما فإن ذلك لا يخلو من فائدة جليلة ، ونكتة لطيفة ، لا يليق أن يخلو كتابنا هذا عنهما ، ولأن كلامهما بالرسائل والمطالبة أشبه . وفي الكتابة أقصد وأدخل . وكتابنا هذا موضوع فذكر ذلك وأمثلة » .

(٢) بلغ أن أوجزت صفحتان منه في نحو ثلاثة أسطر . تأمل بين س ٢٧ — ٣ س ٦ وأصل المناقضة وتم ٦ في ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٦ .

نفسه ينسب على الذين يصنعون ذلك في اقتباس النصوص . قال يعقوب المرتضى في ذلك^(١) :

« المرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضي القضاة بنصه ، وإنما يختصره ويورده مبتوراً ، ويؤتى إلى المائى إيماء لطيفاً ، وغرضه الإيجاز . ولو أورد كلام قاضي القضاة بنصه لكان ألبق ، وكان أبعد عن الظنة ، وأدفع لقول قائل من خصومه : إنه يحرّف كلام قاضي القضاة ويذكره على غير وجهه . ألا ترى أن من نسب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ، ومن الجائز أن يظن أنه قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة ، فيختصر ما في نفسه لا ما في تصنيف ذلك الشخص . وأما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة ، وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين » .

لكنّ الذى يهون من هذا الأمر أن ابن أبي الحديد نفسه يذكر في صراحة أنه إنما يسوق ملخصاً لكلام الجاحظ ، قال^(٢) : « وينبئ أن يذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب المئانية » . ولهذا السبب لم أراحياً لذكر النص الذى نقله ابن أبي الحديد من المئانية ، وإنما استعنت به في تحقيق نص الكتاب ، ورمزت له بالرمز « ح » .

ومما هو جدير بالذكر أن تلك المناقضات قد وردت عند ابن أبي الحديد غير مرتبة وغير مسبوكة لمجرى الكتاب ، فترتيبها هناك على هذا النسق : المناقضات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(١) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ الى وقت خطأ يدرس ٢٥٦ .

لكنى غيّرت هنا نفعها الذى وردت عليه لتساير نصوص المئانية على ترتيبها المطرد .

أصول كتاب المئانية :

لم يكن هذا الكتاب معروفاً ، عُرف معرفةً تاريخيةً غسب ، ولم تنشر المطبعة إلا الفصول التى أوردها ابن أبى الحديد ، وما إن علمت بأن معهد المخطوطات للجامعة العربية قد اجتلب صورة منه ، حتى بادرت إلى طلب صورة منها ، تمهيداً لنشره فى « مكتبة الجاحظ » التى بدأت العمل فى تحقيقها سنة ١٣٥٧ .

وأصل هذه النسخة مودع فى مكتبة كوبرلى بتركيا برقم ٨١٥ . وهى نسخة مجهولة التاريخ توشك أن تكون من مخطوطات القرن السادس الهجرى . ومع جودة خطها هى كثيرة التحريف ، ومع هذا التحريف نجد منهج كتابتها خاضعا لمنهج الأقدمين من وضع علامات لاهمال الحروف مثل (٧) أو تقييدها وضبطها مثل (ح) و (ع) . وكثيراً ما يترك الناسخ إعجام بعض الحروف مثل (رى) و (بدا) ثقةً بذهن القارئ أو مطاوعة لأصل نسخته .

وهذه النسخة هى التى عبرت عنها فى الحواشى بكلمة (الأصل) .

أما النسخة الثانية فهى مقتطفات من « المئانية » وردت فى مجموعة عناوينها « مختارات فصول الجاحظ » من اختيار عبيد الله بن حسان . كتبت هذه النسخة سنة ١٢٩٤ باسم خزانة مسيو كريم النساوى .

وأصل هذه المجموعة محفوظ فى مكتبة المتحف البريطانى برقم ١١٢٩ ، وصورتها مودعة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ . ويبدأ الاختيار فيها من المئانية فى الورقة ١٦١ .

وهذه الفصول المختارة من المئانية لم ترد فى المختارات المطبوعة فى مصر بهامش كامل البرد .

وقد تضمنت هذه الفصول أربعة اختيارات .
الأول يبدأ من أول الثمانية وينتهي إلى س ٤ من ص ١٨ .
والثاني من س ١٦ ص ٣٥ إلى س ٧ من ص ٣٧ .
والثالث من س ١٢ ص ٣٩ إلى س ٣ من ص ٤١ .
والرابع من س ٨ ص ٢٥٠ إلى س ٩ من ص ٢٥٧ .
وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ب) .
وعلى هاتين النسختين اعتمدت في تحقيق نص الكتاب مستمينا بشق المراجع ،
ولاسمها التاريخية والأدبية .
وأرجو أن أكون بهذا الجهد قد قاربت الصواب ، ودانيت الحق
ولله الحمد على ما أنعم ؟

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في ٢٠ رمضان ١٣٧٤

مراجع التحقيق

- أسماء جبال نهامة ، لرام بن الأسبغ ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧٣ .
- الإصابة ، في أسماء الصحابة ، لابن حجر . طبع السادة ١٣٢٣ .
- إمتاع الأسماع ، للمقرزى . تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٣٦٠ .
- الإنباء على قبائل الرواة ، لابن عبد البر . السادة ١٣٥٠ .
- أنساب الأشراف للبلاذرى . بيت المقدس ١٩٣٦ م .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
- تاريخ الإسلام ، للذهبي . طبع القدس ١٣٦٧ .
- تاريخ الأمم والملوك ، للطبري . الحسينية ١٣٢٦ .
- تاريخ بغداد للخطيب البندادى . القاهرة ١٣٤٩ .
- تحقيق النصوص ونشرها ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ .
- تفسير أبى حيان . السادة ١٣٢٨ .
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٥ .
- جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨ .
- جمهرة الأنساب ، لابن حزم . تحقيق بروفنسال . طبع دار المعارف ١٣٦٨ .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٤ .
- دائرة المعارف الإسلامية . النسخة العربية من سنة ١٣٥٢ .
- ديوان حسان . الرحمانية ١٣٤٧ .
- » العجاج . ليبسك ١٩٠٢ م .
- » أبى محجن الثقفى . الأزهار بالقاهرة .
- الروض الأنف ، للسبلى . الجالية ١٣٢٢ .
- الرياض النضرة ، للمحب الطبري . الحسينية ١٣٢٧ .
- زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥ .
- سيرة ابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ .
- شرح الحماسة للمرزوقى . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٣ .

- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . الحلبي ١٣٢٩ .
صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦ .
الطبقات الكبير ، لابن سعد . ليدن ١٣٢٣ .
المقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .
العمدة ، لابن رشتي . هندية ١٣٤٤ .
عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدس ١٣٥٦ .
فتح الباري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
فصل الخطاب ، للطبرسي . طبع ليران .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٣٨٢ .
الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠ .
مروج الذهب ، للمسعودي . السعادة ١٣٦٧ .
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
المعجم الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م .
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .
مغازي الواقدي . السعادة ١٣٦٧ .
مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصبهاني . تحقيق السيد صقر . الحلبي ١٣٦٨ .
الملل والنحل للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧ .
الميسر والأزلام ، لمبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
نسب قريش ، للمصعب الأثيري . دار المعارف ١٣٧٢ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٥ .

العثمانية

فَسِّرْ لَدِي الْجَمْعَ الرَّحْمِيَّ

عونك اللهم

ثم إنا مُخْبِرُونَ عَنْ مَقَالَةِ الثَّمَانِيَةِ ، وبِاللَّهِ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ ، وعليه نتوكَّل ، وما توفيقنا إلَّا به .

- ٥ "رووا^(١) أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوَّلَاهَا بِالْإِمَامَةِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وكان أَوَّلَ مَا دَلَّاهُمْ عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَى فَضِيلَتِهِ وَخَاصَّةِ مَنْزِلَتِهِ ، وَشِدَّةِ اسْتِحْقَاقِهِ ، إِسْلَامُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِهِ فِي عَصَرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا ، فَقَالَ قَوْمٌ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَقَالَ آخَرُونَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَقَالَ نَفَرٌ : خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ .
- ١٠ طَى أَنَّهُ إِذَا تَفَقَّدْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَأَحْصَيْنَا أَحَادِيثَهُمْ وَعَدَدَ رَجَالِهِمْ^(٢) ، و [نظرنا في^(٣)] حَصَّةِ أَسَانِيدِهِمْ ، كَانَ الْخَبَرُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ أَهَمَّ ، وَرَجَالُهُ أَكْثَرُ ، وَإِسْنَادُهُ أَصَحُّ ، وَهَمَّ بِذَلِكَ أَشْهَرُ ، وَاللَّفْظُ بِهِ أَظْهَرُ ، مَعَ الْأَشْعَارِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيزَةِ^(٤) فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْعَارِ وَبَيْنَ الْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا امْتَنَعَ فِي جَبْئِهَا وَأَصْلٍ مَخْرَجِهَا التَّبَاعُدُ^(٥) وَالْإِتْفَاقُ وَالتَّوَادُّعُ ، وَلَسْكَأَ نَدْعُ هَذَا
- (١) ب : « زعمت الثمانية » وفي ح : « قالت الثمانية » .
 (٢) ب ، ح : « وعددنا رجالهم » .
 (٣) التكملة من ح .
 (٤) في الأصل وب : « والأمثال المستفيضة » ، ووجهه من ح .
 (٥) في الأصل وب : « التفاهير » ، وصوابه من ح .

الذهب [جانباً^(١)] ، ونَضْرِبُ عنه صفحاً ، اقتداراً على الحجة ، وثقةً
بالفَلَج والقوة ، وقتصرُ على أدنى منازل أبي بكر ، ونزل على حكم الخِصم
مع سرفِه ومبطله^(٢) فنقول :

لما وجدنا مَنْ يزعم أن خِيَاباً وزيداً أسلما قبلَه فأوسطُ الأمور وأعدلها
وأقربها من محبة الجميع ورضا المجادل^(٣) أن نجعل إسلامهم كان ممّا ؛ إذ ادّعوا
أنّ الأخيار في ذلك متكافئة ، والآثار متدافعة ، [وليس في الأَشْمار دلالة ،
ولا في الأمثال حُجّة^(٤)] ، ولم يحدوا إحدى القضيّتين أولى في حجة
العقل من الأخرى^(٥) .

(١) التكلفة من ح .

(٢) كلمة « سرفِه » غير واضحة في الأصل ، وتبينها من ب . والمبطل : الكذب . ١٠

(٣) ب ، ح : « الخالاب » .

(٤) التكلفة من ب .

(٥) بعد هذا الكلام في شرح ابن الحديد : « ثم نستدل على إمامة أبي بكر بما ورد فيه
من الحديث ، وبما أباه به الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره .

١٥ قالوا : فما روى من تقدم إسلامه ما حدث به أبو داود وابن مهدي عن شعبة ، وابن
عينة عن الجريري عن أبي هريرة ، قال أبو بكر : أنا أحكم بهذا الأمر — يعني الخلافة —
ألست أول من صلى .

وروى عباد بن صهيب عن يحيى بن حمير عن محمد بن المنكدر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وآله قال : إن الله يثني بالهدى ودين الحق على الناس كافة . فقالوا : كذبت ،
٢٠ وقال أبو بكر : صدقت .

وروى يحيى بن عبيد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فسأله : من كان أول الناس إسلاماً ؟
قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجوا من أخى همة فاذكر أنك أبا بكر بما فعلا
التاني التناهي المأمود معنده وأول الناس منهم صدق الرسلا
٢٥ وقال أبو عجين :

سبقت لى الإسلام والله شاهد وسكنت حيداً بالريش معهما

فصل (١) : وقالوا : فإن قال قائل : فما بالك لم تذكروا علياً في هذه الطبقة وقد تملكون كثرة مقدميه والرواية فيه ؟

قلنا : لأننا قد علمنا بالوجه الصحيح ؛ والشهادة القاعة أنه أسلم وهو حدث غرير ، و غلام صغير ، فلم نكذب الناقلين ، ولم نستطع أن ننزل (٢) أن إسلامه كان لاحقاً بإسلام البالغين ؛ لأن القل زعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والكثير زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين ، والقياس أن يؤخذ بأوسط الروايتين ، وبالأمر بين الأمرين ، وإنما تعرف [حتى] (٣)

== وقال كعب بن مالك :

سبقت أبا نعيم إلى دين أحد وكنت لدى الفيران في الكهف صاحبا

وروى ابن أبي شبة عن عبد الله بن إدريس ووكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال : ١٠ قال النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

وروى هيثم عن يعل بن عطاء عن عمرو بن عتبة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت : من يملك على هذا الأمر ؟ فقال : يا بني حر وعبد ! فلقد رأيته يومئذ وأنا رابع الإسلام .

قال بعض أصحاب الحديث : يعني بالحر أبا بكر ، وبالعبد بلالا . ١٥

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : حدثني عمرو بن عتبة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقال له : من يملك ؟ قال : يعني حر وعبد : أبو بكر وبلال .

وروى عمرو بن إبراهيم الهاشمي عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما قبض أبو بكر جاء علي بن أبي طالب فقال : رحمك الله أبا بكر ، ٢٠ كنت أول الناس إسلاما .

وروى عباد بن الحسن بن دينار عن بهر بن أبي زينب عن عكرمة مولى ابن عباس قال : إذا لقيت الهاشميين قالوا علي بن أبي طالب أول من أسلم ، وإذا لقيت الذين يملكون قالوا : أبو بكر أول من أسلم .

(١) هذه الكلمة لا وجود لها في ب ولا في ح ، ولكننا أثرتنا لإثباتها حرصا على أداء ٢٥ النسخة ، مع ميلنا إلى الاعتقاد بأنها ليست من صنف الملاحظ .

(٢) ب : « أن تزعم » .

(٣) هذه من ب .

ذلك من باطله بأن تُحصيَ سِنِيهِ التي ولى فيها ، وسِني عُثَانَ ، وسِني عمر
وسنى أبي بكر ، وسنى الهجرة ، ومُقامِ النبي صلى الله عليه بركة بعد أن دعا
إلى الله وإلى رسالته إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم تنظرَ في أقاويل الناس
في عُمره ، وفي قول المُكَلِّ والكَثْر ، فتأخذَ أوسطها وهو أعدلها ، وتطرحَ
قول المُقَصِّرِ والنَّالِي ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط ما رُوي من
عُمره [و] سِنِيهِ ، وسِني عُثَانَ وسنى عمرو وسنى أبي بكر ، والهجرة ومُقامِ
النبي صلى الله عليه وسلم بركة إلى وقت إسلامه ، فإذا فعلتَ ذلك وجدتَ
الأمر على ما قلنا وعلى ما فسّرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفةٌ لا يستطيعُ أحدٌ جهلها واختلافَ
١٠ عليها ؛ لأنَّ الذين قالوا بالتاريخ لم يتمدوا^(١) تفضيلَ بعضٍ على بعض ،
وليس يمكن ذلك مع اختلاف علمهم وأسبابهم ، فإذا ثبت عندك بالذي
أوضحنا وشرحنا أنَّه كان يومئذ ابن سبع سنين أقلَّ بسنة أو أكثر
بسنة ، علمت بذلك أنَّه لو كان أيضاً ابن أكثر من ذلك بستين وثلاث
وأربع لا يكون إسلامه إسلامَ المكلف العارف بفضيلة ما دخل فيه ، ونقصان
١٥ ما خرج منه .

٥ — والتاريخُ المجمع عليه أنَّ علياً قُتِلَ سنة أربعين في شهر رمضان* .
وقالوا : «^(٢) فَإِنْ قَالُوا فَلَمَّه وهو ابن سبع سنين وعُثَان^(٣) سنين قد بلغ من
فِطنته وذكائه وصِحة لُبِّه وصِدق حسِّه وانكشافِ المواقِبِ له وإن لم يكن

(١) هذا ما في ب . وفي الأصل : « إن الذين قالوا بالتاريخ لم يتمدوا » .

٢٠ « الكلام من مبدأ الكتاب إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي . انظر الرد رقم (١) في ملحقات الكتاب .

(٢) ح : « أو عُثَان » .

جَرَّبَ الأمور ، ولا قَاتَعَ الرُّجَال ، ولا نازع الخصوم ، ما يعرفُ جميع ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنَّما تتكلَّم على ظاهر الأحكام وما شاهدنا عليه طباع الأطفال .
وجَدْنَا حكم ابن سبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، حيث قرَأناه^(١)
وبلقْنَا خبره — ما لم يُعلم مغيب أمره ، وخاصة طباعه — حُكَمَ الأطفال ،
وليس لنا أن نُزيل^(٢) ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله^(٣) بلعلَّ وعسى ؛
لأنَّا كنا لا ندري لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلهذا أن يكون
ذا قصص فيها . أجب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون على^٥ في
الغيب قد أسلم لإسلام البالغ المختار ، غير أنَّ الحكم فيه عنده على
تجربى أمثاله وأشكاله الذين إذا أسلموا هم في مثل سنِّه كان إسلامهم ١٠
على تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فصل^(٤) : فأما علماء (المنافية) ومتكلموهم ، وأهل القدم والرئاسة منهم ،
فإنَّهم قالوا : إنَّ عليًّا لو كان وهو ابنُ ستِّ سنين وسبع سنين ، وثمان سنين
وتسع سنين ، يعرف فصل ما بين الأنبياء والكهنة ، وقرق ما بين الرسل والسحرة
وفرق ما بين خبر المنجِّم^(٥) والنبي ، وحتى يعرف الحجَّة من الحيلة^(٦) ، وقهر ١٥

(١) ب : « رأيناه » .

(٢) في الأصل : « أن تتكلَّم نزيل » ، وكلمة « تتكلَّم » مقحمة ، كما يلهم من ب ، ح .

(٣) ح : « وأقضى لعرف من حال أبنائه جلسه » .

(٤) كلمة « فصل » ليست في ب ، كما سبق التنبيه .

(٥) في الأصل : « للتنجين » ووجهه من ب ، ح .

(٦) في الأصل : « من أجه » ، صوابه في ب .

الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد الرب وبُعد غور التنبي ، وكيف
يُلبس على العقلاء ، ويستميل عقول الدَّهَّاء^(١) ، ويعرف الممكن في الطبائع
من الممتنع فيها ، وما يحدث بالاتفاق وما يحدث^(٢) بالأسباب ، ويعرف
أقدار القوى في مبلغ الحيلة ومُنتهى البطش ، وما لا يحتمل إحداثه إلا
الخالق ، وما يجوز على الله ممَّا لا يجوز في توحيدِه وعَدله ، وكيف التحفُّظ
من الهوى ، وكيف الاحتراز من هُدْم الخادع في الحيلة — كان كونه
بهذه الحال وعلى هذه الصَّفة مع فرط الصَّبَا والحدَاثة ، وقِلَّة التجارب
والممارسة ، خروجاً من نشوء المادة ، والمعروف مما عليه تركيبُ الأمة^(٣) .
ولو كان على هذه الصَّفة ومعه هذه الخاصية ، كان حجةً على العامة ،
وآيةً تدلُّ على الباطنة . ولم يكن الله ليُخصَّه بمثل هذه الآية ويمثل هذه
الأعجوبة إلا وهو يريد أن يحتجَّ بها له ، ويخبر بها عنه ، ويجعلها
قاطعةً لعذر الشَّاهد ، وحجةً على الغائب ، ولا يضيئها هَدَرًا ، ولا
يكتُمها^(٤) باطلاً .

ولو أراد الاحتجاج بها شهر أمرها وكشف قناعها ، وجمال النفوس
على معرفتها ، وسحر الألسنة لنقلها ، والأصماع لإدراكها ، لثلاً يكون
لنوا ساقطاً ، ونسيّاً منسياً ، لأنَّ الله لا يتدع أُعجوبةً ولا يخترع آيةً
ولا ينقضُ المادة إلا للتعريف والإعذار ، والمصلحة والاستبصار^(٥) . ولولا

(١) دهَّاء الناس : جماعتهم وكثرتهم . وفي الأصل : « الدهم » ، صوابه في ب ، ح .

(٢) ب ، ح : « مما يحدث » .

(٣) هذا ما في ب ، ح . وفي الأصل : « تركيب الأمة » .

(٤) ب : « ولا يكتُمها » .

(٥) هذا ما في ب ، وهو الأظهر بلغة الجلاظ . وفي الأصل : « الاستفاد » .

ذلك لم يكن لفعلها معنى ، ولا لرسالته حجة^(١) . والله يتعالى^(٢) أن يتروك الأمور سُدى ، والتدبير نَشْراً . ولا يصلُّ أحد إلى معرفة صدق نبيِّه وكذب متنبئٍ حتَّى يجتمع له هذه المعارف التي ذكرنا ، وهذه الأسباب التي فصلنا .

- ولولا أنَّ الله سبحانه أخبر عن يحيى بن زكريا أنَّه^(٣) آتاه الحكم صبيّاً ، وأنَّه أنطقَ عيسى في المهد رضيعاً ، ما كانا في الحكم ولا في النبيِّ إلاَّ كسائر الرُّسل ، وما عليه طبع البشر^(٤) .

فإذ^(٥) لم ينطق لعلَّ بذلك قرآن ، ولا جاء الخبر به بحجَّة القاطعة ، والشهادة الصادقة ، فالعلومُ عندنا في الحكم وفي النبيِّ جميعاً أنَّ طباعه كطبائع عمِّه حمزة والعباس^(٦) . وما أمْسُ بمعدنِ رجاء الخير منه ، وكطبائع جعفر وعقيل أخويه ، وكطبائع أبيه ورجال عصره وسادةِ رطله . ولو أنَّ إنساناً ادَّعى مثل ذلك لأخيه جعفر أو لعمِّه حمزة أو لعمِّه العباس — وهو حليمٌ قريش — ما كان عندنا في أمره إلاَّ مثْلُ ما عندنا فيه^(٧) .

فصل^(٨) : (ولو لم تعرف الزَّوافضُ ومن ذهب مذهبها في هذا باطلٌ ١٥

(١) ب : « تبارك اسمه وتعالى » .

(٢) في الأصل : « إذ » صوابه في ب ، ح .

(٣) وما عليه طبع البشر ، ساقط من ب . وفي ح : « وما عليه جميع البشر » .

(٤) في الأصل ، ح : « فإذا » ، ووجهه من ب .

(٥) كذا في ح ، ب . وفي الأصل : « طبائع حمزة والعباس عميه » . ٢٠

(٦) الكلام من « فإن قالوا » س ٦ س ١٧ إلى هنا موضع ردِّ للاستكافي . انظر

رقم (٢) من تصويحه المطبوعة بالكتاب .

(٧) ليست في ب .

هذه الدعوى ، وفساد هذا المعنى إذا صدقت أنفسها ولم تقلد رجالها ، وتحفظت من الهوى وآثرت التقوى ، [إلا بترك^(١)] على ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه وأهل دهره ، منذ نازع الرجال ، وخاصم^(٢) الأكفاء ، وجامع أهل الشورى وولي وولي عليه ، والناس بين معانير يحتاج إلى التقرير ، ومرآة^(٣) يحتاج إلى الإرشاد ، وولي يحتاج إلى المائدة ، وغفل يحتاج إلى أن يكثر له من الحجة ، ويتابع له بين الأمارات والدلالات^(٤) مع حاجة القرن الثاني إلى معرفة الحق ومعدن الأمر ، لأن الحجة إذا لم تصح لعل في نفسه ، ولم يفتو على أهل دهره ، فهي عن ولده أجهز ، وعندهم أضعف .

١٠ ثم لم ينقل ناقل واحد أن علياً احتج بذلك في موقف ، ولا ذكره في مجلس ، ولا قام به خطيباً ، ولا أدلى به واقفاً ، ولا همس به إلى موافق ، ولا احتج به على مخالف .

فصل^(٥) : وقد ذكر فضائله وفخر بقرابته وسابقته ، وكأثر بحجاسنه ومواقفه ، منذ جامع الشورى وناضلهم ، إلى أن ابتلى بمسورة معاوية له ، وطمع فيه ، وجلس أكثر أصحاب رسول الله عن عونه ، والشدة على عضده ، كما قال عامر الشعبي : لقد وقمت الفتنة وبالدنية عشرون ألفاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما خف فيها منهم

(١) التكلفة من ب .

(٢) هنا ما في ب . وفي الأصل : « وغاير » .

(٣) ب : « ومرئاد » .

(٤) هنا ما في ب . وفي الأصل : « وإزالة » .

(٥) هذه الكلمة ليست في ب .

عشرون . ومن زعم أنه شهد الجبل ممن شهد بداراً أكثر من أربعة
فقد كذب . كان عليٌّ وعمرٌ في شقٍّ ، وطلحةٌ والزبير في شقٍّ .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج على المخالف وتشجيع الوافق وقد نصب
نفسه للخاصة والعامة ، وللخاذل والمادي^(١) ، ومن لا يحمل^(٢) له في دينه
ترك الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أن قتالهم كان واجباً ، وقد نصبه
الرسولُ مفزَعاً ومُعَلِّماً ، ونصَّ عليه قائماً ، وجعله للناس إماماً ، وأوجب
طاعته ، وجعله حجةً في الناس يقوم مقامه .

فصل^(٣) : وأعجب من ذلك أنه لم يدع هذا له أحدٌ في دهره كما لم
يدعه لنفسه ، مع عظيم ما قالوا فيه في عسكره وبمده وفاته ، حتى يقول
إنسانٌ واحد إنَّ الدليل على إمامته أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دناه
إلى الإسلام ، فكلفت التصديق^(٤) قبل بلوغه وإدراكه ، ليكون ذلك
آيةً له في عصره ، وحجةً له ولولده على من بعده . وقد كان عليٌّ أعلم
بالأمور من أن يدع ذكر أكبر حُججه والذي بان به من شكله ،
ويذكر أصغر حُججه والذي يشاركه فيه غيره ، وقد كان في عسكره من
لا يأتو في الإفراط ، ومن يحسب أن الإفراط زيادةٌ في القدر .

والمعجب له ، إن كان الأمر كما ذكرتم ، كيف لم يقف يوم الجبل
ويوم صفين أو يوم النهْر في موقفٍ يكون من عدوه برأى وسماع ،

(١) ب : « وللولي والمادي » .

(٢) في الأصل : « ولا يحمل » صوابه في ب .

(٣) ليست في ب .

(٤) في الأصل : « وكفه التصديق » ، صوابه في ب .

فيقول : « نبأ لكم ونصاً ، كيف تقابلوني وتجحدون فضلي^(١) » وقد خيمتُ بآية حتى كنتُ كيجي بن زكريا وعيسى بن مريم « ولا يتمتع الناسُ من أن يقولوا ويموجوا ؛ فإذا ماجوا نكلموا على أقدارِ عِلْمهم ، وعِلْمهم مختلفة ، ولا ينشَبُ أمرهم أن يعود إلى فرقة ، فإن ذا كرمٍ قد كان ناسياً ، ومن نازعٍ قد كان مُصيراً ، وكل من ترنحٍ قد كان غالطاً ، مع ما كان يشيع^(٢) من الحجة في الآفاق ، ويستفيض في الأطراف ، ويحتمل الرُّكبان ويُتهادى في المجالس .

فهذا كان أشدَّ على طلحة والزبير ، وطائفة* ومعاوية ، وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنانٍ طرير ، وسيفٍ مشهور .

١٠ فصل^(٣) : ومعلوم عند ذوى التجربة والمارفين طبائع الأنبياء^(٤) ، وعِللُ الأجناد ، أنَّ العساكر تنقض مرائرها وينتشر أمرها ، وتقلب على قادتها^(٥) بأيسر من هذه الحجة ، وأخفى من هذه الشهادة .

فصل : وقد علمت ما صنعت المصاحفُ في طبائع أصحاب عليّ ، حين رفعها عمرو بن العاص أشدَّ ما كان أصحاب عليّ استبصاراً في قتالهم ،

١٥ (١) ب : « فضلي » .

(٢) الكلام من قوله « ولو لم تعرف الروافض » س ١٥ من س ٩ إلى هنا موضع مناقضة للإسكافي ستأتي برقم (٣) . وقد قلل الإسكافي عبارة الجاحظ موجزةً مصغرةً فيها . انظر ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٣ .

(٣) في الأصل : « يسع » .

(٤) هذه الكلمة ليست في ب . ٢٠

(٥) في الأصل : « بصائع الأبياح » ، صوابه في ب .

(٥) ب : « قائدا » .

ثم لم ينتفض على عليٍّ من أصحابه إلاَّ أهلُ الحِدِّ والنَّجدة ، وأصحاب
البرانس والبصرة^(١) .

وكما علمت من تحوُّل شطر عسكر عبد الله بن وهبٍ حين اعتزلوا مع
فروة بن نوفل ، لكلمة سمعها من عبد الله بن وهب كانت تدلُّ عندهم
على ضعف الاستبصار والوهن^(٢) في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج مع ظهوره ومعرفة النَّاس به إلى
أن نحشَّو به كتابنا .

فصل^(٣) : فأما إسلامه وهو حدثٌ غريرٌ وغلّامٌ صغيرٌ ، فهذا مالا
ندفعه ، غير أنه إسلام تلقينٍ وتأديبٍ وزربية . وبين إسلام التَّكليف
والامتحان وبين التلقين والتربية فرقٌ عظيمٌ ، ومحجَّةٌ واضحة .

وقالت (العنانية) : إنَّ قالت الشَّيخ : إنَّ الأمور ليس كما حكيمٌ ،
ولا كما هيأتموه لأنفسكم ، بل زعم أنَّه قد كانت هناك^(٤) في أيام صباه
وحدائثه فضيلةٌ فطنيةٌ ، ومزيةٌ^(٥) ذكاء ، ولم يبلغ الأمرُ قدرَ
الأعجوبة والآية .

قلنا : إنَّ الذي ذهبتم إليه أيضا لابدُّ فيه من أحد وجهين :
إمَّا أن يكون قد كان لا يزال يُوجد في الصِّبيان مثله في الفطنة

(١) انظر المقد : ٣٥١ لجنة التأليف . ب « اللراس » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « والرم » ووجهه من ب .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب .

(٤) ب : « هناك » .

(٥) ب : « ومزيد » .

والذكاء وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، أو كان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن العادة خارجاً . فإذا^(١) كان قد كان يُوجد مثله على عزّته وقلته فما كان إلاّ كبعض من يرى اليوم ممن يُتجَبَّب من حسّه وفطنته ، وحفظه وحكايته وسُرعة قبوله على صغر سنّه وقلة تجريبه^(٢) . وإن كانت حاله هذه الحال ، وطبيعته على هذا المثال ، فإننا^(٣) لم نجد صبيّاً قطّ وإن أفرط كَيْسُه وحسُنَت فطنته وأُعْجِب [به^(٤)] أهله يحتمل ولاية الله سبحانه وعداوته ، والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنّه ما جاءنا ولا صبح عند أحدٍ منا بخبرٍ صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنّه كان لعلّ خاصةً دون قريشٍ عامّةً في صباه من إتيان الأمور وسيحةً للمارف وجودة الخارج ، ما لم يكن لأحدٍ من إخوته وأعمامه وآبائه .

وإن كان القدر الذي كان عليه على من الذكاء والمعرفة القدر الذي لم نجد له [فيه^(٥)] مثلاً ، ولا رأينا له شكلاً — وهذا هو البديع الذي به يُحتجُّ على المكركب ، ويُفْلَج^(٦) على العارضين ، ويُبَيِّن للمستترشين — فهذا بابٌ قد فرغنا منه مرّة .

١٥ فصل : ولو كان الأمر في عليّ على ما يقولون^(٧) لكانت في ذلك حُجّة للرسول في رسالته ، ولعلّ في إمامته . والآية إذا كانت للرسول وخليفة

(١) في الأصل : « وإن » ، والوجه من ب .

(٢) ب : « تجرّبه » .

(٣) في الأصل : « ولنا » ، صوابه في ب .

(٤) التكلّة من ب .

(٥) فُلج ظهره وقلع عليه وأفلج : فاز وظفر . وفي النسخين : « يفلج » ، تحريف .

(٦) ب : « كما يقولون » .

الرسول كان أشهرَ لها ؛ لأن وضوح أمر الرسول يزيد^(١) على ما للإمام
وزيده إشرافاً واستنارة^(٢) وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله قد عرفَ أهلَ
عصرهما ذلك ، وهمُ الشَّهادة على مَنْ بعدهم من القرون ثم يسقط^(٣)
حجته ؛ فلا تخلو تلك الحجة وتلك الشَّهادة من ضربين : إما أن تكون
ضاعت وضلت ، وإما أن تكون قد قامت وظهرت .

فإن كانت قد ضاعت فلعلَّ كثيراً من حُججِ الرسول صلى الله عليه وسلم
قد ضاع معها ، وما جُمِلَ الباقي منها أولى بالتمام من السَّاقط ، والسَّاقط
من شكل الثَّابت . على أن مع السَّاقط خاصةً ليست مع الثَّابت ، لأنه
حجة على شيئين ، والثَّابت حجة على شيء . ولا يخلو أمرُ السَّاقط من
ضربين : إما أن يكون الله لم يُردِّ تمامه ، أو يكون قد أرادَه .

١٠

وأى ذَيْنِ [كان^(٤)] ففسَّاده واضحٌ عند قارى الكتاب .

وإن كانت الآية قد تمت إذ كانت الشَّهادة قد قامت علينا بها كما كانت
شهادة البيان قاعمةً عليهم^(٥) [فيها^(٦)] فليس في الأرض عثمانيٌّ إلا وهو
يكابر عقله ويبيحده علمه .

ولعمري إنما لنجد في الصَّبيان من لو لقنَّته وسدَّدته أو كتبتَ له
أغصنَ الماني وألطفها ، وأغوصَ الحجيج وأبدها ، وأكثرها لفظاً

(١) ب : « يرى » .

(٢) في الأصل : « استنارة » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « أسقط » .

(٤) التكلة من ب .

(٥) في الأصل : « عليها » صوابه في ب .

(٦) التكلة من ب .

وألطفها ، وأطولها ، ثم أخذته بدرسه وحفظه لحفظه حفظاً عجيباً ، ولهذا هذا ذليلاً^(١) . فأما معرفته صحيحته من سقيمه ، وحقه من باطله ، وفعله ما بين القرب والدليل ، والاحتباس من حيث يؤتى المخذوعون ، والتحفّظ من مكر الخادعين ، وتأتى^(٢) الجرب ، ورفق الساحر ، وخلاصة التنبي ، وزجر الكاهن^(٣) ، وإخبار المنجّمين ، وفرق ما بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه — فليس يعرف فروق النظم واختلاف البحث^(٤) ، إلاّ من عرف القصيدة من الزجر^(٥) ، والخمس من الأسجاع ، والمزاج من المتشور ، والخطب من الرسائل ، وحتى يعرف المعجز المارض الذي يجوز ارتفاعه من المعجز الذي هو صفة في الذات .

١٠ فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ، ثم لم يكف بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأن حكم البشر حكم واحد في المعجز الطبيعي وإن تفاوتوا في المعجز المارض . وهذا ما لا يوجد عند سبي ابن سبع سنين وثمان سنين وتسع سنين أبداً ، عرف ذلك عارف أو جهله جاهل . ولا يجوز أن يعرف عارف معنى الرسالة إلاّ بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلاّ أن يجعل جاعل

(١) القليل : النصيح . وفي النسخين : « لهذه هذا » ، تحريف . يقال هذا القرآن والحديث هذا : سرده . وفي حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفضل القيلة . فقال : أهدأ كهد القمر .

(٢) في الأصل : « فاني » بإهمال أوله ، وفي ب « ويأتى » ووجهها ، ما أثبت . قال الأصمى : تأتي فلان لحاجته ، إذا ترقى لها وأتاه من وجهها .

(٣) ب : « الكهان »

(٤) ب : « فروق النظم واختلاف البحث والنثر » .

(٥) الزجر ، واضحة في النسخين . يعني زجر الكاهن . انظر طوطا منه في صدر سيرة ابن هشام . والزجر يلتبس على من لم يعرفه بالقمر .

التقليد والنشوء والإلف لما عليه الآباء وتعليم الكبراء ، معرفةً وقيناً .
وليس يقيّن ما اضطرب ودخله الخلل عند ورود معاني لعل وعسى ، وما
لا يُمكن^(١) في القول إلا بحجة تُخرج القلب إلى اليقين عن التجويز .
ولقد أعيانا أن نجد هذه المعرفة إلا في الخاص من الرجال وأهل

- الكمال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير والحدث الرمر ؟ ا مع أنك •
لو أدت^(٢) معاني بعض ما وصفت لك على أذكى صبي في الأرض
وأسرعه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً^(٣) ، وقد سويته [له^(٤)] ودلّته ،
وقربته [منه] وكفّيته مؤونة الرؤية وحشة^(٥) الفكرة ، لم يعرف
قدره ولا فصل بين حقّه من باطله ، ولا فرق بين الدلالة وشيئه
الدلالة ، فكيف له بأن يكون هو التولى لتجربته^(٦) وحلّ عقده ، ١٠
وتخليص مُتشابهه ، واستثارته من معدنه ؟

وكل كلام خرج من التنارّف فهو رجبٌ بهرج ، ولنؤسّ ساقط .

- فصل^(٧) : وقد نجد الصبي الذكي يعرف من العروض وجهاً ، ومن النحو
صدرأ ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الفناء أصواتاً ، فأما العلم بأصول ١٥
الأديان وغارج الملل ، وتأويل الدين ، والتحفّظ من البدع ، وقبّل ذلك
الكلام في حجب العقول ، والتّمديل والتّجويز ، والملم بالأخبار وتقدير

(١) هذا الصواب من ب . وفي الأصل : « وما لا ينكر » .

(٢) في الأصل ، ب : « أدت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكلمة مبهجة في الأصل ، وتوضيحها من ب . ٢٠

(٤) التسكلة من ب .

(٥) في الأصل : « وحشته » صوابه في ب .

(٦) في الأصل : « لحظه » وصوابه في ب .

(٧) ليست في ب .

الأشكال^(١) فليس هذا موجوداً إلاً عند العلماء . فأما الحشوة والطعام^(٢) فإنما هم أداة للقادة ، وجوارحُ للسادة . وإنما يعرفُ شدةَ الكلام في أصول الأديان من قد صِلَى به وعَجَمه ، وسَلَك^(٣) في مَضَابِقه ، وَجَأَى الأضداد^(٤) ، ونَازَعَ الأَكْفَاء^(٥) .

٥ . فَإِنْ قَالَتْ (الشَّيْخ) : الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِسْلَامَ عَلَى كَانَ اخْتِيَاراً وَلَمْ يَكُنْ تَلْقِيناً ، أَنَّ عَلِيّاً^(٦) أَسْلَمَ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ، وَفِي ذِكْرِ الدُّعَاءِ وَالْإِفْرَارِ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِجَابَةَ اخْتِيَارٌ ، لِأَنَّ السُّلَيْمَ بِاللُّدْعَاءِ مُجِيبٌ لِلدُّعَاءِ . وَلَا نَسْلُمُ الدُّعَاءَ بِكَوْنِهِ مِنْ حَكِيمٍ لِمَدْقُورٍ^(٧) لَا يَخْتَارُ وَلَا تَحْتَمِلُ فِطْرَتُهُ تَمْيِيزَ الْأُمُورِ وَقَصَلَ مَا بَيْنَ مَا دَعَا إِلَيْهِ وَبَيْنَ مَا دَعَا إِلَيْهِ غَيْرُهُ . وَلَيْسَ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ : دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَاناً إِلَى الْإِسْلَامِ^(٨) وَبَيْنَ قَوْلِهِ : كُلُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَاناً الْإِسْلَامَ فَرَقٌ . وَقَوْلُ الْمُسْلِمِينَ : دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيّاً كَقَوْلِهِمْ :^(٩) دَعَا جَمِيعَ الْعَرَبِ فَرَيْنَ مُجِيبٍ طَائِعٍ كَمَلَى ، وَمَنْ مَمْتَنَعَ حَاصِرٌ كَفَلَانَ وَفَلَانَ .

١٥ (١) في الأصل : « وتقرر الشكال » ، صوابه في ب .

(٢) حشوة الناس ، بالفم ، وذالهم ، ومثله الطعام ، بالفتح .

(٣) ب : « وسال » .

(٤) في الأصل ، ب : « وحائى » ، تحريف . جاءه : جلس معه على ركبته المشحومة .

(٥) إلى هنا ينتهى الاختيار الأول في نسخة ب وتنفرد نسخة الأصل إلى حيث نتهى فيها بعد .

(٦) في الأصل : « أن الإمامة أن علياً » .

(٧) في الأصل : « يدعو » .

(٨) بعده في الأصل : كلمة « فرق » ، وهى مقعمة .

(٩) في الأصل : « وقوله المسلمين ... كقوله لهم » تحريف .

- قالت (الثمانيّة) عند ذلك : قد عرفنا أنّ بعضهم قد قلّ أنّ عليّاً كان أوّل من أسلم ، وقد قلّوا بأجمعهم أنّه كان أوّل من أسلم . وبين قول القائل أسلم فلان أوّل الناس وبين أن يقول أسلم في أوائل الناس فرق . فأما أن يكون واحد من جميع الصنفين من البعض والجميع فسّر مع روايته وتخرج خبره كيف كان إسلامه ، أعلّى وجه الدماء ٥ والتكليف أم على وجه التلقين والتربية ، فلم ير أحداً منهم . مير ذلك ولا فرق في تخرج الخبر . ونحن لم ندّع أنّ إسلامه كان إسلام تلقين من قبل تفسير الناقلين وتمييز الهدّيين ، ولكنّا نظرنا في التاريخ فعرّفنا عمره وابن كم كان يوم توفّي ، وعرّفنا موضع اختلافهم واجتماعهم ، فأخذنا أوسطه إذ كان أعدل ما فيه ، وأسقطنا قول من كثّر وقلّل ، ١٠ ثم ألقينا منه سنيّه إلى عام إسلامه فوجدنا ذلك يوجب أنّه كان ابن سبع . ولو أخذنا أيضاً بقول المكثّر فجعلناه ابن تسع ، وتركنا قول من قلّل وقول المقتصد ، علينا بذلك أيضاً أن إسلامه كان إسلام تربية وتاديب وتلقين ، كما أخذ الله على المسلمين أن يأخذوا به أولادهم .
- وقالت (الثمانيّة) للعلويّة : إنا لم ندّع أنّه أسلم وهو ابن سبع ١٥ فإنّا وجدنا ذلك قائماً في خبرهم مُفسّراً في شهادتهم ، ولكنه علم مستنبط من أخبارهم ، ومُستخرج من آثارهم عند القابلة والموازنة . ومثل ذلك لو أن رجلاً قال لرجل : خذ عشرة في عشرة ، كان ذلك في المعنى كقوله : « خذ مائة » ، وإن لم يكن سمّاها له ولا ذكرها بلسانه .
- وقالوا : ولولا أنّ من شأننا الأخذ بالقسط ، والحكم بالعدل لأخذنا ٢٠ الشيع بقولهم في عمره وقول ولده ، فإن أحدهما زعم أنّ عليّاً توفّي وهو ابن سبع وخمسين . وقال الآخرون : بل توفّي وهو ابن ثمان

وخسين . ولو كان^(١) كما تقول الزائفة^١ وولده ما كان أسلم إلا وهو ابنُ
خمسٍ أو ابنُ ست ، وهم لا يألون ، ما نقصوا من عمره وصبروا من
سنة لكي يجعلوا إسلامه آية له وحجة على إمامته .

ولعمري لو كان الذين نقلاً أنه كان أولَ من أسلم نقلاً مع خبرهم
٥ أنه أسلم بالدعاء والتكليف ، لقد كان مذهبهم إليه مذهبا ، وما اعتصمتم
به متعلقا ، ولكن ما في الأرض كلها حامل خبر^(٢) ولا صاحب أثر
كان في خبره أنه أسلم بدعاء ، ولا أنه أسلم بتلقين ، وإنما هذا
مستخرج من الأخبار .

فإن قالت (الروافض) : بل الدليل على أن إسلامه كان طاعة ولم
١٠ يكن تلقينا قول جميع الأمة إن عليا كان من أول من أسلم ، فنفسُ
قولهم أسلم هو كقولهم أطاع واختار ، وكذلك قولهم إذا قالوا : كفرَ
فلان ، فهو كقولهم : عصا واختار ، وإن لم يفسروا . وليس بين قولهم
أسلم فلان وكفر فلان فرق ، لأن الخبر الصادق إذا قال كفر فلان
غشمه عند السامع التداوة والبراءة . ولو قال^(٣) أسلم فلان كان حكمه
١٥ الهبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم على ، وحكم « أسلم » يثبت
الاختيار وإجابة الولاية ، قبل أن يجمعوا على أنه كان على التلقين
والترية ، فلي على هذا القياس مطيع في إسلامه ، غناؤه له على غيره .
وكذلك لو قالوا : كفر فلان ، كان حكمه حكم العاصي المختار حتى

(١) لها : « ولو كان الأمر » .

(٢) في الأصل : « خبره » .

(٣) في الأصل : « قالوا » .

يُجِيعُوا أَنْ كَفَرَهُ كَانَ عَنْ إِكْرَائِهِ أَوْ غَلَطٍ أَوْ هَيْجٍ مَرَّةً ، أَوْ هَجْرٍ
النَّاسِ ^(١) ، أَوْ تَلْقِينَ الْمُؤَدَّبَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا قِيَاسًا مُوجِبًا صَحِيحًا ، لَمْ يَكُنْ
لأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ إِسْلَامَ عَلَى إِسْلَامٍ تَلْقِينَ إِلَّا بِمَثَلِ الْحُجَّةِ الَّتِي جَمَلَهَا بِهَا
مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَطْبَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى إِسْلَامِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي السَّنَةِ .
فَيَجِبُ إِلَّا نَزِيلُ حُكْمِ « أَسْلَمَ » إِلَّا بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَنْ
تَلْقِينَ وَتَرِيَةِ .

قلنا لهم : لِمَ لَمْ يَكُنْ هَذَا إِجْمَاعٌ يُخَيِّرُ أَنْ إِسْلَامَهُ كَانَ
إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَنَشَرَهُ ، كَانَ حُكْمُ قَوْلِهِمْ أَسْلَمَ عَلَى مَا قُلْتُمْ ، لَا تُجَحِّدُونَ
حُكْمَهُ وَلَا تَظْلَمُونَ مَعْنَاكُمْ فِيهِ ، وَلَكِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَوَقَّى وَهُوَ
ابْنُ كَذَا وَكَذَا فَأَخَذْنَا بِأَوْسَطِهَا فَقَصَّوْا ^(٢) مِنْ سَنِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْلَمَ
وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الْمَكْثَرِ وَبَحَسْنَا الْقِيَاسَ حَظَّهُ
كَانَ أَيْضًا إِسْلَامُهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ . فَبَسِيمٌ عَرَفْنَا
تَقْدِمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا صِفَةَ سَنَةِ وَحْدَانَتِهِ ، إِذْ كَانَ الْعَصِيُّ
إِذَا كَانَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ لَا يُسْتَتَابُ إِنْ كَفَرَ ، وَلَا يُلَامُ
إِنْ جَهِلَ ، وَلَا يَمْدُبُ إِنْ ضَلَّ . فَإِذَا كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ قَدْ قَالُوا إِنَّهُ أَسْلَمَ
وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ أَوْ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ ، فَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِنَّهُ أَسْلَمَ
إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ، كَمَا قُلْتُمْ إِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ كَفَرَ
فَلَانٌ وَأَسْلَمَ فَلَانٌ — وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ — [حُكْمٌ ^(٣)] بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ .
قلنا : فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ رَجُلٌ أَسْلَمَ فَلَانٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ

أو توسع ، فقد قال إن إسلامه كان إسلام تلقين وإن لم يذكره ولم يفوه به كما قلتم ، حَدَّثَ القُدَّةَ بالقُدَّةِ ، والتعلُّمَ بالتعلُّمِ . فإذا ثبت أن إسلامه على إسلام تلقين في ذلك الدهر فإسلام زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه . ولو أن علياً كان أيضاً بالنَّأ كان إسلامُ زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه ، لأن إسلامَ المقتَضِبِ^(١) الذي لم يُغَدَّ به^(٢) ولم يُعَوِّدْهُ ولم يُعَرِّنْ عليه ، أفضل من إسلام النَّاسِ الذي قد رَئِيَ فيه ونشأ عليه وحبَّبَ إليه ؛ لأنَّ خبَّاباً وزيداً يمانيان من الفكر ويتخلَّصان إلى أمور ، وصاحب التَّربية يبلغ حين يبلغ وقد أسقطَ لُفَّه عنه مؤونة الرويَّةِ ، والخطار بالجهالة ، وقد أورثه الإلْفُ الشُّكُونَ ، وكفاهُ اختلاجُ الشُّكِّ^(٣) ، واضطرابُ النَّفسِ وجولانُ القَلْبِ . ١٠

فصل : « ولو كان عليٌّ أيضاً بالنَّأ وكان مقتضياً^(٤) كزيد وخبَّاب لم يكن إسلامُهُ ليلبَّح قدرَ إسلامِهما ، لأنَّ إسلامَ التَّربية يكنى مؤونتين : إحداها الخطار والتفرُّر ، والأخرى شدَّةُ فراقِ الإلفِ ومكابدةِ المادة ، ونزاعِ الطَّبيعة ، مع أنَّ من كان بِمَحْضَرَةِ الأعلام وفي منزلِ الوحي ، وفي رجالِ الرُّسل فالأعلامُ له أشدُّ انكشافاً ، والخواطرُ على قَلْبِهِ أَقْلُ^(٥) اعتلاجاً . وعلى قَدَرِ الكُلْفَةِ في دَفْعِ الشُّبْهِ والإقرارِ بخلافِ الإلفِ والمادة ، والمخاطرةِ باعتقادِ الجهالة ، يعظمُ الفضلُ ، ويكثرُ الأجرُ^(٦) . ١٥

(١) المقتضِب : خير التَّهَمَةِ المدعى .

(٢) لم ينطق من هاتين الكلمتين في الأصل إلا التين فقط .

(٣) الاختلاج : الاضطراب . وفي الأصل : « الخلاج الشك » وفي ح « علاج القلب » . ٢٠

(٤) انظر ما مضى في الحاشية الأولى .

(٥) الكلام من « ولو كان علي » إلى هنا موضع مناقضة للاسكان ستأتي برقم (٤) .

ولو كان أيضاً على أسلم بالفأ مدركاً ، وكان مع إدراكه وبُلوغه كهلاً ، وكان مع كهولته مُقتَضِباً كان إسلامُ زيدٍ وخبَّابٍ أفضلَ من إسلامه ، لأنَّ مَنْ أسلمَ وهو يعلم أنَّ له ظهراً كَأبي طالب ، وورداً كبنى هاشم ، ومَوْضِعاً في بنى عبد المطلب ، ليس كالحليف ولا الولي ، والنزِيل والتَّابِع والتَّصِف ، وكالرجل من عُرْضِ قريش^(١) وقاطِئِي مكة . [أ] وما علت أن قريشاً خاصةً وأهل مكة عامةً لم يقدروا على أذى النبي صلى الله عليه ما كان أبو طالب حياً قائماً ؟ ولقد منع أبو طالب أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لأنه كان ابن أخيه ، فإِقدَرَت بنو مخزوم مع خِيَلِهَا^(٢) وعُرَّاءِ شَبَابِهَا ، ومع عِزِّهَا وشدة عداوتها أن تُخصَّصَ منه شجرة^(٣) ولا تُسممه كلمة حتى مشى إليه بأجمها ، ١٠ لِلدِّي^(٤) ترى له في أنفسها ، فكان من قولهم له : هذا ابنُ أخيك قد فرَّقَ جماعتنا وسفَّهَ أحلامنا وشتمَ آلهتنا وقد منعته منا ، فما بال صاحبنا^(٥) ؟ قال : من لم يمنع ابن أخته لم يمنع ابن أخيه ا

فإذا كانت قريشٌ وأهلُ مكة لا يقدرون على ابن أخيه وابن أخته معه فهم عن ابنه أعجز ، وعنه أقعد ، وله أعق^(٦) ، وهو لابنه أحضَرُ ١٥ نصراً وأشدُّ غضباً ، وأحمى أنفأ ، وليس المنوع كالخندول ، ولا الضَّعيف

(١) من عرشهم ، أحمى من مظلهم ومجهورهم ، ليس في موضع رئاسة .

(٢) الخِيَل : الكُبر . وبنو مخزوم معروفون بالكبر والتهب . انظر الحيوان ٦ : ٧٠ ،

٧٢ . وفي الأصل : « حِلَاتِهَا » بإعمال الحرفين الأولين .

(٣) حَسَّ الشجر : أذهبهُ أو حلقه .

(٤) في الأصل : « الدِّي » .

(٥) في الأصل : « ما بال صاحبنا » . وفي النسخة : « فإياك وإصاحبنا تمنعه منا » .

(٦) رَجَمَها في الأصل « اعفا » .

كالقوى ، ولا الأمين كالحائف . فإذا كان إسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه في ذلك الدهر كما عدّدنا من الطبقات ، وربّنا من المنازل ، ونزّلنا من الحالات ، فإسلام أبي بكر أفضل من إسلامهما ، فقد سقطت المنازعة ، وارتفعت الخصومة عند من فهم كتابنا ولم يمنع نفسه الحظّ بصحبتنا ، لفرط التّباين وعظم الفرق .

فصل : والدليل على أن لإسلام أبي بكر كان أفضل من إسلام زيد وخبّاب أن زيدا كان رجلاً غير مذكور بعلم ، ولا مزنّ بحال^(١) ، ولا مفتى المجلس ، ولا مزور الرّحل ، وكذلك كان خبّاب . وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلم العرب بالعرب كلّهم ، وأرواها لمناقبها ومثالبها ، وأعرفها بخبرها وشرّها ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان مع سبن حسان وعلمه وتماكّم الشعراء إليه ، حيث أمره النبي عليه السلام أن يهجو أبا سفيان بن الحارث ، وحيث قال له : « اهجهم ومك روح القدس » . وحيث قال له : هجّ النّطاريف على بني عبد مناف — في قتل أبي أزيهر^(٢) — والقيّ أبا بكر فإنه أعلم النّاس بهم .

١٥ (١) في اللسان : « قال الأحياني : أرزفته بحال وبعلم وبغير ، أي ظننته » .
(٢) النّطاريف : السادة الأشراف . وفي رواية بعض نسخ البيان (١ : ٢٧٣) : « اهجّ النّطاريف من بني عبد مناف » وفي بعضها وهي نسخة (هـ) مطابق لما هنا . والذي في المدة ١ : ١٢ « وقال لحسان بن ثابت : اهجهم — يعني قريباً — فوافقه لمجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . اهجهم ومك جبريل روح القدس ، والقيّ أبا بكر بملك تلك الهنات » .

٢٠ وأما ما كان من أمر أبي أزيهر الدوسي ، فإن الوليد بن المفيرة كان قد تزوج ابنته ، ثم أمسكها أبو أزيهر عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان الوليد قد أوصى ولده قبل أن يموت أن يطلبوا أبا أزيهر بمقره — والمقر : دية الفرج المنسوب — وكانت بنته قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فلما هجم بن الوليد بن المفيرة على

فصل : ولذلك كان جُبَيْر بن مُطْعِم أعلم قريش بالعرب بعد أبي بكر ،
لأنه كان المتولى لتأديبه وتنقيفه ، وقد كان أبو بكر قد سمى عائشة له ^(١) ،
للذى رأى من حُسْن أثره عليه .

^(٢) وكان أبو بكر ، مع علمه بالناس وحُسْن معرفته ، ذا مال كثير
وجه عريض ^(٣) ، وتجارة واسعة ، وكان جليلاً عتيقاً ^(٤) ، ومزوراً مغشياً ،
ومحبباً أديباً صاحب ضيافات ^(٥) ، ويؤمن في الحتمالات ، ويجتمع إلى مجلسه
كبراء أهل مكة ، لمّا يجيئون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر ،
حتى كان مثل عتبة وشيبة ^(٦) يجلسان إليه ، ويُعجبان بحديثه ، ثم يتخذ
لهم ما يتحدثون عليه ويطول مجلسهم به ، من شراب المسك والزبيب

عن أبي أزيهر وهو بسوق ذي الحجاز فقتله . السيرة ٢٧٣ - ٢٧٥ . وكان يزيد بن أبي سفيان
قد خرج فجمع بني هاشم لينأر لأبي أزيهر جار أبيه ، فنهض أبو سفيان وضربه ، فعبر بذلك ،
وكان نزهة لسان بن ثابت يمرض في دم أبي أزيهر ويمير أبا سفيان خفرته وتجنبه فقال :
هذا أهل زوجي ذي الحجاز كليهما وجار ابن حرب بالقمس ما يندو
كسك همام بن الوليد ثيابه فأبى وأخلق مثلها جرداً بعد
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ما تحب وما تعدو
فلو أن أشياء بيدر تفاهدوا لبلى لعل القوم مضطرب ورد
وانظر كتاب نسب قريش ٣٢٣ .

(١) أى سماها لتكون زوجة له ، وعنده بذلك . وفى الإجابة ٧٠١ قسم النساء :
« كانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له » و « قال أبو بكر : كنت أعطيها مطعماً
لابنه جبير » .

٢٠

(٢) الوجه : الجاه . ويقال رجل موجه ووجهه : ذو جاه .

(٣) البتق : الكرم الرائع من كل شيء .

(٤) فى الأصل : « صافات » تحريف .

(٥) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . أما عتبة فقتل يوم بدر ، قتل
حزة . وأما شيبة فقتله عبيدة بن الحارث . وذُفِر عليه حزة وعلى . مقاتل الزواجر ١١٣ .

واللبن^(١) ، فكانت قریش بعد إسلام أبي بكر وكثرة مستجبيه بمكة تريد
تغير عتبة بن ربيعة من مجلسه وإيحاشه منه ، غافة أن يستميله بحسن
دعائه ، وتأتيه ويرفقه ، ورقة دموعه وشدة خشوعه فتقول له : أما إنك
ما تأتي ابن أبي قحافة إلا لأطيب عسله وإلا لمدقته^(٢) ، وإنما نفروه
بهذا وشبهه لأنه كان ذا عيال مُملقاً تخيل المؤونة ، خفيف ذات اليد ،
مع سنه وسودده وحله ورأيه .

ولا سؤالا إسلام ذي اليسر والمال الدائر ، النفق حريرة كسبه وعقيلة
ملكه ، والفرق عنه جمه والوحش منه أنيسه ، الخارج من عز النفي
وكثرة الصديق ، إلى ذل القلة وعجز الفاقة ، وإسلام من لا حراك به
ولا جدأ عنده ، تابع غير متبوع ، ومستجد غير مُجدٍ ؛ لأن من أشد
ما يُبتلى به الكريم السب بعد التحية ، والضرب بعد الهية ، والسُر بعد اليسر .
ولا سؤالا إسلام العالم الأديب الأريب ، ذي الرأي السديد ،
وإسلام غيره .

ثم كان داعية من دعاة الرسول مقبول القول ، متبوع الرأي . ومن
كان في صفة أبي بكر فالتوف عليه أشد ، والمكروه إليه أسرع ، لأنه
لم يكن على ظهرها عدو للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وأبو بكر يتلوه
عنده في الصلوة .

ولا سؤالا إسلام من أسلم على أن يموت ويكلف ، وإسلام من كان
يُمان قبل إسلامه ويكلف بعد إسلامه .

(١) في الأصل : « واللبن » . وانظر الحاشية التالية .

(٢) اللذة : الطائفة من اللبن اللذيذ ، وهو المزوج بالماء .

ولا سواه لإسلام الكهل النبي الذي يحسن عند قریش مطالبته ، ولا يستحق من طلب الثأر عنده ، وإسلام الحدث الذي لا يقى بدواة الحلة ، ولا تستجيز مجازاته السلية^(١) .

ثم كان الذي بلغ أبو بكر في الله ورسوله يظن مكة ، وعلى خلى^(٢) الروح^(٣) ، أمين السرب رضى البال ، كما لقي يوم دعا طلحة إلى الإسلام^(٤) فأسلم ومضى به إلى النبي صلى عليه وسلم وخذلها تيم ، وأخذها نوفل بن خويلد بن أسد^(٥) — فأما ابن إسحاق^(٦) فزعم أنه كان من شياطين قریش . وأما الواقدي^(٧) وغيره فزعموا أنه كان يلقب أسد^(٨) قریش ،

(*) السلام من « وكان أبو بكر م م علمه » م ٢٥ س ٤ الى هنا موضع رد للاسكافي سيأتي برقم (٥) . وقد تصرف الإسكافي في كلام الجاحظ بالإيجاز الشديد . الظفر ١٠ ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٦ .

(١) الروح : القلب والقل والبال . في الأصل : « القود » تحريف .

(٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد المزي بن قصي . وفيه يقول أبو طالب :

كأ قد لقينا من سبيم ونوفل وكل تولى ممرضا لم يجمال

السيرة ١٧٥ — ١٧٧ . وقد قتل معركا في وقعة بدر ، قتله علي بن أبي طالب . ١٥ السيرة ٥٠٨ ومغازي الواقدي ١١٤ . وقال ابن حزم في الجهرة ١١١ : « قتله ابن أخيه الربيع بن النوام » .

(٣) محمد بن إسحاق شيخ أهل المغازي ، المتوفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب وعيون الأثر لابن سيد الناس ١ : ٨ — ١٧ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي . وقد سنة ١٣٠ وولاه المأمون الفضاء بالسكر ، وتوفى سنة ٢٠٧ تهذيب التهذيب ، وعيون الأثر ١ : ١٧ — ٢١ .

(٥) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الألف وإحدى أسنان السين ، وإثباتها من جهرة أسباب السرب لابن حزم ١١١ ، قال : « وكان يقال لنوفل بن خويلد : أسد قریش ، وأسد اللطيين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : اللهم اكفنا ابن العديوة ! يعني نوفلا » .

وهو الذي يقال له ابن المدوية — ففرقتهما في جبل ، وفتحهما عن دينهما
وعذبهما ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة « القرينين » .

وأبو بكر الذي قام دون النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد اعتوره
الشركون حين قال : « أما والله لقد جئتكم بالذبح » (١) قال أبو بكر
ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! فصدعوا فودى رأسه .

(*) ثم الذي لقي في مسجده الذي كان بناء على باب في بني مجع ،
وحيث رد الجوار وقال : لا أريد جاراً سوى الله . وقد كان بني مسجداً
يصلى فيه ويدعو الناس إلى الإسلام ، وله صوت رقيق ووجه عتيق ،
فكان إذا قرأ وبكى ، وقمت عليه (٢) المرأة والنساء والعبيان والمبيد ،
فلما أودى في الله حتى بلغ جُده استأذن النبي صلى الله عليه في الهجرة ،
فأذن له ، فأقبل يريد المدينة فتلقاه الكنانى سيد الأحابيش (٣) ، فعقد له

(١) إنذار بالعذاب والهلاك . جاء في السيرة ١٨٣ في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص :
« فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غزوه ببعض القول .
قال : ففرقت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى فلما مر بهم الثانية
غزوه بمنزلها ففرقت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغزوه
بمنزلها ، فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، أما والله نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح »
قال : فأخذت القوم كله حتى ما منهم رجل إلا لساها على رأسه طير واقع .

وفي ميراث الأثر ١٠٤ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك في خطابه للوفيين :
« أبصروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ، ومن كتمه ، وناصر نبيه . إن هؤلاء الذين ترون
ما يذبح الله بأيديكم حاجلاً » . قال عثمان بن عفان : « ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فواعة لقد
رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا » .

(٢) في الأصل : « ووقت » .

(٣) الكنانى هو مالك بن النخعة ، أحد بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .
والأحابيش ، هم بنو الحارث بن بكر بن عبد مناة ، والهمون بن خزعة بن مدركة ، وبنو =

- جواراً وقال : والله لا أدع مثلك يخرج من بين أخشبي مكة . فرجع وقد عقد له الكِنائي جواراً ، كل ذلك رغبة في قرب النبي صلى الله عليه ، فلما رجع إلى مكة عاد إلى مسجده وصنيمه ، فشت فريش إلى جاره وعظموا الأمر عنده وأجلبوا عليه فقالوا : قد أفسد أحداثنا ، وعبيدنا وإمامنا ونساءنا ، في منازلنا ! فغشى إليه الكِنائي وقال : ليس على هذا أعطيتك ٥
- الحوار ، ادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك^(١) قال له أبو بكر : أو أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ فلما قطع الحوار وتراداً العهد وتبارياً^(٢) لقي أبو بكر رضى الله عنه من الأذى والدُّل والصَّرب والاستخفاف ما بلغت ، وهو أمرٌ موجود في جميع السير . وليس الفتون كالوادع ، قال الله سبحانه : « وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ » . وذلك أن المشركين كانوا قد صاروا إلى أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتعذيب ، والصلون نفر يسير ، قد خذلهم عشائهم ، وأسلمتهم أهلوم ، فألقوا خبائاً على الرِّضف^(٣) حتى ذهب ماء مَنته . وكان أبو ذر حليفاً مستضعفاً فكان يدخل بالهار في خلال أستار الكعبة ويخرج بالليل مستخفياً ، وكانت بنو غزوم تعذب عماراً وأباه وأمه برمضاء مكة ، فيمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ١٥

==المصطفي من خزاعة . السيرة ٢٤٥ والروض الألب ١ : ٢٢١ .

وفي العرب آخر يسمى « ابن الفضة » وهو ريمة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع . السيرة ٨٥٢ .

() الكلام من « ثم اتى لقي في مسجده » ص ٢٨ س ٦ إلى هنا موضع رد للاسكافي سيأتي برقم (٧) .

٢٠

(١) تبارياً : صنع كل منهما مثل صاحبه ، وقد تكون مسجل « تباراً » .

(٢) الرضف : المجاعة التي أحيت بالشمس أو النار ، واحتشها رضة .

« صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة ! » فذكر عمار عند ذلك عياد أبي بكر لبلال حين أعتقه من العذاب فيمن أعتق ، فقال :

جزى الله خيراً عن بلال ودينه عتيقاً وأخزى فاكها وأبا جهل^(١)

وقال سميد بن جبير : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون

• يبلتون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه من العذاب ما يمتدرون به

في ترك دينهم ؟ قال : والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويملطونه حتى

لا يقدر أن يستوى جالساً من الجهد ، حتى إن كان أحدهم ليعطيهم الذي

سألوه ، من الفتنة ، وحتى يقال له : اللات والمزى إلهك من دون الله ؟

فيقول : نعم . وحتى إن أُلجِلَ لمير بهم فيقال^(٢) له : هذا إلهك ؟

١٠ فيقول : نعم .

فلو كان علي بن أبي طالب قد ساوى أبا بكر في الإسلام لقد كان

فَعَلَهُ أبو بكر بأن أعتق من المفدين بكتة ، وحتى [لو^(٣)] لم يكن

غير ذلك لكان لحاقه عسيراً^(٤) ، ولو كان ذلك يوماً واحداً لكان عظيماً ،

فكيف وكان بين ظهور النبي عليه السلام ودعائه إلى أن هاجر إلى المدينة

١٥ ثلاث عشرة سنة ، في كل ذلك أبو بكر وخبّاب وأصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم يتجرعون الرّارَ وعلى وادع رافه ، غير طالبه ولا مطلوب

وليس أنه لم يكن في طباعه^(٥) النجدة والشهامة ، وفي غريزته الدفع والحماية ،

(١) في الأصل : « وأخرى » ، تحريف . وعتيق : لقب أبي بكر .

(٢) في الأصل : « فيقول » .

(٣) ليست في الأصل .

٢٠

(٤) ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً وبلوغ منزله

شديداً » .

(٥) في الأصل : « لمن يكون في طباع » صوابه عند ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٧ .

ومن أكرم عنصرٍ وأطيب منفرس ، ولكن لم تكن تمت له أداؤه ، ولم تستجمع له قواه ولم تتكامل آدابه ، لأنَّ القتل وإن اشتدَّ مغريزه وثبتت أواخيه وجاد نَحْتُهُ^(١) فإنه لا يبلغ بنفسه دَرَكَ النَاية ، دون كثرة السَّباع والتَّجربة ، ولأنَّ رجال الطَّلَب وأصحاب النَّار وأهل السِّنِّ والقَدَر يَنْمِطُونَ ذا الحُدَاثَةِ ، وَيُزْرُونَ عَلَى [ذِي^(٢)] الصَّبَا والفرارة إلى أن يلحق بالرجال .
ويصير من الأكفَاء* . (** حتى كان آخر^(٣) ما لقي هو وأهله في أمر النار ، وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير كما جعلت في النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقى أبو جهل أسماء بنت أبي بكر — وهى ذات النطاقين — مُنْصَرَفَةً مِنَ النَّارِ ، فسألها فكتمته فطمعها ، فقالت أسماء : لقد لطمنى لطمَةً أُنْذِرَ مِنْهَا قُرُطًا كَانَ فِي أُذُنِي^(٤) .

١٠

فصل : (***) ثم الذى كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان ، لأنه ساعة ما أسلم دعا إلى الله ورسوله^(*) ، وكان مَأْلَفًا ، لأَدْرِيهِ وَعِلْمُهُ وَرُحْبَ عَطْنِهِ .
(***) وقالت أسماء : « ما عرفتُ أبى إلَّا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع إلينا يوم أسلم فداونا إلى الإسلام فما رَمِنَا حَتَّى أَسْلَمْنَا وَأَسْلَمَ أَكْثَرُ جَلَسَانِهِ » ، ولذلك قالوا : لَمَنْ أَسْلَمَ بِدَعَا أَبِى بَكْرٍ أَكْثَرُ مِمَّنْ أَسْلَمَ

١٥

(١) التَّحْت : الأَصل .

(٢) ليست في الأصل . وعند ابن أبي الحديد : « ويزهدون بنى العبا » .

(٣) السلام من « ثم لقي كان يلقى أبو بكر » إلى هنا مع الإيجاز وإفراد بعض العبارات

٢٠

بالرد رقم (٧) موضع رد للإسكافي سيأتي في رقم (٦)

(٣) في الأصل « حتى أن أحر » ، صوابه في ح .

• • • انظر رد الإسكافي رقم (٨)

• • • انظر رد الإسكافي رقم (٩)

بالسيف . ولم يذهبوا من قلوبهم إلى العدد بل عتوا الكثرة في القدر ، لأن من أسلم على يده خمسة من الشورى ، كلهم يفي بالخلافة ، وهم أكفاه على ومنازعوه الرئاسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثر من أسلم بالسيف ، لأن هؤلاء أكثر من جميع الناس ^{١٠٠٠} .

٥ فصل : وممن أسلم على يده بلال ، وهو الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بلال سيّدنا ومولى سيّدنا » . ورووا أنّه قال : « أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلال سابق الحبس ، وبلال « مولى أبي بكر » ثلاث مرات . أسلم على يده فأعتقه من رق الكفر ، وأعتقه من رق المذاب حيث كان يُقتن في الله ١٠ ورسوله ، وأعتقه من رق المبودية .

وكان من قصة بلال أنّه كان عبداً لبني مُجَحِّم وكانت دارُ أبي بكر ومسجده في حى مجح ، ولم يكن يبطن مكة مسجداً سواه ، فلما سمع دُعَاة أبي بكر أسلم وحده ^(١) فلما سمع ^(٢) أميّة بن خلف فكان يخرج به إذا حيت الظهيرة فيطرحه على ظهره يبطحاء مكة ، ثم يضع صخرة على صدره ، ثم يحلف بالله لا ينزعها عن صدره أو يكفر بمحمد وإلهه ويؤمن باللات والزّوى ١٥ وبلال يأبى وهو يقول : أحد أحد ! وكان يمرُّ به ورقة بن نوفل فيقول : نسّم يا بلال ، أحد أحد ! فرّ به أبو بكر وهو يريد داره في بنى مجح ، فرأى أميّة وما يصنع ببلال ، فقال : ألا تنق الله ؟

*** الكلام من « وقالت أسماء » إلى هنا موضوع رد الإسكافي رقم (١٠) .

٣٠ (١) في الأصل : « واحدة » .

(٢) لعلها « وسمع » .

إلى متى تَذُبُّ هذا السكين ؟ قال : أنت أفسدته ! يعني أنت دعوته حتى أسلم - فأخذَهُ ! قال أبو بكر : عندي غلامٌ أسودٌ جلدٌ ، على دينك ، أعطيكهُ وأخذهُ . فأعتقهُ . فهو عتيقه ثلاثَ مرَّاتٍ ^(١) .

^(٢) ثم أعتق بعد ذلك من المذنبين في الله ستَّ رقاب ، منهم عامر بن فهيرة ، شهد بدرًا وهاجر مع رسول الله عليه السلام وأبي بكر ، لأنه كان في موضع الثقة ، حيثُ خرجا إلى النار هاربين من المشركين متوجهين إلى المدينة . واستشهد يوم بدرٍ مؤونة .

وأعتق زينة ^(٣) ثلاثَ مرَّات ، فلما اشتراها وأعتقها ذهبَ بصرُها ، وكانت تَذُبُّ في الله فيمن يُذنبُ بمكة ، فقال المشركون : ما أذهبَ بصرُها إلاَّ اللَّاتُ والمزوى ! قالت : كذبوا ما يَصْرُانِ ولا ينفمان ! فرد الله عليها ١٠ بصرَها . فزعم الزُّهري ^(٤) أن موليين لابن النبطلة ^(٥) أسلما حين ردَّ الله عليها بصرها . وقالوا : هذا بلا شكٍ ^(٦) من إله محمد وابن أبي قحافة !

ثم أعتق الشهيدة وابنتها وقد كانتا تَذُبَّانِ في الله ، وكانتا لارأة من بني عبد الدار ، ودرَّ بهما أبو بكر وقد بعثت المبدرية ^(٧) معهما بطحينٍ وهى

(١) إشارة إلى ما سبق من أنه أعتقه من رق الكفر ، ومن رق المذاب ، ومن رق اليهودية . انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ - ١٠ .

(٢) زينة ، بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة ، كما ضبط الحافظ في التبع ٣٦٣ قسم النساء ، والسهيل في الروض الألف : ١ : ٢٠٣ . وكانت رومية .

(٣) في الأصل : « الزهرى » .

(٤) كان ابن النبطلة من أشد أعداء الرسول - والنبطلة أمه ، كانت كاهنة من يوسم في الجاهلية - واسمه الحارث بن ليس بن هدى بن سعد بن سهم السهمي . انظر لامتاع الأسباع ١ : ٢٢ وحواشيه .

(٥) في الأصل : « هذا بك شك » .

(٦) هى سولتهما ، نسبة إلى بنى عبد الناز .

تقول : والله لا أعتقكم أبداً . قال أبو بكر : ^(١) حلاً يا أمّ فلان ؟ قالت : حلاً ! أنت أفسدتهم فأعتقهم . قال : فكأنّ هما ^(٢) يا أمّ فلان ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : فقد أخذتهما ، وهما جرّنان ، أرجما إليها طحينها . قالت : أو نفرغ منه يا أبا بكر ^(٣) ؟ قال : وذاك إن شئنا .

٥ ورمّ بجارية بني مؤمل - حمّ من بني عدى بن كعب - وعمر بن الخطاب يمدّها لتترك الإسلام ، وهو يضربها فإذا ملّ قال : أعتذر إليك لأنّني لم أتركك إلاّ مائة ^(٤) ! فابتاعها فأعتقها . وأعتق أمّ عبيس ^(٥) .

١٠ فقال له أبو قحافة : أي بُسّ ، أراك تمتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنّك إذ فعلت أعتقت رجلاً جُلداً ^(٦) منمّوك وقاموا دونك ؟ قال : يا أبتِ

(١) في السيرة ٢٠٦ جوتجن وهامش الروض ١ : ٢٠٣ : « حل » بالرفع في الموضعين ولكل وجه - حلاً ، أي بحلّ من يملك . انظر الرياض النضرة ١ : ٨٩ .

(٢) أي بكما . وفي السيرة : « فكهما » . قال ابن هشام في المغني عند السلام على « كائن » : « لا تقع بمرورة ، خلافاً لأنّ ثنية وابن مسعود ، أجازا : بكأنّ تبيع هذا الثوب » . فلو أورد الجاحظ شاهداً لمذهبهما . ١٥

(٣) في السيرة : « أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم زرده إليها » ، كأنهما أرادتا أن تتخففا من ثقل الحمل .

(٤) بصد في السيرة : « فتقول : كذلك فعل الله بك ! ! » .

(٥) في الأصل : « أم عيسى » تحريف ، سواه في السيرة وإتمام الأسباع ١٩ . ويقال فيها أيضاً « أم عيس » وكانت فتاة من بني تميم بن مرة ، وهي أم عبيس بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن مناف . ٢٠

(٦) الجلد ، بالتصريك : الشدة والقوة ، وهو جلد وجليد ، من أجلاذ وجللاء وجلاد وجلد .

إِنَّمَا أُعْطِيَ الْمُذْنِبِينَ ١ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ^(١) . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى قوله : « وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ^(٢) » . فَتَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى » وَتَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

وقد سمعت قول الله سبحانه حيث خاطب جماعة المسلمين وذَكَرَ

الْأَمْوَالَ وَعَظَمَ قَدْرَهَا فِي عُيُونِهِمْ ، وَشَدَّ إِخْرَاجَهَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَفَّهِمْ ذَلِكَ لِأَخْرَجَهُمْ ثَقُلَ التَّكْلِيفُ إِلَى غَايَةِ الْبُخْلِ بِهَا وَالشُّحِّ عَلَيْهَا ، وَالْإِثَارَ لِحَبْسِهَا فَقَالَ : « لَا تَهِنُوا ^(٣) » وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَهَالِكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَلَهُوَ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ » ثُمَّ قَالَ : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا

فِيْضْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَصْنَافَكُمْ » . فَتَفْهَمُ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَأَنَّ اللَّهَ

لَمْ يُنْزِلْهُ عَيْنًا ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتَتَّقُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَفِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَخِلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » . أَلَا تَرَاهُ خَاطَبَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ

إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُضْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَصْنَافَكُمْ ^(٥) » .

^(٦) ثُمَّ قَدْ عَلِمْتَ مَا قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ ^(٧) ، وَكَانَ الْمَالُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا

(١) التلاوة : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » . وحذف الواو والقاء ونحوهما في مواضع الانقباس من القرآن الكريم جائز . انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) السلام مع إجماع شديد من قوله « ثُمَّ أُعْطِيَ بِمَدِّ ذَلِكَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ » س ٣٣ ع ٤

إلى هنا موضع رد للاستقائي ، وسيأتي برقم (١١) .

(٣) التلاوة : « فَلَا تَهِنُوا » . سورة محمد ٣٥ . وانظر التنبية السابق رقم (١) .

(٤) في الأصل : « هتيا » .

(٥) بعده يبدأ الاختيار الثاني من نسخة النصف البرهاني بالرموز إليها بالرمز (ب) .

(٦) ب : « فِي مَالِهِ » .

فَأَنفَقَهُ عَلَى نَوَائِبِ الْإِسْلَامِ وَحَقُوقِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَالُهُ مِيرَاثًا لَمْ يَكُدَّ فِيهِ فَهْوٌ .
 غَزِيرٌ^(١) لَا يَشْعُرُ بِمُسْرِ احْتِمَاكِهِ^(٢) وَامْتِنَاعِ رَجُوعِهِ ، وَلَا كَانَ هِبَةً مِلْكٍ .
 فَيَكُونُ أَسْمَحَ لَطِيبَعَتِهِ وَأَخْوَقَ فِي إِنْفَاقِهِ ، بَلْ كَانَ ثَمَرَةً كَدَّهُ وَكَسْبٍ .
 جَوَلَانَهُ وَتَعَرُّضَهُ . ثُمَّ لَمْ يَكُنْ خَفِيفَ الظَّهْرِ قَلِيلَ النَّسْلِ قَلِيلَ الْعِيَالِ ،
 ٥ فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ الْيَسَارَيْنِ ؛ [لِأَنَّ الْمَثَلَ الصَّحِيحَ السَّائِرَ : قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ .
 الْيَسَارَيْنِ^(٣)] بَلْ كَانَ ذَا بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَزَوْجَةً وَخَدَمٍ وَأَحْشَامٍ^(٤) ، يَمُولُ
 مَعَ ذَلِكَ أَبَوَيْهِ وَمَا وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ فَتًى حَدَثًا قَهْرَهُ أَرِيحِيَّةُ الشَّبَابِ .
 وَغَرَارَةُ الْحَدَاثَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِحِذَاءِ إِنْفَاقِهِ طَمَعٌ يَدْعُوهُ ، وَلَا رَغْبَةٌ تَحْدُوهُ ،
 وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَهُ يَدٌ مَشْهُورَةٌ فِيخَافُ الْمَارِ
 ١٠ فِي تَرْكِ مَوَاسَاتِهِ^(٥) وَإِنْفَاقِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا كَانَ مِنْ رَهْطَةِ دُنْيَا^(٦) فَيُسَبِّحُ
 بِتَرْكِ مَكَانِفَتِهِ وَمَعَاوَنَتِهِ وَإِرْفَاقِهِ . فَكَانَ [إِنْفَاقُهُ^(٧)] عَلَى الْوَجْهِ الذِّئْدِ
 لَا يُجِدُ أَبْلَغَ فِي غَايَةِ الْفَضْلِ مِنْهُ^(٨) ، وَلَا أَذْلَ عَلَى غَايَةِ الصَّدْقِ وَالْبَصِيرَةِ مِنْهُ ..

(١) فِي اللَّسْخَيْنِ : « عَزِيزٌ » .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « احْتِمَاكِه » ، سِوَايِهِ فِي ب .

(٣) التَّكْلُفَةُ مِنْ ب . ١٥

(٤) أَحْشَامٌ : جَمْعُ حَمَمٍ ، وَهِيَ خَاصَّةُ اللَّزَّةِ الَّتِي يَنْضَبُونَ لَهُ مِنْ عَبِيدٍ أَوْ أَهْلِ أَوْ جَبِيَّةٍ ..
 ب : « وَحَمَمٌ » .

(٥) هَذَا مَا فِي ب . وَفِي الْأَسْلِ : « مَوَاسَاتُهُ كَمَلَى » . وَالتَّكْلُفَةُ الْأَخْيَرَةُ مَقْعَدَةٌ .

(٦) يُقَالُ هُوَ ابْنُ عَمِّهِ دُنْيَا ، بِكَسْرِ الدَّالِ مَعَ التَّنُونِ وَعَدَمِهِ ، وَبَصْمِهَا مَعَ تَرْكِ الْإِجْرَاءِ .
 ٢٠ لِذَا كَانَ ابْنُ عَمِّهِ لَهَا لَاصِقُ النَّسَبِ .

(٧) التَّكْلُفَةُ مِنْ ب .

(٨) السَّلَامُ مِنْ « ثُمَّ قَدْ عَلِمْتُ مَا قَدْ صَنَعَ » س ٣٥ س ١٦ إِلَى هَذَا مَوْضُوعٍ .
 الرَّدُّ قَدْ (١٢) .

(٩) وقد تملون ما كان يلقي أصحاب النبي عليه السلام يبطن مكة من المشركين ، وقد تملون حسن صنيع كثير منهم ، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل يومئذ أمتع البطحاء ، وهو رأس الكفر .

ثم صنيع عمر حيث يقول يوم أسلم : « والله لا يُعبد (١) الله سراً بعد اليوم ! » حتى قال بعد موته عبد الله بن مسعود : « ما صليتنا ظاهرين حتى أسلم عمر (٢) » .

ثم كان الذي لقي في ذلك اليوم بسببه من المشركين ، ثم مضيه من فوره حتى يقرع على أبي جهل الباب ، فلما حس به أبو جهل خرج إليه وهو يقول : مرحباً بابن أخينا — وكانت أمه حنثمة بنت هاشم ذي الرعين ١٠ ابن المغيرة — قال : أتدري ما صرتُ بمدك يا أبا الحكم ! قال : خير ، فليكن . قال : إنه خير ، إني آمنت بالله وبرسوله وخلفت الأنداد ، وجملت (٣) اللات والزوى ، وصدقت محمداً . قال : فلا قرّب الله قرابتك ! ألا ترى إلى قوة (٤) شهامته وجلده ، وصدق نيته في كشف القناع ، والمبادأة لرأس الكفر وسيد البطحاء عند نفسه ورهطه . ١٥

وقوله بعد ذلك لجميع المشركين : أما والله لو قد (٥) صرنا مائة أتركتموها لنا أو تركناها لكم — يعني مكة .

(١) ب : « لا يعبد » بالنون .

(٢) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار في ب الذي بدأ في س ٣٥ س ١٦ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « قوله » .

(٥) في الأصل : « لاند » .

ثم صَنِيعُ [الزُّبَيْرِ ^(١)] فِي سَلَّةِ السَّيْفِ شَادًّا بِهِ مُسْتَقْبِلَ الْمُشْرِكِينَ ، يَرِيدُ خَيْطَ مَنْ لَقِيَهُ مِنْهُمْ ، فَظَلَّقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَالَ : مَالِكُ . يَا زُبَيْرُ ! قَالَ : بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، سَمِعْتُ قَاتِلًا يَقُولُ : قَدْ أَخَذَ مُحَمَّدٌ وَأَوْذَى ! فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَهَرَ سَيْفًا فِي الْإِسْلَامِ .

٩ ثم صَنِيعُ سَمِيعٍ ^(٢) وَضَرْبُهُ عَظِيمًا مِنْ عَظَائِمِهِمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ بَلَعَى بِمِيزٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَرَادَ دِمَاءَ فِي الْإِسْلَامِ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لِرُّسُلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْتُمْ يَدْعُونِي إِلَى بَيْعَتِهِ : ثِيَابِي أُمِّي ، لَنْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرًا ^(٣) مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقِي الْبَشَامُ ، ثُمَّ جَاءَنِي أَعرَابُ الْأَوْسِ تَسْلُمُنِي دِينَ اللَّهِ !

١٠ وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ هَذَا لِتَعْلَمَ أَقْدَارَ الْقَوْمِ وَالَّذِي لَقُوا مِنَ الْجَهْدِ وَالْخَوْفِ . وَالذَّلِّ وَالتَّطَرُّدِ وَالضَّرْبِ . وَلَمْ نَسْمَعْ لِمِيزٍ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ذِكْرًا . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَكْرُوهُ سَنَةً وَلَا سَنَتَيْنِ ، وَلَكِنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُلْحَقُ وَلَا يُدْرِكُ الْفَائِتَ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا » وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ^(٤) .

(١) تكملة بتضيها السياق . وانظر الإصابة ٢٧٨٣ .

(٢) هو سمع بن أبي وقاص ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأكبرهم موتاً ، وأحد الستة أهل الشورى . الإصابة ٣١٨٧ . وفيها : « فبينما سمع في شعب من شعاب مكة في نفر من الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم وهاجوا عليهم دينهم حتى قاتلهم . فضرب سمع رجلاً من المعركين بلعى جل ففجعه » . وذكر في السيرة ١٦٦ أنهم كانوا يسلون حينئذ .

(٣) في الإصابة : وقع في صحيح البخاري عنه أنه قال : « لقد مكثت سبعة أيام وأنى ثلاث الإسلام » . وانظر فتح الباري ٧ : ٦٦ — ٦٧ .

(٤) الآية ١٠ من سورة الحديد .

فإذا كانَ مَنْ أَنْفَقَ وَقَاتَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمَ دَرَجَةً ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَاتَلَ وَأَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ . وَمَنْ لَدُنْ^(١) مَبِثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى الْهِجْرَةِ أَعْظَمُ مِنْ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، [وَ] أَفْضَلُ مِنْ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْفَتْحِ .

فَإِنْ قَالُوا : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ أَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَلَا نَعْرِفُهُ قَاتِلًا قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، فَقَاتَلُ عَلَى بَعْدِ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِنْفَاقِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

^(٢) قلنا : إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَقَاتِلْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَقَدْ قَتَلَ مَرَارًا وَإِنْ لَمْ يَمِثَّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَلَئِنَّهُ لَوْ مُجِعَ جَمِيعُ الْمَكْرُوهِ الَّذِي لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ١٠ سَنَةً لَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ قِتْلَةً^(٣) .

وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْقِتَالُ مُمْكِنًا وَالْوُثُوبُ مُطْلِعًا لَقَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ وَنَهَضَ كَمَا نَهَضَ فِي الرَّدَّةِ . وَإِنَّمَا قَاتَلَ عَلَى* فِي الزَّمَانِ الَّذِي [قَدْ^(٤)] أَقْرَنَ [فِيهِ^(٥)] أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ^(٦) ، فَطَعَمُوا أَنَّ تَكُونَ الْحَرْبُ

- ١٥ (١) فِي الْأَسْل: « وَبَيْنَ لَيْلٍ » ، صَوَابُهُ فِي ح ٣ : ٢٧٥ .
 (٢) بِمَدِّهِ فِي ح : « وَلَى بَعْدَ الْهِجْرَةِ » . وَالسَّلَامُ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « وَلَدِ اعْلَمُونَ مَا كَانَ يَلْقَى » فِي ص ٣٧ س ١ إِلَى هَذَا مَوْضِعِ الرَّدِّ وَرَقْم (١٣) .
 (٣) يَبْدَأُ بِمَدِّهِ اقْتِسَابَ جَدِيدٍ فِي لِسْفَةِ (ب) سَلْبِهِ عَلَى نَهَائِهِ .
 (٤) التَّسْكِلَةُ مِنْ ب .
 (٥) يُقَالُ أَقْرَنَ لَهُ ، أَيْ أَطْلَقَهُ وَفَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَأَقْرَنَتْ فُلَانًا ، أَيْ صَبَرَتْ لَهُ قَرْنًا . ٢٠
 (٦) فِي ح : « فِي الزَّمَانِ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ » . وَالنَّصُوصُ الَّذِي فِي ح يَكْثُرُ فِيهَا النَّصْرُ .

سجالات ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مفتون مفرد^(١)] ومطروود مشرد ، ومضروب معذب^(٢)] ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة . ولذلك قال أبو بكر بعد أن استفاض الإسلام وضرب يجرانه وظهر أمره : « طوبى لمن مات في نأنة الإسلام » ، يقول :
 • في أيام ضعفه وقتله^(٣) ، حيث كانت الطاعة أعظم ، لفرط الاحتمال ، والبلاء أغلظ ، لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم كانت الطاعة أفضل ، والمزم فيه أقوى .

ولا سواه مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ولا دفع عنده ، ومضطرب مفرق^(٤)] يشقى غيظه ويروى غليله ، وله
 ١٠ مقدم يكنفه ويشجبه .

ولا سواه مقهور^(٥)] لا يقا^(٦) ، ولم ينزل القرآن بعد بظفره ،

(١) في الأصل : « مقول » صوابه في ب . وبدل « مفرد » في ب « معذب » .

(٢) التكلفة من ب . و « معذب » هي في أصلها هنا « ومضرب » .

١٥ (٣) ساق الإسكافي السلام من « قلنا إن أبا بكر » س ٣٩ س ٩ إلى هنا على هذا الوجه : « قال الجاحظ : ولأبي بكر مراتب لا يفكر فيها على ولا غيره وذلك قبل الهجرة فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله وانفرد سبته وامتنع ولقي المشاق منذ يوم بدر ، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الشرك وطمعوا في أن تكون الحرب بينهم سجالات ، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين . وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً ومطرووداً مفرداً ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر في خلافته : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام . يقول : في ضعفه » . ثم عقب عليه بالرد رقم (١٤) في ملحقات الكتاب .

(٣) المبالغة : مفاعلة من البطش وهو السطوة والأخذ بالنف . والمفرق : المطبق العادر . ب : « مفرق » .

(٤) التكلفة من ب .

٢٥ (٥) في الأصل : « لا يصاب » صوابه في ب .

وقد هتك اليأس ليطول ما لقي حجاب قلبه ، ونقص قوى طمعه حتى
بقى وليس معه إلا احتسابه ، ومقاتلته في عسكره معه عز الرجاء^(١) وقوة
الطمع ، وطيب نفس الآمل^(٢) .

- فليس لملء موقف من المواقف إلا ولأبى بكره أفضل منه إما في ذلك
الموقف وإما في غيره . ولأبى بكر مواقف لا يشركه فيها على ولا غيره .
- وإنما منحص على^٣ وامتنح من لدن يوم بدر إلى آخر غزوات النبي
صلى الله عليه وسلم^٤ وبين المحنة في الدهر الذي كان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فيه مقرنين لأهل مكة ومشركي العرب وممهم أهل يثرب أصحاب
التخيل والآطام ، والإزب والإقدام ، والصبر والمواساة ، والإيثار والمهاماة ،
والمدد الدائر والفعل الجزل ، وبين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يفتنون^٥
ويشتمون ويضربون ويشردون ، ويجوعون ويمطشون ، مقهورين لا حراك
يهم ، وأذلاء لا دفع عندهم ، وقراء لا مال لهم ، ومنغيطين
لا يمكنهم الشفاء^(٦) ، ومستخفين لا يمكنهم اللقاء^(٧) — فرق بين .
- ولقد كانوا في حال أخرجت لوطاً — وهو نبي ، والنبي خير من
جميع الناس — إلى أن قال لقومه حين لقي منهم مالتى : « لو أن لي بكم^٨
قوة أو آوى إلى ركن شديد » . [وقال النبي صلى الله عليه وآله :
« عجبت من أخى لوط كيف قال : أو آوى إلى ركن شديد^(٩)] وهو يأوى
إلى الله سبحانه !

(١) في الأصل : « غير الرجاء » ، وفي ب : « عز الرجال » ووجهها ما أثبت .

(٢) هذا نهاية الاختيار الذي بدأ في ص ٣٩ س ١٢ .

(٣) كذا . ولعل قبلها كلمة ساقطة .

(٤) عند ابن أبي الحديد : « لا يمكنهم إظهار دهوتهم » .

(٥) التكلفة من ح .

ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ، ولا عاماً ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين .

- وكان أغلظ القوم محنةً وأشدّهم احتمالاً بعد رسول الله صلى الله عليه .
 أبو بكر الصديق ، لأنه أقام ما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
 وذلك ثلاث عشرة سنة . وإنما قلنا ذلك من أجل أن الناس اختلفوا
 ٥ في مقدار مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هجرته ، فقال قائل : خمس عشرة سنة ، وقال آخرون : ثلاث عشرة سنة ، وقال قوم : عشر سنين ، فكان أعدل الأمور وأقسطها طرح الطرفيين ، والأخذ بأوسط الروايات ، كما صنعنا في مُحرّ على بن أبي طالب ، حيث وجدنا ولده جعفر بن محمد [و] هو دونه ، يخبر أن علياً استشهد وهو ابن سبع وخمسين . وقالت (علماء الرافضة) : نحن أعلم به من ولده إلا الأئمة منهم . ولم يقل هذا القول إمامٌ منهم قط ، ولكن علياً استشهد وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ثم روى الناس بعد أن أنه استشهد وهو ابن ستين وابن ثلاث وستين . وابن أربع وستين ، أخذنا بأوسط ما قالوا فطرحنا سنيّه وسبب عمر وعثمان .
 ١٥ وأبى بكر والهجرة ومقام النبي صلى الله عليه بمكة ؛ فحصل العدد الذي أثبتناه في صدر ذكرنا القضية .

- ٢٠ فإن قالوا : قد صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة أفضل من جميع ما ذكرتم ، ولقى أشدّ مما لقي أفضلهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أبأته في مضجعه وعلى فراشه والشركون يرصدونه ، وقد سقط إليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فقد تحزّموا واجتمعوا وقلّبوا

الرأى فرأوا أن يبيتوه على فراشه إن لم يظهر لهم . فقال لعلّ : « نعم على فراشي وتمشّ برُدى الحضرميّ ، فإنهم إن رأوا جسمك فوق الفراش ودوّن البرد لم يستريبوا ، وخفى لهم ^(١) أمرى ، ولم يتبموا أخرى » . فنام على فراشه ينتظر وقع السيوف ، ويتوقّع رضح الحجارة ، باذلاً نفسه مصطبراً . وليس فوق بذل النفس درجة يلتبسها صابر ، ولا يبيلنها طالب . ٥

وإن كان أبو بكر قد أحسن في خروجه وهجرته وصحبته ، وهربه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفائه في النار ، فإن ذلك لن يبلغ من الاحتمال والخطار والخوف ، قدّر ما كان فيه على رضى الله عنه ، لأن طمع النجاة في أحدهما أقوى ، والنفس له أرحمى .

فيل لهم : لو كان الأمر كما تقولون في هذين الخوفين لم يقيم صرف ١٠ ما بينهما ^(٢) بقدر عشر مائتي أبو بكر من جميع ما وصفتنا وما صنع أبو بكر في ثلاث عشرة سنة ، من كثرة الإنفاق ، وإيثار الفقر على الغنى ، والوحدة على الأنسة ، والهوان بعد الكرامة ، والخوف بعد الأمن ، والضرب والافتتان بعد الإكرام والتمظيم ، مع عتق المذنبين وكثرة المستجيبين ، ومع صرف وزن ما بين الطاعتين ؛ لأن طاعة الشاب الغرير أو الحدث ١٥ الصغير ، الذى فى عزّ صاحبه عزّه ، ليس كطاعة الحكيم المحقّق الأريب ، الذى لا يرجع تسويده لمن سوّده [و] إلى دهله ^(٣) .

(١) فى الأصل : « دى » .

(٢) صرف ما بينهما ، أى فضل ما بينهما . يقال : بين الدومين صرف ، أى فضل ،

٣٠ بلودة فضة أحدهما .

٥ (السلام من « فإن قالوا قد صنع » ص ٤٢ س ١٧ إلى هنا موضع رد للاسكافى سياتى برقم (١٦) .

*) وُفرقَ آخَرُ : أنَّ أَمْرَ النَّارِ وقصةُ أَبِي بَكْرٍ وصحبته مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَوْنُهُ مَعَهُ فِيهِ ، نَطَقَ [بِهِ] الْقُرْآنُ وَصَحَّ بِهِ الْإِجْمَاعُ ، كَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ ، وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ، وَالتَّسَلُّلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ، حَتَّى إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأُمَّةِ مَجْنُونٌ أَوْ كَافِرٌ . وَأَمْرٌ عَلَىَّ وَنُوبِهِ عَلَى الْفِرَاشِ أَنْمَا جَاءَ بِحُجَّتِهِ الْحَدِيثُ ، وَكَأَنَّهُ تَجِيءُ رَوَايَاتُ السَّيْرِ وَأَشْعَارُهَا . وَهَذَا لَا يُؤَاوِزُ ذَا وَلَا يَكَايِلُهُ * .

وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ الْعَالَمِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَارِضَةَ وَالْمُقَابَلَةَ ، وَالْمُنْقُوصَ وَالْمُتَسَاوِيَ .
وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ أَظْهَرَ شَكًّا فِي قِصَّةِ عَلَىٍّ وَبَيْتِهِ ، وَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ وَلَمَكَّهُ ، وَلَكِنِّي مَشْفِقٌ لِلَّذِي ^(١) أَعْرِفُ مِنْ أَكَاذِبِ الشَّيْخِ ، وَتَوَلِيدِ مُحَالِ السَّيْرِ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ مِنَ الْإِمَامِ .
وَلَوْ قَالَ رَجُلٌ لَكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَوْسَطِ النَّاسِ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَاللَّهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ إِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ : « ثَانِيَيْنِ اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي النَّارِ » عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَوَجَدَ عِنْدَ الْإِمَامِ غَايَةَ الْكِبَرِ .

*) وُفرقَ آخَرُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَبِيتُ عَلَىٍّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِحُجَّتِهِ كَوْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ مَعَ النَّبِيِّ ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ طَاعَةً ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسَاوَى أَبَا بَكْرٍ أَوْ يَرْتِزَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الَّذِينَ تَقَالُوا — كَاذِبِينَ كَانُوا أَوْ صَادِقِينَ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاتٌ عَلِيًّا عَلَى فِرَاشِهِ ، هُمُ الَّذِينَ تَقَالُوا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « تَمَقَّصْ بِرُدى ،

(٥) السَّلامُ مِنْ « وَفَرَّقَ آخَرُ أَنَّ أَمْرَ النَّارِ » فِي أَوَّلِ هَذِهِ الصَّفْحَةِ إِلَى هُنَا مَوْضُوعُ
٣٥ الرَّدِّ دَرَجَةً (١٧) .
(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلْفِي » .

ونم في مضجعي ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه » ؛ وهكذا لفظ هذا الحديث ، لا يشك في ذلك أحد . ولم يُنقل إلينا أنَّ النبي صلى الله عليه قال لأبي بكر : أنفق واحتمل ، ولن تمطب ولن يصل إليك مكروه^٩ .

^{١٠} فإن قالوا : إن عليا وإن كان حدثا - كما تزعمون - أيام مكة فإنه قد

- لحق السابق له ثم برز عليه بصنم يوم بدرٍ وأحد والخندق ، ويوم خيبر ،
وفي حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قبضه الله سبحانه إلى جنبه ،
فجمع أمرين : كثرة التعرض للمنايا ، وعظم الغناء بقتل الأقران والفرسان ،
والقادة والسادة ، لأنَّ من له من قتل الأبطال والأبطال ما ليس لغيره ،
فله من التعرض والاحتمال والصبر والاحتساب ما ليس لغيره .

- قلنا : إنَّ كثرة القتل وكثرة الثمن بالسيف لو كان أشدَّ المحن
وأعظم النناء ، وأدلَّ على الرياسة ، كان ينبغي أن يكون للملَّة والرُّبيرة ،
وأبي دُجَّانة^(١) ، ومحمد بن مسلمة ، وابن عَفْرَاء^(٢) ، والبراء بن مالك من عظم
الغناء واحتمال المكروه بالقدر العظيم ما ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ،

٥) السلام من قوله « وفرق آخر أنه لو كان » ص ٤٤ س ١٤ إلى هنا موضع

الرد رقم (١٨) .

- (١) بضم الفال . واسمه سبَّاح بن خرشة . الإصابة ٣٧١ من قسم السكي .
(٢) لم يذكر لنا الجاحظ من يمينه بآب عفرَاء ، وهم ثلاثة : هوف ، ومعاذ ، ومموذ ،
بنو الحارث بن رفاعه ، وأمه عفرَاء بنت هبید بن ثعلبة . السيرة ٥٠٣ . وكاهم شهد بدرًا ،
واستشهد منهم فيها هوف ومموذ ابنا عفرَاء . السيرة ٥٠٧ . والإصابة ٦٠٨٧ ، ٨١٥٧
وامتناع الاستماع ٩١ . وشهد العقبة منهم معاذ . الإصابة ٨٠٣٤ ، وأظهرهم شجاعة في تلك
الحروب هو هوف ، قال ابن إسحاق : « وحدثنني عاصم بن عمر بن قتادة أن هوف بن الحارث
وهو ابن عفرَاء قال : يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : غمبه يده في العدو
حاسراً . فترج دحماً كانت عليه فظفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . » السيرة ٤٤٥ .

لأنَّ النبيَّ لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً^(١) ، وقد علمنا أنَّه ليس أحدٌ أشدَّ احتمالاً ولا أعظمَ غناءً ، ولا أظهر فضلاً منه صلى الله عليه .

وقد نجد الرجلَ يقتل الأقرانَ والفرسانَ وهو لا يستطيع أن يرفع طرفه في ذلك المسكر إلى رجلٍ آخر ليس فيه من قتل الأقران قليلٌ ولا كثير ، لسانه هي عندهم أكثر من مثني ذلك المقاتل بسيفه ، وقتله لقرنه .

وإذا ثبتَ أنَّ رئيسَ المسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرئاسة واستحقوا التقديم بغير التقدم والباشرة ، ثبتَ أنَّ قتل الأقران ليس بدليل على الفضيلة والرئاسة . أو ما تعلم أنَّ مع الرئيس من الاكتراث والاهتمام وشغل البال ، والمنايا والتفقد ، ما ليس لغيره ، لأنَّه المخصوص بالمعاليبة ، وعليه مدار الأمر ، وبه يستنصر المقاتل ويأتمن به يهزم العدو ، ويتميمته ورايته ومعرفته يُفعلُ الحد ، ولأنَّ اختيارَ الحكيم دليل على احتمال طبيعته واستقلال نفسه ، ولأنَّ قرنه أو عرده أعظم في المأثم والمار من عردة غيره وفرة غيره^(٢) .

[و] لو لم يكن من بليته وشدة ما مُحص به^(٣) إلا أنَّ القوم لو ضيموا

١٥٠ (١) هذا الرجل هو أبي بن خلف . قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . السيرة ٥٧٥ ، وعيون الأثر ١٤ : ١٥ وإمتاع الأسماع ١٣٩ ، وأما أبو مرة الجعي فلم يقتله بيده ، بل أمر حاسم بن ثابت أن يقتله ، فحضر عنقه وقتله صبياً . إمتاع الأسماع ١٦٠ (٢) في الأصل : « ولأنَّ قرنه أو عورته أعظم من المأثم والمار من عورة غيره وقره غيره » . والمرعة : اسم للرة من عرد الرجل ، إذا هرب . اللسان (مرد ٢٧٩) .

٣٠ (٣) التميم : الاجتلاء . قال ابن عرفة : لم يحص الله الذين آمنوا ، أي ليبتليهم . اللسان (محس) . والكلتان قبلها مهملتان في الأصل .

جميعاً وَحَنِظَ ما أُضِيَتْ المَرْيَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، ولا كان المطلوبُ غَيْرَهُ ، ولا كان التَّكْلِيلُ المَهانَ غَيْرَهُ . ولهذا وأشباهه يكون الرئيسُ أعظمَ غناءً ، وأشدَّ احتمالاً ، لأنَّك [لو] قَذَفْتَ فَضْلَ سَبْرِ المقاتل الواحد في خِصاله لم تجده له أَرَأَى ولم تُحِصَّ له حِسًّا^(١) .

- ٥ « واعلم أنَّ النشَى إلى القرن بالسيف ليس هو على ما يتوهمه الفهم من الشدة والفضل وإن كان شديداً فاضلاً . ولو كان كما يظنون ويتوهمون ما انقادت النفس ولا استصعبت للقتال ،^(٢) لأنَّ النفس المستقيمة المختارة التي قتالها طاعة وفراها معصية قد عُدَّتْ كاليزان في استقامة لسانه وكِفَّتِيه ، فإذا لم يكن بجذاه سيفه إلى السيف ومكروه ما يأتي به ، ما يُبادله ويؤاخره لم يمكن النَّفْسُ أن تختار الإقدام على الكف ، ولكنَّ معه في وقت مشيه إلى القرن أمور تنفِّعه مشجِّمة^(٣) ، وإن لم يُبصرها الناس وقَضَوْا على ظاهر ما أبصروا من إقدام . والسبب المشجِّع ربَّما كان التفضُّب ، وربَّما كان الشَّرَاب^(٤) ، وربَّما كان الفَرَاة والحدائمه ، وربَّما كان الإحراج ، وربَّما كان النِّيرة ، وربَّما كان الحَيَّة وَحُبُّ الأُحدوث^(٥) ، وربَّما كان طِبَاعاً كطبائع القارِيسى والرَّحيم ، والسَّخَى^(٦) والبَخِيل ، والجَزُوع من وَقَع السَّوْط ١٥

• (١) بعده في ح : « فضل أبي بكر بمقامه في الريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على عليه السلام ذلك اليوم وقتله الأبطال » . والكلام من « فإن قالوا إن علياً » س ٥ ، س ٤ إلى هنا هو موضوع الرد (١٩) .

(١) يعني بذلك أن العبر أضعف الحِصَال عند المقاتل . وكلمة « قَذَفْتَ » جملة في الأصل .

٢ (٢) تنفَّعه : تدفعه . ولم يعجم من تلك الكلمة في الأصل إلا الفاء . وكلمة « مشجِّمة » سميت في أصلها « مسجج » . وانظر سباق الكلام .

(٣) كذا جاءت الكلمة واضحة في الأصل .

(٤) ح ٣ : ٢٧٨ : « وربَّما كان لهبة النِّفخ والأُحدوث » .

• (٥) الكلام من « واعلم أنَّ النشَى » س ٤ إلى هنا موضع الرد رقم (٢٠) .

والمصبور ، وربما كان السببُ الدِّينُ ، ولكن لا يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِقُوَّةِ الدِّينِ في قلبه ما لم يَشِيعْهُ بَعْضُ ما ذكرناه أن يَمْشِيَ إلى السَّيْفِ ؛ لأنَّ الدِّينَ مَكْتَسَبٌ مَجْتَلَبٌ ، وليس بِأَصْلِيٍّ وَلَا طَبِيعِيٍّ ، ولأنَّ ثَوَابَهُ مُؤَجَّلٌ ، والحاصلُ التي ذكرناها طَبِيعِيَّةٌ أَصْلِيَّةٌ ، وثوابها مَعْجَلٌ .

٥ . وقد يكون مع الإنسان أسبابٌ مَحْدَرَةٌ مَجْبِيَّةٌ ، فيكون رُكُونُهُ ^(١) وجُلُوسُهُ طِبَاعاً لا يَمْتَنِعُ مِنْهُ . وربما كانت الأسبابُ مِنَ المَشْجَمَاتِ والمُجْبَنَاتِ سواءً ، فيكون جُلُوسُهُ مِنَ الحَرْبِ وَقِتَالُهُ فِيهَا اخْتِياراً . وربما فَضَلَتْ قُوَّةُ مَشْجَمَاتِهِ حَتَّى يَكُونَ إِقْدَامُهُ أَشْرَأَ وَمَرَحاً ، واهْتِزازاً وطِبَاعاً ، ولا يكون ذلك طاعةً وإن كان في الحُكْمِ طاعةً . وكذلك المُجْبَنُ إِذَا أَفْرَطَ عَلَى صاحبه حَتَّى يَكُونَ فِرَارُهُ ^(٢) طِبَاعاً لا يكون مَعْصِيَةً وإن كان في الحُكْمِ مَعْصِيَةً .

ولم نَرِدْ بِهَذَا الكلامِ تَنْقِصَ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا إِخْرَاجَهُ مِنَ الفَنَاءِ واحْتِمَالِ المَكْرُوهِ ، كما لم نَرِدْ تَنْقِصَ الْإِثِيرِ وَأَبَى دُجَانَةَ وَابْنَ عَفْرَاءَ وَمُحَمَّدَ ابْنَ مُسْلَمَةَ ، وَلَكِنْ هَكَذَا سَفْعُ السَّطِيعِ المَكْلَفِ ، وَالْمَطِيعِ وَالْعَامِى .

١٥ . وَإِذَا كَانَ مَعَ صاحِبِ الإِقْدَامِ مِنَ الْأُمُورِ المَشْجَمَةُ أُمُورٌ فَاضِلَةٌ عَلَى أسبابِ جُبْنِهِ وَجُلُوسِهِ ، كَانَ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مَاجُورٍ وَإِنْ كَانَ فِي الحُكْمِ الظَّاهِرِ مَاجُوراً .

(١) فِي الْأَصْلِ : « رُكُوبُهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) أَوْجَزُ الإِسْكَافِ هَذِهِ الْمُبَارَةُ وَمَا وَرَدَ فِي صَفْحَةِ ٤٧ س ٧ مِنْ قَوْلِهِ « لَأَنَّ النَّفْسَ الْمُطِيعَةَ » عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، كَمَا وَرَدَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٣ : ٢٧٨ - ٢٧٩ : « قَالَ الْجَاهِلُ : فَصَاحِبُ النَّفْسِ الْمُخْتَارَةِ الْمُتَدَلِّهِ يَكُونُ قِتَالَهُ طَاعَةً وَفِرَارُهُ مَعْصِيَةً ، لِأَنَّ نَفْسَهُ مُتَدَلِّهِ كَالْمِيزَانِ فِي اسْتِظْمَانِهِ لِسَانِهِ وَكُفَّتِهِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ إِقْدَامُهُ طِبَاعاً وَفِرَارُهُ طِبَاعاً » . ثُمَّ وَرَدَ عَلَيْهَا بِالرَّدِّ رَقْمُ (٢١) .

وإن كانت الأسباب المشجعة في وزن الأسباب المحببة كان مطيماً ولم يكن حيث وضعت القوم ، لأنهم توقعوا مع مشيه بالسيف إلى القرن احتمال المكروه كله ، ورفقوا من أوهامهم الأسباب التي لولاها لم يمكنه الشئ إلى القرن بالسيف ^(١) .

- ٥ " ووجه آخر : أن علياً لو كان كما يقول شيعته ، ما كان له بكثرة الشئ إلى القرن بالسيف وبقتله له كثير طاعة ، ولا احتمال مشقة ؛ لأن الشيعة [ترغم ^(٢)] أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلي : « إنك ستقاتل من بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . والناس كفون : طلحة والزبير وأصحابهما ، والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون : عبد الله بن وهب وأصحابه .

١٠

- فإن كانوا قد [صدقوا وما ^(٣)] كذبوا فاعسى أن يبلغ من احتمال من هو من البقاء والسلامة على ثقة . فالزبير وطلحة وأبو دجانة وابن عفرأ ومحمد بن مسلمة أعظم طاعة منه ، لأنهم أشد احتمالاً منه ، لأنهم يقدمون والنايا شائعة وهم يرجون ويخافون ، وعلى كل فتنة من أمره ، ويقين من بقائه وسلامته . إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا القول إلا قبيل وفاته . ولا سبيل لهم إلى علم ذلك . فيقال لهم : فكذلك خصومكم يمكنهم أن يقولوا لكم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة بُنيء إسلامه ، وإذا لم يكن في قولكم إن النبي صلى الله عليه وسلم قالها له قبيل وفاته دليل ، ولا في قول خصومكم إن

٢٠

(١) في الأصل : « المعى إلى السيف » . وانظر ص ٦ .
(٢) تكملة يقتضيها السياق ، وبموضها في الأصل علامة إلحاق .
(٣) يمثلها يستقيم الكلام .

النبي ﷺ قالما بُتِّدَ إسلامه دليل ، فأعدلُ الأمور وأنصفُها بينكم وبينهم أن
تجملوا الخبر في النصف مما بين إسلامه إلى وفاة النبي صلى الله عليه .
فإذا كان ذلك كذلك فقد صار الزبير وطلحة وأبو دُجانة وعمر بن مسلمة
وابن عفرأ أفضل منه^٩ ، لأنَّ الفضل في احتمال المكروه .

٥ وقد لزمكم أن تزعموا أنَّ النبي صلى الله عليه قال هذا الكلام لعلَّ
قبل وقعة بدر ، وأنتم إنما تفخرون بوقعة بدر وقاتله بعد ذلك ، فما عسى
يبلغ من قتال رجل قد وثق بالسَّلامة والبقاء إلى أن يقاتل النَّاكثين
والقاسطين والمارقين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر .

فإذا كان رئيسُ الجيش أعظم غناءً وأشدَّ احتمالاً ، للذى وصفنا ، فأشبهه
١٠ القوم حالاً به أعظم غناءً وأشدَّهم احتمالاً ، على قياس في الرئيس والكبير
الشيء بالسَّيف . ولا أحد أشبهُ بالرئيس ممن اختاره الرئيس وزيراً وصاحباً ،
ومُكانةً ومُميناً ، لأنَّ الرجل إذا كان في رأى التَّين صاحبُ أمرِ الرئيس
والتَّوَلَّى على الخَاصَّة والقُرْبَة منه في ظمَّنه ومقامه ، وخَلَوَّاه ، وهرَّبه
واستخفَّاه ، وكان هو البتدى بالكلام عنده ، والمُفَرِّج في الحوائج بعده
١٥ والثَّانِي في الدُّعاء إلى الله ودينه ، ولا نعلمُ هذه الخصال اجتمعت في غير
أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه ، لأنَّه صاحبُه في كتاب الله سبحانه ،

(٩) الكلام من قوله « ووجه آخر » في ص ٤٩ س ٥ إلى هنا قد أوجزه الإسكافي
على هذا الوجه عند ابن أبي الحديد (٣ : ٢٧٩) : « قال الجاحظ : ووجه آخر أن علياً
لو كان كما يزعم شيعة ما كان له بقتل الأفران كبير فضيلة ولا عظيم طاعة ، لأنه قد روى
٢٠ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له : ستقاتل بمدى النَّاكثين والقاسطين والمارقين .
فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسَّلامة من الأفران ، وعلم أنه منصور عليهم
وقائهم ، فلي هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه » . ورد عليه بالرد رقم (٢٢) .

قال الله عز وجل : « إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثِنَاتِي اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ؛
خَصَّمَهُ اللَّهُ صَاحِبًا فِي كِتَابِهِ ثُمَّ سَمَّاهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ
خَلْقِ اللَّهِ ، حَتَّى غَلَبَ عَلَى اسْمِهِ وَاسْمُ أَبِيهِ وَلَقَبِهِ وَنَسَبِهِ ، حَتَّى كَانَ النَّاسُ
أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقُولُونَ : قَالَ عَلِيٌّ * وَفَعَلَ عَلِيٌّ ، وَقَالَ عُمَانُ *
وَفَعَلَ عُمَانُ ، وَقَالَ عُمَرُ وَفَعَلَ عُمَرُ ، وَقَالَ طَلْحَةُ وَفَعَلَ طَلْحَةُ ، وَقَالَ
الزُّبَيْرُ وَفَعَلَ ، وَجَمِيعَ الْمَشْرَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَيْهِ
قَالُوا : قَالَ الصَّدِّيقُ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، وَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ .
ثُمَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي كَانَ يُعِيدُهُ
فِي كُلِّ دَارٍ وَمَنْزِلٍ : « مَا أَحَدٌ أَمَّنَّ هَلِينَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ١٠
وَفِي قَوْلِهِ : « مَا أَحَدٌ أَمَّنَّ هَلِينَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » مَعَانٍ
كَثِيرَةٌ ، فَهَمَّ النَّاسُ أَمْ ذَهَبُوا عَنْهُ . فَهَذَا هَذَا .

ثُمَّ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فِي كُلِّ يَوْمٍ
ذَرَّ شَارِقَهُ يَأْتِي مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ إِثْمًا صَبَاحًا وَإِثْمًا مَسَاءً ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي
أَذِنَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ . وَإِنَّهُ أَنَاهُ مَهْجَرًا^(١) فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : ١٥
يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، كَيْفَ جِئْتَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ؟ وَزَلَّ عَنْ سَرِيرِهِ
وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ النَّبِيُّ :
هَلْ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : لَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَسْمَاءُ وَعَائِشَةُ . قَالَ :
« فَإِنَّ رَبِّي قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْهِجْرَةِ » . فَصَانَ مُحِبَّتَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غَيْرِهِ .
ثُمَّ لَمْ يُعْلَمْ بِمَخْرُوجِهِ غَيْرَ ابْتِنَاءِ أَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِ ابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ ٢٠
ابْنِ أَبِي بَكْرٍ قَتِيلَ يَوْمَ الطَّائِفِ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَتَجَسَّسُ لَهَا الْأَخْبَارَ
وَيَأْتِي بِهَا إِلَيْهَا فِي النَّارِ ، لِأَنَّهَا اسْتَخْفِيَا فِي النَّارِ ثَلَاثًا وَلَمْ يُطْلَمَا عَلَى

(١) التَّهْجِيرُ : السَّيْرُ فِي الْهَاجِرَةِ ، وَهِيَ لَصَفِ النَّهَارِ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ .

أمرها غير حاضر بن فهيرة مولى أبي بكر ، بدرى استشهد يوم بدر معونة ، فإنه كان يؤنسهما ويحدثهما ويخبرهما في تلك السفرة كلها . وكانت أسماء هي التي تأتيهم بأقواتهم في النار ، فكان صاحبها في النار ، وبمكة في طريقه إلى المدينة ، وعلى ظهره ركب النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، والثفائي أجيره ^(٢) ، وعاصم بن فهيرة خادم النبي صلى الله عليه وسلم وثقه ثلاث مرات ^(٣) ومولاه ، والظهر ظهره ، والمؤونة مؤنته ، وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة عليه ، محبوسة له ، مصونة عن سواه ، يطلبان معاً ، وتجعل فيهما قريش شيئاً سواهما .

وقالت الأنصار : لنا سمعنا بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وده .
١٠ كئنا نخرج إلى ظاهر حرتنا ننتظره ، حتى إذا لم نجد ظلًا دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان في اليوم الذي قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم فعلنا ذلك ثم دخلنا منازلنا ، فكان أول من أبصره رجل من يهود ، فصاح : يا بني قيلة ^(٤) ! اخرجنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) كان لأبي بكر واثنتان أعدهما لهجرة ، ركب إحداهما رسول الله . قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر الراجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أعضلهما ثم قال له : اركب ، فذاك أبي وأمي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لا أركب بهراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كئنا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله . السيرة ٣٢٩ .
(٢) الثفائي : نسبة إلى ثفاعة بن عدي بن الحليل بن بكر . واسمه عبد الله بن أريقط ، وكان ممركا يملك على الطريق . قال ابن حجر في الإصابة ٤٥١٧ : « ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التبريد . وقد جزم ابن عبد الله اللطفي في السيرة له بأنه لم يصر له إسلاما » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ — ١٠ وص ٣٣ س ٣ .
(٤) قيلة هي أم الأوس والخزرج ، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحلاف بن قضاعة . السيرة ١٤٠ . وفي السيرة ٣٣٤ : « يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء » ، وفي إمتاع الأسماع ٤٥ : « هذا جدكم ألقى فتنظرون » .

وحسب وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر ، في مثل سنه وهيبته ، واكثرنا لم يكن رآه ، وركبه الناس وما نعرفه من أبي بكر حتى زال الظل عن النبي عليه السلام ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . فهذا هذا .

- ثم لما كان بعد ذلك في يوم بدر . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم على محاربة قريش قال له سعد : يا نبي الله ، لئن لك حريشاً خسكون فيه وقناتل بين يديك . فأذن لهم فبتوه له ، فعدل إليه بعد أن عباهم وأقامهم على مصافهم وعلى مراتبهم ، فدخل معه أبو بكر وحده ، فلما استقر في المريس قال له أبو بكر : بعض مناشدتك يا رسول الله^(١) فإن الله منجز لك ما وعدك . تحقق النبي صلى الله عليه عليه خفقة في المريس فالتبته وهو يقول : أيشر يا أبا بكر ، أذاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ يمتان فرسه بقوده ، على ثنياه النفع^(٢) !

فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بين يديه خلق الله في المريس ، والناس موقوفون على مراتبهم ، فكانت هذه مرتبة أبي بكر . ورتب لسعد بن معاذ بعد أن كان قائماً على رأسه على باب المريس متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون المريس ومن فيه خافة كره العدو والجولة .

فإذا كان النبي صلى الله عليه عليه في ذلك اليوم في المريس ، وغير ما

(١) في السيرة ٤٤٤ : « بعض مناشدتك وبك » .

(٢) النفع : النبار . وفي الروض الألف ٢ : ٦٩ : « وفي حديث آخر أنه قال : رأيته على فرس له شعراء وعليه حمامة حراء ، وقد عصم ينيته النبار » .

إلى السيف ومعه صاحبه وصديقه ، وسيّد الأنصار وأفضلهم على باب
العرش ، عُرف أنَّ عِظَمَ النَّعَاءِ وشِدَّةَ الاحْتِمَالِ والسَّبَبَ الدَّالَّ على الرِّياسَةِ
غَيْرُ الَّذِي خَصَّهُ الْقَوْمُ وجمَلوه دليلاً . فَمَنْ أَوَّلَى أَنْ يَكُونَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ
اللهِ صلى الله عليه وسلم في عِظَمِ النَّعَاءِ واحْتِمَالِ الْكُرْهِ ، والحَالِ الرَّفِيعَةِ ،
• مِمَّنْ كَانَ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللهِ
ورسوله ، وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي كَثْرَةِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْأَتْبَاعِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ
فِي النَّارِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْمَجْرَةِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْعَرِيشِ ، وَفِي أَشْيَاءٍ
لهذا كثيرة .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَقَعَلَر عَلَى الْأَقْرَانِ وَفَضْلِهِ عَلَى مَنْ .
١٠ سواءَ بِذَلِكَ ، فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ .

وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ وَجْهًا آخَرَ لِيُزِيدَ فِي الْحُجَّةِ وَيَكْشِفَ مِنَ الدَّلَالَةِ .
تَزَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم [مِنْ لَهُ (١)] .
مِثْلُ غَنَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَنَبَاهَتِهِ وَكِرَمِ مَوْضِعِهِ ، لِأَنَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِثْلَ
الْزُّبَيْرِ ، وَطَلْحَةَ ، وَسَمْدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَانَ ، وَبِلَالٍ ، وَسِطْطَحٍ .
١٥ ابْنِ أُمَيَّةَ ، وَعَامِرُ بْنُ فِهْرَةَ . وَكَانَ فِي الْعَرِيشِ ، فَلَا أَحَدَ يَمْدِيهِ
فِي النَّبَاهَةِ ، وَلَا فِي النَّعَاءِ وَالرَّفْعَةِ ، وَالْاحْتِمَالِ لِقَدْرِ الْخِلَافَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ
حَدَّدْنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : رَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَدُعَاؤُهُ وَشَرَحُهُ فَهُوَ سَبَبُ
حُضُورِهِ وَحُسْنِ بِلَاغِهِ ، وَرَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَأَعْتَقَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رِقٍّ
الْمَنَابِ وَرَقَّ الشُّبُودِيَّةُ وَشَهِدَ بَدْرًا وَقَبِيلَ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ وَكُلْفَتِهِ ، وَإِمَارَتِهِ

- ونسبُ وابن خالته مسطح بن أثاثه ، فقد كان ديبه وابن خالته^(١) وعلى يده أسلم ، وبه استبصر ، ولم يزل في مؤنته قبل بدر وبعد ذلك وفي أيامه ، إلا ما كان من يمينه أيام حلف ألا يقربه ولا ينفق عليه ولا يطلأ رحله ، للذي كان كبر^(٢) على عائشة مع حسان بن ثابت ، حتى أنزل الله سبحانه على رسوله براءة عائشة ، وأمر أبا بكر بالإفراق على مسطح وعياله ، وبالمفو عنه ، وأن يعيده إلى رحله ومحت جناحه ، فأُنزل الله في محكم كتابه على نبيه يريد أبا بكر — وبين أن^(٣) يفرّد الله الآي ويخصه بمخاطبته وبين أن يريده في الجمهور فرقاً عظيماً ، كما أتى على جملة المهاجرين والأنصار — فقال الله وهو يريد أبا بكر : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليتفقوا وليتصفاوا ألا يحبون أن يفرّد الله لكم » . قال أبو بكر : بلى يارب . فردّه إلى رحله وعفا عنه كما أمره الله ، وأجرى عليه وعلى عياله مثل الذي كان يُجرى .
- وإنما ذكر الله في هذه الآية القربى لأنه كان ابن خالته^(٤) ، وجعل أهلَه وعيالَه مساكين أبي بكر ، وهو أحد بني المطلب بن عبد مناف^(٥) ، وشأنه عظيم .

(١) التحقيق أنه ابن بنت خالته . الإصابة ٧٩٢٩ والسيرة ٧٣٣ وإمتاع الأسماع ٢٠٧ . ومسطح لقب له ، واسمه عوف .

(٢) كبر من الكبر بالكسر ، وهو الإثم . وفي الكتاب الكريم : « والذى تولى كبره » ، قبل الكبر الإثم . وفي الحديث أيضاً : « أن حسان كان من كبر منها » . (الكبر) . في الأصل : « كان كثر » .

(٣) في الأصل : « وبين مؤمن » .

(٤) انظر ما سبق في الحاشية الأولى .

(٥) في الأصل : « بن عبد مناف » ، تحريف . انظر الماروف ٣٣ والإنابة على لبال

الرواة ٧٠ مع السيرة ٧٣٣ .

وكان أول من حث على قتال المشركين يدير وتكلم فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

فإذا شهيد بنفسه ورأيه وماله ومستجيبه وأتباعه الذين هم أكفاه
 ضده عندكم ، مع أن بعضهم قد اختير عليه وهو عثمان ، والباقون لم
 ٥ يخافهم ويؤازرهم فيعرف موضع أفضلهم ، وقد نخر عليه سعد فلم
 يمارضه ، فأين مبلغ ما ذكرتم مما ذكرنا ، إذا كان (١) مثل سعد من
 مستجيبه — وهو المستجاب الدعوة ، وأول من أراق دماً في الإسلام ،
 وأول من رمى بسهم يوم بدر ، وله يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
 « أرم فداك أبي وأمي » ، فجفع له أبويه ولم يجعما لأحدهما قبله .
 ١٢ وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا خالي أباهي فيه فليأت كل امرئ
 بماله (٢) » . وهو أزال كسرى من قصره ومليك وعن مستقره — ومثل
 خوراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته (٣) ، مع فروسيته وشدة
 بأسه والذي عظم الله من شأنه يدير حين زلت الملائكة في زيته ، عليها
 هائم صفر .

١٥ ثم الذي كان منه يدير حين أتى الخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قريش
 بمسيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من قام أبو بكر ،

(١) في الأصل : « ولذا كان » .

(٢) في رواية الترمذي من حديث جابر : « هذا خالي فليأت امرؤ خاله » . الإصابة
 ٣٠ ٣١٨٧ في ترجمة سعد بن أبي وقاص . ووجه خؤولته أنه سعد بن مالك بن وهيب بن عبد
 مناف بن زهرة ، وأم الرسول صلوات الله عليه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .
 قال ابن قتيبة في المعارف ٥٧ : « ولا يعلم أنه كان لآمنة أن يكون خال النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم ، ولكن بن زهرة يقولون : نحن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن آمنة منهم » .
 (٣) يعني الزبير بن العوام ، أمه صفية بنت عبد المطلب . الإصابة ٢٧٨٣ .

فَتَكَلَّمْ وَحْدَ عَلَى الْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ ، ثُمَّ قَامَ عَمْرُ ، ثُمَّ قَامَ الْقِدَادُ ^(١) قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْنِ لَنَا أُرَاكَ اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ لَا أَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ
لِمُوسَى : « أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » ، وَلَكِنْ أَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ . فَوَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ أَنْ لَوْ سَرَتْ
بِنَا إِلَى بَرِّكَ ذَاتَ الْفَيْدِ ^(٢) لَجَالَدْنَا مَنْ دُونَهُ حَتَّى نَبْلُغَهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يُشْهَدْ [لَهُ] أَحْمَالٌ كَأَحْمَالِ عَلِيٍّ ، لِأَنَّ
عَلِيًّا كَانَ يَمْشِي إِلَى السَّيْفِ وَأَبُو بَكْرٍ وَادَعُ رَافِعُهُ فِي الْعَرِيشِ ، وَدُونَهُ
الْحُرْسُ سَمْعُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَالرُّكَبُ لَهُ مُتَخَاةٌ .

قُلْنَا : قَدْ طَعَنْتُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّانَ لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ
لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَادَعَا وَكَانَ عَلَى مَحْتِمَلًا سَابِرًا . وَهَذَا كَلَامٌ قَدْ
فَرَّقْنَا مِنْهُ ^(٣) .

أَوْ مَا عُدَّتْ أَنْ سَاحِبَ الْوَأَاءِ وَإِنْ كَانَ لَا يُبَارِزُ وَلَا يَمْشِي بِالسَّيْفِ
أَنَّهُ يَحْتَاجُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَرْبِ وَقَوْرَتِهَا ، وَإِقْبَالِ أَمْرِهَا وَإِدْبَارِهِ ، وَيَحْتَاجُ
مَعَ اجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَالْيَقِظَةِ وَقِلَّةِ الْحَيَرَةِ ، وَالثَّبَاتِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ ، وَالْعِلْمِ

(١) السيرة ٣٣٤ . وهو القداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، قيناه الأسود بن عبد يغوث
الزهرى فلقب إليه قبيل القداد بن الأسود ، فلما نزلت : « ادعوم لأهلهم » قيل له القداد بن
عمرو . الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) في الأصل : « برك ذات الفيد » ، تحريف . وبرك بفتح الباء في الأكثر وكسرهما بعضهم .
والفهاد بكسر الفين في الأكثر وضعا بعضهم . وكلمة « ذات » و « ذو » تزداد كثيرا في
أهل البلاد ، كما قالوا : ذو أميل ، وذو جسم ، وذو الرجاء ، وذات المئذى ، وذات
الإساد . انظر كتاب أسماء جبال تهامة ٣١ . وبرك الفهاد : موضع في أقصى هجر . والبرك :
حجارة مثل حجارة الحرة خضنة يصعب المسلك عليها وعرة ، كما ذكر ياقوت .

(٣) انظر ما سبق في ص ٤٥ — ٤٦ .

بموضع الشدة والاحياز^(١) إلى أكثر مما يحتاج إليه البارز ، لأن حفظ الجميع أشد من حفظ الواحد ، ولأن كل المدو يطلبه ويريد ختله ، وكل ذلك يسلمه وعينه ؛ لأن خطاه وضعفه أقرب إلى هلكة الجميع من ضعف البارز وخطئه .

• ولو كان الأمر كما تقولون ما كان أحد أسقط في الحرب ولا أصغر خطاً ولا أقل أجراً ومكاناً من الإمام الأكبر والرئيس الأعظم^(٢) لبعد ما بين بلاد عدوه من بلاده ، ولكان حامله أفضل منه .

^(٣) مع أنكم تزيدون في كثرة القتل وتظمون شأنهم لتظموا به من شأن علي ، كصنيعكم في أمر علي ورحب ، حيث فحتموه بالأشعار ونفختموه^(٤) بالبلاغات ، وسكتم عن قتل الزبير في ذلك اليوم . ورحب وإسار أخوان شهدا الوقعة ، والنبأه ياسر^(٥) ، فقصدتم إلى الأهل فرمتموه وشهرتموه إذ كان قتيل علي ، وقصدتم إلى الأرفع فأحتموه^(٦) وأخفيتموه ، إذ كان قتيل الزبير . أو ما علمت أن الزبير وياسر التقياً فاضطربا بأسيا فهما فلم يُفنيا شيئاً صراراً ، حتى لحجا في موضع^(٧) واعتزنت

١٥ (١) في الأصل : « الأعباد » ، تحريف . والاحياز : أن يمدل عن السكان ويتركه إلى آخر . وفي اللسان : « يقال للأولياء انحازوا عن المدو وحاسوا ، وللأعداء انهزموا وولوا مدبرين » .

(٢) بعد في الأصل : « أقل أجراً وأصغر خطاً » ، وهو تكرار .
(٣) في الأصل : « نفختموه » .

٢٠ (٤) مذهب اليهودي وأخوه ياسر ، قتلا في غزوة خيبر . السيرة ٧٦٠ - ٧٦١ .
وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل مرسباً هو محمد بن سلمة . قال ابن سيد الناس ١٣٤ : ٢ .
« هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرسب . وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع أن علي بن أبي طالب قتله » .

(٥) في الأصل : « فأحتموه » .

٢٥ (٦) لحج في موضع : لقب فيه ولزمه .

بينهما شجرة ، فجذباها^(١) ضرباً وخطباً ، ثم جمع الزبير نفسه ومكن سيفه فضرب رأس ياسر ضربة قد منها البيضة ومر السيف حتى غصن نيتيته ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، ما أجود سيفك ! فغضب^(٢) .

وقصدتم إلى عمرو بن عبد ود ، فتركتموه أشد من عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث ، وبسطام بن قيس .

وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار ، والذي كان بين المطيئين والأحلاف ، وما كان بين قريش ودؤس وأمر خزاعة وحلف الفضول ، وجميع أمر قريش من خير وشر ، فما سمعنا لعمرو بن عبد ود في شيء من ذلك ذكرًا^(٣) .

^(٤) وكذا قتل^(٥) على الوليد بن عتبة يوم بدر ، وما علمنا الوليد حضراً حرباً قط قبلها ولا بعدها ، ولا ذكر فيها بطائل^(٦) .

فلو ذهبتم إلى أن علياً قد بارز وقتل ، وأبلى واحتمل ، كان ذلك

(١) جذب القىء وجذمه : قطعه .

(٢) في السيرة ٧٦٦ : « كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً مضياً ، قال : والله ما كان صارماً ولكي أكرهته » .

١٥ (٣) أوجز الإسكافي — على ما أورده ابن أبي الحديد في ٤ : ٢٧٩ — عبارة الملاحظ من قوله « مع أنكم تريدون في كثرة القتل » في س ٨ هـ ٨ إلى هنا على هذه الصورة « قال الملاحظ : ثم قصد التامرون لمل والقاتلون بتفضيله إلى الأقران الذين تلهم فأطروهم وهلوا فيهم وليسوا هناك . فنهى عمرو بن عبد ود ، زكوه أشجع من عامر بن الطفيل ، وعتيبة ابن الحارث ، وبسطام بن قيس . وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار وما كان بين قريش ودؤس وحلف الفضول فاسمعت لعمرو بن عبد ود ذكرًا في ذلك » . ورد عليه بالناقضة رقم (٢٣) . (٤) في الأصل : « ولو قيل » بالإهمال . وعند ابن أبي الحديد ٤ : ٧٨١ : « وقد أكثروا

في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتله يوم بدر » .

(٥) هذه الفقرة موضع الرد رقم (٢٤) .

جِيلًا ، وكان قصداً مقبولا ، ولكنكم أخرجتموه من حدِّ الشجاعة ، وظننتم أنَّ السَّرفَ أمثلُ وأجلُّ .

وزعم أنَّ الذي ^(١) تمنَّع العربَ وقريشاً أن يجمله الخليفةَ بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه كان قَتَلَ أبناءها وإخوتها وأعمامها ، وما يَلمُّ موضعَ رجله واحد يومَ نُوفِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَسمع له الخاصَّةُ والعامَّةُ وترى له طاعةً ، قَتَلَ على أبيه أو ابنه أو أخاه ، غير أبي سفيان بن حرب ، فقد كان على قتل ابنه حفظة ، وما كان أحدٌ من عليَّة قريشٍ والعربِ أقرَّبَ إلى أن يُخالِفَه في الحقِّ والباطل في ذلك الدَّهر من أبي سفيان ، وقد كان أكره النَّاسِ لأبي بكر حينَ قال لبي هاشم ٥
وبى أمية : « رضيتُ معشرَ بني عبد مناف أن يلى أمورَكم رجلٌ من بني تيم » . فإذا كان الذي قَتَلَ على ابنه هو الذي أظهر كراهيةَ أبي بكرٍ من بين النَّاسِ فكيف حوَّلتم القَضِيَّةَ وقَلَّبتم المعنى ؟ ١٠

فإن ذكروا أبا حذيفةَ بنَ عتبةَ لأنَّ علياً قَتَلَ أخاه ، قيل : أيسكونُ أبو حذيفةَ مِن أبي عليٍّ بهذه الصِّلة ، وأبو حذيفةَ شهد بدرًا فقاتلَ أبا ١٥
وأخاه وعمه ، واحتملت نفسُه وعزمُه وحمَّةُ إسلامه هذا الصَّنيعَ ثمَّ يجرعُ مِن أقلِّ منه بعدَ الزَّيادة في الاستبصار ، وبعد طولِ الدَّهر وموتِ الأحقاد ؟ وهذا ما لا يُشبه ولا يجوز . وكيف يجوزُ ذلك عليه وهو من المهاجرين الأوَّلين ، والسابقين الأوَّلين ، وشهد بدرًا والمشاهدَ كلَّها ، وقُبِضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ ، واستشهدَ يومَ البِمامة ٢٠
ولواه المهاجرين في يده .

(١) في الأصل : « النبي » تحريف .

وكيف يُظَنُّ هذا بأبي حذيفة ولم يُرو عنه في كراهية عليّ حُرْفُ
قطُّ ، ولا قبضٌ لذلك وجهًا ولا أظهرَ تمجُّبًا ؟ !

وكيف يُظَنُّ هذا بالتدريين والمهاجرين الأولين ومنعُ عليّ القيامَ
بأمر الناس على هذا الوجه وعلى هذا المعنى كُفِّرُ بالله ورسوله . وكيف
يَضْطَلِّقُ امرؤ على عليٍّ ويُسلم قلبه لرسول الله صلى الله عليه ؟ ! لأنَّه إن
كان يمتدُّ صنيعُ عليٍّ ذَنْبًا حتَّى يولِّدَ له حقدًا والذي تفرد^(١) على بذلك
أعظم ذَنْبًا وأجدُرُّ أن يولِّدَ حقدًا . وهذا أخفُّ قُبْحًا ، وأبينُّ خطأً
من أن يُمحَّو جَنَّا إلى^(٢) كشفه وتبيينه .

وكيف يجوز هذا على أبي حذيفة ولا نعلم رجلاً في الأرض أبداً من
حيّة الجاهليّة منه ، ولا أسمع نفساً بما وافق كتاب الله منه . ولقد باغ
من إخلاصه ورسوخ الإسلام في قلبه ، وحُبُّه عليه ويغفّته فيه أن طرح
كلَّ ما سواه ، وأخرجه ذلك إلى أن زوّج أخته فاطمة بنت عتبة
ابن عبد شمس^(٣) ، من سالم مولى أبي حذيفة ، وقال له : والله إنِّي
لأزوّجُكِها وأعلم أنك خيرٌ . ها ! ! فمات به على ذلك بعضٌ من نكْرِهِ
ذِكْرِهِ فقال : أفى سالمٍ تماثبني وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : من أراد أن ينظر إلى رجلٍ يحبُّ الله بكلِّ قلبه فليُنظر
إلى سالمٍ .

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) في الأصل : « على » .

(٣) هذا اختصار في النسب ، ولما هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . هل أن
في السلام خطأ تاريخياً ، فإن أبا حذيفة إنما زوّج سالماً ابنة أخيه فاطمة الوليد بن عتبة ، كما
في ترجمة سالم في الإصابة ٣٠٤٦ و ترجمة فاطمة في الإصابة ٨٥٢ من قسم النساء . وكان
أبو حذيفة قد تبنى سالماً يرى أنه ابنته . وأما فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة بن عتبة فهي عنها .

(٢) مع أن لأبي بكر من حُسن الأثر في حروب النبي صلى الله عليه ومن احتمال الكروه ونجس المزار ما ليس لأحد .

(٣) من ذلك أن أبا بكر خرج إلى ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ليبارزه يوم أحد ، لأن عبد الرحمن طلع يوم أحد على فرس وهو مكفّر في السلاح لا يرى منه إلّا عيناه وهو يقول : [هل (١)] من مبارزاً ثلاثاً ، كل ذلك يقول : أنا عبد الرحمن بن عتيق . فهض أبو بكر يسعى إليه بسيفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى غضبه وحِدته ، وعرف الذي عليه من الشدة في قتل ابنه : « شِمَّ سيفك وارجع إلى مكانك ومثمتنا بنفسك » .

١٠ (٤) وإنما يمكن أبا بكر بذل الجهد ، فإذا فعل ذلك فلا حال أفضل من حاله .

فاجتمع له في ذلك أمران : أحدهما الثواب على شدة الاحتمال ، والثاني صيانة النبي صلى الله عليه وإشفاقه عليه .

(٥) قل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ تصان من المثانية لعل . وقته قبل هذا . وهو : ١٥ « قال الماحظ : وقد ثبت أبو بكر يوم أحد كما ثبت على ، فلا نظر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم » .

ثم رد عليه بالرد رقم (٢٥) .

(١) التكلفة من ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ .

(٥) شام سيفه بغيره : رده إلى قرابه . وانظر رد الإسكافي على هذه الفقرة في

٢٠ رقم (٢٦) .

(٥٥) أورد الإسكافي هذه العبارة بهذه الصورة كما قل ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ . « قال الماحظ : على أن أبا بكر وإن لم تكن آثاره في الحرب كما آثار غيره فقد بذل الجهد وفعل ما يستطيعه وقتله فوته . وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله » . ثم رد عليها بالرد رقم (٢٧) .

وقوله « ارجع إلى مكانك وامتثنا بنفسك » ، فليس في الأرض معنى شريف فاضل من معاني الدين والدنيا إلا وهو في هذه الكلمة .

وأبو بكر الذي كثر رُيِّى النبي صلى الله عليه وسلم في يومٍ أحد أقبل يستى وإذا إنسانٌ قَبَلَ المشرق يطير طيراناً ، فلما رآه أبو بكر قال : اللهم اجعله طلحة ! فلما تَوَافَيَا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا هو أبو عبيدة ابن الجراح ، فبدره أبو عبيدة وقال : أسألك بالله يا أبا بكرٍ ألا تركتني فوليتني نزعها — بمعنى حدائد الرِّدَالِ الواتئِشِينَ في وَجْهه [و] جبينه من المغفر — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم صاحبكم ! بمعنى طلحة .

وترى أبو عبيدة يومئذٍ من نزع حلقة امتنعت عليه .

وليسيع طلحة وأبي بكر وموقفهما قالوا : « يومٌ أحد لبني تيم ! » ؛ لأن ١٠ الذين صَبَرُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار سبعة : أبو بكر وطلحة من تيم ، وعبد الرحمن بن عوف من بني زُهرة ، وعلي من بني هاشم ، والزبير من بني أسد ، وأبو عبيدة من بني عامر . وإنما قالوا « يومٌ أحد لبني تيم » لأنه لم يكن من كل قبيلة إلا رجلٌ واحد من المهاجرين ، وكان فيه رجلا من بني تيم كما ذكرنا .

١٩

وكان من الأنصار سبعة : الحُطَّاب بن المنذر بن الجُلوح ، وأبو دُجَّانة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصُّمَّة ، وسَهْل بن حُثَيْف وأُسَيْد بن حُصَيْنَر ، وسعد بن مُعَاذ .

وأبو بكره أولٌ من تكلم يوم بدرٍ وحثَّ الناس على الجهاد .

وأبو بكر الذي لما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « كيف ترون » ٢٠

يا مشر السملين في هؤلاء الذين قد^(١)... إلبسا من أطاعهم ليصدونا عن
المسجد الحرام » قام أول الناس فقال : نرى — والله ورسوله أعلم — أن
نمضى لوجهنا ، فسن صدنا عن البيت الحرام قتلناه .

وأبو بكر الذي لما أتى بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي يوم الحديبية في نفره
• من أصحابه ، فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد افتررت
بقتال قومك وإن قريشاً ستقاتلكم عن ذراريهم وأموالهم ، قد استنفرنا
الأحابيش وخرجوا إلى بلدح^(٢) ، معهم المؤذ المطافيل ، والله ما أرى معك
أحداً له وجه ، مع أني أراكم قوماً لا سلاح لكم ، ولو قد عصف هؤلاء
الحديد لقد أسلموكم . قال أبو بكر : عضضت ببطر اللات ، أعمن نسليه ؟
١٠ قال له بُدَيْل : أما والله لولا يدك عندي لأجبتك ، والله إني وقوي
لنحب أن يظهر محمد !

وأقبل عروة بن مسعود في نفر من قومه حتى أناخ راحلته عند النبي
صلى الله عليه وسلم وقال : إني زكتُ كثيراً وعامراً على أعداد الحديبية^(٣)
معه المؤذ المطافيل ، وما أرى معك أحداً أعرف وجهه ونسبه ، وإنهم
١٥ لخلقاه أن يخذلوك — والقوم سُكوت — فغضب أبو بكر وقال : امصن
ببطر اللات^(٤) ، أعمن نخذه ؟ قال عروة : أما والله لولا يدك عندي

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . وانظر لمتاع الأسماع ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٣) أعداد : جمع عدد بالكسر . وفي اللسان : « وفي الحديث : نزولوا أعداد مياه

٢٠ الحديبية ، أي ذوات اللادة كالسيون والآبار » . في الأصل : « عداد » تحريف .

(٤) في السيرة ٧٤١ وعيون الأثر ١١٦ : ١١٧ : « بطر اللات » .

لأجبتك ! وكان عروة قد استسما في حمالته ، فكان الرجلُ يُمينُهُ
بالفريضةين والثلاث ، فثنى إلى أبي بكرٍ فأعطاه عشر فرائض^(١) .

ألا ترى كثرةَ أياديه ونُبلَه وامناً^(٢) ، وحَدَه وشهامته ورياسته !
فهذا وأشباهه يعرف قدر الرجلِ بمكة وفي قومه ، وعند النبي صلى الله عليه
وسلم وجماعة أصحابه .

- ولو لم يُعلم من شدة قلبه وسواب رأيه وقوة عزمه وقلة وخشنته
ويُمن بركته إلا أن كبار المهاجرين دخلوا عليه ، منهم عمر وعثمان
وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في جمع
كثيف من المهاجرين ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله ، إن العرب
قد انتفعت عليك ، وإنك لن تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ،
اجعلهم عُدَّةً لأهل الردَّة ترى بهم نُحوَرَم ، وأخرى أننا لا نأمن على
المدينة أن يُفازَ عليها وفيها الدَّرائي والنساء ، فلو استأنيت بفرز الروم
حتى يضرب الإسلام بجرانه ويمود أهل الردَّة إلى ما خرجوا منه
[أ] ويُفدِّيهم السيف ، ثم تيمت أسامة حينئذٍ ، فتكون قد أنفنت الجيش
كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد دفعت بهم أهل الردَّة ، ولأننا نخاف
الروم أن تزحف إلينا يومنا هذا .

- فلما استوصى أبو بكرٍ كلامهم قال : هل منكم أحدٌ يريد أن يقول
شيئاً ؟ قالوا : قد سمعت مقاتنا . قال : والذي نفسي بيده لو ظننت أن
السباع تأكلني لأنفذت هذا البعث ، ولا بدأت بأولئ منه ، والنبي صلى الله عليه
وسلم ينزل عليه الوحي من السماء وهو يقول : أنفذوا جيش أسامة .

(١) أصل الفريضة البعير للأخذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه فسمي كل بعير فريضة .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

فلما رأى إبطاءهم من ذلك وتلكوهم خرج وحده مغضباً نحو أهل الردة حتى لحقه المهاجرون والأنصار في المسلمين ، فقالوا : تُكفَى يا خليفة رسول الله ، ونفذ لأمرِكَ ، والصواب ما رأيت .

فلو لم تعلم من شدة قلبه واجتماع رأيه وقلة وحشته إلا هذا كان كافياً . ٥

وأبو بكر الذي ولّاه النبي صلى الله عليه يوم حنين ميمته ، وولّى عمرَ ميسرته . فلم يكن النبي صلى الله عليه ليستكفيتها أمّ المواضع إليه وها لا يكفياها .

ولقد انكشف الناس وثبتا في مواضعهما ، وكان أقرب القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ - إذ كان لابدّ لصاحب الميمنة والميسرة ١٠ من أن يكون أبعد بمن يكون في القلب - أبو سفيان بن الحارث ، والعبّاس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وريمية بن الحارث ، وأمين بن عبيد^(١) أخو أسامة بن زيد لأخته . وصبر مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار . ١٥

ومما نفر به شدة شكيمته وصدق وصرامة رأيه قوله للمسلمين يوم توفى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قام خطيباً وبالمدينة مناقبون لا يألونهم خيالاً يمتصّون عليهم الأنامل من النبط ، وقد انتقض ماحول المدينة ، فكان ممّا قال في خطبته :

٢٠ (١) في الأصل : « أمين بن عبد الله » ، صوابه في السيرة ٨٤٥ والإصابة ٣٩١ وانتاح الأسماح ٤٠٧ . ويسى أيضا « لعين بن أمّ أمين » .

- مَنْ كَانَ يَبْغِدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوتَ ، فليعبده . وَمَنْ كَانَ يَبْغِدُ
مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِيَّاهُ فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَصِمُوا
بِذِينِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ قَائِمٌ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ،
وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنِ نَصَرَهُ ، وَمُعِزٌّ دِينَهُ . وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ ،
وَهُوَ النُّورُ وَالشُّفَاءُ ، وَبِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ، وَفِيهِ حَلَالُ اللَّهِ وَحَرَامُهُ . ٥
- ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . إِنْ سِوَتِ
اللَّهُ السَّالَوَةَ مَا وَضَعْنَاهَا مِنْ عَوَاقِبِنَا ، وَلِنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، فَقَدْ جَاهَدْنَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يُبْقِيَنَّ مُبْقٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .
- وَأِنَّمَا قَالَ : « مَنْ كَانَ يَبْغِدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِيَّاهُ فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ » لِأَنَّهُ
كَانَ سَمِعَ مِنْ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ كَلَامًا قَبِيحًا ١٠
حَتَّى مَلَجَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَامَات ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، فِي كَلَامٍ سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .
- وَمَا يَدُلُّ عَلَى خَاصَّةِ مَكَانِهِ وَتَقْدِيمِ النَّاسِ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ الْجَمِيعِ لِفَضْلِهِ ،
الَّذِي كَانَ مِنْ صَنِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صَنِيعِ جَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ صَنِيعِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِ ، حَيْثُ فَرِغَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ أُسَارَى ١٥
بَدْرٍ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا حُيِسُوا بِبَدْرِهٍ وَاقْتَرَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ طَمِعُوا
فِي الْحَيَاةِ ؛ فَقَالُوا بَأْجَمِهِمْ : لَوْ بَعَثْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوْسَلُ قُرَيْشٍ
لَأَرْحَمَانَا ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا آثَرَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْهُ إِفْبِثُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَنَامُوا
فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ فِيْنَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَالْإِخْوَانَ وَالْمُؤَمَّةَ ، وَبَنِي
الْأَتَمِّ ، وَأَبْعَدُنَا قَرِيبَ ، فَكَلَّمْ صَاحِبَكَ يَمُنُّ عَلَيْنَا أَوْ يُفَادِينَا . قَالَ : نَعَمْ ٢٠
لَا أَلُوْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَيْرًا إِنَّمَا أَنْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

فقالوا : ولو بعثنا إلى مر ، فإننا لا نأمن أن يُفْسِد علينا ، فلمله أن
يَكْتَبَ عنا شره ا فأرسلوا إليه فجاءهم ، فقالوا مثلَ قولهم لأبي بكر ،
فقال : لا آلوكم إن شاء الله شرًا ا ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه ،
وإذا الناسُ حولَ النبي ، وأبو بكر يفتنوه^(١) ويلبثه وهو يقول : يا رسول
الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، قومك فيهم الآلَاءُ والأبناء ، والعمومة والإخوان ،
وبنو العم ، وأبندُهم منك قريب ، فامتن عليهم من الله عليك ، أو فادهم
يستنفذهم الله بك من النار ، فما أخذت منهم فهو قوة للمسلمين ،
ولعلَّ الله أن يُقبلَ بقلوبهم ا ثم قام فتحنى ناحية وسكت النبي صلى
الله عليه وجاء عمرُ جُلِسَ جُلِسَ أبي بكر فقال : يا نبي الله ، هم أعداء
الله كَذَّبوك وقَاتَلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم فإنهم رهوس الكفر ،
وأمة الضلالة ، يمز الله بذلك الإسلام ويذلَّ الشُّرك ا فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم وعاد أبو بكر إلى مجلسه وإلى مثل ذلك الكلام ،
ثم تنحنى وقام عمرُ جُلِسَ مجلسه وأعاد مثلَ الكلام الأول ، ثم تنحنى
عمر وجلس أبو بكر ، ثلاثَ مرَّات . فسكت النبي عليه السلام ،
ثم قام فدخلَ قُبَّتَه فكث ساعةٌ وخرجَ والناسُ يخوضون ، يقولُ
بعضهم : القولُ ما قال أبو بكر ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر .
ففرجَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ماتقولون في صاحبكم ؟ دعوها
فإنَّ لها مثلاً : مثلُ أبي بكر في الملائكة مثلُ ميكايل ينزل بالرضا .
والتعفو ، ومثله في الأنبياء مثلُ إراهيمَ كان آليْنِ على قومه من العسل ،
أوقد له قومه النارَ فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : «أنتَ لكم

(١) يفتنوه : يسكن فضبه . ورسمت في الأصل « هتاؤه » .

- وَلَا تَسْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وقال : « فَمَنْ تَسْبِيهِ فَإِنَّهُ يَمُنُّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَفُورٌ رَحِيمٌ » . ومثله كمثل عيسى إذ يقول : « إِنْ تَذُبُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْيُومُ الْحَكِيمُ » . ومثلُ مَرَّةٍ فِي الْمَلَائِكَةِ مِثْلُ رَجَبِيلَ يَنْزِلُ بِالسُّحُطِ مِنَ اللَّهِ وَالنَّقْمَةِ . ومثله فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ نُوحٍ كَانَ أَشَدَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ إِذْ يَقُولُ : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا » . فذَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةً أَهْرَاقَ اللَّهُ بِهَا الْأَرْضَ جَمِيعًا . ومثله مثلُ مُوسَى إِذْ يَقُولُ : « رَبَّنَا اطْمِسْ كُلِّي أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » . فهذا يدلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ الْمُفْرَزَ وَالشَّفِيعَ ، وَالْحَاصَةَ وَالثَّقَّةَ وموضعُ الفضيلة .

- وقَبْلَ ذَلِكَ لَمَّا قَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ كَيْفَ أَمْرِي بِهِ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ عَلَى التَّكْذِيبِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : وَاللَّهِ إِنْ الْبَيْرَ لَتَطْرُدَ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ يَكُونُ إِقْبَالُهَا شَهْرًا^(١) ، وَزَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ مَضَى إِلَى بَيْتِ الْقُدُسِ وَرَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ ۖ فَأَتَوْا بِأَجْمَعِهِمْ أَبَا بَكْرٍ لِيَحْتَجُّوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ وَلِيَعْرِفُوهُ خَطَأً فِي اتِّبَاعِهِ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ ١٥ الْجَوَابَ فِي ذَلِكَ يَمْتَنِعُ إِذْ كَانَ قَدْ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ . فَأَتَوْا أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا : هَلَّاكَ سَاحِبُكَ ۖ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ الْمَذْكُورُ بِالصُّعْبَةِ ، وَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُبْتَدَأُ وَالتَّفْرَعُ - زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْقُدُسِ فِي لَيْلَةٍ وَغَدَا عَلَيْنَا ۖ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ ، فَمَا تَجَبُّونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ ۖ فَوَاقِلُوا إِنَّهُ لَيُخْبِرُنَا أَنَّ الْخَبَرَ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ ٢٠

(١) فِي السِّمَةِ ٢٦٦ : « إِنْ الْبَيْرَ لَتَطْرُدَ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَدِيرَةً وَشَهْرًا مَقْبَلَةً . »

إلى الأرض في ساعة من ليله أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد من مصر^(١) .
ثم نهض أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله ليسأله عن القضية ، فأقبل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصيف له وهو يقول : صدقت صدقت ! أشهد
أنك رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه وآله : وأنت الصديق ! وقد كان
أبو بكر الصديق أفي الشام وعرف طرقها وأمورها ، وقلبها وعرف
جميع ما فيها .

ثم الذي كان من تقديم النبي صلى الله عليه وآله عليه له والمسلمين في قضية
الحديبية . وذلك أنهم كتبوا كتاباً :

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . اصطلحا على
١٠ وضع الحرب عشر حجج يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .
على أنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) ، وعلى أن من أحب أن يدخل في عقد
محمد وعهده فمحل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فمحل ،
وعلى أنه من أتى منهم محمداً بنير إذنه رده ، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد
لم رده ، وعلى أن محمداً يرجع حاته هذا بأصحابه ، ويدخل عليهم قابلاً^(٣)
١٥ في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا السلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف
في القرب . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ،
وأبو حبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة^(٤) . وشهد حويط بن عبد العزى
وسكتر بن حفص بن الأخيف .

(١) في الأصل : « أهد من مصر » . وفي السيرة : « أهدما تجبون منه » .

(٢) الإسلال : الفارة الظاهرة بسل السيوف . والإغلال : الحياطة والفدر .

(٣) أي في العام القابل .

(٤) وكذا في إنباع الأسماع ٢٩٨ . وفي السيرة ٧٤٩ وعيون الأثر ٢ : ١٢٠ . محمود
ابن مسلمة . وهو أخوان .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ شَاهِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْدَهُ .

وَنَحَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَلَ عَنْ سَبْعَةٍ^(١) . فَأَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ سَمَى أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ . فَهَذَا هَذَا .

- ثُمَّ لَمَّا تَحَاجَزَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَقْبَلَ^٥ يَسِيرَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَنْثَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عُرْضِ الْجَبَلِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ يَمْنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ يَوْمَ يَوْمٍ بَدَأَ .
أَلَا إِنَّ الْيَوْمَ دَوَّلٌ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَحَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةٍ^(٢) قَالَ عُمَرُ :
أَلَا أَجِيبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَغْلِرْ هُبْلَ^(٣) ١٠
قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا عُرْزَى وَلَا عُرْزَى لَكُمْ
قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

فَلَوْلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلَ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا وَأَبْنَةً ، أَوْ أَعْيِظَ لِأَبِي سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكِينَ ، مَا جَمَلَهُ أَبُو سَفْيَانَ — وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ — ثَانِيًا ، وَالَّذِي يَتْلُو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي النَّدَاءِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، حِينَ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ ١٥
ثُمَّ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . فَهَذَا هَذَا .

(١) هَذَا الْجَمَلُ هُوَ جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ ، كَانَ قَدْ غَنِمَهُ يَوْمَ بَدْرٍ . لِمَتَاعِ الْأَسْمَاعِ ٢٢٥ ، ٢٩٩ — ٣٠٠ وَالسِّيرَةُ ٧٤٩ وَبَيَاقُ الْأُمَرَاءِ ٢ : ١٢١ .

(٢) يَعْرِضُ لِي مَا كَانَ مِنْ مَقْتَلِ وَلَدِهِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَبَصَرَ حَنْظَلَةَ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ فُتِلَ اللَّاسِكَةَ حِينَ لَقِيَ فِي غَزَاةِ أُحُدٍ ، فَلَمَّا اسْتَلَاهُ حَنْظَلَةَ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لَهُ شِدَادُ ابْنِ الْأَسْوَدِ فَضَرِبَهُ شِدَادُ قَتَلَهُ . فَهُوَ يَذْكُرُ ثَارَهُ لَوْلَدِهِ . انظر السِّيرَةَ ٥٠٧ ، ٦٧ ، — ٦٨ وَلِمَتَاعِ الْأَسْمَاعِ ١٥٨ ، ١٤٩ .

(٣) هُبْلٌ : سَمٌّ عَمُورٌ . أَهْلُ هَبْلٍ ، أَيْ أَظْهَرُ دِيْنِكَ . السِّيرَةُ ٥٨٢ وَلِلْيَسْرِ وَالْأَزْلَامِ لِحَقِّقِ الثَّانِيَةَ ص ٦٨ .

وفي نزول أبي بكر قبر حمزة قبل كلِّ نازلٍ بأمر رسول الله صلى الله عليه ،
 دليلٌ على التفضيلة والنباهة ، والتقدّر والوزارة .

ولمّا دخل أبو سفيان المدينة أتى النبي صلى الله عليه وقال : يا محمد ،
 إني كنتُ غائباً في سُلح الحديبية فاشدّد المَهْدَ وزِدْنَا في المَدَّة . قال .
 ٥ أو لذلك قدمت يا أبا سفيان ؟ قال : نعم . قال : فهل كان فيكم من حَدَث ؟
 قال : مَعَاذَ اللَّهِ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فنعن على مُدَّتِنَا وصُلَحِنَا ،
 لا نَبْدُلُ ولا نَعْدِر . فلما خرجَ من عنده بدأ بأبي بكر^(١) فقال له : هل لك
 إلى أن تُجِيرَ بين النَّاسِ ؟ قال أبو بكر : رجواى في رجواى رسول الله .
 ثمَّ خرجَ مِن عنده فأتى مُمرَ فكلّمه بمثل ذلك ، قال عمر : إني لو وجدت
 ١٠ الذرَّ ثَمَاتِكُمْ لَأَعْتَنُهَا عَلَيْكُمْ ا قال أبو سفيان : جُرِيتَ مِن ذِي رَحِمٍ شراً !
 ثم أتى عُبَان ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى عليّاً .

ألا ترى كيف جعلوه التَّصَدِّقَ والمعتمدَ قبلَ النَّاسِ وبمَدِّ رسول الله
 صلى الله عليه . ولو لم يكن حالٌ عند أبي سفيان من النبي صلى الله عليه
 فوق كلِّ حَالٍ ما بدأ به قبل جميع مَنْ نزع إليه . فهذا هذا .

١٥ ثم اتّقى كان مِن تَقَرُّبِ النبي صلى الله عليه السلام ، وإكرامه له يومَ فتح
 مَكَّةَ ، وهي الدَّارُ التي خَرَجَا منها هَارِبِينَ مَعَاً ثمَّ رجعا إليها آمِنِينَ مَعَاً ،
 يتسيران ويتحدَّثان ، حيثُ طَلَعَ النبي صلى الله عليه وسلم على الميَّاسِ
 وأبي سفيان ، والنبي صلى الله عليه السلام بين أبي بكرٍ وأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْيرٍ ، أبو بكرٍ
 من يمينه . وقبلَ ذلك في الطريق كان بين أبي بكرٍ وعمر ، أبو بكرٍ عن يمينه

٢٠ (١) كان قد دخل قبل ذلك على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته دونه . امتاع الأسماح ٣٥٨ . وفي السيرة ٨٠٧ .
 أنه دخل أول الأمر على ابنته ، ثم أتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر .

وعمر عن يساره . فلما صارت الخيلُ بذى طوى بين الخدمة إلى الحجون ،
مرَّ النبي صلى الله عليه وأبو بكر يساريه وَخَدَهُ ، وإذا بناتُ أبي أحيحة
قد نثرن شعورهنَّ يَلَطْمُن وجوه الخيل بالخرم ، فنظر النبي صلى الله عليه
إلى أبي بكر وتبسّم وقال : كيف كان قال حسان :

* يَلَطْمُنُنَّ بِالْخَرَمِ النِّسَاء *

قال أبو بكر :

* نَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطِّرَاتِهِ *

فهذه حاله وخاصته ومكانه وارتفاع قدره . ألا تراهما خرجا من مكة
هاريين مستخفيين مصطحبين ، ثم رجعا آمنتين ظافرتين مملكتين مصطحبين .

- وصعد أبو قحافة الجبل بسفري بناته وهو يومئذ مكفوف ، فسكت
بنته فقال لها : لا تخافي فإنَّ أخاك عتيقاً أكبر الناس عدداً فلما دخلا
مكة أقبل أبو بكر بأبيه وهو يومئذ شيخ مكفوف له غدirtان ، كأنَّ
رأسه ثقامة^(١) حتى هجم به على النبي صلى الله عليه وقال : أيتك بأبي
يا رسول الله ليسلم . قال النبي صلى الله عليه : هلاً تركت الشيخ في رحله
حتى آتته . فسحَّ النبي صلى الله عليه يده على صدره ، ودعاه إلى
الإسلام فأسلم .

وهذا كله يدلُّ على تقديم النبي صلى الله عليه له .

- كما نقل الفقهاء أنَّ النبي صلى الله عليه أتى بمسٍّ من لبن وهو
في أصحابه ، وأبو بكر عن يساره ورجلٌ من الأعراب عن يمينه ، وأصحابه
قد أحجوا سُورَه^(٢) ، فشرَّب النبي وأهوى بالقدح نحو الأعرابي . قال عمر :

(١) الثديرة : الذؤابة . والثنام ، بالفتح : تبت أبيض يشبه به العيب .

(٢) رسمت في الأصل : « قد أحجوا سورة » .

أبو بكر يا رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : الأيمنَ فلا يمينَ (١) .
ولم يقلوا هذا الحديثَ ليُخبروا عن فضيلة أبي بكر ولا عن قُرب
مقدمه ولا عن تقديم مرّة له ، ولا أنّ عادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت
التقديمَ له ، ولا قال عمر ذلك على التذكير له ، وإنّما أرادوا أن يُخبروا
عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرب ، وعن فضيلة اليمين على
اليُسار ، وعن التعريف لحُرمة المجلس .

ولو كان هذا الخبر في عليٍّ وعثمانَ ما كان الأمرُ إلّا كما أخبروا أنّهم
لم يَفْصِدُوا في الحديثِ إلّا تفضيلَ اليمين على اليُسار .

فإنّ قالوا : فإنّ عليّاً كان أفقهَ من أبي بكرٍ وأعلمَ بالحرام والحلالِ
منه . والدليل على ذلك أنّ كثرة ما قلوا إليسا من اختياراته وأقواله
في الحادثات ، من الحلال والحرام ، وأبواب الفقه والفُتْيَا والتأويل ، مع
كثرة الرواية المسندة ، وكان يُسأل ولا يسأل ، ولم يرجع عن شيء قط
وليس أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلّا وله رجمةٌ وأكثرُ
من ذلك ، ولم يُسمع لأبي بكرٍ بفتْيَا كثيرٍ ولا كثير رواية ، ورأسُ
الدين الفقه فيه والعلو به . فلما كان أبو بكرٍ وعليٌّ بن أبي طالب على
ما وصفنا وذكرنا ، علمنا أنّ أفقههما أفضلُ فضلاً وأولى بالإمامة ، لأنّ
حملَ الفقه أفضلُ من غيره ، لأنّ أوّلَى الناس بالسلمين أهلهم بدينهم ،
لأنّ من علم الدين لم يجهل أمر الدنيا ، لأنّ أمور الدنيا مياسرة أو شبيهة
بعلم المياسرة ، وعلم الدين مستنبت ، وتأويله فاض .

٢ قالت (العُتْبَانِيَّةُ) عند ذلك : أمّا المدل والقسط فإنّ نظرَ يومِ نُوفَى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكرٍ وعليٌّ حيّانَ ظاهرٍ أمرهما ، معروفٌ قدرهما

(١) روى من حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري فتح الباري ١٠ : ٦٦ ، ٧٠ .

واحتماؤها للعلم والعمل . فلمعرى لئن كان لعلّ من طول المشجة وكثرة السماع ومفاوضة الرسول الأ [مر] ، والمعرفة ، وكثرة الإرشاد للأمة وصحة الرأي وكثرة الصواب ، وكان الناس إليه أشدّ فزعا ، [و] ظهر من روايته وحاجة الناس إلى فقهه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام وفاته وأيام أبي بكر ، أكثر مما ظهر من أبي بكر في ذلك الدهر ، إنه لأفقه منه في الدين وأعلم بأبواب الدنيا .

[و] لئن كان إنما كثر مما نقل الناس عنه لأنه عاش والحادثات تحدث ، وبقي حتى كان يستغنى ويغنى ويسأل ويُجيب ، ويروى عنه في الزمان الذي كان يُستغنى فيه مثل أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، فكان ذلك منه أيام أبي بكر وهي سنتان ، وأيام عمر ١٠ وهي عشر سنين ، وأيام عثمان وهي اثنتا عشرة سنة ، وأيام نفسه وهي خمس سنين ، فليس في ذلك حُجّة ولا دليل ؛ لأنك تحصي ما يقول الرجل في الدهر الطويل مع كثرة الحادثات ، وما يقول الرجل في الدهر القصير مع قلة الحادثات ؛ وإنما ينبغي أن ننظر يوم توفي النبي صلى الله عليه عليه من كان أفضل المسلمين وأفقه في الدين ، وأعرف بالأمور ، وأصوب رأيا وأشدّ احتمالا ، في ذلك الوقت الذي اختير فيه للخلافة . ونحن نعلم أنّ عليا لو عاش إلى دهر الحسن وابن سيرين لكان قد ازداد فقها وعلمًا وتجربة على قدره يوم استشهد رضي الله عنه .

ولا يجوز أن تقدّر الرجل بقدر^(١) طول الزمان وكثرة الحادثات ، وبقدّر قصر الزمان وقلة الحادثات . فلنصحح^(٢) عندنا وعندكم أنّ أمورا ٢٠

(١) في الأصل : « وإنما يجوز أن يقول الرجل بهد » .

(٢) في الأصل : « فليس صح » .

حدثت ، وبلايا نزلت في زمن أبي بكر وأيام وغافر النبي صلى الله عليه ،
 من حلالٍ وحرام أو سياسة جنود أو سد ثغر أو تدبير حرب ، أو استصلاح
 عوام ، أو ترتيب خواص ، فظهر فيه من رأى على وصوابه وحسن
 نظره وإرشاده ما لم يظهر من أبي بكر - فقد أفلح من زعم أن علياً كان
 أوفق منه فقهاً ، وأصوب رأياً ، وأشد للأموال احتمالاً ! مع أنا قد نجد
 عنده من دقائق الفتيا وغامضه وعويصه ^(١) ما لم يُقتل به أحد ولا يتلى به
 أحد أبداً . ولعل ذلك لا يُصاب عند الإمام إلا في مجلة الأمور وأصولها ،
 ثم لو دهم الناس عدو ، أو حزبه أمر ، أو أعصّل بهم ممل من فائق
 يختلط الملك بتأويل قد زخرقه ، ومن انتشار ^(٢) جُند أو اضطراب
 عوام ، أو بدعة شاملة ، لم يكن عنده من الفناء والاحتمال والمعرفة
 ١٠ بلاج أدائها والتأني لاستصلاحها قليل وكثير . وإنما مدار الأمور على
 أصالة الرأي ، واتساع الصدر ، وقوة العزم .

فإن كنا لم نجد لعل مما ذكرنا شيئاً يفضل به أبا بكر في ذلك
 الدهر فإننا نستدل على صواب رأيه واتساع صدره ، وأنه كان الفزع
 ١٥ والمرشد بعد رسول الله في المضلات وعند الشبهات والحادثات ، والناس
 في ذلك الدهر بين مستمع مرشد وبين مستمع مسلم ، وبين مُطرق واجم
 وبين خائض قد رنعه ^(٣) الحادثات ، واستهم عليه وجه الصواب ، كالذي
 كان من المسلمين لما اصطاحوا على القضية يوم الحديبية ، لأنهم لما
 صاروا إلى الكتاب وراضى النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو

٢٠ (١) أي غامض ذلك وعويصه .

(٢) أي تفرقهم وخروجهم على القواد ؟ وأصله في الإبل والتم أن تفرق عن عزة من
 راعيها . في الأصل : « انتشار » تخراب ، وانظر ص ٦٥ س ١٠ .

(٣) الكلمة خالية من النقط في الأصل . رنحه : دارت به وميلته .

- على أن يُكتب في الكتاب : « وعلى [أن] من أتى قريباً من كان على دين محمد بنير لأذن لم تَرُدّه إليه » ، فبلغ من أمر الناس والذي دخل عليهم أن اضطربت قلوبهم ، حتّى إنّ النبي صلى الله عليه قال لأصحابه بمد انصرف سهيل بن عمرو : « قوموا فانحروا وأحِلُّوا واحلُّوا » ، يقولها ثلاثاً ، كل ذلك ينظرون في وجهه ويسمعون قوله ولا يُطيعون .
- أمره ، حتّى غضب النبي صلى الله عليه وسلم فدخَلَ على أمّ سلمة فأخبرها بذلك متعجباً ، وكانت معه في تلك السّفرة ، قالت أمّ سلمة : « انطلق أنت يا رسول الله إلى الهدى فأنحمره ، فإنهم سيقتدون بك » . فكان أوّل مَنْ وَبَّ عند الكتاب مُمرُّ وهو يقول :
- يا رسول الله ، ألسنا بالمسلمين ؟ قال النبي صلى الله عليه : بلى . قال : ١٠
فعلام تُعطى الدّنية في ديننا ؟ قال النبي عليه السلام : أنا عبدُ الله ورسوله ، ولن أخالف أمره . فأقبل أبو بكر على عمر فقال : يا مُر ، الزمَ غِرَزَهُ (١) فإني أشهد أنّه رسول الله ، وأن الحقّ ما أير [به (٢)] ، ولن يضيئه الله !
- ثمّ إنّ مَرَّ بن الخطّاب عاد إلى أبي بكر فسأله فقال أبو بكر : سلم ١٥
له ورسوله وأتّهم رأيك .
- وقال أبو عبيدة : لا تُعطى الدّنية أبداً ! فقال أبو بكر ، يا مُر ! إنّها ليست بدّنية ، ولو كانت دّنية ما أعطّاها النبي صلى الله عليه وتأبّاها أنت ، وما كان الله ليرضى بذلك .
-
- (١) يقول : احتلق به وأمسكه واتبع قوله وقوله ، ولا تخالفه . وأصل التّرز للجمل مثل ٢٠
الركاب للفرس .
- (٢) التّكلمة من امتاع الأصمّاع ٢٩٣ .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَمِيعِ أَشَدُّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ وَهَرَمَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟! وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ كَانَ كَاتِبَ كِتَابِ الْقَضِيَّةِ ،
فَلَمَّا كَتَبَ : « هَذَا مَا قَضَيْ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ الْمُشْرِكُونَ :
لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ مَا حَارَبْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتَبَ : « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ : ائْتِنِي بِأَعْيُنِهَا يَاعْلِيَّ . فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لَا تَحْوَتْهَا أَبَدًا ! قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَأَيْتَ مَكَانَهَا . فَأَرَاهَا فَحَاها وَكَتَبَ « مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَأْسُ أَنْتَ وَأَيُّ يَارَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا كَلِمَةٌ
حَدَبَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَغَضَبَتْ لَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْلُمُوا مِنَ الْأُمُورِ
مَا تَطْلُمُهُ الرِّسَالُ . فَهَذَا مَوْقِفُ الْأَبِي بَكْرٍ مَشْهُورٌ .

- ١٠ وَإِنَّمَا قَطَعْتَ الْفِتْنَةَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا
لَا يُشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ وَدَخَلَ
الْبَيْتَ وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْكِبَةِ وَعَرَّفَ مَعَ الْمُرَفِّينَ ^(١) ، ثُمَّ نَجَّهَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
وَهُوَ يَرِيدُ مَكَّةَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِمْ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ » الْآيَةَ . فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْحَ وَالشَّرْطَ ،
وَطَائِفُوا الرُّجُوعَ اضْطَرَبُوا لِذَلِكَ ، مَعَ الْقَتْلِ كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ :
« إِنْ أَتَى قَرِيشًا أَحَدٌ مِنْ كَانَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ، وَمَنْ أَتَى مُحَمَّدًا
مِنْ هُوَ عَلَى دِينِ قَرِيشٍ رَدَّهُ » . فَأَخْرَجَهُمْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ إِلَى مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ .
وَأَقْبَلَ مَرَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرْنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ .

قال عمر : فما باله رجّع بنا ولم ندخلها ؟ قال له أبو بكر : وهل قال لك متى ؟ إنما قال : لتدخلن ؛ وأنتم داخلوها لا عمالة . وإنما كان لك مقالا لو ضرب لك أجلا فرأيت خلافه . واعلم أن الحق ما قال وصنع .

فلم يُبقِ في قلبه غلص جلا بموضع الحجة في ذلك ، ولا في قلبه مستريب دخله الشك شيئا إلا أصلحه . فبهنا وشبهه نعرف إخلاص الرجل وقدره ، وسمة صدره ، وكثرة علمه .

ثم أخرى ، أهد الله به من الضلالة ، والناس بين ساكتين لاغناء عنده ، أو خائضين مستريبين يحتاج إلى التعريف ، أو موقنين يحتاج إلى المأدّة وتلقين الحجة .

١٠ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفى اقتحم الناس عليه في منزل عائشة ، فلما نظروا إليه مسجى دخلهم أمر عظيم أذهلهم وحيرهم ما بهم ، حتى قالوا : لم يمّت ، وكيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس ؟ وكيف يموت وقد قال الله : « ليظهره على الدين كله » ولم يُظهِرْ بعد ؟

١٥ وكان عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب يردّان هذه الآيات ، وتوعّدا أصحاب النبي صلى الله عليه عليه : من قال إنه مات . وثاروا في حجة عائشة وعلى الباب : لم يمّت !

وكان أول من رآه مسجى فأنكر موته عثمان ، وقال : إنه والله ما مات ، ولكن الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ! والله لا نسمع أحدا يقول مات إلا قطعنا لسانه !

٢٠

واضطرب الناس وماجوا وقام عمر في الناس خطيبا فقال :

لَا أَمْنٌ أَحَدًا يَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا مَاتَ ! وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَمُتْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ . أُرْسِلَ إِلَيْهِ كَمَا أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَبِثَ عِنْدَ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(١) . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ أَيْدِيَ رِجَالِهِمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَاتَ !

فَبَيْنَمَا النَّاسُ هَكَذَا إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ، عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، مِنَ السُّنْحِ^(٢) فَسَمِعَ مَقَالََةَ مَرٍّ وَمَا يَقُولُهُ النَّاسُ وَمَا خَاضُوا فِيهِ ، فَبَدَأَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُسَجًى ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ قَبْكَاهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ الْمَذْبَرِ وَقَالَ : أَيُّهَا ... الْخَالِفُ^(٣) عَلَى رِسْكَي ! فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُقَدٌ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ خَطِيئًا ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ اجْلِسُوا وَأَنْصِتُوا ، ثُمَّ حَمْدُ اللَّهِ وَأُثْنَى عَلَيْهِ ١٠ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَزَّى نَبِيِّكُمْ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَبِينُ أَظْهَرَكُمْ وَنَمَاتَ لَمْ يَأْتِ أَنْفُسَكُمْ ، فَهُوَ الْمَوْتُ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ . أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَالَ « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » .

قَالَ مَرٌّ : بَابِي أَنتَ وَأُمِّي ! فَسَكَتَ النَّاسُ وَأَظْهَرُوا التَّسْلِيمَ ، وَعَرَفُوا الْحَقَّ وَبَكَوْا ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوا بِهِذِهِ الْآيَةَ قَطُّ . ١٥

ثُمَّ تَلَا : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَهْلَكْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » ثُمَّ تَلَا : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) فِي السَّيْرِ ١٠١٢ : « وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ حَمْرَانَ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قُبِلَ قَدْ مَاتَ » . وَنَحْوُهُ فِي سَيَرَةِ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ ٢٠ : ٣٣٩ .

(٢) السُّنْحُ ، بِالضَّمِّ : إِحْدَى عِمَالِ الْمَدِينَةِ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِهَا . كَانَ بِهَا مَبْزَلُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ تَزَوَّجَ مِلْكَةً ، وَقِيلَ حَبِيبَةُ بَيْتٍ خَارِجَةٍ .

(٣) بَيْنَ هَذِهِ السُّكُتَةِ وَسَابِقَتِهَا فِي الْأَسْلِ بَيَانٌ بِقُدْرَةِ كَلِمَةِ « أَيُّهَاذَا » .

الموت « ثم تلا : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ثم مرَّ في خطبته الشهيرة المروفة^(١) . فهذا هذا .

ثم أقبل على عمر وعثمان فقال : قال الله : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، يقول : إنكم شهداء على من تلقون بمن لم يلق النبي صلى الله عليه ، كما كان النبي صلى الله عليه عليكم شهيدا . وقال الله : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ، وإنما أراد دينه ، والله مُمِيزُ نوره ومظهرُ دينه . فإذا أظهر دينه فقد أظهره^(٢) .
فهذا علمه وقدره وفهمه وحاجة الناس إليه .

ثم الذي كان من مشي المهاجرين والأنصار إليه وكلامهم له ، ليتقبل ١٠ الصلاة من العرب ويترك الزكاة ، وقالوا : إنهم لو قد صلُّوا قد زكُّوا . قال : والله لو منعوني عقالا مما أعطوه النبي صلى الله عليه لجاهدتهم عليه ! فقال له المهاجرون والأنصار : أو ليس قد قال النبي عليه السلام : « أُحِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا حَقَّنُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » . قال أبو بكر : إن فيها « إِلَّا بِحَقِّهَا^(٣) » . قالوا : ١٥ صدقت . ألا ترى إلى أنه قد علم الجميع ما لم يعلموا ، أو صيرهم إلى رأيه بقدر المخالفة له .

(١) انظر خطبة أبي بكر في السيرة ١٠١٢ - ١٠١٣ وابن سعد ٢ : ٤٤ والطبري ٣ : ١٩٨ وزهر الآداب ١ : ٣٥ . (٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « إِلَّا لِحَقِّهَا » . يشير إلى ما ورد من تسمية الحديث فيها سيأتي في الصفحة التالية ، وفيما رواه الحب الطبري ١ : ٩٨ ولاحه : « فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعَهُ مِثْلُ مَا هُوَ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ » .

ونقلوا إلينا أن الأنصار قالت : يا خليفة رسول الله ، أليس قد قال النبي صلى الله عليه : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا حَبِيبُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » قال أبو بكر : فهذا من حقها ، والله لو كنتُ وحدي لجاهدتهم حتى أَقْتَلَ أَوْ يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ وَيُزْهِقَ الْبَاطِلَ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا .

ثم مضى نحو أهل الرِّدَّة يُريدُهم مُنْضِبًا حَتَّى لَحِقَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَنَمَوْهُ وَكَثَّرُوهُ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَهُ .

وهذا خبرٌ نقله أصحاب الأخبار مُرْجِعُهُمْ وَشَبِيهِهِمْ^(١) إِلَّا الرَّوَافِضُ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطَاقُونَ ؛ لِأَنَّ مِنْ يَجْعِدُ السُّتْفِيزَ الشَّائِعَ بِالْأَسَانِيدِ الْمُخْتَلِفَةِ ١٠ فِي الدَّهْرِ التَّفَاوُتَ ، وَيُوجِبُ عَلَى خَصْمِهِ لَهُ تَصْدِيقَ الشَّاذِّ^(٢) الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يَدَّعِيهِ إِلَّا أَهْلَ الْفُلُوْ مِنْ الرَّوَافِضِ ، يَمْتَنِعُ الْجَانِبُ ، عَسِيرُ الْمَطْلَبِ ، لَا يُطَاقُ وَلَا يُجَارَى .

ثم رأينا عليًّا يَروِي عنه ، وَزَكَيَّهِ وَيُفَضِّلُهُ ، وَلَمْ نَسْمَعْهُ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ شَيْئًا وَلَا زَكَاهُ وَلَا فَضْلَهُ . عَلَى أَنَّ عَلِيًّا قَدْ كَانَ عِنْدَهُ فَاضِلًا طَالِيًا ، ١٥ طَالًا وَجِبَاءً .

ثم الذي كان مِنْ قَوْلِ عُمَانَ بْنِ عَمَّانَ لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ عُمَانَ حَزِنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حُزْنًا لَمْ يَحْزَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يُزَيِّرُهُ لِلَّذِي يَرَى بِهِ مِنْ عَظِيمِ مَافَدَحِهِ وَتَهْمِهِ ، فَقَالَ عُمَانُ : مَا أَمْسَى عَلَى شَيْءٍ ، إِنَّمَا آتَى عَلَى أَنْفِي لَمْ أَسْأَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَّا فِيهِ نَجَاةٌ

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : « مَرْجِعُهُمْ وَسَمِيحُهُمْ » بِدُونِ تَقْطُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « السَّاد » .

هذه الأمة ! قال أبو بكر : قد سألتُ النبي صلى الله عليه عن ذلك : فقال : « مَنْ قَبِلَ الكلمةَ التي عَرَضْتُهَا على نَعْمَى فَأَبَاهَا » .
ألا ترى إلى حاجة الجميع إليه واستنفائه عنهم .

ولو لم يُعْلَمَ من سمةِ عليه إلاً قوله للمهاجرين والأنصار حين أشاروا عليه بأن يقبل الصلاة وقالوا إنهم لو قد أقاموا الصلاة لآتوا الزكاة .
قال أبو بكر : إِنَّ تَيْمَأَ إِنْ أُذِنَ لَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي قُبُضِ عُروَةٍ لَمْ تَرْضَ بِثَلِثِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، وَلَوْ أُعْطِيَتْ كِنَانَةٌ وَالْفَافَا وَأَحْيَيْشَهَا أَمْرًا لَمْ تَرْضَ قَيْسُ حَتَّى تَزْدَادَ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ لَا تَقْضِ الْإِسْلَامَ عُروَةً عُروَةً .
وفي مشيهم إليه في تأخير جيش أسامة يشيرون عليه ويقولون ما كتبنا في صدر الكتاب^(١) ، وفي قوله : « لَوْ بَقِيتُ وَحْدِي حَتَّى تَأْكُلُنِي الْكَلَابُ مَا أَخَّرْتُ جَيْشًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِإِنْفَاقِهِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ » ، فلئن كان ما وصفنا لا يدلُّ على جَوْدَةِ الرَّأْيِ وَرَحْمَةِ الْعَزْمِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَعَلَى الثَّهَامَةِ وَالصَّرَامَةِ ، وَالْبَيْنِ وَالْبِرْكَ ، فَمَا فِي الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ رَجُلٍ وَنَقْصِهِ .

ومما يدلُّ على سَمَةِ عليه وَأَنَّهُ كَانَ التَّفَرُّجَ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ عَامَةً وَبَنِي هَاشِمٍ خَاصَةً اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : خَيْرُ الْمَدَافِنِ الْبَقِيعُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَفِرُّ لِأَهْلِهِ^(٢) . وَقَالَ آخَرُونَ : خَيْرُ الْمَوَاضِعِ مَوْضِعُ مَصَلَاهُ . وَقَالَ آخَرُونَ : عِنْدَ الْمَنْبَرِ . قَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ عِنْدِي فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ عِلْمًا . قَالُوا : فَقُلْ يَا أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « مَا مَاتَ ٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ٦٥ .

(٢) انظر السيرة ٩٩٩ — ١٠٠ ولطاع الأسماع ١ : ٥٤١ .

نبي* قطُّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ . فَخَطُّوا حَوْلَ رِوَاثِهِ ثُمَّ حَوَّلُوا
رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَرَّاشِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . فَلَمْ نَجِدْ
الْثَّانِيَ احْتِاجُوا مَعَ خَبْرِهِ إِلَى شَاهِدٍ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ ،
وَلَا أَظْهَرَ الشَّكَّ فِي خَبْرِهِ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ . هَذَا وَالْمَنْزِلُ
مَنْزِلُ ابْنَتِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ مَفْعَةً وَكَأَنَّ تَكُونُ الْمَفْعَةُ ، وَهِيَ الْمَأْتَرَةُ ٥
المطعمي والشرف الأهل .

فَمَنْ لَمْ يُبَيِّنْ فِي خَبْرِهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَمَعَ هَذِهِ الْعِلَّةِ حَتَّى قُبِلَتْ
شَهَادَتُهُ وَحْدَهُ ، لَجْدِيرٌ أَلَّا يُتَقَدَّمَ أَحَدٌ فِي الْقَدْرِ وَالْعِلْمِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ .
وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ثَابِتًا عِنْدَهُمْ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَرَوَاتِهِ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، فَإِذَا حَدَّثَنِي غَيْرُهُ
اسْتَحْلَفْتُهِ^(١) ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِصِدْقَتِهِ ، وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَنِي — وَصَدَّقَ
أَبُو بَكْرٍ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا
فَيَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ^(٢) » .
وَهَذَا حَدِيثٌ مَأْمُومٌ لَهُ بَرَادِرٌ إِلَّا أَهْلَ الْغُلُوِّ مِنَ الرَّاغِبِينَ . وَقَدْ
قَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا مِنْ عِلَّةٍ عَلَى التَّقْيَةِ لِلْمَوَامِّ^(٣) ، لَطَاعَةِ التَّوَامِّ
لَأَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِ . وَمَا فِي هَذَا مِنَ التَّقْيَةِ ؟ أَنْ يَصَدِّقَ رَجُلًا عَلَى خَبْرِهِ
وَأَنْ يَكْذِبَ غَيْرُهُ^(٤) أَوْ يُؤْمِنَ غَيْرُهُ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ

(١) فِي الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ١ : ١٤٣ : « يَنْتَهِي إِلَهُ بِمَا شَاءَ ، فَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرُهُ اسْتَحْلَفْتُ » .

(٢) قَالَ الْمُهَبِّ الطَّبْرِيُّ فِي الرِّيَاضِ : « خَرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَافِظُ فِي الْأَرْبَعِينَ الْبُلْدَانِيَّةِ » .

(٣) فِي الْأَسْلَ : « الْفَرَامِ » .

(٤) فِي الْأَسْلَ : « وَأَنْ يَكُونَ عَنْده » .

لوجود : أن يزكّي بعضاً ويفضل . فزى علياً يحمل عنه ويرى
عنه وزكّيه ويفضله ، ولم نره صنع بعل من ذلك شيئاً .

ولقد بلغ من تبطنه^(١) لأمر النبي صلى الله عليه أن النبي صلى الله عليه
لما حاصر أهل الطائف قال عمر لأبي عبيد : إنما أنت ثعلب في جحر
يوشك أن يخرج قال أبو عبيد : هل هو إلا أن قطعتم حبلات عتب^(٢) ،
وفي الماء والتراب ما يميده . قال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء وتراب ،
ولا تبرح باب جحرك حتى تموت جوعاً . قال أبو بكر : يا عمر لا تقل
هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف . فسأل عمر
النبي صلى الله عليه فقال : نعم لم يؤذن لي .

قالوا : ولم يكن علم ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير
أبي بكر . ولو علمه أحد غيره لكان عمر .

قالوا : في خطبة النبي صلى الله عليه في شكاه التي ترقى فيها المسلمون
شهود ، وفي معرفته بالذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بكلامه دون جميع
الناس ، دليل على أنه المخصوص بحسن المعرفة ، وفضيلة الدراية .

وذلك أن أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه على المنبر أن قال :
« والذي نفسي بيده ، إني لقاتم على الخوض الساعة » . ثم تشهد فلما قضى
تشهده كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ،
ثم قال « إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله » .
فبكى أبو بكر . قالوا : فتمجبتنا من بكائه . وقال : بأبي أنت وأمي وبآبائنا

(١) في اللسان : « تبطن الأمر : علمت باطنه » .

(٢) الحبلة ، بالتحريك وبالفتح : شجرة العنب . . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر
بقطع أعصاب عقيق ، فوقع الناس فيها يقطعون . السيرة ٨٧٣ وعيون الأثر ٢ : ٢٠١ .

وأَمْهَاتَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا . قَالُوا : فَتُحِبُّ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَبِكَانِهِ
وقالوا : أَخْبِرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ ١
قَالُوا : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَهْلًا^(١) بِرَسُولِ اللَّهِ .

٥ ولَمْ يَكُنْ مِنْ صَوَابِ رَأْيِهِ وَحِجَّةِ فِرَاسَتِهِ ، وَتَوَفَّقِ اللَّهِ لِإِيَّاهُ إِلَّا تَوَلَّيْتُهُ
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ حَرْبَ مُسَيْلَةَ وَطَلْحَةَ وَأَهْلِ الرَّدَّةِ ، وَقَدْ عُوتِبَ فِيهِ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ - وَعَمَرَ تَنَاوَلَهُ - وَهُوَ يَقُولُ : لَا أَشِيْمُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ
نَمَّ اخْتِيَارُهُ عَمَرَ وَفِرَاسَتُهُ فِيهِ ، حَيْثُ حَقَلَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعُوتِبَ
فِيهِ وَنُوزِعَ فِي أَمْرِهِ .

١٠ وَكَذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
« رَضِيتُ لَأُمِّي مَارِضِي لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ لَهَا ابْنُ
أُمِّ عَبْدِ » ، قَالَ : أَمَرَسُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ : الْمَرْأَةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ حِينَ
قَالَتْ لِأَنْبِيَاءِ مُوسَى : « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ » وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي عَمَرٍ .

١٥ فَهَلْ رَأَيْتُهُ شَأْمٌ قَوْمًا قَطُّ وَجَامِعَهُمْ^(٢) فَكَانَ لَهُمُ الرَّأْيُ دُونَهُ ، وَهَلْ
عُوتِبَ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَالصَّوَابَ مَا حَمَلَ بِهِ دُونَ رَأْيِ الْمَآئِبِ لَهُ . وَهَلْ أَشِيرَ
عَلَيْهِ بِرَأْيٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ الْمَصِيبُ دُونَ الْمَشِيرِ عَلَيْهِ ١ ؟

فَأَيُّ قَعَةٍ وَأَيُّ عِلْمٍ أَسْبَحَ وَأَيُّ مَذْهَبٍ أُحْمَدَ عَمَّا عَدَدْنَا وَكُفِّرْنَا .
نَمَّ أَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُخْبِرُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَوْقِفٍ وَاحِدٍ
مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ ، وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَمِنْ الصَّوَابِ الَّذِي حَكَمْنَا

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : ٥ وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ . وَانْظُرْ صِفَةَ الصَّفْوَةِ ١ : ٩٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَجَاءَ بِهِمْ » .

عن أبي بكرٍ في حياة النبي صلى الله عليه ، وعند وفاته ، وفي أيام خلافته ، حتى كأنَّ عليًّا ورجلاً من عُرض المسلمين في ذلك الدهر سواهُ .
وما يُخَيَّلُ إلينا إلا أنَّ الذي قطعهُ عن كثير من ذلك حدائهُ سنهُ ،
وتهديهُ للشَّيخة على نفسه .

٥ فإن قالوا : إنَّ عليًّا قد أشار على مُمرِّ بكنا ، وقال له يوم كذا وكذا : كذا .

قلنا : إنَّا لم نكنْ في مُمرِّ وعليٍّ ، ولو قد صرنا إلى الإخبار منهما تقدُّمنا بالذي يُمرِّفكم فضيلةَ ممرِّ ، كما حكينا ووصفنا وتقدُّمنا في الإخبار عن فضيلة أبي بكر .

١٠ ولقد بلغ من حجة فكره وصِدق ظنِّه وقُوَّة حِسِّه أنه كان يظنُّ الأمرَ فيقع به أوقرباً منه . ولذلك قال ممر : إنَّك لن تنفع بمقل المره حتى تنفع بظنِّه .

فمَّا يدلُّ على صِدق ظنِّ أبي بكر وحسِّ نفسه أنَّ عائشة لما دَخَلَتْ عليه في شكَّاته التي قبضتْه الله إليه فيها ، أنشدتْ عنده شعراً تذكُر فيه ما رأتْ في أبيها . قال أبو بكر : لا تقولِي هذا يا بُنَيَّةُ ، ولكن قولي : ١٥ « وجاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحقِّ ذلك ما كنتُ منه تَحِيدُ » ، أي بُنَيَّةُ إنِّي كنتُ نَحَلْتُكَ جَدَادَ عشرين وَسَقًا من مَالٍ بالمالية ، وإنَّك لم تحوزيه ولم تَقْبِضْه ، وإنَّما هو مال الوارث ، وإنَّما هما أخواكَ وأختاكَ . قالت عائشة : إنَّما هي أسماء ^(١) ! قال : إنَّه ألقَى في رُوعِي أنَّ ذا ^(٢) بطنِ بنتِ

٢٠ (١) في الميوان ٦ : ٥٠ - ٥١ : « قالت : ما أرفى لي أختاً غير أسماء » .

(٢) في الأصل : « أرماء » سواهُ في الميوان .

خارجة [جارية^(١)] . فوضعت جاريةً فسميت أم كلثوم .

وله مما كان يقع في خَلده وَيَصْدُق فيه ظَنُّه ونَصَح فيه فِرَاسَتُهُ أمورٌ عجيبية .
ولو قالوا : إنَّ عليًّا كان من فقهاء أصحاب النبي صلى الله عليه لقد كان
ذلك عدلاً وقصداً ، وحَسَنًا جيلًا ، كما قال إبراهيم^(٢) والشَّعْبِي : الفِقه من
• أصحاب النبي صلى الله عليه في سِتَّة : في عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ،
وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت .
وقد زاد قومٌ أبا الدرداء ، وأبا موسى . وقد قال مسروق : انتهى علمُ
أصحاب رسول الله إلى هؤلاء الستة : عمر ، وعلى ، وعبد الله ، وأبي ،
ومعاذ ، وزيد .

١٠ وقال الشَّعْبِي : كانت القضاة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري .

فلو أنهم كانوا يرضون بقول الفقهاء ورأى التابعين ، ولم يُسرِفوا
وقصدوا ، كان ذلك قصداً . ولقد نمدوا فيه الحق حتى قالوا : لم يقل قطُّ
قولاً يُمكن أحسنُ منه ، ولا قال قولاً قطُّ فرَجَّ عنه . وقد علمنا أن له
١٥ غَيْرَ رَجْمَةٍ ، لا اثنتين ولا ثلاثاً^(٣) ، وأطولَ لا يجوزها أصحاب الفتيا .
وما كان إلَّا كِبعض فقهاءهم الذين يكثرُ صوابهم ويقلُّ خطأهم . ولم
تسكن لَتجميع جميع هفواتِ إنسان وأخطاءه حتَّى تقرأه^(٤) مجموعاً إلَّا ظَننتَ به

(١) التسكلة من الحيوان . وبلت خارجة هي حبيبة بلت خارجة زوج أبي بكر . انظر
حواشي الحيوان في الموضوع السابق وانظر الرياض النضرة ١٢٩:١ وصفة الصفة ١٠١:١ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٣) أي بل أكثر من ذلك . في الأصل : « ولا اثنين ولا ثلاث » .

(٤) في الأصل : « ولم يكن ليجمع جميع هفواتِ إنسان وخطأه فقرأه » .

المعجز . وليس ذلك كذلك ، لأنك لو قذفت بجميع ذلك في محاسنه لغيري عليك موضعه ، ولصغر خطره وقدره .

ولأنما حكينا هذا لأنهم جموا لعمرو وعثمان أموراً أرادوا بها عقبيهم وتقصهم ، ولم يروى إن الخطأ نلظاً حيث وقع ، ولكن ربما كان خطأ لا يخرج صاحبه من الحكمة . والخطأ^(١) أمر لكل بني آدم فيه حظ ونصيب ، وهو أمر لم يسلم منه نبي ولا صديق ولا شهيد ولا أحد من العالمين .
ومما تقرهم به مما رَوَاهُ مُجَال الأثمار من رجوعه وما لا يجوز من فتياء ، قوله : أجمع رأي ورأى عمر على عتق أمهات الأولاد ، ثم رأيت أن أربهن^(٢) .
وقولوا جميعاً أن عمر وعلياً اختلفوا في الجدة ، فقال علي بقول ، وقال عمر بقول ، ثم رجع عمر إلى قول علي ورجع علي إلى قول عمر .
ونقلوا جميعاً أن زيد بن ثابت قال لعلي وهو يحاجه في السكائب : أرايت إن زنا أكنت رايحه ، قال : لا . قال : أرايت إن شهد أقبل شهادته ؟ قال : لا . قال زيد : فهو إذن عبد ما بقي عليه درهم . فسكت علي .

وزعم أصحاب داود بن أبي هند^(٣) ، عن داود عن الشعبي ، أن علياً رجع عن قوله : « في الحرام ثلاث^(٤) » .

(١) في الأصل : « والخطابة » .

(٢) ربه يريه ربا : ملكه وصار سيده . والياء مهمة في الأصل .

(٣) داود بن أبي هند — واسمه دينار — بن عذافر القشيري البصري ، كان ثقة من الحفاظ . توفي سنة ١٤٠ تهذيب التهذيب .

(٤) ورد نحوه في اللسان (حرم) قول عمر : « في الحرام كفارة بين » . قال : « هو أن يقول : حرام الله لأفعل ، كما يقول بين الله لأفعل » . ثلاث ، أي صيام ثلاثة أيام . فن لم يبعد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيما سقم إذا حلقتم .

وكلم عليّ عَمَّارَ أَنْ يَحْجُرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فِي شَيْءٍ كَانَ
اشْتَرَاهُ ، وَقَدْ كَانَ الزُّبَيْرُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : خُذْهُ فَأَنَا شَرِيكَكَ . فَقَالَ لَهُ
عَمَّانُ : كَيْفَ أَحْجُرُ عَلَى إِنْسَانٍ شَرِيكَهُ الزُّبَيْرُ ؟ فَسَكَتَ عَلِيٌّ .
وَقَالَ فِي الْكِتَابِ ، إِذَا أَدَّى مِنْ ثَمَنِهِ شَيْئًا : إِنَّهُ يُسْتَرْقَى بِحِسَابِ
وَيُتَمَّقَ بِحِسَابِ .

وَقَالَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ تَسْلِيمٌ وَهِيَ تَحْتَ النَّصْرَانِيَّاتِ قَالَ : هُوَ أَحَقُّ بِهَا
مَالِمٌ يُخْرِجُهَا مِنْ دَارِ الْحَجَرَةِ .
وَقَالَ فِي رَجُلٍ قَالَ لَامْرَأَتِهِ : « اخْتَارِي » وَاخْتَارَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ :
« اخْتَارِي » فَاخْتَارَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثَةَ : « اخْتَارِي » فَاخْتَارَتْهُ ؟ قَالَ :
١٠ أَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ^(١) أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا .

وَقَالَ فِي أَمَوْرٍ فَقَالَ عَيْنٌ صَحِيحٌ ، فَأَرَادَ الصَّحِيحُ أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَ الْأَهْوَرِ
الَّذِي فَقَأَ ؟ قَالَ : لَا يَفْقُؤُهَا إِلَّا أَنْ يُوَدَّى نِصْفَ الدَّيَةِ .
وَقَالَ فِي الْجُلْدِ : إِنَّهُ سَادِسُ سِتَّةَ ، وَسَابِعُ سَبْعَةٍ . وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ
بِذَلِكَ ، وَقَالَ : قَطَعَ الْكِتَابَ وَاجْعَلْهُ سَابِعًا .

١٥ وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ وَثَبَتْ عَلَيْهَا امْرَأَةٌ رَجُلٍ غَائِبٍ فَافْتَضَّتْ عُنْدَهَا
بِأَسْبَمِهَا ، ثُمَّ قَذَفَتْهَا لَتُسْقِطَهَا مِنْ عَيْنِ بَهْلَمِهَا ، وَكَانَتْ خَافَتْ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ،
فَرُمِعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لِبَعْضِ بَنِيهِ : قُلْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . قَالَ : عَلَيْهَا
سَدَأَقُ مِثْلُهَا . قَالَ : لَوْ كَلَفْتَ الْإِبِلَ الطَّحْنَ^(٢) طَحَنَتْ ! فَاشْتَدَّ تَعَجُّبُ
أَحْمَدَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ .

٢٠ وَكَانَ يَرَى حَكَّ أَصَابِعِ الصَّبْيَانِ إِذَا سَرَقُوا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الطَّحْن » .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

وكان إذا قَطَعَ الرَّجُلَ قَطَعَ الْقَدَمَ وَتَرَكَ الْمَقْبَ لِمَشَى عَلَيْهِ
المقطوع ، وليستمد به . وكان يقطع اليدَ من أصول الأصابع
ويُدْعَى الكَفَّ .

وزعم عبدُ الله بنُ سَلَمَةَ ^(١) وغيره ، عن الأعمش ، عن الشعبي
أو عن غيره ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ : أَنْتِ مَالِقٌ أَلْفَ
تَظْلِيقَةٍ ، وَلَهُ أَرْبَعُ نِسَوَةٍ ؟ قَالَ : تَبَيَّنُ بِثَلَاثٍ وَتُقَسَّمُ الْبَاقِيَةُ عَلَى نِسَائِهِ .
ويقال لهم : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ آدَمَ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَشَرِ فَقَالَ :
« فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ^(٢) » .

وذكرَ موسى وَقَتْلَهُ النَّفْسَ . وَذَكَرَ يُونُسَ بَنَ مَتَّى فَقَالَ :
« وَذَا النَّوْنُ إِذَا ذَهَبَ مُنَاسِيًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » . فَالدَّلِيلُ عَلَى
أَنَّ يُونُسَ قَدْ كَانَ ضَمِيعَ وَأَسَاءَ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »
وَقَوْلُ اللَّهِ : « فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » .

وَذَكَرُوا دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ذَهَبَ عَنْهَا دَاوُدُ وَأَسَابَهَا
سَلِيمَانُ ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ : « وَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ » فَلَمْ يَكُنْ ذَهَابُ دَوَادَ
بَعْضُ رَجُلٍ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : « وَأَنْبِئَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلِ الْخُطَابَ » . وَقَدْ
كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، حَتَّى أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَلَكِينَ يَكْتُمَانِ مِنْ

(١) عبد الله بن سلمة البصري الأطلس ، يروى عن الأعمش وغيره ، وليس بثقة .

لسان الميزان . وفي الرواة عبد الله بن سلمة - بكسر اللام - للرازي الكوفي . وهذا

تابع من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه . في الأصل : « فَلَمْ نَجِدْ لَهُ » ، تحريف . انظر كتاب

تحقيق النصوص من تأليفنا ص ٣٨ - ٣٩ .

رِصْمَتُهُ ، وَيَزِيدَانِ وَفْظَهُ فِي رِصْمَةٍ : « وَهَلْ أَنْتَ نَبَأُ الْخَطْمِ إِذْ تَسُورُوا الْهَرَابَ » .

وقد حَاطَبَ اللهُ جَلِ ثَنَاوَهُ نَبِيَّهٖ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَقَالَ : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » ،
وقال : « لَقَدْ كَذَبْتَ تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » ، وقال : « لِيَمْفِرَ
لَكَ اللهُ مَا هَدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » .

وعَاطَبَهُ فِي الْأَسْرَى وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ قَدَّمَ أَمْرَهُ فِي إِطْلَاقِهِمْ حَتَّى قَالَ :
« لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ أَلْفِ سَبَقٍ لَسُكِّمَ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١) » .
وقال اللهُ وَهُوَ يَرِيدُ جَمْعَ الْأُمُورِ وَالنَّهْيِ : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ
النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ دَابَّةً ^(٢) » .

١٠ فإذا كَانَ اللهُ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا تَرَى مِنَ الْمُسُومِينَ فَلِمَ يَتَّبِعْ قَوْمٌ عَلَى
هَرَبِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعُمَيَّانِ بْنِ عَفَّانٍ خَطَايَاهُمْ وَهَفَوَاتِهِمْ ، وَلِلْمُحَرَّمَةِ وَالْمُتَّائِيَةِ
أَنْ يَمُودُوا عَلَيْهِمْ بِمَثَلِ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ مِنْهُ ١٩

وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ رَجُلٍ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يُخْطِ قَطُّ وَلَمْ يَمِصْ قَطُّ ،
وَلَمْ يَضِغْ شَيْئًا قَطُّ ، وَقَدْ سَمِعَ اللهُ يَحْكِي أُمُورَ أَنْبِيَائِهِ ، وَيَذْكُرُ
١٥ أَحْوَالَ رُسُلِهِ ١٩ وَلَسْنَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا .

وكَيْفَ يَقُولُونَ : عَلَى فَوْقَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي سَوَابِ الرَّأْيِ ، وَالْفِقْهِ
فِي الدِّينِ ، وَلَا يَكُونُ كَالرَّجُلِ مِنْ عُظَمَاءِ السَّلَفِ لَضَرْبِ يَخْصُهُ فِيهِمَا ،
وَنَحْنُ إِذَا سَأَلْنَا الْقُتَّهَاءَ وَأَصْحَابَ الْأَثَارِ وَالْمَلَاءِ ، عَنْ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ
كَانُوا مَخْصُوصِينَ بِحِفْظِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، قَالُوا : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ

(١) الآية ٦٨ من سورة الْأَغْصَالِ .

(٢) من الآية ٤٥ في سورة طٰه .

وأبو زيد^(١) ، وفلان وفلان . ولم يذكره في باب الخصوصيين بحفظ القرآن
آيَاتِ حياة رسول الله صلى الله عليه .

فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه ، الذين بقراءتهم
يقرأ الناس ، وبقدر اختلافهم اختلف الناس ، قالوا : زيد بن ثابت ، وأبي
بن كعب ، وعبد الله بن مسعود . ولم يذكر معهم . لأننا شاهدنا الناس
يقولون : هذا في قراءة عبد الله بن مسعود^(٢) ، وهكذا هو في مصحف
عبد الله . وهذا في قراءة أبي ، وهكذا هو في مصحف أبي . وهذا في قراءة
زيد ، وهكذا هو في مصحف زيد . ولم نرهم يقولون : هذا في قراءة علي ،
وهكذا هو في مصحف علي .

وإن سألناهم عن أصحاب التأويل والتفسير قالوا : عبد الله بن عباس ،
والحسن ، وفلان وفلان . ولم يذكره في هذا الباب .
وإن سألناهم عن أصحاب الرواية ، والمشهورين بكثرة الإسناد من رسول الله
صلى الله عليه قالوا : ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة ،
وأبو هريرة . ولم يذكر معهم في هذا الباب .

وإن كان الدليل على فقه التبوع فقه أتباعه فمبدأ الله بن مسعود وعائشة
أفقه منه ، لأن أصحاب عبد الله وعائشة أفقه من أصحابه ، فكيف صار أفقه
خلق الله كلهم والقيصة على ما أنبأناكم ووصفنا لكم .
على أنه كان فقيها عالماً ، قد أخذ من كل باب بنصيب ، ولا نقول

٢٠ (١) في الإصابة ٤٠٨ : من باب الكنى : « أبو زيد القتي جمع الفرکان ، وقع في حديث
أُس في صحيح البخاري غير مسمى . وقال أس : هو أحد عمومي . واختلفوا في اسمه ، ف قيل :
أوس ، وقيل : ثابت بن زيد ، وقيل : معاذ ، وقيل : سعد بن عبيد ، وقيل : قيس بن السكن
وهذا هو الرابع » . وانظر الإصابة ٧١٧٠ .

(٢) في الأصل : « هذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود » .

فيه - إذ كنا عثمانية وعمرية - قولكم في عمر وعثمان . أو ما تعلم أن الخبير مستفيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أقرؤكم أبي » ؟ فترى أبياً (١) كان أقرأ منه . وقال : « أفرضكم زيد » فترى زيدا كان أفرض منه . وقال : « وأعلمكم بالحلال والحرام مُمَاذ » فترى مُمَاذاً كان عند النبي صلى الله عليه أعلم منه . وقال : « وأفضاكم علي » فينبني أن يكون عليّ أفضى منهم . وأنتم لا ترضون أن يكون زيد أفرض منه ، ولا أبي أقرأ منه ، مع أن « أفضاكم علي » ليس هو في حديث البصريين ، فإن كان كما رواه البصريون فهو لاء التقرّ أعلم منه . وإن كان كما رواه غيرهم فكل واحد أقمه من الآخرين فيها ذكرته . فهذا هذا .

١٠ فإن صرت إلى أن تسأل الناس عن الاختيار ، وجودة الرأي ، والقوة في السلطان ، والضيبط للعدو والعوام قالوا : أبو بكر وعمر .

وإن سألت عن الفتوح قالوا : أبو بكر وعمر وعثمان ، لأنّ أبا بكر ردّ الإسلام في نصابه بردّ أهل الردّة ، وهو الفتح الأكبر ، وقتل مُسَيْلِمَةَ ، وأسر طليحة ، وغزاه المدوّ ومتّع الخوذة .

١٤ ولأنّ عمر دَوّن الدّواوين ، وفرض الأعطية وجند الأجناد ، ومصرّ الأمصار ، وجبى الفِء (٢) ، وبلنت خيله إفريقية ، وأوطأ خيله خراسان وأقصى كرمان ، وأزال ملك بني ساسان .

ولأنّ عثمان هو الذي افتتح الثغور كلّها : افتتح إرمينية ، افتتحها حبيب بن مسلمة الفهري . وافتتح أذربيجان ، افتتحها الفيرة بن شعبة ، وقد

٢٠ (١) في الأصل : « أبي » .

(٢) في الأصل : « ومعا » .

(٣) في الأصل : « وحبا النّو » . والنّو : الفتيحة والحراج .

كان الأشعث معه فيها . وافتتح إفريقية ، افتتحها له عبد الله بن سمد بن أبي سرح . وافتتح سجستان ، افتتحها له عبد الله بن سمرة .
فهذا باب المخصوصين بالفتح .

وإن سألت عن الدهاة وأصحاب الإرب^(١) والمكايد قالوا : مرو ابن الماص ، والمغيرة بن شعبة ، ومماوية بن أبي سفيان . ولم نذكر فيهم زياداً لأن زياداً لا صُحبه له . فهذا باب الدهاة .

وروى الناس عن قبيصة بن جابر الأسدي^(٢) وكان علامة داهية حكما ، أنه قال : « ما رأيت رجلاً قط أخوف لله من أبي بكر ، ولا أقوى في دين الله من عمر ، ولا أصدق حياءً من عثمان ، ولا أوصلَ لرحم ولا أعطى من تلاد مال من طلحة ، ولا أكثر تخارج في الأمور من معاوية ولا أخضر جواباً ، ولا أكثر صواباً من عمرو » . ولم نره ذكره .

ثم الذي كان من أسماء بنت ميمس ، ومن قولها - وعلى بن أبي طالب شاهد ، لما تفاخر عندها بنوها من جعفر وأبي بكر وعلى ، قال لها على : افضى بينهم - قالت : ما رأيت شاباً أهدى من جعفر ، ولا رأيت شيخاً أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أخسهم لفضلاء .

فهذه قضيتهم^(٣) ؟ ولم يُروَ من على في ذلك إنكار .

فإن قلتم : إن قولها ليس بحجة . قلنا : قد صدقتم لو كان ليس بحجة إلا قولها فقط ، ولكن الأمور إذا جاءت من هاهنا وهاهنا كان اجتماعها دليلاً على أنه لم يكن عندها مع فضلها وسلاحه وسابقتها وقرابته ذا رأى .

٢٠ (١) الإرب ، بالكسر : الدهاء والفكر .

(٢) مما يذكر أنه كان أخاً معاوية من الرضاع . تهذيب التهذيب .

(٣) القضية : الحكم والقضاء .

ولقد بَلَغَهُ ذلك عن قُرَيْشٍ حتى قام خطيباً معتمداً فقال في خطبته :
 « حتى قالت قريشُ : ابن أبي طالب شجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب ،
 لله أبوم ! وهل منهم ^(١) أحدٌ أشدُّ مراساً لها ولا أطولُ تجربةً مني . لقد نهضتُ
 فيها وما بلغتُ العشرين ، فما أنا الآن ^(٢) قد ذرَّفتُ على السَّيِّئِ ، ولكنه
 لا رأى لمن لا يُطاع . »

وقال الأحنف بن قيس لَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٣) بن عليّ بن أبي طالب - وهو
 قتيل ^(٤) المختار بن أبي عبيدٍ في أيام قتلته ابنُ مُحَرَّبَةَ التَّيْدِي ^(٥) : ما هذا
 الذي أنتم فيه ؟ قالوا : قدِمَ عبيدُ اللَّهِ بن عليّ يدعو النَّاسَ . قال : إن كان
 لا بُدَّ مِنْجُوبِهَا حَسَنًا وَأَبَا حَسَنٍ ، فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ علماً بالحرب ، ولا نالةً للمال .
 ١٠ وقيل لأبي بَرَزَةَ الأَسْلَمِيّ ^(٦) : لِمَ آتَرْتَ صاحبَ الشامِ على صاحبِ العراقِ ؟
 قال : وجدته أطوى لِسَرَّةً ، وأملكَ لِمَتَانِ جيشه ^(٧) ، وأنظرَ لِمَا في نفسه .
 وفي قول العباس بن عبد المطلب ، وهو حليمٌ قريش - وإذا كان حليمٌ

(١) في الأصل : « وم منهم » ، صوابه من البيان ٢ : ٥٥ حيث تجد مراجع الخطبة .
 (٢) في البيان وابن أبي الحديد ١ : ١٤١ : « فهأنذا » .
 (٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، انظر الطبري ٦ : ٨٩ / ٧ : ١٥٣ ومقاتل
 الطالبين ٨٧ . وفي الطبري : « إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شعبة » . أما إنهم قتلوه
 وهم يعرفونه .
 (٤) في الأصل : « قتل » .

(٥) هو المثنى بن عربة . الطبري ٧ : ٩٣ والقاموس (خرب) .
 (٦) في الأصل : « أبو بردة » ، تحريف . وهو نضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي ؟
 صاحب رسول الله الإصابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٦ والمعارف ١٤٦ . وفي تاريخ
 الإسلام للنهي ٢ : ٣٢٨ : « وكان مع معاوية بالقام » ، وقيل : شهد صفين مع علي رضي الله
 وببدو أنه كان مرة مع علي ، ومرة مع معاوية . انظر أيضاً وقعة صفين ٢٤٦ .
 (٧) وردت الكلمة مهملة في الأصل هكذا : « حنبه » .

قريش فهو حلم العرب ، والحلم اسم جامع للعلم والحزم — وذلك أنه لما قبض عمر وصلى صهيب^(١) بالناس دعا الناس علياً فقال : هل أحدتم شيئاً ؟ فقال : فاحفظ عني ، فإن لم أقدّمك في شيء إلا رأيتك مستأخراً . من ذلك أني قلت لك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل^(٢) : ادخل عليه فسله ، فإن يكن هذا الأمر فينا أعلمه الناس ، وإن يكن في غيرنا أوصى بنا . ٥
فتركت ذلك وقد مُنيت^(٣) بدهاء قريش ، وقد حيل دوني ، فلا يُمرّسن عليك شيء إلا قلت : لا لا ، ولا يا أبتى ، تنصر عيتيك وتحك ففاك ، بمد فوت الأمر .

فعبأ ذكرنا دليل أنه كان لا يساوى أبا بكر ولا يجاربه ، ولا يدانيه ولا يقاربه ، وأنه في طبقة أمثاله طلحة والزبير ، وعبد الرحمن وسعد . ١٠
فإن قالوا : فإن علياً كان أزهدهم فيما تفاخر الناس عليه ، ولأن أزهده الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة ، ولأن أرغبهم في الآخرة أعلمهم بأحوال الآخرة .

قلنا : قد صدقتم في صفة الزهد ، ولكن أبا بكر كان أزهدهم منه . ١٥
وسندكم على ذلك .

فمن ذلك أن أبا بكر كان ذا مال كثير ، ووجه عريض ، ونجارته واسعة ، فأنفق ذلك في سبيل الخير وعلى أهله ، إيفاءً لله ورسوله ، وطلب ما عنده ، حتى لقي^(٤) [الله] ، وما كانت تركته يوم مات غير بئر ناضح ، وعبد صيقل^(٥) ، مع الخلافة وكثرة الفتوح والغنائم والخروج والصدقة . ٢٠

(١) أي الله المهي وأشرف على الوفاة .

(٢) في الأصل : « عب » بإعمال .

(٣) في الأصل : « بنى » بإعمال الحرف الأول .

(٤) الصيقل : حذاء السيوف وجلادها .

وكان على بن أبي طالب مُعْلًا مُخَفِّيًا^(١) يُمال ولا يمول ، فاستفاد الرباع^(٢) ، والميرون ، والنخيل ، ومات ذا مال وأوقاف ، وما يحسب ماله ووقفه بينبع^(٣) إلا مثل كل شيء ملكه أبو بكر مذ كان في الدنيا إلى أن فارقتها . وتزوج فأكثر ، وطلق فأكثر ، حتى عابه بذلك معاوية ، وجعله طريقاً إلى تنقصه ، وسيلاً إلى الطعن عليه ، فقال وهو يكنى عن ذكره ويُريده ؛ ليكون أسدً لسهمه ، وأوقع في^(٤) قلب من سمعه : « إني والله ما أنا بكسحة ولا طلقة » .
والآثار أن علياً رحمة الله عليه ، استشهد وعنده تسع عشرة سُرِيَّة مطهمة^(٥) وأربع نسوة عقائل .

١٠ ولا سواه من كان ذا مال فأنفقه ، ومن كان مُعْلًا فكسبه .
ولم يتزوج أبو بكر في خلافة امرأة ولا اتخذ سُرِيَّة ، ولا نفقه بشيء ، ولا آثر لده^(٦) إن كان له طلقاً مباحاً .

ثم الذي كان من أبي بكر في عماله^(٧) : أنه كلف بني تيم ومن عنده أيديهم ومنته أن يردوا ما أخذ من بيت المال فيه ، لكي يجعل أمثاله لله . وعلى ذلك احتذى عمر . وقد كان علي^(٨) يأخذ أمثاله ، ولم يُخبرنا أصحاب الآثار أنه ردّها في بيت المال ، ولا كلف ذلك بني هاشم

(١) أخفى الرجل : قل ماله .

(٢) الرباع : النازل ، جمع ربيع .

(٣) مهلة في الأصل « مسح » . وانظر مجمع البلدان .

(٤) في الأصل : « فأوقع من » .

(٥) السرية : الجارية المتسرة . للطهمة : الحسنة الجيدة .

(٦) في الأصل : « أرفقه » بالإعمال .

(٧) الهالة ، بتثنية العين : أجر العامل .

في وسية . وهذا مالا يختلف فيه رجال من أصحاب الآثار ،
ومحال الأخبار .

وقد كان أخذ لقوحاً وحبيشةً لرضاع بعض ولده فرد ذلك^(١)
في بيت المال .

ولما بايع الناس أبا بكر غداً على سؤقه كما كان يفعل ، فقالوا :
« فلابد أن نجعل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يقيمه . قالوا :
« برديه إذا أخلقهما وضئهما وأخذ مكانهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته
على أهله كما كان يُنفق قبل خلافته . قال : رضيت . فجمع ذلك كله
وحفظه ، ثم أمرَ بني تيمر فردوه في بيت المال . ففرج من الدنيا
خليفة الظاهر ، خبيص البطن . فلما فعل ذلك قال عمر : رحم الله
أبا بكر ، لقد شقَّ على مَنْ بعده !

فإن قالوا : أوليس قد كان على* يُنضح بيت المال في كلِّ مجموع
ويصلى فيه ركعتين ؟

قلنا : إنا لم نكنْ في ذكر الأمانة والخيانة ؛ لأنَّ أبا بكرٍ وعلياً
يرتفعان من هذا الضرب من الدج ، وعن هذا الضرب من الشاء ،
وإنما كنَّا في ذكر الزهد في المباح ، وفي الإيثار والرفض للفُضول ،
لأنَّ بين الرجل يُعطى ماله وعليه ، وبين مَنْ يُعطى ماله ولا يعطى
ماله فرق .

وما يدلُّ على فضله أنَّ الله أنزل فيه من القرآن ما لم يُنزله في أحد

من المهاجرين والأنصار . كلُّ ذلك يخبر عن فضله ، ويدل فيه على مكانته منه ، ويُثبتي عليه وِزكيته ويمظِّمهُ . وليس مَنْ أفرَدَ اللهُ فيه الآتي ، وأفرَدَهُ بالذِّكرِ كمن ذكره في جملة المؤمنين ، وجمهور الأنصار والمهاجرين .

- ٥ ولا سبيل إلى المعرفة بأنَّ الله عَسَى بِآيَةٍ كذا وآية كذا فلاناً دون غيره إلَّا بضربين : إما أن يكون اسمه وخاصتهُ نسبه ولعته^(١) مسطوراً في الآية ، كما ذكر فرعونَ وأبا لهب ، وفلاناً وفلاناً ، وكما ذكر آدمَ ونوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم . أو يكون المرادُ بالآية وإن لم يذكر اسمه ، كما ذُكر لقمان ، وزيد^(٢) .
- ١٠ [وزيدٌ] مشهور النسب معروف القصةُ أنَّه المراد بالآية ، وبشهرة القصة والنسبة حتى لا يكون بين أهل ذلك الدهر في ذلك تنازع ، ولا بين أصحاب التأويل والأخبار في دهرنا هذا ؛ فيكون كأنه مُسمًى وإن لم يُسمَّ . وقد كانت تحدث بين الناس أمورٌ فتَنزِلُ القرآنُ عقيب ذلك ، فيعلم المهاجرون والأنصار من المرادُ بهذا التذييل . كالذي كان من شأن عائشة ١٥ وما قرئت به ، حتى أنزل الله لذلك السببَ آياً كثيراً ، وإن لم يكن الله سمًى عائشة ولا من قرئها . وكالذي نزل من القرآن في قصة النار وهجرة النبي صلى الله عليه وآبي بكر ، وهربهما من قريش ، ونصرة الله لهما .

- فكان ممَّا أنزل الله في أبي بكر من تفضيله وتزكيتِهِ وإن لم يُسمَّه ٢٠ قوله لجِيع المؤمنين : « إلَّا تَتَصَرَّوْهُ قَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) في الأصل : « لسه » .

(٢) أي ولم يذكر اسمهما في القرآن لكان معروفاً أيضاً أنهما المرادان .

كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الثَّلَاثَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(١) .

فلا يخلو قوله : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ » من أحد وجوه : إمَّا أن يكون

- خاطب به الشركيين طائفة ، أو خص به الخاذلين المادين والباغين ، أو يكون خاطب به المؤمنين .

ولا يجوز أن يكون هنيءً به الشركيين ، لأنه لا يجوز في الحكمة
وفي المروءة من البيان أن يقول الرجل الحكيمُ البين ، للعدوِّ المكشِفِ
بمداوئِهِ ، المظهرِ لضعفِهِ ، الباذلِ رأْيَهُ وماله ، الماندِ في فعلِهِ : إِلَّا تنصُرني

- ١٠ فقد نصرتني فلان ! لأنَّ النصرَ لا يُلْتَمَسُ من العدوِّ المكشِفِ ، وإنما يُلْتَمَسُ من الوليِّ أو من الخاذلِ .

وكيف يقول هذا وإمَّا غايته الانقصارُ منه بغيرِهِ .

وفي قول الله عز وجل : « إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا » دليلٌ أنَّ
المخاطبَ بالكلامِ غيرُ الذين كفروا به وجَعَدُوهُ وأخرجُوهُ . ولا يجوز

- ١٥ أن يكون هنيءً الخاذلين له من قُرَيْشٍ ومُشْرِكِي مَكَّةَ إِلَّا والخاذلون قد كانوا هناك معروفين ، بائنين من المادين التوثبين المُبَادِينِ بالمداوَةِ ،
المظهرين للضعفِ . ولا نلهم كانوا يبطن مَكَّةَ صِنْفَيْنِ متبايئين ،
[و] فريقين متبايدين ، حتَّى يكون كلُّ حزبٍ مشهوراً بالذي هو عليه
من الخذلان والمداوَةِ . وليس بطنٌ من بطون قُرَيْشٍ إِلَّا وقد لقي النبي
صلى الله عليه وسلم منه أعظمَ المكروه وإن كانوا في ذلك على طبقات :
٢٠ من مجتهد لا يُبْقِي ، ولا يفتقر ولا يسأم ، ومن رجلٍ مائلٍ معهم بضلالتِهِ ^(٢)

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) الضلع ، بالفتح : الليل .

مُبْدٍ مَعَهُمْ لَصْرَةٍ^(١) وَإِنْ كَانَ لَا يَبْلُغُ غُلُوَّ الْآخَرِ وَتَصْبِيحِهِ وَقَلَّةُ إِغْفَالِهِ .
 وَلَقَدْ كَانَتْ مُخْزَاعَةٌ وَتَقِفٌ عَلَى بَدَنِ أَنْسَابِهَا وَأَرْحَامِهَا أَحْسَنَ تَقِيَّةً
 مِنْ قَرِيشٍ فِي إِظْهَارِ الْعِدَاوَةِ ، وَالْإِرْسَادِ بِالْمَكْرُوهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْبَغْيِ ،
 كَالَّذِي بَلَغَتْكَ عَنْ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ وَحُرَّةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَبَدَيْلَ بْنِ
 وَرْقَاءَ ، مِنْ رُكُونِهِمْ إِلَى الصُّلْحِ وَحُبِّهِمْ لِلْسَّلَامَةِ ، مَعَ قَلَّةِ التَّسَرُّعِ
 وَالتَّوَثُّبِ . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَجْلَبُوا وَطَمَنُوا ، وَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا ، بَعْدَ
 الْإِنصَاحِ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ ، وَالْإِبَانَةِ لَهُمْ عَنِ الْحُجَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى قُرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ ، شَبِيهاً بِأَبِي جَهْلٍ فِي النِّلْفَلَةِ
 وَالْقَسْوَةِ وَالْجَفَاءِ ، وَكَثْرَةِ التَّدْرِي^(٢) ، وَقَلَّةِ السَّامَةِ .

١٠ وَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَيًّا مُقِيمًا فَيَكُونَنَّ اللَّهُ جَلَّ
 ذِكْرُهُ عَنْهُ فَيَمِيزَ أَطَاعَهُ مِنْ رَهْطِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا
 لَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَحْسَنَ ذُبًّا ، وَلَا أَشَدَّ نَصْرًا ،
 وَلَا أَظْهَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَشَدَّ حِمَايَةً مِنْهُ .

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ يُعْرِفُ قَوْمًا مَوْضِعَ انْخِلَافِهِ فِي النَّصْرَةِ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمُدَافَعَةِ ،
 ١٥ إِلَّا وَأَدْنَى مَنَازِلِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُقْرِنِينَ^(٣) لِمَنْ نَاوَأَهُمْ ، مُضْطَلِّينَ بِدَفْعٍ مِنْ
 شَأْنِهِمْ^(٤) .

وَلَا نَلْمُ يَوْمَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَبِمَكَّةَ رَجُلٌ

(١) فِي الْأَسْل: « لَصْرَةٍ » .

(٢) التَّدْرِي: الْخُتْلُ .

(٣) الْفَرْنَ: لِلْعَلْقِ . وَفِي الْكِتَابِ: « وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » .

(٤) فِي الْأَسْل: « مُضْطَلِّينَ » . يُقَالُ هُوَ مُضْطَلٌّ بِالْفِعْلِ ، أَيُّ قُوَى عَلَيْهِ لَا دَر .

من بنى هاشم مطاع متبوع غير المباس بن عبد المطلب . ولا يجوز أن يقول الله للمباس ومن كان في ذراه ممن يسمع له وينفذ لأمره : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ، وقد علم أن المباس وأشباهه من مشيخة بنى عبد مناف لا أعوان لهم يومئذ من بنى عبد مناف ، لأن بنى عبد مناف دنيا^(١) على قريهم وقرايتهم ، كانوا أشد الخلق على رسول الله ، كأبي سفيان بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص ، وأبي أحنحة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وفلان وفلان . ولم تكن أمية انمازت في ذلك الدهر من هاشم ، وكان يقال للحسين : عبد مناف . [و] كان من أمر هُبان الذي يهلكك .

١٠
فقد دل الكلام على أن الله إنما عى بالآية المؤمنين دون الكافرين ؛ إذ كانت مخاطبة المادى والخاذل على ما وصفنا . وليس أنه أراد تأنيب المؤمنين وتزجير المهاجرين ، ولكنه أخبر عن تقصيرهم عن فضيلة أبي بكر إذ ظنوا وأقام . وليس النقص في الفضل كالتقص في الغرض . فكانه تعالى وعز قال : لو كنتم صبرتم مع نبيكم ، ما أقام ، إلى وقت الإذن^(٢) كصبر أبي بكر معه ، ولم تخرجوا هارين جازعين ، ولما نبيكم مهاجرين ، كان أشد لصبركم ، وأكل لرغبكم ، وآتم لتقيتكم . وليس أنكم عصيتهم في خروجكم ، ولكن بعض الصبر والاحتمال أفضل من بعض ، وكذلك الطاعة تطوعها وفرضها . كما قد علمت أن بلالا وخبابا وهمارا حين فضهم^(٣) المشركون عن دينهم جزع حمار وأعطاهم الرضا ، مع انطواء قلبه

(١) يقال ما بين همه دنيا ، أى لما . (٢) أى الإذن بالخروج والهجرة .

(٣) كذا في الأصل مع شدة فوق الضاد . و « فضهم » أول بهذا للعام .

على الإخلاص ، وتلج صدور الإيمان ، ولكن عزمه كان منقوساً عن التمام ، من غير أن يكون ذلك عصباناً ولا خلافاً . ويدلك على ذلك قول الله : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عَادُوا فَمُدَّ » ، يريد به التوسعة والرخصة والإطلاق ، وليس على الأمر والترغيب .

وكما بلغت من الرجلين الواردتين على مسئلة ، حين قال لأحدهما : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فأمر به فقتل . وقال للآخر : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فأمر بتخليه سبيله . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما الأول ففسي على عزمه وبقينه فهنيئاً له ، وأما الثاني فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه .

فعل هذا المثال كان تقصير القوم ، لا على وجه الخلاف والمعصية . وذلك أن أبا بكر أقام بمكة ما أقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الناس الأول فالأول ، فبعض أنى المدينة ، وبعض أنى الحبشة ، حين اشتد عليهم البلاء وطال القتل وقتل الناصر ، وقويت الضمائم ، فكان النفر بعد النفر ، والرجل بعد الرجل ، يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيأذن له . وأقام أبو بكر وحيداً لا أنيس له ، وذليلاً لا ناصر له ، وخائفاً لا أمان معه ، في كل يوم يزدادون عليه قوة وزداد عنهم ضعفاً فإذا بلغ^(١) وبلغ اليهود ، ولم يبق في قواء فضل يستعين به على الصبر ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الغي إلى إخوانه والأحقاق بهم ،

(١) الكلمة مبهمة في الأصل . وبلغ بليحاً : أمياً .

فيقول له : « لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً » فيزداد بها أبو بكر قوة ،
وتحدث له بها همة . وهذه كلمة ما قالها النبي صلى الله عليه استأذن قبله ،
فيعلم أبو بكر عند ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إنما عناه ؛ فيُسَجِّع
من نفسه ، ويشدُّ من مُنْتَه ، طمعه في شرف الصحبة ، وإكرامه إياه
بفضيلة المرافقة .

وقد استأذن النبي صلى الله عليه الناس [قبله ^(١)] رَبيْنين ، فكان
أولهم أبو سلمة بن عبد الأسد ^(٢) ، وآخرهم عمر بن الخطاب ، تَرُبَّ حالِ عمر
في الفضل والصبر من حال أبي بكر . فكانَّه خاطب المهاجرين ، على التمرير
لهم بفضيلة ^(٣) صبر أبي بكر على صبرهم ، مَشَحَذَةً لهم على إعطاء الجهد ،
وترغيباً لهم في غاية الصبر في مستقبل الأمور وحوادث الامتحان . فكانَّه
قال : إذا لم تستمروا الصبر ، ولم تبذلوا غاية الجهد ، ولم تصبروا ما أقام ، فقد
نصرته أنا إذ أخرجته ثانی اثنين .

والدليل على ما قلنا قولُ عمر لقرينيه حين بدأهم الداوة ، ونصَّب لهم
الحرب ، وأحسَّ من نفسه بالجلد وشدة الشكيمة ، وقوة المزيمة :
« أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ صِرْنَا مَائَةً لَتَرَكْتُمُوهَا لَنَا إِنْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ »
يعنى مكة .

فلو كان جميعُ من هاجر إلى الحبشة وأتى المدينة على مثل هذا المزْم

(١) بكلمة يفطر إليها الكلام .

(٢) اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن عزم المخزومي ، أسلم بعد

عمره أُنس ؟ وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . الإصابة ٤٧٧٤ .

(٣) في الأصل : « فضيلة » .

والاحتمال والدفع ، وم جميع ، لكانَ ذُلُّ من أقام وَحِشَتُهُ أَقْلَ ،
وقفوسهم أَطْيَبَ .

والدليل على فضيلة مُقَامِ أَبِي بَكْرٍ على ظَنَمِهِ أَنَّهُمْ حَيْثُ هَاجَرُوا
وَنَزَلُوا بِالنَّجَاشِيِّ وَالْأَنْصَارِ فَزَلُوا بِأَكْرَمِ مَنْزِلِهِ بِهِ ، فَكَانُوا فِي ذَرَاءِ
آمَنِينَ ، رَافِعِينَ وَادْعِينَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ جَعْفَرٍ ، وَسَعَايَةِ عَمْرٍو ،
وَأَعَاشِ النَّجَاشِيِّ وَنَهْيِهِجِهِ^(١) . فَمَا كَانَ ذَاكَ إِلَّا سَدْرَ نَهَارٍ حَتَّى جَمَلَ
اللَّهُ الْمَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ . وَأَبُو بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْقِلَّةِ ، وَالْجَفْوَةِ وَالْوَحْشَةِ ،
وَحِفَّةِ ذَاتِ الْيَدِ ، وَالسَّبِّ وَالْإِهَانَةِ ، وَالْخُوفِ بِالْقَدْرِ الَّذِي لَا يَأْنِي عَلَيْهِ قَوْلُ
وَأَنْ كَثُرَ ، وَلَا يَلْنُهُ وَمَنْ وَإِنْ اتَّسَعَ .

١ وهكذا روينا عن الضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ وَأَبِي بَكْرِ الْمُدَلِّيِّ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ
الآيَةِ : أَنَّ اللَّهَ تَأْتَبَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رِوَايَةُ^(٢)
وَلَمْ يَفْسَرْ ذَلِكَ صَاحِبُ تَأْوِيلٍ ، لَمْ يَمُزْ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ غَيْرَ الَّذِي قُلْنَا ؛
لِلَّذِي شَرَحْنَا وَقَسَلْنَا .

ولو كانت هذه المخاطبةُ وَقَعَتْ عَلَى الْخَازِلِينَ وَالْعَادِينَ ، أَوْ عَلَى الْخَازِلِينَ
١ دُونَ الْعَادِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي الْآيَةِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، فَكَيْفَ بِهَا

(١) أَمَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَكَانَ سَبِيًّا فِي إِسْلَامِ النَّجَاشِيِّ حِينَ أَبَانَ لَهُ حَقِيقَةُ الدِّينِ
وَشَرَحَ لَهُ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ . وَأَمَا عَمْرٍو بْنُ الْمَاسِ — وَهُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ كَانَتْ قَرْبَشُ أُرْسَتْهُمَا
إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُرِدَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ لِيُفْتَنُوهُمْ كَمَا فُتِنُوا مِنْ قَبْلِ . وَالْآخَرُ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنُ أَبِي رِيْمَةَ — فَإِنَّهُ سَمِيَ سَمِيًّا حَتَّى لَفِيَ النَّجَاشِيُّ فِي ذَلِكَ ، وَحَاطَلَ أَنْ يَفْسُدَ نَجَاحُهَا فِي دَعْوَةِ
النَّجَاشِيِّ إِلَى الدِّينِ ، وَكَانَ مَا قَالَهُ فِي تَهْيِيجِ النَّجَاشِيِّ : « أَيُّهَا لِلَّهِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عَيْسَى بْنِ
مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا » . وَلَكِنَّهُ أَخْفَى فِي ذَلِكَ وَتَمَّ إِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ . السِّيرَةُ ٢١٥ — ٢٢٥ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَكُنْ يَكُنْ » مَعَ خَطِّ طٍ « كَانَ » .

إن كانت في المهاجرين ؛ لأنَّ في قوله « ثَانِي اثْنَيْنِ » معنًى عظيماً ، وفي قوله :
« فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ » معنًى عظيم .

فإن قالوا : كلُّ ما عظمتم فمظيم ، ولكنَّ بعضه لا يجوز إلا للنبيّ
صلى الله عليه دون أبي بكر ، وهو قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

- فيل لهم : استكرمتم التأويل ، وصرفتم الكلام عن سُنَنِهِ ،
وغيرُ تأويلكم أشبهُ بكلام العرب ، وأظهر في بيان الخطباء ، ومراجعة
الحكماء . وذلك أن النبيّ صلى الله عليه كان هو الرابطة الجاش ، الثابت
الجنان ، الساكن النفس ، وهو المزي لأبي بكر ، والمسهل عليه شدة حزنه ،
والطيب لنفسه ، والمسكن لحركة قلبه ، للذي^(١) رأى وما ين من أكثراته
ومن اضطرابه ، وقلة سكينته . وهذه الحال التي فيها قلب النبي صلى الله عليه
وخليفته ، وأبو بكر على ما وصفنا وفرقنا ، هي الفاصلة بين النبي صلى الله
عليه وبين خليفته ، إذ كان الخليفة قد شارك النبي صلى الله عليه في حضوره
واحتماله ، وبأن منه النبي صلى الله عليه بشدة هزيمه وسعة صدره ، وسكون
قلبه ، كالفصل الذي بين الخليفة ووليّ عهده .

- وكذلك^(٢) تمجّل عمرُ المعجزة قبل أبي بكر ، فكان بذلك أخص
فضلا منه . وتأخر بمد المهاجرين ، فكان بذلك أتمّ فضلا منهم .

وفي قول الله : « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » دليلٌ على أنَّ السكينة نزلت على صاحبه ، وأنَّ
الهاء التي في « عليه » مضمرة فيها صاحبه . ولا يشبه أن تكون

السَّكِينَةُ نَزَلَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْزُلْ مِنَ السَّكِينَةِ وَقِلَّةِ الاضطراب ، وعلى السَّهْل على صاحبه والطَّيِّب لنفسه^(١) والبَشْر له بالنَّصْر ، حين يقول : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهو كما أخبر أبو معاوية الضَّرِيرُ ، عن عبد العزيز بن سِيَّاهُ ، عن حبيب بن أبي ثابت : في قول الله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » قال : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؟ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتْ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ^(٢) .

فإن قالوا : فكيف وقد قال الله على نَسَقِ الكلام : « وَأَيَّدَهُ مُبِينُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » ، والوَيْدُ بالجنود في هذا الموضع لا يجوز أن يكون إلا النبي صلى الله عليه ، لأنَّ الجنود الذين حَفَى اللَّهُ ملائكتَهُ .

١٠ قيل لهم : وما تسكرون أن يكون الله أَيْدَ رجلًا باللائكة ، بشفاعَةِ النبي صلى الله عليه وبِشارته وبِحَقِّ مَحَبَّتِهِ ، كما أَيْدَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ بَدْرِ بِاللَّائِكَةِ ، وكما زعموا أَنَّ اللَّائِكَةَ نَزَلَتْ فِي زِيٍّ الْاِثْنَيْنِ ، وليس أَنَّ اللَّهَ حين أَيْدَى أَبَا بَكْرٍ بِاللَّائِكَةِ أَنَّهُ أَرَاهُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَلَكِنْ

(١) في الأصل : « والطَّيِّب لنفسه » . انظر ما مضى في الصفحة السابقة س ٩ .
 (٢) الكلام من « وفي قول الله » س ١٠٧ س ١٧ إلى هنا هو موضوع الرد (٢٨) الذي سيأتى في نهاية الكتاب . والنس عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧١ :
 « قال الجاحظ : ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله فقد كفر ، لأنه جحد نص الكتاب . ثم انظر إلى ما في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ، من الفضيلة لأبي بكر ، لأنه شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في كون الله تعالى معه ، ولأنزال السَّكِينَةِ . قال كثير من الناس : إنه في الآية عِصْفُوسُ بأبي بكر ؟ لأنه كان محتاجاً إلى السَّكِينَةِ لما تداخله من رقة الطبع البعري والنبي صلى الله عليه وآله كان غير محتاج إليها ، لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى ؟ فلا معنى لنزول السَّكِينَةِ عليه . وهذه فضيلة ثالثة لأبي بكر » . وقد جمع في هذا النص بين ما ورد في س ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ .

ليعلمه^(١) النبي صلى الله عليه أن بمحضرة ملائكة قد أرسلهم الله لينموا من المشركين ، ليسكن بذلك رُوحه ، وتهدأ نفسه ، وليثق بحضور النصير وتمجيد الدافع .

وقد علمنا أن الله لم يجعل مع كل مؤمن ملكين يكتمان خيره وشره استذكراً ، ولكن المؤمنين إذا شمر بمكانهما كان أقطع له من ركوب الأدناس ، وأدق له إلى الاستحياء ، ولعلم أن الأمر يجد وليس بهزل .

فكذلك إحضار الملائكة لأبي بكر ، ليكون إشارة النبي صلى الله عليه له بذلك تسكيناً لنفسه ، وتمجيلاً لبعض ما استحق بالاحتمال والواساة والصبر ، من الثواب المجل دون المؤجل .

ولقد بلغ من ظهور قصة أبي بكر ومحبته ومراقبته وكونه مع النبي صلى الله عليه في النار ، أن الرافض مع شدة الإقدام ، والجسارة على تكذيب النافلين ، لم تقدر على دفعه وردّه ، حتى قال منهم قائلون : إنما أخرجه النبي صلى الله عليه خوفاً من أن يدلّ عليه ويسمى بأمره إلى أعدائه ، لأنه كان حساً من النبي بالمهجرة ، وعرف ميثاقه الذي عزم عليه .

وكيف يجوز أن يخاطب الله الناس فيقول : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين » والذي به كان النبي صلى الله عليه بائناً قد أبرّ على الأعداء^(٢) وأرى على الكفار ، لأن النفاق أعظم من التصريح .

وهذا ما لا يجوز في عقل ، ولا يستع في فكر ، ولا يجوز في الثمارف ،
ولا يلحق بالبيان .

وكيف والله يقول على اتصال اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى ، وتركيب
الآية الأخرى على الأولى : « وَجَمَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ
اللّٰهِ هِيَ الْمُلْكُ » .

ولا كافر أعظمُ كفرًا ، ولا أشدُّ عنودًا من ثانيه وصاحبه في النار ، ورفيقه
في الطريق ، والمرزى لشدة حُرْته ، إن كان الشأنُ على ما قالوا وكما وصفوا .
وإنما المناقضة^(١) أن يكون الرجل ممتدًا لجحد الرسول وعداوته
ولكن الرسول هو الطالب على داره القاطع لمن بادأه بالعداوة ، وناوَاهُ
في الفضيلة ، فإِذَا استبقى نفسه بنفسه ، وبزميل حقه ، وإخفاء ضيقه .
فأما رجلٌ مقيم بمكة قليلٌ مُفرد ، وذليلٌ مطرود ، وخائفٌ مشرد ، بين
استخفافه بِمَدِّ الموت ، أو هربه بقطع الأحشاء ، والذي هرب معه متهور
مغذول ، والطالب على داره عدوه ، فكيف كان أبو بكر منافقًا والحال
على ما وصفنا ؟

١٤ ولولا كثرةُ الفساد وما همَّ النَّاسُ مِنَ النُّلَطِ وفُحُشِ الخُلَطِ ما كان
لذكر هذا وشبهه معنى .

والأثر المجمع عليه من أصحاب السير والأشعار والأخبار ، أن النبي
صلى الله عليه قال لحسان : أَمَا قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا^(٢) ؟ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

(١) في الأصل : « المناقون » .

٢٠ (٢) في البيان ٣ : ٣٦١ أن الأبيات وثاء في أبي بكر . وانظر ما كتبت هناك في حواشيه

وكذا جملة أشعار العرب ص ١٣ وصفة الصفوة ١ : ٨٩ .

إذا تذكرت شَجَوًا من أخى ثقمر فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التَّالِيَّ الثَّانِيَّ المَحْمُودَ مشهده وأَوَّلُ النَّاسِ منهم صدِّقُ الرُّسُلَا
وثانِيَّ اثْنَيْنِ في النَّارِ اللَّثِيفِ وقد طاف الدَّاءُ به إذ صعد الجبلا
خيرَ البرية أُنْعَمَها وأطهرها إلَّا النَّبِيَّ وأوقاها بما حملا

٥ فجعله تالياً ، وثانياً ، وصاحباً .

وقال أبو عَجَّان :

وسميتَ صدِّيقاً وكلُّ مهاجرٍ رسواك يسمي باسمه فير منكراً^(١)
سبقتَ إلى الإسلام واللهُ شاهدٌ وكنتَ جليساً بالعريش المشهُرِ
وبالنَّارِ إذ سميتَ بالنَّارِ صاحباً وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المطهرِ

١٠ فجعله سابقاً وصدِّيقاً ، وجليساً وصاحباً .

وقال كعب بن مالك :

سبقتَ ، أختيمُ ، إلى دينِ أحمدَ وكنتَ لدى النيرانِ في الكهفِ صاحباً
فجعله سابقاً ، وجعله صاحباً .

وقال النُّجاشي :

١٥ غداةً أتى بدرًا وحرًّا جلاذُمَ وكان جليساً بالعريشِ مُؤازراً^(٢)
فلو لم تكن له مأثرةٌ إلَّا ما دلَّت عليه هذه الآية ، وإلَّا شرفَ
هذه الصُّحبة ، وموقع هذه الخاصة ، ولُبُّ هذه المراقبة ، ومشاهدِ
الثَّقة ، لكان فوقَ الجميع في المكانة والفضيلة ، وفي مُرافقة النبي صلى
الله عليه .

(١) هذه الأبيات مما لم يروى في ديوان أبي عَجَّان .

(٢) حريص ، من باب ضرب ولقد علم : اشتد حره .

سَمِعَ أَهْلَ مَكَّةَ الْمَانِفَ بِاللَّيْلِ عَلَى قَرْنِ الْجَبَلِ^(١) وَهُوَ رَافِعٌ هَقِيرُهُ ، يَقُولُ :
جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ خَلِيلِي صَفَاءَ طُرْدَا كُلِّ مَعْرِدِ
هُمَا نَزَلَا فِي الصُّبْحِ مُمْتَّعَةً هَجَرًا وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنَأَ بَيْنَ كَمْبٍ مَكَانُ قَتْلِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرَسِدِ^(٢)

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ :

رَفِيقَانِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ ضَمْنًا بِأَكْرَمِ مَشَاوِي مَنَازِلٍ وَمَكَانٍ
فَهَذَا هَذَا .

ثم الذي كان مِنْ قِصَّةِ مِسْطَحَ بْنِ أَثَّانَةَ وَقَضِيَّتِهِ^(٣) ، وَكَانَ رِيْبِيهِ وَابْنُ
خَالَتِهِ^(٤) ، وَفِي مَوْتِهِ وَتَحْتَ جَنَاحِهِ ، فَلَمَّا قُرِفَتْ مَائِشَةُ بِالَّذِي قُرِفَتْ بِهِ
١ وَبَلَغَتْكَ ، آتَى أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ وَلَا يَسْكُفُلُهُ
وَلَا يَمُوتُ عِيَالَهُ ، فَلَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَذْرَ مَائِشَةَ وَبَرَاءَتَهَا ، وَلَمْ يَرْضَ لَهَا بِالطَّهَارَةِ
وَالْعِفَّةِ حَتَّى جَعَلَهَا غَافِلَةً ، فَضَلَا عَلَى أَنْ يَكُونَ خَطَرَ ذَلِكَ عَلَى الْهَالِكِ فَتَنْفِيهِ ،
لِإِشَارَةٍ لِلْحَلَالِ عَلَى الْحَرَامِ . وَأُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ^(٥) يَأْمُرُ
أَبَا بَكْرٍ بِالصَّغْحِ عَنْ مِسْطَحَ ، وَالتَّجَاوِزِ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَتَتَمَدُّ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَأَنْ
يُعْمِدَهُ فِي كَفِّهِ وَعِيَالَهُ ، فَقَالَ : « لَا يَأْتَلِرُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ » .
٢ فَاظْلُكْ بِأَمْرِي يَقُولُ اللَّهُ لَهُ وَفِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ، وَيَصِفُهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى
يَقُولُ : « لَا يَأْتَلِرُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى التُّرْبَةِ
وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْنَعُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَنْفِرَ

(١) هو جبل أبي لبس ، كما في حيون الأثر ١ : ١٨٨ .

(٢) انظر السيرة ٣٣٠ وابن سيد الناس ١ : ١٨٧ - ١٨٩ والرياض النضرة ١ : ٧٧ .
والفتاة هي أم معبد بنت كعب ، من بني كعب بن خزاعة .

(٣) في الأصل : « وقضته » .

(٤) الصواب أنه ابن بنت خالته ، كما في الإصابة والسيرة ٧٧٣ .

(٥) في الأصل : « عن آية » .

اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١) ، فتلّاهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : « أَلَا نَحْبُوْنَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَبِّ ! فَمَعَا عَنْهُ ، فَوَجِبَتْ لَهُ الْمَغْفِرَةُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى نِعْمَتِهِ ، وَجَمَلَ عِيَالَهُ فِي حَشَاكَ وَنَحْتِ ظِلِّهِ .

فَمِنْ أَعْظَمُ قَدْرًا مَنْ رَجُلٌ يَفْرِدُ اللهُ لَهُ الْآيَةَ فِيهِ مَعْظَمًا لِسَانَهُ ، ذَاكَ رَأَى ٥
لِفَضْلِهِ عَلَى لِسَانِ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فَهَذَا هَذَا .

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَنَى بِقَوْلِهِ : « وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا ذِيئِ أَنْفٍ لَكُمَا أَلْتَمَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ » وَقَدْ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهِيَ يَسْتَفْتِيَانِ اللَّهَ وَيَلْتَمِئَانِ إِيَّاهُ وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(٢) » أَبَا بَكْرٍ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأُمُّهُ . ١٠

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَأَهْلُ بَيْتِهِ أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ : كَانَ هُوَ مُسْلِمًا ، وَامْرَأَتُهُ مُسْلِمَةً ، وَأَبْوَاهُ مُسْلِمَانِ ، وَبَنَاتُهُ مُسْلِمَاتٌ . وَلَيْسَ فِي الْمَشْرِقَةِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْبَرَاءَةُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَا فِي قَرِيْشٍ قَاطِبَةً رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ الْأَبَوَيْنِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَلَا فِي قَرِيْشٍ خَاصَّةً وَالْمُهَاجِرِينَ عَامَةً سَاحِبُ ابْنِ صَاحِبِهِ ابْنِ صَاحِبِهِ غَيْرِ عَبْدِ اللَّهِ قَتِيلِ الطَّائِفِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، ابْنُ ١٥
أَبِي قُصَافَةَ السَّلَمِ يَوْمَ مَكَّةَ^(٣) ، وَالْقَاتِلِ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِأَبِي بَكْرٍ : « فَهَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي مَنْزِلِهِ فَأَتَيْنَاهُ أ . » وَلَهُ صَحْبَةٌ .
وَاجْتَمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : « أَفَنَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ

(١) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٣) انظر خبر إسلام أبي قُصَافَةَ فِي السِّيرَةِ ٨١٥ - ٨١٦ .

أَفَسَى أَمْ مَنْ يَمُشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ
وَأَبِي جَهْلٍ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَا جَهْلٍ رَأْسُ الْكُفْرِ فَلَمْ يُفَرَّقْ بِهِ وَلَمْ يُوضَعَ
يُوزَانُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَأْسُهُ مِثْلُهُ .

وَقَالَ اللَّهُ : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى « الْآيَةُ ،
يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ فِي إِتْقَانِهِ الْمَالَ وَعِفِّهِ الرِّقَابَ وَالْمَذْيِينَ وَقَوْلُهُ : « كَذَّبَ
وَتَوَلَّى » يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ . وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ صَاحِبٌ تُأْوِيلُهُ خَالَفَ
تَأْوِيلَنَا ^(١) وَلَا رَدَّ قَوْلُنَا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي
بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ^(٢) » . فَزَعَمَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ بْنُ حَنِيْفَةَ ، وَأَبُو بَكْرٍ اسْتَنْفَرُوا إِلَيْهِمُ
الْعَرَبَ ، وَضَمَّهُمْ إِلَى الْمَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، حَتَّى أَظْفَرَ اللَّهُ يَدَهُ وَأَظْهَرَ حُكْمَهُ .
وَأَمَّا غَيْرُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَزَعَمَ أَنَّهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ .

فَإِنْ كَانَ [ذَلِكَ ^(٣)] كَذَلِكَ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْمُسْتَنْفَرُ إِلَى قِتَالِ
الرُّومِ . وَإِنْ كَانَ عَمْرُ هُوَ الْمُقَاتِلُ لِكُسْرَى فَإِنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
بِتَأْسِيسِهِ لِعَمْرٍ وَاخْتِيَارِهِ لَهُ .

وَقَدْ زَعَمَ جَوَيْرِ ^(٤) مِنَ الصَّحَّاحِ فِي قَوْلِهِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَأْوِيلًا » .

(٢) الْآيَةُ ١٦ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ .

(٣) زَعَمَهَا مِثْلُهَا لِأَسْلُوبِ الْجَاهِلِ الَّذِي يَلْتَزِمُ هَذَا التَّصْيِيرَ .

(٤) جَوَيْرِ بْنُ سَعْدٍ الْأَزْدِيُّ الْبَلْخِيُّ - مَاتَ مَايْنِ ١١٠ وَ ١٥٠ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

وقد زعم وكيع عن الفضل بن دثيم^(١) ، عن الحسن في قوله :
« فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، قال : هم والله أبو بكر
وأصحابه .

ومثل هذا كثير ، ولم يجرى الجيء الذي يحتج به النصف والمرشد ،
ولكن الحجة القاطمة في إجماع^(٢) المفسرين في الآيات التي ذكرناها ٥
قبل في قصة النار ، والنصرة ، وفي قصة مسطح ، والعفر عنه والإنفاق
عليه ، وفي قصة عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه ودعائهما له إلى الإسلام
ورده عليهما ، وقصة أبي بكر وأبي جهل .

وقالت (السمانية) : فإن زعمت الرافضة أن الله أنزل في علي آياتاً
كثيراً ، فكان مما أنزل فيه وفي ولده قوله : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »^(٣) . فأولى الأمر علي وولده . فلم يرد
لأن كان أصحاب الأخبار قد أطيعوا على أنها نزلت في علي وولده إن
طاعتهم لواجبة . وإن كان هذا شيئاً نقوله متقولاً ، أو جاء من وجه
ضعيف ، فهو مع ضعفه شاذ ، وليس في ذلك لكم حجة ؛ لأن الحديث
قد يحتمله الرجل الواحد الثقة عن مثله ، فيكون شاذاً ، ما لم يكن ١٥
مستفيضاً شاملاً قد نُقِلَ عن المستفيض الشائع . وقد يكون الحديث
يحتمله الرجال والثلاثة وهم ضمفاء عند أهل الأثر فيكون
الحديث ضعيفاً لضعف ناقله ، ولا يسمونه شاذاً ، إذا كان قد جاء من

(١) الفضل بن دهم البصري ، كان نصابياً شاعراً معتزلياً . ذكره في تهذيب التهذيب .

(٢) في الأصل : « إجماع » .

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء .

ثلاثة أوجه . وإنما الحجة في المعنى الذى يتمتع فيه التمدد والاتفاق .
وهذا الجنس من الخبر هو الإجماع .

وليس يكون الخبر إجماعاً من قبيل كثرة عدد الناقلين ، ولا من قبيل
عدالة المحدثين ، وإنما هو المدد الذى نعلم أنهم لم يتلاقوا ولم يترأسوا
ولا تتفق ألسنتهم على خبر موضوع ، مع اختلاف علمهم وأسبابهم ،
ثم يكون معلوماً عند سماع ذلك الخبر من ذلك المدد ، أنهم قد نقلوه
عن مثلهم في مثل أسبابهم وعلمهم .

فإذا كان معلوماً أن فرعه كأمه كان ذلك موجباً لليقين ، ونافياً لمرور
الشك واسترابة التقليد .

١. وهو كنعصر ما نقلوا من قصة النار ، وقصة يسطع .
فأما ما قالوا وأدعوا أن الله على بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم » علياً وولده دون جميع المهاجرين ، فليس
من شكل ما اشترطنا ، ولا من فن ما يثبت ؛ لأن أصحاب التأويل زعموا
أنها نزلت في عمال النبي صلى عليه وسلم وولاته ، وفي المسلمين ،
١٤ وفي أصحاب سراياه وأجنادهم كالملء بن الحضرمي ، وأبي موسى الأشعري ،
وعقّاب بن أسيد ، وخالد بن الوليد ، ومعاذ بن جبل ، يأمر الناس بطاعة
الأمراء والتسليم لولاية أمورهم .

- حديث عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال : حدثنا
عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن تأويل
٢٠ قول الله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فقلت :
من أولو الأمر ؟ فقال : هم أصحاب محمد . قلت : إنهم يزعمون أنه على .
فقال : على منهم .

وهذا من أثبت وأحسن ما يروون في تأويل هذه الآية ، ومن أخرى ما يجمع الفريقين على تقبله ^(١) والرضا به ، إذ قاله العالم المقبول عند الفريقين ، والرئيس الذي لا أحد فوقه في عصره عند الرافض .

وزعم محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ^(٢) ، عن ابن عباس ، أن الله أنزلها في عبد الله بن خنافة السهمي ^(٣) .

فإذا كان تأويلها مشهوراً بما ذكرنا من الاختلاف ، فليس فيها للمتشيع حجة .

وزعموا أيضاً أن الله أنزل في عليّ : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ^(٤) يقول : في طاعة علي .

والكلام في هذا كالسلام فيها قبله ؛ لأن أصحاب الأخبار والتأويل لا يعرفون ذلك .

والخبر المشهور عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وغيره أن الله أنزلها في ناس من مسلمي أهل الكتاب ، كانوا بعد إسلامهم يقيمون السبت ^(٥) ، ويمافون الذبيحة ، لرسوخ العادة ، وغلبة الإلف ^(٦) ، فأزل الله فيهم : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » يقول : ادخلوا في جميع الشريعة ، « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » وزينه لكم الحكم بالفسك له ، ونشؤكم كان فيه .

(١) في الأصل : « نقله » .

(٢) هو أبو صالح باذان ، أو باذان ، مولد أم هاني بنت أبي طالب . تهذيب التهذيب .

١ : ٤١٦ / ٩ : ١٧٨ .

(٣) ورد في صحيح البخاري . الإصابة ٢٦١٣ .

(٤) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٥) في الأصل : « السبت » . وللمراد سنة اليهود في سبتهم .

(٦) في الأصل : « وعليه الألف » .

وزعموا أنَّ الله أنزل : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ^(١) » .

فيل لهم : أمَّا ظاهر الكلام فيدلُّ على ما قال أصحابُ التأويل ، كابن
عباس وغيره ، حين زعموا أنَّها نزلت في عبد الله بن سلام ^(٢) ،
وربطه من مشركي أهل الكتاب ، وذلك أنَّهم أتوا النبي صلى الله عليه
عند الظهر فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ بيوتنا قاصيةٌ ولا نجد مسجداً
دونَ هذا المسجد ، وإنَّ قومنا لما صدقنا الله ورسوله هادوناً وتركوا
مُخَالَطتنا ، وأقسموا ألاَّ يُكَلِّمونا .

فبينما هم يشكُّون عداوةَ قومهم لهم إذ نزلت : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ » . فلما قرأها النبي صلى الله عليه قالوا : رضىنا بولاية الله
ورسوله والمؤمنين . وأذن بلالٌ للصلاة ^(٣) ، فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم إلى المسجد وهم معه ، والناس من بين رَاكِعٍ وساجدٍ ، وقائمٍ
وقاعدٍ ، فلما النبي صلى الله عليه : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ النَّالِبُونَ ^(٤) » الآية . فإن تكن هذه الآية
كما قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فليس لعلَّ فيها ذكر . وإن يكن الأمرُ
ليس على ما قال ابنُ عباسٍ فليس تأويلُ الرَّافضةِ بأقربِ التأويل .

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة .

(٢) سلام ، بتخفيف اللام . أسلم عبد الله قبل وفاة الرسول بهامين ، وكان قبل من

٢٠ أخبار يهود . تولى سنة ٤٣ . الإصابة ٤٧١٦ .

(٣) في الأصل : « الصلاة » .

(٤) هي الآية ٥٦ من سورة المائدة .

وقد عرفنا أن تأويل ظاهر هذا الكلام يُشبه غير الذي قالوا ،
وليس لنا أن نجمله كما قالوا إلا بنحبر عن النبي صلى الله عليه ، أو بإجماع
من أصحاب التأويل على تفسيره . وذلك أن قوله : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »
يدلُّ على العدد الكبير وأنهم يزعمون أنه عَنَى علياً وحده ؛ وليس
لأحد أن يجعل « الذين » لواحد إلا بنحبر مبيح عليه ، فإن لم يقدر
على ذلك فليس له أن يحول معنى الكلام عن ظاهر لفظه ، والذي
عليه التماثل والتمازف . ولفظ الجميع معروف من لفظ المفرد . لأن
الرافضة زعم أن سائلاً دخل المسجد فسأل النَّاسَ عَلى رَأْسِهِ ، فلم
يُعطَ شيئاً ، فنزع عَلى خَاتَمَهُ فَأَعْطَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ » . وأنت إذا سمعت بتأويل ابن عباس وتأويلهم علمت أن
تأويلهم بعيد من لفظ التنزيل ، قُرْب^(١) تأويل ابن عباس منه .

ولو كان الأمر كما قالوا ما كان أحدٌ أعلم به من ابن عباس
ولا أشعر^(٢) به منه .

وأنهم يزعمون أن علياً كان أزهى من أن يحول عليه الحول وعنده مال
راهن يجب عليه فيه الزكاة .

ولو كان ذلك كذلك ما كان بلغ من قدر صنيع رجل في إعطاء درهم
ودرهين من زكاته الواجبة ما إن يبلغ به إلى هذا القدر الذي ليس فوقه قدر ،
أو يكون كان عَلى مشهوراً بإعطاء الزكاة وهو يصلى .

(٢) في الأصل : « أسعد » .

(١) في الأصل : « وقرب » .

ولو كان هذا هكذا لكان مشهوراً مستفيضاً . وكيف اتفق له ألا يزكى
إلا وهو يصلي؟! ٩

وإن كان تطوع يعطى الخاتم على جهة الإيثار والمواساة فليس بمعروف
في الكلام أن يكون الرجل إن تصدق بالدرهم والدرهمين مُتَنَفِّلاً ومتطوعاً
• أنه معطر زكاة ، لأن الزكاة عندنا ما وجب إخراجُه وكان تطهيراً لسائر ماله ،
وسبباً للثَّناء والبقاء . إلا أن يُحتمل الكلام على الشاذ ، وعلى أبعد الجواز .
وليس هكذا كلام الحكيم يريد أن يدل الأمة على إمامته ، ويوجب
عليهم طاعته .

ولابد في هذه الآية من أحد ضربين : إما أن يكون لفظها يدل على
١٠ ما قلوا دون ما قال غيرهم ، وإما أن تكون قد نزلت في قصّة مشهورة لعليّ
كقصّة النار حين كانت لأبي بكر .

فإن لم تجدوا إلى واحد من هذين سبيلاً فلم يبق إلا أن تزعموا أن
الرسول صلى الله عليه قال للناس : إن هذه في عليّ فاعرفوا له حقّه
وفضيلته . ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال
١٥ فيه ابن عباس الذي قال .

قالت (الثمانية) : قد زعمت الرّوافض أن الله أنزل هذه الآية في
عليّ فاعرفوا له حقّه وفضيلته .

ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال فيه
ابن عباس الذي قال (١) .

٢٠ قالت (الثمانية) : وقد زعمت الرّوافض أن الله أنزل فيه : « قل كفى

(١) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها تكرار لما سبق .

بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ^(١) .

ولا يجوز أن يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وهو يعنى علياً
إلا وعلى قد كان أشهر مَنْ هُناك بعلم الكتاب .

وكيف يكون ذلك وقد تُوَفَّقَ النبي صلى الله عليه وهو لم يَجْمَعِ الكتابَ

بعد ١٩ وقد زَمَّ الشَّعْبُ أَنَّهُ لم يَجْمَعْهُ إِلَى أَنْ مات .

وكيف يكون من المشتهرين بعلم الكتاب وأنت إذا سألت أصحاب
الأخبار والتأويل عن أسماء أصحاب التأويل ذكروا ابن عباس ومن دون
ابن عباس بطبقات كالحسن البصري ، ومجاهد ، والضحاك ، وعكرمة ،
وفلان وفلان وفلان ، ولا يذكرون في هذا الصنف ، كما لا يذكرون

فيه أبا بكر وعمر وعثمان ؛ لأنهم لم يكونوا بالمشتهرين بالتأويل وحفظ
القرآن ومعرفته معانيه ؛ لأن غير ذلك كان أغلب عليهم منه ، وقد أخذوا
منه بنصيب . ولم يكونوا كمن تجرّد لمعرفة التأويل حتّى غلب عليه
كما غلب على زيد بن ثابت الفرائض ، وكما غلب على ابن عباس ،
وكما غلب كثرة الأسانيد وعدد الآثار على ابن عمر وجابر وعائشة ، وكما
غلب على أبيه وعلى عبد الله القراءات .

ولو كان للناس أن يقولوا في هذه الآية على الظن وما هو أشبهه لكان
أولى الناس بها عبد الله بن عباس ، لأنه كان أعلم الناس بالقرآن . ولو
لم يكن عرفنا فضله فيه بالذي ظهر منه ، لعرفنا فضله وإن بطن وغاب
عن البيان لقول النبي صلى الله عليه : « اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل » . فكيف وقد ظهر من علمه بمعانيه وغريبه ، وإعراجه وقصصه

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد ، وهي خاتمتها .

وَمُحْكَمَةً وَمُتَشَابِهَةً ، وَخَاصَّةً وَعَامَّةً ، وَنَاسِخَةً وَمُنْسُوخَةً ، وَمَكِّيَّةً وَمَدَنِيَّةً ، مَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ شَطْرَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ .

وَقَالَتْ (الْمُهَانِيَّةُ) : إِنَّهُ لَا يَمَحِزُ أَحَدٌ أَنْ يَمْعِدَ إِلَى كُلِّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ غِيْثُ مَيٍّ أَنَّهَا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ كَمَا أَهْمَيْتُمْ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا الشُّفَاءُ وَالتَّبَيُّانُ فِي صَحَّةِ الشَّهَادَةِ ، وَظُهُورِ الْحُجَّةِ .

وَزَعَمَتِ الْمُهَانِيَّةُ أَنَّ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ « الصَّدِّيقَ » دُونَهُ ، وَلَيْسَ بِمَدَّةِ اسْمِ النَّبِيِّ اسْمٌ أَنَّهُ مِنْ الصَّدِّيقِ ، حَقَّقِي كَانَ لَا يُقَالُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَالصَّدِّيقُ مُتَّصِلٌ بِهِ ، وَحَقَّقِي رُبَّمَا قَالُوا قَالَ الصَّدِّيقُ وَقِيلَ الصَّدِّيقُ ، اسْتَفْنَاءٌ عَنْ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . ١

وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزُّبَيْرُ حَوَارِيٌّ وَإِنْ عَسَى ، وَطَلْحَةُ حَوَارِيٌّ » وَقَالَ : « عُبَّانُ ذُو النُّورَيْنِ » فَلَمْ يَقُلْ السَّلْمُونُ : قَالَ عُبَّانُ ذُو النُّورَيْنِ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ الْحَوَارِيُّ ، وَقَالَ ذُو النُّورَيْنِ ؛ اسْتَفْنَاءٌ مِنْ أَسْمَائِهِمَا وَكُنَاهُمَا .

١ فَإِنْ كَانَ السَّلْمُونُ أَشَاعَرًا اسْمُ أَبِي بَكْرٍ وَتَرَكَوْا أَنْ يَشْبِعُوا اسْمَ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ ، لِفَضْلِهِ رَأَوْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ ، فَهُوَ الَّذِي قُلْنَا وَادَّعَيْنَا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لَشَيْءٍ رَأَوْهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَنْمِهِ بِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَا شَيْءَ أَدْلُ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْبَابَةِ مِنْهُ .

وَلَمْ يَسْمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا بِاسْمٍ يَنْسُبُهُ بِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ

لظهر كما ظهر اسم من ذكرنا . ولاسماء أحد من أصحاب رسول الله باسمه .
بأن به كما سمي أصحاب رسول الله بأبكر خليفة رسول الله .

ولأبي بكر اسمان يدلان على الفضيلة والمباينة : أحدهما لم يسم به قط
إلا نبي أو من يتلوه ، والآخر لم يسم به أحد من الناس .

فأما الاسم الذي لم يسم به إلا نبي فقول « الصديق » بإجماع من
المسلمين على هذا الاسم أنه لأبي بكر دون غيره . وأما الاسم الذي لم
يُسم به مؤمن قط ، ولا بمدة ، فقول جميع الأمة : يا خليفة رسول الله .

فإن كان الذي قيل إلينا أنه [كان] يكتب في دهر النبي صلى الله عليه :
« من خليفة رسول الله » ويكتب إليه « إلى خليفة رسول الله » وكما

كان الحسن يحلف بالله أن النبي صلى الله عليه [عليه] هو تولى استخلاقه ، ١٠
فلا منزلة أعظم منها قدراً ، ولا أرفع منها شأنًا .

وإن كان المسلمون أجمعوا له على ذلك لخاصته وأوها فيه ، فكفى به
شرفاً وقدرًا ، ومزيةً وذكراً .

وإن زعم قوم أن الأسماء التي ارتضاها الرسول صلى الله عليه وحبا
بها أصحابه لا تدل على فضيلة ولا على خاصة كرامة ، وجسروا على أن ١٥

يقولوا إنه ليس في قول النبي صلى الله عليه لحزة إنه أسد الله ، وأسد
رسوله ، فضيلة ؟ وليس في قوله « الزبير حواري » فضيلة - فليس عندنا

في ذلك إلا مثل ما لم في صدور أهل القبلة من الإسقاط والإهانة .
فإن قالوا : إن اسم الصديق مؤلف موضوع محدث ، أحد كتبه

المُتأنيّة والخشوية^(١) . ٢٠

(١) انظر لهذه الكلمة حواشي الحيوان ٦ : ٦٢ ، وكذا دائرة المعارف الإسلامية

قيل لهم ، فقلتم : إِنَّ هَـؤُلَاءِ أَسَدُ اللَّهِ ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، وَإِنْ جَمَعُوا الطَّيَّارَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ أَثِيرَ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ، مَوْلَدُهُ مَوْضُوعٌ مِنْهُ الشَّيْءُ ، وَأَحَدُهُ أَتْيَاعُ أَثِيرِ يَوْمِ الْجُلِّ ، لافرقَ بين ذلك .

وكيف يكون اسمُ المَدِّيِّقِ مَوْلَدًا مَحْدَثًا ، وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ لَيْسُوا بِذَوِي خَلْقٍ فَيَتَقَدَّرُوا^(١) لَهُ ، وَلَا بِذَوِي مَعْرِفَةٍ فَيَعْرِفُوا فَضْلَهُ ، وَلَا ذَوِي قَرَابَةٍ فَيَطْلُبُوا السَّبْقَ بِهِ ، مَعَ الَّذِي نَجَّاهُ فِي الْأَشْمارِ الصَّحِيحَةِ الْقَدِيمَةِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْمارِ وَالْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا جَاءَتْ بِجَهِّ الْحُجِّجِ .

وإِنَّمَا ذَكَرْنَا الْأَشْمارَ مَعَ الْأَخْبَارِ لِيَعْرِفُوا ظُهُورَ أَهْمِهِ ، وَوُجُوهَ دَلَالَتِهِ وَقَهْرِ أَسْبَابِهِ ، وَلِيَكُونَ آتِسُ لِقُلُوبِ ، وَأَسْكَنُ لِلنَّفُوسِ ، وَأَقْطَعُ ١٠ لَشَنْبِ الْخَلْعِ ، وَلِيَجْعَدَ^(٢) الْمَنَازِعَ .

فَمَا جَاءَ مِنَ الْأَشْمارِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ شُرَيْحِ بْنِ هَانٍ الْحَارِثِيِّ^(٣) ، وَكَانَ مَعْمَرًا وَكَانَ شَيْمِيًّا ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ فِي بَعْضِ خُرُوبِهِ :
أَصْبَحْتُ ذَا بَثٍّ أَقْبَى الْكِبَرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَهْضَرًا^(٤)
نُفْتُ أَدْرَكْتُ الرَّسُولَ الْمُنْذِرَا^(٥) وَبِمَسَدِهِ صِدِّيقَهُ وَمُحَسَّرَا

١٥ (١) فَيَطْلُبُوا ، مَهْمَةً فِي الْأَصْلِ . وَالتَّقْدِيرُ : التَّهْيِيزُ ، وَالتَّهْيِيزُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَيَجْعَدُ » .

(٣) أَذْرَكَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَشَّهَ عَلَى فِي الصَّحْكِيمِ عَلَى أَرْبَعِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَتْلَ غَازِيًا بِجَيْسْتَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي وَلَايَةِ الْحِجَابِ بْنِ يُوسُفَ سَنَةِ ٧٩ . وَعَاشَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، أَوْ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ . الْإِسَابَةُ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَلِلْمَعْرِينِ لِلْجَيْسْتَانِي

٢٠ ٣٨ وَالطَّبْرِي ٧ : ٣٨٢ .

(٤) الْإِسَابَةُ : « وَعِشْتُ » .

(٥) الْإِسَابَةُ وَلِلْمَعْرِينِ وَالطَّبْرِي : « الَّذِي الْمُنْذِرَا » .

ويوم مِهْرَانِ ويوم تُسْرَا وبِأَجْمِرَاتٍ وَالْمُسْرَا^(١)
والجمع من صِفَيْنِهِمِ والتَّهْرَا^(٢) هَبَاتٍ مَا أَطْوَلَ هَذَا مُعْرَا
أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا شُرَيْحَ بَنِ هَانِيٍّ سَمَّى أَبَا بَكْرٍ صَدِيقًا عَلَى مَالٍ
يَزُلُّ يَسْمَى بِهِ .

وقال المجاج بن رُوَيْبَةَ ، وهو أعرابيٌّ ليس بذي نِحْلَةٍ ولا صاحب
خصومة ، وقد أدرك الجاهلية :

عَهْدَ نَبِيِّرٍ مَا عَقَا وَمَا دَنَرُ وَعَهْدَ عُثَانَ وَعَهْدًا مِنْ مَرٍ^(٣)
وعَهْدَ صِدِّيقٍ رَأَى بِرًّا فَبَرُّ وَعَهْدَ إِخْوَانٍ هُمْ كَانُوا الْوَزْدُ
وقال الحارث بن هشام بن النيرة ، حين بلغه وهو بحكَّةٌ أَنَّ الْأَنْصَارَ
قَدْ كَانُوا اجْتَمَعُوا وَقَالُوا لِقَرِيشٍ فِي سَكِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : مَنَا أَمِيرٌ وَمَنْكَمُ أَمِيرٌ : ١٠
* قُبَيْضَ النَّبِيِّ وَيُؤَيِّعَ الصَّدِيقُ *
في قصيدة له طويلة ، وهو الذي يقول فيها :
* وَأَرَادَ أَمْرًا دُونَهُ الْمَيُوقُ *
وإنما أردنا منها المعنى .

وقال أبو محجنٍ في ذلك :
وَسَمَّيْتُ صِدِّيقًا وَكُلُّهُ مَهَاجِرٌ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْكَرٍ ١٥

(١) باجيرات ، وهي باجيري ، وهو موضع دون تكريت ، وسماه أبو النجم « الجيرات »
في قوله :

* بين الجيرات للباركات *

معجم ما استعجم ٢٢٠ . ولم يرد هذا البيت في المصنوع وفي الإصابة : « وباجيرات » ٢٠
وفي الأصل هنا : « وباجيرات » بإهمال الجيم والياء الثانية . وعند الطبري : « وباجيرات
مع المقفرا » .

(٢) الطبري والإصابة والمصنوع : « في صفتهم » .

(٣) هذا البيت متأخر عن تاليه في ديوانه ١٥ .

وقال طريف بن عديّ بن حاتم :

أبيدوا قُرَيْشًا بالشُّيُوف ليظهروا مَعَاهِدَ دِينِ اللَّهِ بِمَدِّ مُحَمَّدٍ
وَصِدْقِهِ النَّالِي الْمِينِ بِمَالِهِ طَوْرِي الْبَطْنِ عَمُودِ الْفَرِيْقَةِ مِذْوُودِ^(١)
وَأَوَّلِي مَنْ صَلَّى وَصَاحِبِ حِكْمِ^(٢) أَسْلَخَ لِقَوْلِ الصَّادِقِ الْمُتَطَرِّدِ
وَبَعْدَ قَتِيلِ الْهَرَمَزَانِ ، وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْقَدِيدِ^(٣) ٥
أَقَامُوا مُطَاعَةً حَازِنِينَ مِنَ الْهَدَى وَلَيْسَ يَقُومُ الدِّينَ إِلَّا بِمُتَمَتِّدِ
فَلَمَّا تَوَلَّوْا طَامَنَ الْحَقُّ جَأَشَهُ وَثَابَ إِلَيْهِمْ كُلُّ غَاوٍ مُطَرَّدِ
أَمَّا قَوْلُهُ : « وَثَابَ إِلَيْهِمْ كُلُّ غَاوٍ مُطَرَّدِ » فَلِنَّ « الْغَاوِي » مَرْوَانُ
ابْنُ الْحَكَمِ ، « وَالْمُطَرَّدِ » : أَرَادَ أَبَاهُ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . ١٠

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ أَيْضًا ، وَهُوَ يَهْجُو بَعْضَ الشُّعْرَاءِ^(٤) :
لَوْ كُنْتُ مِنْ هَاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَوْ عَبْدَ شَمْسٍ أَوْ أَصْحَابِ الْوَلَوِ الصَّيْدِ
أَوْ فِي الذُّؤَابِرِ مِنْ تَيْمٍ وَقَتَ بِهِمْ أَوْ مِنْ بَنِي مُجَحِّحِ الْخُلُفِ الْجَلَاهِدِ^(٥)
أَوْ مِنْ سَرَارَةِ أَقْوَالِمِ أَوَّلِي حَسْبٍ لَمْ تُعْصِبِ الْيَوْمَ نَكْسًا مَائِلَ الْغُودِ^(٦)

١٥ (١) فِي الْأَصْلِ : « قَوَى الْبَطْنِ » تَحْرِيفٌ . انْظُرِ الْحَاسِيَةَ بِمَرْحِ الرِّزْوَقِ
١٦١٦ - ١٦١٧ .

(٢) حِكْمٌ ، كَذَا وَرَدَتْ هَمْزَةٌ وَبِكَافٍ مُسْتَطِيلَةً « حَك » .

(٣) قَتِيلُ الْهَرَمَزَانِ ، يَمُنُّ بِهِ مَرُّ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ الْهَرَمَزَانُ مَتْنَبًا فِي قَتْلِ مَرٍّ ، هُوَ
وَأَبُو لَوْزَةَ ، وَجَبِينَةُ . انْظُرْ لِسَبِّ قُرَيْشٍ ٣٥٥ .

٢٥ (٤) هُوَ صَالِحُ بْنُ عِيَّانَ التَّيْمِيِّ . الْكَامِلُ ١٤١ لِيَبْسُكَ وَدَيَّوَانَ حَسَّانَ ١٣٣ .

(٥) الْكَامِلُ وَالِدَيَّوَانَ : « رَضِيَتْ بِهِمْ » . الْجِلْدُ وَالْجَلَاهِدُ : الْعَلَبُ الْهَدِيدُ . فِي
الْأَصْلِ : « الْجَلَاهِدُ » صَوَابُهُ مِنَ الدَّيَّوَانَ وَالْكَامِلُ .

(٦) هُوَ مِنْ سَرَارَتِهِمْ ، أَيْ صِيْمِهِمْ . التَّنَكُّسُ : الْفَتْقُ لِلْمَعْصَرِ .

لولا الرسولُ وروح القدس يحفظهُ وأمرُ ربك حتمٌ غير مردود^(١)
وأنتى أحفظ الصديق مجتهداً وطلحة بن عبيد الله ذا الجود
أتتكم خيلنا كاللوز كالحمة تطوى السباسب بالشم المأجيد^(٢)
من كل خيفانة طال الأجام بها وكل غنطف الأقرب كالسيد^(٣)

وقال طليحة الأسدى في ذلك :

ندمت على ما كان من قتل ثابت وعكاشة النعمى يا أم معبد^(٤)
وأعظم من هذين عندي مصيبة رجوى عن الإسلام رأى القميد
وتركى بلادى والخطوب كثيرة طريداً وقدماً كنت غير مطرد
فهل يقبل السدينى أنى تائب ومطيط بما أحدثت من حدث يدري

وقال البارقي في ذلك أيضاً :

بكر النعمى بخير كندة كلها وابن الأشج وخاله الصديق
هؤلاء الذين ذكرنا : شريح بن هانئ ، والمجاشع بن ربيعة ، والحارث
ابن هشام بن المنيرة ، وطريف بن عدي بن حاتم ، وحسان بن ثابت ،
وطليحة الأسدى ، ومن أشبههم ، ليسوا بأصحاب خصومات ولا نظير
في الفاضل والمفضول .

١٥

(١) الكامل والبرهان :

لولا الرسول لآلى لست حاصيه حتى يثبني في الرمس ملحودي

(٢) الهوذ : حزن الجبل وجابه . في اللسطين : « القود » .

(٣) مختلف ، من الخطف ، وهو الضرب وخفة لم الجنب . وفي الأصل : « مختلف » ،

ولا وجه له . والأقرب : جمع قرب بالضم ، وهو المحاصرة . والسيد : القرب . وهذا البيت
وساقه لم يروا في ديوان حسان .

(٤) هو عكاشة بن محسن بن حرقان بن قيس بن صبرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد .

الإصابة ٥٦٧٦ .

وإنما قدموه وسموه صديقاً على ما لم يزل يُسمى به . وهذا أكثر من أن نأتي عليه في كتابنا ونستقصيه .

والعجب من الزوافض حين ترى ما قال رشيد المَجَرِّي^(١) والسيد الجري ، ومنصور النَمَرِي حجة في أَسْمَارِهَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَإِذَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَالْمَعْجَاجُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَأَشْبَاهَهُمْ مِمَّنْ ذَكَرْنَا فِي الْقَدَمِ وَالْقَدَرِ ، فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَانَ وَعَمْرٍ وَتَقْدِيمِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ حُجَّةٌ .

وفي قول عبد الله بن عباس لعائشة بعد الجلب في دار بني خلف الخِزَاعِي حين أرسله عليُّ بن أبي طالب إليها : « لِمَ تَقُولِينَ إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ أَبْضَحَ إِلَيَّ مِنْ مَوْضِعِ أَنْتُمْ بِهِ ، وَنَحْنُ جَعَلْنَا أَبَاكَ صِدِّيقًا وَجَعَلْنَاكَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ » ، حُجَّةٌ فِي أَنَّ تَسْمِيَتَهُ بِالْصَدِّيقِ قَدْ كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي ذَلِكَ الْفَتْرِ .

وإذا أحببت أن تعلم قدر هذا الاسم الذي سَمِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَا بَكْرٍ فَانْظُرْ فِي كِتَابِ اللَّهِ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَقَمْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا^(٢) » وَقَالَ : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا^(٣) » ، فَذَكَرَ صِدِّيقِيَّتَهُ^(٤) قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ نَبُوَّتَهُ .

(١) ذكره في لسان الميزان ٢ : ٤٦٠ والأَسَابِ ٥٨٨ ، وَكَانَ مِنْ يَوْمَنْ بِالرَّجْمَةِ ، وَلَقَدْ قَطَعَ زَيْدًا لِسَانَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِ مَعْرُوفِ بْنِ حَرِثٍ .

(٢) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة مريم .

(٣) الآية ٥٤ من سورة مريم .

(٤) في الْأَصْلِ : « صَدِيقُهُ » ، وَالْفَتْحُ الرَّيَاضُ النَّظَرَةُ ١ : ٢١ ، ٤٠ .

وقال في كتابه : « ما السَّيِّحُ بنُ مَرْثِمٍ إِلَّا رَسُولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِأَكْلَانِ الطَّعَامِ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ^(١) » .

ولكن انظر كيف نُبَيِّنُ لِلرَّوَافِضِ الْحَصِجِ بِالْآيَاتِ وَالْإِجْمَاعِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، أَى يَسْخَرُونَ ^(٢) . بهذه الفضيلة له على على .

ثم الذى كان مِنْ تَأْمِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَهْلُ بَكْرِ عَلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ الرِّسْمَ وَبَعَثَهُ أَمِيرًا عَلَى الْحَاجِّ سَنَةَ تِسْعَ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ آيَاتِ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْإِمَامَ وَعَلَى الْأُمُومِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الدَّافِعَ بِالْوَسْمِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِمَلِيٍّ أَنْ يَنْدَفِعَ حَتَّى يَدْفَعَ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَزْعِمَ أَنَّ سَنَةَ تِسْعَ دَفَعَ بِالنَّاسِ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَزْعِمَ أَنَّ سَنَةَ تِسْعَ لَمْ يَبْعَثْ ^(٣) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ مَعَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ إِذَا فَرَغَ أَبُو بَكْرٍ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ لِمَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لَهُ لِمُحَمَّدٍ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعَثَ مَعَهُ بِصَدْرِ بَرَاءَةِ ، وَقَالَ : « لَا يَلْبِغُ حَتَّى إِلَّا رَجُلٌ مَتَّى » . وَالْأُخْرَى فَرَطَ ١٥
الاحْتِمَالِ وَشِدَّةِ الْخَطَرِ الَّذِي احْتَمَلَهُ عَلَى حِينِ يَقُومُ بِالْبَرَاءَةِ وَقَطَعَ الْمَعْدُ وَقَدْ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ وَمِنْ الْمُتَوَرِّينَ وَالنَّاقِيزِ وَالْحَفِيزِ ، الْمَدْدُ الَّذِي لَا يُمْحَى ، وَالْقُوَّةُ الَّتِي لَا تُدْفَعُ ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاقِيهِ وَأَبْدَى

(١) الآية ٧٥ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

(٢) كَذَا . وَفُسِّرَتْ بِمَعْنَى يَسْخَرُونَ ، وَيَسْخَرُونَ ، وَيُخَدِّعُونَ .

(٣) فِي الْأَسْلَ ، « لَوْ بَعَثَ » .

صفحته . ففي هاتين الخصلتين دليلٌ على أنَّ له في ذلك ماليس لأبي بكر ،
والهنة عليه أشد .

قيل له : إن كان الشأن في شدة الخطار والتفرير والتعرض على
ما قلتم ، فنصيبُ أبي بكر في ذلك أوفر ، والأمر عليه أخوف ، وهو إليه
أسرع ؛ لأنَّ أبا بكر كان هو الأمير والوالى والتبوع ، وعلى هو المؤتمر
والرعية والسامع والطبع . وبين التابع والتبوع والأمر والمأمور فرق .

وأما قولكم : إنَّ النبي صلى الله عليه قال حين بعث بصدر سورة
براءة مع عليٍّ بن أبي طالب : « إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَعِي »
فإنما^(١) قال هذا وليس بحضرته أبو بكر ليكون عليٌّ قد قدَّم عليه ،
لأنَّ النبي صلى الله عليه قد كان وجهه أبا بكر قبل ذلك ، ثم بعث عليًّا
بعده فلهذه في الطريق .

وقد زعم ناسٌ من (العثمانية) أنَّ النبي صلى الله عليه لم يقل ذلك
لعليٍّ تفضيلاً منه له على غيره في الدين ، ولكن النبي صلى الله عليه
عامل العرب على مثال ما كان بعضهم يتصرفه من بعض ، وكما دأبهم
في عقد الحلف وحلِّ التقد ، فكان السيد منهم إذا عقد قوام حلفاً
أو عاهد عهداً لم يحلَّ ذلك التقد غيره ، أو رجلٌ من ردهله دنياً كلهم
أو ابن ، أو عمه ، أو ابن عمه ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه ذلك القول .
ثم الذي كان من تفضيله عليه وعلى الناس جميعاً أيام شكائهم ،
حيث أمره أن يؤمَّ النَّاسَ ويقوم مقامه في صلاته وعلى منبره ،
حتى أنَّ عائشة وحفصة أرادت أن صرَّفاً ذلك عنه لعليل سذكراها في

(١) في الأصل : « وإنما » .

موضئها إن شاء الله ، فقال النبي صلى الله عليه : « إلكن عني
سواحب يوسف ، أتى الله ورسوله إلا أن يصلى أبو بكر » .

ولم يستطيع أحد من الناس أن يقول إنه صلى بالناس فى تلك الأيام
غيره ، ولا استطاع أحد أن يقول إن المأمور بالصلاة كان غيره ،
حتى قالوا بأجمعهم : اختاره رسول الله لدينا فاخترناه لدنيانا . وحتى
قالوا : ولآه رسول الله صلاتنا ، وزكائنا تبع لصلاتنا وما معنا
أمر الدين .

ولا يستطيع أحد أن يقول : إنه لما تقدم أبو بكر بالناس ليصلى
بهم والنبي صلى الله عليه مسجى قال له رجل واحد : وما لك تصلى بنا
على غير عهد ولا سبب . ولا قال رجل من خلفه مثل ذلك ، ولا قال
رجل من الأنصار : منّا مصل ومنكم مصل ، كما قالوا : منّا أمير
ومنكم أمير .

فإن كان الناس مع كثرة الخير والشر فيهم تركوا مجاراة ومدافعة
فى قيامه فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتبرزه ، كان ، عليهم عند
أنفسهم فكفى بذلك دليلاً على الفضل ، وحجة على الاستحقاق . ١٥

وإن كان رضام بذلك وتسليمهم^(١) ، لذى ثبتت عندهم من أمر
رسول الله صلى الله عليه وتقدية إياه ، فليس لأحد فى ذلك متكلم ،
ولا لشاغب^(٢) فيه متعلق ، ولا لواقف فيه مخدر ، والقوم جميع ، ومصلام
واحد ، وتقدمه ظاهر .

(١) فى الأصل : « وتسليمهم » .
(٢) فى الأصل : « ولا شاغب » .

ولم تكن صلاة واحدة فيكون خِلْمَةً^(١). والقوم كانوا أشدَّ تقدُّباً لذلك المقام من أن يدَعُوا رجلاً لم يقهرهم بسيفه ، ولم يمتنع عليهم بمشيرة ، ولم يُفَيِّضْ فيهم الأموال ، وليس معه فضلٌ بائن ، ولا سببٌ من من قرابة ، ولا أمرٌ من النبي صلى الله عليه .

٥ فإن صاروا إلى الاعتلال بالأحاديث وذكر الآثار قالوا^(٢) : إنما نحتاج إلى المقابلة بين أفعالٍ علىِّ وأفعالٍ غيره ، لو كُنَّا لا نجد له غير الأفعال . فإذا كنا قد وجدنا له من غير الأفعال ما هو أدلُّ على الفضيلة من الأفعال ، لم يكن لنا أن نتخطى الأفضل إلى الأقل في دفع التخلُّب ، وإقامة المستحقِّ عند ظهوره وزوالِ التقيَّة فيه . لا أنهم^(٣) قابِلوا بين جميع المهاجرين في القُرب والبعد ، ولا أنهم صَنَعُوا العلم بفضله بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنتهم قومٌ قد كانوا من قبل ذلك بثلاثٍ وعشرين سنةً يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم أمر بعض ، يَفْزَنُونَ معاً ويُقيِّمون معاً ، ويسمعون من النبي صلى الله عليه القول بعد القول ، ويرون أحوالَ الرجال عند النبي صلى الله عليه ، وفي المسلمين وفي أنفسهم ، فعملوا بذلك فضل أبي بكر ، فلما توفَّى النبي لم يحتاجوا مع علمهم الأوَّل إلى أن يَصْنَعُوا علماً ثانياً .

ولو أنَّ رجلاً مثلاً شاهدَ النبي صلى الله عليه وأصحابه سنةً واحدةً ماخِطٍ عليه من القدِّم عنده وعند المسلمين ، ومن أشبهتهم به هدياً

(١) في الأصل : « خِلْمه » .

(٢) في الأصل : « وقالوا » . ٢٠

(٣) في الأصل : « ولأنهم » .

وعملًا ، وطريقةً وعزمًا . فما ظنك بالسلف الطيب ، وإخيار المُنتخبين ،
وأسَّ الإسلام ومُرَمَى قواعده .

وذلك أنَّ أبا بكر لا يخلو حيث أسلمَ أن يكون أسلمَ قبل الناس ،
أو ثانيًا ، أو ثالثًا . فإن كان إسلامه قبل الناس فقد تبين للثاني تقدُّمه ،
وللثالث تقدُّمهما عليه . فإذا كانوا ثلاثة لم يخفَ عليهم أيُّهم أفضل . ٥
ثم إنَّ أسلمَ بدمهم نفرٌ لم يخفَ أيضًا قصَّةُ الثلاثة المتقدمين . وكلُّما
أسلمَ قومٌ لم يتخفَ عليهم حالُ الأفضل بالذي يرون عدد من أسلمَ قبلهم .
فكانوا كذلك ثلاثًا وعشرين سنة .

قدد أيقنَّا أنَّ القومَ لم يُؤتوا في تقديم أبي بكر من الجهل بموضع
الفعل ، أطاهاؤا الله في إقامته أم عصّوه . وكذلك لو كانوا قدّموا غيره . ١٠
ما كانوا إلّا متممدين . وذلك أنَّ الأفعالَ إنما تدلُّ على ظاهر عدالة
الرجل وفضيلته ، ولا تدلُّ على باطن طهارته ^(١) وإخلاصه .

وقولُ الرسول صلى الله عليه في الرجل ومديحه له وإخباره عن
فضله ومنزله ، والوحيُّ ينزل عليه صباحَ مساءً ، أدلُّ على طهارته
وإخلاصه . ١٥

وإذا كان العبد كذلك كانت النفوس إليه أسكن ، وكان من
التَّجَدُّل ^(٢) أبعد ، مع السلامة من التَّفَاق ، والدَّخَل في الاعتقاد ؛ لأنَّ ^(٣)
الغلطَ في خبر الرسول صلى الله عليه ونصّه وتبيينه وإقراره للرجل ^(٤)

(١) في الأصل : « طاهرته » .

(٢) التَّجَدُّل : تركُ التصاون . في الأصل : « التَّجَدُّل » .

(٣) في الأصل : « ولأن » .

(٤) في الأصل : « الرجل » .

بالفضيلة والاستحقاق ، أقلُّ من النَظَر فيما بين أقدار النَّاس ، من الموازنة بين أفعالهم وعقولهم ، وعلومهم وتجاربهم ، وصلاح النَّاس عليهم ، مع كثرة عدد الأنفال المتساوية والمتقاربة ، ومع كثرة عدد المتساويين والمتقاربين من الرجال .

• فما يدلُّ على تفضيل النبي صلى الله عليه له قوله يومَ غدير خُمٍّ ، وهو قابضٌ على يده وقد أشخصه قائماً لمن بحضرته : « مَنْ كَفْتُ مَوْلَاهُ فمَنْ مَوْلَاهُ . اللهمَّ حادِ مَنْ طاداه ، ووال من والاه » . وقوله : « أَنْتَ رَسِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي » . وقوله : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَعِي مِنْ هَذَا الطَّيْرِ » ١٠ ثلاثاً ، كلٌّ ذلك يَحْصِيهِ أُنْسٌ ، طمأناً أن يكون أنصاريًا ، فأبى الله إِلَّا أَنْ يَحْتَمِلَهُ الْآكَلُ ، وَالْآتِي ، وَالْأَحَبُّ .

ومن ذلك أَنَّ النبي صلى الله عليه حين آخَى بين أصحابه فَفَرَّقَ بين الأشكال ، وفردَ^(١) بين الأمثال ، جعله أَخاً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ وَعِلِّيَّةِ أَصْحَابِهِ .

١٥ قيل لهم : إِنَّ الْأَخْبَارَ لَا بَدْءَ فِيهَا مِنَ التَّضَادُّقِ كَمَا لَا بَدْءَ فِي دَرْكِ الثُّقُولِ مِنَ التَّتَارُفِ ، فَإِنَّ فِي عَدَمِ التَّتَارُفِ فِي حُجْجِ الْعُقُولِ ، وَالتَّضَادُّقِ فِي حُجْجِ السَّمْعِ ، عَدَمَ الْإِنْصَافِ ، وَيُطْلَانِ الْكَلَامُ .

وليس لكم أن ترفعوا خبراً له ضرب من الإسناد وتوجبون^(٢) تصديق مثله ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْتَصِمِينَ لَا يُعْجِزُهُ دَفْعُ الْمُسْتَفِيزِ بِلِسَانِهِ ،

٢٠ (١) فرد : جمع . وفي الأصل : « فرد » .

(٢) أي وأنتم توجبون .

فضلاً عن دفع الشاذ وإن كان ناقله عدلاً في ظاهره . فإذا كان ناقله ذلك كذلك فأولى الأمور بكم وبهم الصدق . وليس كل من أراد الصدق في مثل هذا قدرَ عليه إلا بالتقدم في كثرة السماع واتساع الرواية . وليس لأحد ، وإن حسن عقله وسح فكره ، أن يقول فيما لا يضاف علمه إلا من طريق الخبر حتى يكون صاحب خبر ، وطالب أثر . فإذا صحَّ عقله وكثر سماعه ، خفت^(١) مؤوته على نفسه وعلى خصمه .

أو ما علمتم أن خصوصكم وم أكثر منكم عدداً ، وأكثر فقيهاً ومحدثاً ، يروون أن النبي صلى الله عليه قال : « ليس أحدٌ آمنٌ علينا بصحبته وذات يده من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن ودا وإخاء إيمان^(٢) » . فإن كان هذا الحديث كما نقلوا لم يجز أن يكون النبي صلى الله عليه أخاً أحد إلا أن يكون الأخ غير الخليل ، ولا نعلم الخليل إلا أخص منزلة وأقرب مودة . مع أن قوله « ولكن » دليل على أنه قد كان أخاه .

وأعجب من هذا يروون أن النبي صلى الله عليه قال في شكائه وقبيل وفاته : « إنه لم يكن نبياً قبلي فيموت حتى يتخذ من أمته خليلاً ، وإن خليلي منكم ابن أبي قحافة^(٣) » .

ويروون أن النبي صلى الله عليه قال : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .

(١) في الأصل : « وخفت » .

(٢) في الأصل : « ودا وإخاء إيمان » سواءه من الرياض النضرة ١ : ٨٥ . وانظر فتح الباري ٧ : ١٥ .

(٣) الرياض النضرة ١ : ٨٤ .

وقد تعلمون أنَّ إسناده عبد الملك^(١) ، عن رُبَيْعٍ^(٢) عن حذيفة^(٣) ،
والآخر سلمة بن كهيل ، عن أبي الزُّعْرَاءِ^(٤) ، عن عبد الله^(٥) .
ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه ، نظر إلى أبي بكر وعمر مُعْبِلِينَ .
فقال : « هذان سيِّدا كهُولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلَّا
الأنبياء والمرسلين . يا عليُّ لا تُخَيِّرْهُمَا » .

فزعَمُوا جميعاً أنَّ عليًّا قال : ولو كانا حيَّين ما حدثتكم .
ويروون جميعاً أنَّ عليًّا قام في الناس خطيباً فقال : « أَلَا إِنَّ خَيْرَ
هذه الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ، والثَّانِي عُمَرُ ، ولو شئتُ أنْ أُخْبِرَكُمْ
بِالثَّالثِ فَعَلْتُ » . فَكَسَى عَنْ ذِكْرِ عُمَانَ .

١٠ . ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه لَمَّا أَسَّسَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ جَاءَ بِمُحَمَّدٍ
فَوْضَمَهُ ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمُحَمَّدٍ فَوْضَمَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بِمُحَمَّدٍ فَوْضَمَهُ ،
ثُمَّ جَاءَ عُمَانُ بِمُحَمَّدٍ فَوْضَمَهُ ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
« مِمَّ الْأَمْرُ الْخِلَافَةُ^(٦) مِنْ بَعْدِي » .

وَقَالُوا : لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّ لِأَهْلِ قُبَاءِ مَسْجِدَهُمْ
١٥ . بِمَنْزِلَةِ^(٧) ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَرًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ضَعْ

(١) في الأصل : « عند الليل » . وهو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي
السكري . المتوفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٢) ربيع بن حراش السكري . المتوفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) حذيفة بن اليمان ، الصحابي الجليل ، وكان صاحب سر رسول الله . توفي سنة ٣٦ .

الإصابة وتهذيب التهذيب .

(٤) هو خالد سلمة بن كهيل . واسمه عبد الله بن حاتم السكندري السكري ، وهو
أبو الزُّعْرَاءِ الكبير ، كان من كبار التابعين . تهذيب التهذيب .

(٥) عبد الله بن مسعود .

(٦) كذا في الأصل .

(٧) المنزلة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح في طرفها الأسفل زج كزج الرمح .

حَجَرًا إِلَى جَنْبِ حَجَرِي ثُمَّ قَالَ : يَا عِثَانَ خُذْ حَجَرًا فَضَعْهُ إِلَى جَنْبِ عُمَرَ .
 ثُمَّ انْفَتَحَتْ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ فَقَالَ : وَضَعَ رَجُلٌ حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبَّ .
 وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ
 فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ،
 وَمِثْلُ مَرٍّ فِي الْمَلَائِكَةِ مِثْلُ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالسُّخْطِ ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ
 • مُوسَى » . وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَلَكِنِّي أَخْصَرْتُهُ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَضَعَ فِي كَيْفَةِ الْمِيزَانِ وَالْأَمَّةِ
 فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى ، فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَضَعَ
 أَبُو بَكْرٍ مَكَانَهُ فَرَجَحَ بِالْأَمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَوَضَعَ مَرٌّ مَكَانَهُ فَرَجَحَ
 بِالْأَمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَرَضَ الْمِيزَانِ ^(١) .

١٠

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ
 يَمُنُّ بِكُمْ جَمِيعًا فَقَلِّمُوا : كَذِبْتَ ، وَقَالَ لِي صَاحِبِي : صَدَقْتَ ، فَهَلْ
 أَنْتُمْ تَارِكُونَ صَاحِبِي ؟ » .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى
 الْإِسْلَامِ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَكِبْرَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ
 لَمْ يَتَلَمَّسْ » .

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْؤُنِي
 قَطُّ ، فَأَمَرُوا ذَلِكَ لَهُ » ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .

فَإِنَّ كَانَ مَا رَوَيْتُمْ فِي فَضِيلَةِ عَلِيٍّ حَقًّا ، وَمَا رَوَوْا فِي فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ
 حَقًّا ، فَأَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . وَهَذَا هُوَ
 ٢٠

التناقض ، والحق لا يتناقض . وفي هذا دليلٌ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله ، لأنَّ الخبر إذا خرج مخرج المأم في تفضيل أبي بكر ، وكذلك في تفضيل عليٍّ ، فليس له وجهٌ إلا ما قلنا ، إلا أنَّ يكونَ النبي صلى الله عليه قد قال أحدَ القولين وصحَّتْ به الشهادة ، ولم يقل الآخرَ وإنما ولدته الرجال ، وصنعه حَمَلَةُ السَّيْرِ . ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساوياً ، وعند الرجال مُتَقَارِباً . وليس في هذه الأحاديث كلها حديثٌ يضطرُّ خصمه إلى معرفة صحته ، أو يكون النبي صلى الله عليه قد تكلم بكثيرٍ من هاتين الروايتين وكان معناه وقصده فيها معروفاً عند من كان بحضرته ، حتَّى كان الجميع يعرفون خاصته من عامته . ولكنَّ التَّائِقِينَ احتملوا من السَّلفِ مجردةً^(١) بغير تأويل معانيها ، فأدَّوها على اللفظ المأم ، فصار السامع يتناقض عنده إذا قَابَلَ بمضاهي بعض ، لجهله بأصول مخارجها ، وكيف كان موقعها .

والذي فَسَّرْتُ لَكَ مثلَ تعرفٍ به سَمَتِ الْحِجَّةَ ، وقَصَدَ السَّبِيلَ . وهو كما تَقَالُوا أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتِ الْخُفْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَسْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » . ولم يكن بالنبي صلى الله عليه إلى استثناء نفسه حاجةٌ ؛ لمعرفته باستغناء النَّاسِ عن ذلك .

وقد عَرَفْنَا بوجهٍ آخَرَ أنَّ حديثَ أبي ذَرٍّ كان يخرجُه مخرج المأم وأنه خاصٌّ وإن لم تكن خصوصيته موجودةً في لفظ الحديث ؛ لأنَّكَ إذا سألتَ النَّبِيَّ قُلْتَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أَسْدَقَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه :

(١) في الأصل : « مجردة » .

أبو ذَرٍّ أَوْ عَلِيٍّ ؟ قَالُوا بِأَجْمَعٍ : عَلِيٌّ . وَإِنَّمَا تَرَكْتُ^(١) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
لَعَلَّهُ بِمَعْرِفَةِ الْمَسْئَلِ بِذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ .

وَكَذَلِكَ لَوْ سَأَلْتَ الْمُبَانِيَةَ فَقُلْتَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أَصْدَقَ عِنْدَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : أَبُو بَكْرٍ أَوْ أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، كَقَوْلِ الشَّيْخِ
فِي عَلِيٍّ .

٥

فَقَدْ أَجْمَعَ الصَّنْفَانِ جَمِيعاً أَنَّ غَيْرَ أَبِي ذَرٍّ أَصْدَقُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ .
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَتَى خَبَرَ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ »
قَالُوا : مِنْ هُوَ ؟ قَالَ : هَكَاهُ بَنِي مَعْصُومٍ .

وَلَيْسَ بَيْنَ الْأُمَّةِ تَنَازُعٌ أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَجَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الطَّيَّارَ ،
وَالزُّبَيْرَ ، خَيْرٌ مِنْ هَكَاهُ .

١٠

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « يَأْتِيَكُمُ خَيْرٌ ذِي يَمَنٍ ،
[عَلَيْهِ^(٢)] مَسْنُوحَةٌ مُلْكٌ » . فَأَتَانَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

فَلَوْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ الْمَأْمُوراً فِي مَعْنَاهُ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
اتَّسَلَ فِيهِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقَوْمِ ، فَتَرَكَ لَذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءَ وَالتَّفْسِيرَ ، لَكَانَ
وَاجِباً أَنْ يَكُونَ جَرِيرٌ خَيْراً مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَمِنْ حَيْثُ اللَّهُ^(٣) بَرٌّ ،

١٥

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَزَلَ » .

(٢) انْظُرِ الْإِسَانُ (مَسْح ٤٣٤) .

(٣) هُوَ حَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ مَسَالِماً وَالْجُلَاسَ ابْنِي
طَلْعَةَ ، مِنْ عِظَمَاءِ الْمُعَرِّكِينَ ، يَوْمَ أُحُدٍ قَتَلَ ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ لِيُؤْتُوا بِهِ مِنْ جَسَدِهِ ،
فَبَيْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظَّلَّةِ مِنَ الدَّبَرِ ، فَخَبَتْ مِنْهُمْ فَارْتَدَعُوا عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ فَدَفَنُوهُ .
الإِسَابَةُ ٤٣٤٨ ، وَالسِّيَرَةُ ٦١٠ ، ٦٢٩ ، وَالْإِسَانُ (دَبَر) . وَالِدَبَرِ ، يَنْتَفِعُ الْإِسَابُ
وَكُسْرُهَا : النَّحْلُ .

٢٥

ومن غسيل الملائكة^(١) ، ومكالم الذئب^(٢) . وهذا ما لا يقوله مسلم .
ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه لأبي سفيان بن الحارث^(٣) : «أبو سفيان خير أهلك» . وقد علمنا أن حمزة والعباس وعلياً وجعفرأ خير من أبي سفيان .

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : «خير أهل الله عمر بن الخطاب» وقد أجمع المسلمون أن غيره خير منه ؛ لأن الناس إما حميري وإما علوي ، فالعلوي يقدم علياً ، والحميري يقدم أبا بكر .

والجمله أنه لم يقل أحد قط : إن عمر خير الناس . فهذا باب قد فرغت [منه] ، تعرف به أن النبي صلى الله عليه قد يتكلم بالكلام المعروف المعنى عند من حضره ، فإذا نقلوا الكلام وتركوا المعنى التيسر على العابر^(٤) وجه المعنى فيه .

فمن ذلك ما يعرف ، كالذي حكينا من حديث أبي ذر ، وعكاشة ابن محصن ، وجبر ؛ ومنه ما يُجهل كحديث عليّ ، وأبي بكر .
وقد نقلوا عن النبي صلى الله عليه في رجال كلاماً وتفضيلاً ما قيل مثله في أبي بكر وعليّ ، اللذين فيهما التنازع .

(١) هو حنظلة بن أبي عامر بن صفي الأنصاري ، وكان أبوه في الجاهلية يهرف بالراعي وكان حنظلة استأذن رسول الله في قتل أبيه قتاه عن ذلك ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم بعدما قتله شداد بن شعوب : « إن صاحبكم تفلسه الملائكة » . الإصابة ١٨٥٩ .

(٢) هو أميان بن أوس أو ابن الأكوع ، أحد الصحابة ، زعموا أن الذئب كله وبهره بالرسول ، انظر حواشي الحيوان ٣ : ٥١٣ .

(٣) أبو سفيان ، اسمه المنيرة ، وقيل اسمه كنيته ، وهو أخو الرسول من الرضاع ، وأبوه الحارث بن عبد المطلب عم رسول الله . الإصابة ٣٥٠ . باب الكنى .

(٤) العابر : المفسر .

من ذلك أنهم قالوا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : « كم من ذى طمرين^(١) لا يؤمنه له لو أقسم على الله لأبره » ، منهم البراء بن مالك . وهذا كلامٌ عظيمٌ إن كان حقاً ، وليس عندنا فيه إلا أن زوده إلى الله ورسوله .

- وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجال كلاماً لو كان قاله في أبي بكر وعلى لكان أحباهما سيجمعونه في أول ما يختبئون به في الإمامة والتفضيل مثل قول النبي صلى الله عليه : « رضيت لأمتي ما رضيت لها ابنُ أمِّ عبد ، وكريهت لها ما كره^(٢) » .

ومن ذلك قوله : « لكل أمة أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة » .

- وقوله في طلحة يوم أحد ، حين واثاه السهم فوق النبي صلى الله عليه ١٠ فقال ، حين أسابه السهم : حس^(٣) ! فقال النبي صلى الله عليه : « لو قال باسم الله لرفقته اللاتكة » .

ومن ذلك دخولُ عثمان عليه وهو مكشوف الفخذ ؛ فغطاها ، فقيل له : يا رسول الله ، لم تغطها من أبي بكر وعمر وغطيتها عند دخول عثمان . فقال : « كيف لا أستحي ممن تستحي منه اللاتكة » . ١٥ وقال : « اهتزَّ العرشُ لموت سعد بنِ مُعاذ^(٤) » .

(١) الطمر : التوب الخلق . يقول : رب ذى ثوبين خلتين أطاع الله حتى لو سأل الله تعالى أجابه . ويروى : « رب أشت أخبر لا يؤمنه له » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٨٦ .

(٣) حس : كلمة تعال عند الجمع .

(٤) وفيه يقول حسان « الكامل ٧٧٨ » :

وما اهتزَّ عرش الله من موت مالك سمنا به إلا لسعد أبي عمرو

فهذا أيضاً بابٌ يُعرَف به أنَّ الرجل ليس يستحقُّ التقديم بالرواية والحديث ، إذ كان هؤلاء دونَ أبي بكرٍ وعليٍّ في الفضل ، وقد جاء فيهم ما لم يجي فيهما .

ولقد روَّوا في رجل لم يُهاجر ، ولم يَصْحَب ، ولم يشهد المشاهد ، ولم يُنفق ، ولم يترنَّ ، ولم يدعُ إلى الله ورسوله ، إلَّا أنَّهم زعموا أنَّه كان يطلب الحنيفية قبل مبعث النبي صلى الله عليه ، وهو زيد بن عمرو ابن نفيل . فزعموا أنَّ النبي قال : « يُمِيت يومَ القيامةُ أمةً وُخِده » .

وأى شيء أدلُّ على كلِّ فضيلةٍ من قول النبي صلى الله عليه لعمار : « لا تُؤذُوا عماراً فإنما عمارٌ جِلْدَةٌ ما بينَ صبيٍّ » .

ما أعطت الرافضة الطاعة أبداً ، ولا رَضُوا من النَّاس بالإِنصاف ! وقد علمنا أنَّ حمزة وجعفرًا وعليًّا ، كانوا أَفْضَل من سعدِ بن مُعَاذ ، ولم يَهْزُ لوتهم عرشُ الرَّحمن ، وقِيلوا شُهَدَاء ، ولم تَحْمِ لِحْوَمهم الدَّبرُ ، ولا غُصِّلَتْها الملائكةُ ^(١) .

فالله أعلمُ بِماني هذه الأحاديث . ولعلَّ النبي صلى الله عليه قال في كلِّ رجلٍ قولاً عدلاً ، وكان ذلك قولاً معروفًا مفهوماً عند الحاضر ، ولكنه أدَّى اللفظ وتركَّ للمنى ^(٢) .

فإذا كانت الأحاديث في أسلافنا وأئمتنا على ما حكيتُ لك لا تمنع من معرفة وتدافع ما وصل إلينا منه ، كان واجباً أن يكون الفرع في أمهم إلى الخبر الذي يجي بجيء الحجة ، وترك ما سوى ذلك مما لا يُبري من

(١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢) في الأصل : « أدنى اللفظ وتركَّ للمنى » وانظر ما سبق في ص ١٤٠ س ١٠ .

سَمَّ وَلَا يُعِدُّ مِنْ حَيْرَةٍ . وَإِنَّمَا الْخَبْرُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يَمْتَدُّ^(١) بِصَنْفِ
الْإِسْنَادِ ، وَلَا يُتْرَكُ لَصَنْفِ الْأَصْلِ ، وَلَا يُوقَفُ فِيهِ لَكثرةِ المَارِضِ
وَالْمُتَاوِي^(٢) ؛ كَنَحْوِ مَا رَوَيْنَا مِنْ مَأْثَرِهِمْ فِي مَقَامَتِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ ، وَكَصَالِحِ
عَلِيٍّ وَمُؤَاوَزَتِهِ بَيْدَرٍ ، وَكَكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَرِيضِ . وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ
وَلَا يَنْتَاقِضُ ؛ لِأَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ بَيْدَرَ لَيْسَ بِنَاقِضٍ لِكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ
فِي الْمَرِيضِ ، وَلِأَنَّ مَوْقِفَ عَلِيٍّ بِأَسَدٍ لَا يَدْفَعُ كَوْنَ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ ،
وَلِأَنَّ صَنِيعَ عَلِيٍّ بِخَبِيرٍ لَا يَدْفَعُ إِنْتِفَاقَ أَبِي بَكْرٍ الْأَمْوَالِ ، وَعَقْفَةَ الرَّقَابِ .

فَهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ مِمَّا لَا تَجِدُ لَهُ رَادًّا وَدَافِعًا ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَكْلِ
مَا قَالُوا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « اتَّقُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي
بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ » وَقَتْلَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لَعَلَّ : « أَنْتَ مَتَى
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَكَمَا قَالُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آخَى
بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » فِي أَشْبَاهِ هَذَا قَدْ حُكِّيتْ لَكَ فِي مَسَدَرِ
الْكِتَابِ ، لِتَعْرِفَ بِجَرَى الْكَلَامِ فِي السَّلَفِ .

فَإِنْ قَالُوا : فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ : « اتَّقُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي » وَقَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي [ذَلِكَ] الْوَقْتُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُسْتَقْتَى فِي هَذَا الْقَوْلِ .
قِيلَ لَهُمْ : وَلِمَ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ » [وَ] قَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مُسْتَقْتَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَاوِي » .

فإن قالوا : الفرق في ذلك أنكم لا تُفكرون روايتنا في عليّ ،
ونحن نفكر روايتكم في أبي بكر .

قيل لهم : إنَّ المعجزَ كلَّ المعجز أن نعيده على خصمك بشيء
لا يُعجزه . فإن أبوا إلّا جحد الأخبار وتكذيب الآثار والإيجاب على
الناس ما لا يُوجبون لهم مثله فإنَّ الذين قتلوا أنَّ النبي صلى الله عليه
قال : « من كنتُ مولاهُ فعليُّ مولاهُ » لم ينقلوا معه في الحديث :
« اللهمَّ والي من وآله ، ووالي من عاداه » .

وإنما سمعنا هذه الزيادة من الشيعة ، ولم نجد له أصلاً
في الحديث المأمول .

١ روى الأعمش — وكان رافضياً — عن سعد بن عُبَيْدة ، عن ابن بُرَيْدة^(١)
عن أبيه قال : بعثَ النبيُّ صلى الله عليه عليّاً في سرّية واستعمله عليهم ،
فلما جاء قال : كيف رأيتم صاحبكم ؟ قال : فأما شكوتُه وإمّا شكاه
غيري ، وكنتُ رجلاً مكباباً^(٢) ، فرفعتُ رأسي فإذا النبيُّ صلى الله عليه
قد احمرَّ وجهه وهو يقول : « من كنتُ وليه فعليُّ وليه^(٣) » .

١٠ فواحدة أن الذي رَوَى هذا الأعمش ، وهو ظنّين في عليٍّ مضعفتُ
عند أهل الحجاز . وسعدُ بن عُبَيْدة ليس هناك .

وثانية^(٤) أنه لم يقل من كنت مولاهُ ، وقال : « من كنت وليه »

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي . تهذيب التهذيب .

(٢) في الحسان : الرجل مكب ومكباب : كثير النظر إلى الأرض .

٢٠ (٣) في الأصل : « مولاهُ فعليُّ مولاهُ » ثم كتب تحت « مولاهُ » : « وليه » في
الموضعين ، وهو ما يتطلبه الكلام فيما بعد .

(٤) في الأصل : « وثالثة » .

فإذا اختلفت الألفاظ دلّ ذلك على الوهم . ولم يقل : « اللهم عاذ من عاذاه ووال من والاه » . ونحن نشهد أنّ من كان النبي صلى الله عليه وليه فسمد بن مُمّاد وليه . وعلى أنّهم قد رَوَوْا في شكاية أَعوام^(١) في تلك البركة لعلّ كلاماً قبيحاً .

- ووجه آخر مما يدلّ في هذا الحديث على الاختلاف والوهم : أنّهم قالوا أنّ هذا القول في عليّ كان أنّ عليّاً جازى زيد بن حارثة^(٢) في بعض الأمور ، ولا حاد فيه ، لأنّه أغلظ له^(٣) ، فردّ عليه زيد مثلاً مقاتله ، فقال له عليّ : تقول هذا القول لمولاك ؟ ! فقال زيد : إنّما ولاني رسول الله صلى الله عليه ، ولست لي بمول . فأثنى عليّ النبي صلى الله عليه ، فشكا إليه زيدا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ١٠ « من كنت مولاه فعليّ مولاه » . وصديق النبي صلى الله عليه أنّ عليّاً مولى زيد ، إذ كان النبي صلى الله عليه مولاه ، وكذلك البأس والفضل ، وصهد الله ، وقمّ ، وتحمّ ، وممّيد .

- وإذا كانوا هؤلاء موالى زيد لأنّ النبي صلى الله عليه مولاه ، فليعلم النبي صلى الله عليه من ذلك ما ليس لهم جميعاً^(٤) فإنما أراد النبي صلى الله عليه أن يعلم زيدا غلطه في ذلك القول ، حين ظنّ أنّ ابن عم النبي صلى الله عليه ليس مولاه .

فإذا كان أمر عليّ وزيد مشهوراً عند أصحاب الآثار ، فإنما عسى

(١) في الأصل : « أَعوام » .

٢٠ (٢) في الأصل : « زيد ثم حاربه » ، وهو من عجيب التصريف .

(٣) في الأصل : « غلظه » .

(٤) في الأصل : « ما ليس لهم جميعاً » .

مولى التُّمعة ، وليس في هذا إخبارٌ عن فضل عليٍّ في الدين .
ولو كان النبي صلى الله عليه قال كما زعمت الرِّوافض : « اللهم عاذِ
من عاداه ووالٍ من ولاة » ، كان هذا القول يدلُّ على أنَّ زيدا قد أتى
جُرماً عظيماً ؛ فلم^(١) يكن ليخطئ دُعاه النبي صلى الله عليه على من عادى
عليّاً إلى غيرِه إلّا بعد وقوعه به ، لأنَّ زيدا هو المشتكى ، ومن أجل
صنيعه خرَّج النبي صلى الله عليه إلى مثل هذا القول الشديد ، وهذا الدُّعاه
القاصم ، ومن قوله ومدَّهه فضِبَ عليه ، وعليه نسَّ وإياه عسى .

وإنَّما يقول هذا ويحورُّه من لا علم له بقدر زيد عند النبي صلى الله
عليه . أو ما علمت أنَّ زيدا أحدُ من روى النَّاس عنه ونقلوا أنَّه كان
١٠ أئمة النَّاس إسلاما . وقد دلَّلنا على فضيلة إسلامه على إسلام عليٍّ
في صدر كتابنا ، في كلام المئانية^(٢) .

وقد بلغَ من قدره عند النبي صلى الله عليه وتفضيله إِيَّاه أنَّه لم يكن
في سرِّية قط إلّا كان أميرها ، ولا أقامَ يبلدٍ إلّا وهو أميرها .

ويدلُّك على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه أمره على جعفر الطيّار ،
١٥ وعقد له يومَ مؤتة ، ثم عقد لابنه أسامة على كبار المهاجرين والأنصار ،
منهم عمر بن الخطَّاب ، وسعيد بن زيد ، وأبو حُبيدة بن الجراح ، وسعد
ابن أبي وقاص . حتَّى قال رجالٌ من المهاجرين — وكان أشدَّهم في ذلك
عياض بن أبي ربيعة^(٣) — : يوتى علينا هذا النِّلام ! ففضب حُرَّ وردَّ

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٧ - ٢٤ .

(٣) في الأصل : « عياض بن أبي ربيعة » تحريف . الإصابة ٦١١٨ وإمتاع الأسماع

٣٧ ونفع الباري ٧ : ٦٩ / ٨ : ١١٥ - ١١٦ .

عليهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
من رجالٍ يقولون كذا وكذا ؟ ! فغضب النبي صلى الله عليه إلى المنبر
في شكاته التي توفى فيها فقال :

مما قاله بلفتني عن بعضكم في أسامة وتأثيره ؟ ! ولئن طعنتم في إمارته
لقد طعنتم في إماره أبيه . وإيم الله إن كان خليقاً للإمارة ، وإن ابنه
خليق لها ، وإن كان كين أحب الناس إلى ، وابنه كين أحب
الناس إلى .

فهو الحب وأبو الحبيب ، وهكذا يقال بالمدينة : أسامة الحب .
ولذلك قال عمر لابنه عبد الله حين زاد في فريضة أسامة على فريضته ،
فقال له عبد الله : لِمَ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَنَحْنُ سَيِّانٍ ؟ فقال عمر : إن أباه
كان أحب إلى النبي صلى الله عليه من أبيك ، وكان هو أحب إلى النبي
صلى الله عليه منك .

وقالت عائشة عند وفاة النبي صلى الله عليه : لو كان زيد حياً
لاستخلفه النبي صلى الله عليه عليكم .

هذا وأبوها الخليفة والجمهور إليه الإمامة .

وما يدلك على فضيلة أبي بكر ومكانته وخاصته من النبي صلى الله
عليه وسلم وعظم شأنه عنده ، أن النبي صلى الله عليه [لأ] آخى بين المهاجرين
والأنصار آخى بينه وبين حمزة ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد . وقد
تلمون أن حمزة استشهد وهو أجل الناس في صدور المؤمنين ، وأعظم
في أنفس المهاجرين . وإن امرأ يكون كفتاً لحمزة في الإخاء ، وحمزة على
ما وسقنا ، لمظيم الشأن ، رفيع السكان .

ولو لم يُعرف من قدره إلا أن ذكره الله باسمه في كتابه ، كما ذكر لقمان ، ولم يفعل هذا لغيره من هذه الأمة ، لقد كان ذلك دليلاً على النزلة والقرية ، فكيف يجوز أن يكون في الحديث : « اللهم عاِد من عاداه ووال من والاه » وحال زيد وسفته على ما ذكرنا وفسرنا ١٩ مع أن اللفظ في الحديث لو كان : اللهم عاِد من عاداه ووال من والاه ، لم يكن فيه دلالة تضطر إلى إمامته ، وحجة قهر القول وتحميلها على معرفة خاصته ، ولكنه لفظ يدل على الفضل والقدر ، وليس بالفضل الذي لا بعده ، والتقديم الذي لا فوقه .

وإنما الكلام الذي لا بعده قول النبي صلى الله عليه : « ما أحذ أَمَن علينا بمسبحته من أبي بكر » ، وقوله : « لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً » ، وقوله : « أبو بكر ومُمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » .

فإذا كان هذا الحديث مختلفاً في أصله وفي صحة خروجه ، ومختلفاً في تأويله وفرعه ، والحجة في أصله متداخلة ، والحجة في فرعه متكافئة ، فكيف يكون جحد على إمامته واستحقاقه وفضيلته على نظرائه .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله وصحة خروجه ، ثم كان لفظه محتملاً لضروب التأويل ، ما كان للرافض فيه حجة تقطع الخصم ، وتظهر اليأينة .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله وصحة خروجه وكان لا يحتمل من التأويل إلا معنى واحداً ما اختلفت في تأويله العلماء ، ولا اضطربت فيه الفقهاء ، كما كان حاله آسفاً .

ولا سيما إذا كان الحديث ليس مُفَصِّحاً عن نفسه ، ومُعَرِّباً عن تأويله ، إلا عن قصد الرسول وإرادته لأن يكفيتهم مؤونة الرواية والأسباب المشككة فينبغي على هذا القياس أن يكون علماء الثمانية وفقهاء المُرْجئة تعرف من ذلك ما تعرف الروافض ، ولكنها تجحد ما تعرف ، وتنكر ما تعلم .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ولكنه غامض التأويل ، ٥ وعوبس المعنى ، لا يكاد يدركه إلا الراسخ في العلم ، البارع في حسن الاستخراج ، كان الثمر في جهل إمامته وفضيلته على غيره واسما مبسوطة لأكثر المسلمين ، وجُلُّ الناقلين ، وكبراء المتكلمين .

ولما سارت الروافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين ، برّهم^(١)

أن النبي صلى الله عليه نعم على إمامته ، ودل على فضيلته ، فإنه لابد ١٠ للناس في كل عصر من إمام من ولده ، لأن ذلك الموضع إذا كان متنازعا ومتملما كان أخف على الناس في المحنة ، وأبعد من الخطأ والزلل ، ولأن اختيار الله لهم لأنفسهم ، لأنه لو كان ذلك لا يكون إلا بالنظر دون النص لم يصلوا إلى إمامته ، لكثرة عدد الناس ، ولكثرة عدد الفضل ، ولما في ذلك من الإشكال عند الموازنة ، والشغل عن المدوّ . ١٥

فإذا كان السبب في الإمامة^(٢) هو الذي قالوا ، فلا بد من حديث لا يحتمل التأويل ، ولا يمنع من معرفة صحة أصله وصدق تخرجه .

فإن قالوا : فإننا سنأتيكم بمثل اللفظ الذي أنتمونا به حتى لا يكون لفظ أدل على الغاية منه . من ذلك قول النبي صلى الله عليه عند طائفة^(٣)

(١) في الأصل : « وهو » . (٢) في الأصل : « وزعمهم » . ٢٠

(٣) النظر ما سبق في ص ١٣٤ س ٩ - ١٠ .

أَتَيْ بِهِ فَأَرَادَ أَكْلَهُ فَأَحَبُّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي أَكْلِهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ بِأَكْلٍ مَعِيَ هَذَا الطَّائِرُ »
ثُمَّ قَالَ لَأَنْسَ : أَخْرُجْ فَاظْطَرُّ مَنْ تَرَى بِالْبَابِ ؟ فَفُجِرَ فَوَجَدَ عَلِيًّا فَلَمْ
يَأْذَنْ لَهُ ، وَلَمْ يُعَلِّمِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَانَهُ طَعْمًا أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًّا .
فَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَحْبِبُهُ أَنْسٌ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ ،
فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : « اللَّهُمَّ وَالْ^(١) » .

قِيلَ لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ سَاقِطٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ،
وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَهُمْ فَلَمْ يَحِجْ إِلَّا مِنْ قِبَلِ أَنْسٍ فَقَطْ ، وَأَنْسٌ وَحْدَهُ
لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، فَلَمْ^(٢) يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ وَلَا مَتَكَلِّمٌ .

١ وَثَانِيَةٌ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ الَّيْ يَحْتَجُّ بِخَبَرِ أَنْسٍ لِأَنَّهُمْ مَتَشَرِّ الشَّيْءِ ،
لَأَنَّ أَنْسًا عِنْدَكُمْ كَافِرٌ كَذَّابٌ .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ فِيهِ أَنْكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ عَلَى عَلِيٍّ ،
كَذْبُهُ وَبَهْتُهُ بِأَمْرِ ، فَعَدَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُقَ فِي وَجْهِهِ فَبَرَصَ مِنْ قَرْنِهِ
إِلَى قَدَمِهِ . وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَسَلَةِ الْحَبَّاجِ ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ
١ أَكْفَرُ بِاللَّهِ وَلَا أَجْهَدُ لِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَلَا أَهْضَ لِأَمْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ لِشَيْئِهِ
مِنَ الْحَبَّاجِ وَلَا مِنْ وَلَاهٍ ، وَأَنْ مَنِ وَلِيَ لَهَا فِي طَرَفَيْهَا وَحَكَمَهَا .

وَأُخْرَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ كَمَا تَقُولُونَ وَقَدْ صَدَّقْتُمْ عَلَى أَنْسٍ ،
فَقَدْ زَعَمَ أَنْسٌ بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَقَدْ أَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ ،

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ مَبْتُورًا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

فأحبَّ لشهوته له أن يَشْرَكَه فيه أشبهُ الناسِ به فدعا ربَّه ؛ وأنَّه
إذ دعا ربه ثلاثَ مرارٍ كلَّ ذلكَ يَسْتَجِيبُ له ، وكلَّ ذلكَ يراه أنسٌ
ويَكْذِبُ له ويصدُّه عن حاجته ، ويمنِّعه سرعةَ الاستجابة ، وتمجيلَ
قضاء الحاجة ، وتسويته أكلَ المُشْتَهَى من طعامه . كلُّما دعا دَعْوَةً قال
أخرج يا أنس فانظُرْ مِن الباب ، ثقةً منه برَبِّه ، وأنكالا على الذي ٥
عنده له ، ويرجع وقد كَثَمَهُ وحجَّبه عنه ، ومنَّعه سرور تمجيل الدُّعاء ،
وأكلَ شهيَّ النِّداء .

فإن كان أنسٌ كما تقولون فقد ركبَ أمراً عظيماً ، وذَهَبَ مذهباً قبيحاً .
وكيف يَصْدُقُ على النبي صلى الله عليه من خُلِقَ بهذا^(١) ، وكَذَبَ في وَجْهِه
ثم لاتفه الأولى من الثانية ، والثانية من الثالثة . هذا والوحيُ ينزل ١٥
بأسرع من الطَّرفِ بِلَعْنِ قومٍ ومدحِ آخرين .

وإنَّ أمراً احتملت نفسه وشاع في طبعه أن يواجهَ النبيَّ صلى الله عليه
بالكذبِ ثلاثَ مراتٍ في أحبِّ الناسِ وأوجههم حقاً عليه ، لحريَّ ألاَّ يصدقَ
عليه في مُعْظَمِ أمر الدين ، مع أنَّ الحديثَ نفسه هو أضعفُ حديثٍ عند
أصحاب الأثر من^(٢) أن يحوِّجَنَا إلى الإطْئاب فيه ، والإخبار عنه . ١٥
ومنى أديبنا ضَعَفَ حديثَ وفَسَادَه . فاتَّهَمَ رَأْيَنَا ، وَخَفِمْ مِثْلَنَا
أَوْ غَلَطْنَا فاعْتَرَضُوا مَحَالَّ الحديثِ وأصحاب الأثر ، فإنَّ عِندَهم الشفاءُ فيما
تنازعنا فيه ، والعلمُ بما التَّبَسَّ عَلَيْنَا منه .

(١) كذا في الأصل . وله وجه .

(٢) كذا ورد الأسلوب ، وفيه استعمال « من التضليلية » مع أفضل التفضل المضاف ، ٢٠

كقول ليس بن الخطيم ؛

نحن بفرس الودى أعلنا منا بركن الجياد في السد

ولقد أنصفَ كلَّ الإنصافِ مَنْ دعاكم إلى الفَنَحِ مع قُربِ داره
وقلَّةِ جَوَرِهِ وأصحابِ الأثرِ مِنْ شأنِهِمْ روايةُ كلِّ ما صحَّ عندهم ، عليهم
كانَ أولَهُمْ . مع أنَّ هذا الأمرَ ليس يُعرَفُ من قِبَلِ الحديثِ ، وإنَّما
يُعرَفُ من الوجهِ الذي به يُقْفَى على جميعِ الدِّينِ .

وإنَّما احتججنا عليكم في أنسِ بالذي سمعتم ، لأنَّنا وجَدناكم تكفُّرونه
حتَّى إذا جرى سببٌ يؤكِّدُ ما تقولون جعلتم كُفْرَهُ إيماناً ، وكذبَهُ
تصديقاً ، وعداوتَهُ ولايةً . ثُمَّ لم تَرْضَوْا بأنَّ الحَقَّموه بالأولياءِ وأخرجتموه
من حدودِ الأعداءِ ، حتَّى أقنمَ خبره وحدَه مقامَ خَبَرٍ من يكذِّبُ
آيَا^(١) به ، أو مقامَ خبرٍ يمتنعُ الكذبُ في مجيئه لاختلافِ عللِ أهله .
فإنَّما نحنُ فإنَّما نرى أنَّه رجلٌ عظيمُ الحرُمةِ واجبُ الحقِّ^(٢) ،
إذْ كانَ قد خدَمَ النبيَّ صلى الله عليه صغيراً واعتصمَ به كبيراً ، وكان
من رَهطِ سِدْقٍ .

وإنَّما ما حكيتُم من ولايته للحِجَّاجِ فقد ولى للحِجَّاجِ وسلَّى خلفه
مَنْ كانَ يرى إكفارَه فضلاً عن مَنْ يرى تفسيقَه ، وفي البراءةِ منه وفي
التَّقيَّةِ سَمَةً ، وفي الخوفِ عُذْرٌ .

فإنَّما الذي حكيتُم من البياضِ الذي أصابه فإنَّ المؤمنَ بِمَرَضٍ مَصَابَةٍ
ما كانَ في دارِ الله نيا . وما كانَ الذي أصابه في جَنَبِ الذي كانَ فيه أيُّوبُ
النبيِّ صلى الله عليه ؟ ! وقد كانَ شُعيبٌ مكفوفاً !

ولو كانَ على كذا يقولون فأرادَ أنَّه كانَ إذا بصقَ على إنسانٍ فأرادَ

(١) في الأصل : « مقام حيرين طلب الله » .

(٢) في الأصل : « صاحب الحق » .

أَنْ يَرِصَ بِرِصٍ ، لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَقَ .

وَالْمَجْبُوبُ إِنْ كَانَ كَمَا تَزْعُمُونَ ، كَيْفَ لَمْ يَبْصُقْ عَلَى أَبِي مُوسَى فَيُجْذِبَهُ ، أَوْ عَلَى جَيْشِ صَفِيْنٍ فِيهِزَمَهُ ١٩ بَلْ كَانَ عَلَى أَظْهَرِ سَلَمًا ، وَأَرْجَحَ حِلْمًا وَأَشَدَّ وَرَعًا ، وَأَكْثَرَ رِقْعًا ، وَأَبْيَنَ فَضْلًا ، مِنْ أَنْ يَدْمِيَ ٥ هَذَا وَشِبْهَهُ .

وَلَيْسَ يَمْدَحُ عَلِيًّا بِمَا لَا يُلِيقُ بِهِ إِلَّا هَازِلٌ أَوْ جَاهِلٌ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَنْتَ مَتَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَإِنَّ^(٢) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ ١٠ وَحْدَهُ نَسْتَعِينُ .

قَوْلُ : إِنَّ خِلَافَةَ الرَّجُلِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي حَيَاةِ السُّتَخْلَفِ وَإِمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، فِي كَثْرَةٍ مَا غَزَا ، وَكَثْرَةٍ مَا وُلِّيَ . ١٥

قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الدِّينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . وَقَالَ قَوْمٌ : السُّتَخْلَفُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مَقِيماً بِالْمَدِينَةِ وَالْأَمِيرُ غَيْرُهُ ، وَالْإِمَامُ سِوَاهُ .

ولولا أن خلفاء النبي صلى الله عليه في غزواته يُصاب عليهم^(١) بكل مكان ، وفي كل سيرة ، لقد كتبته لك في كتابي الذي رددت فيه على من صغر قدر الإمامة وزعم أنها غير واجبة ، وأنها تصلح في العدد الكثير . وأما غير ذلك من كتبي فلم أتمحل فيه قولي ، وجعلت الكتاب هو الذي عيّ عن نفسه ، وقت مقام جميع الخصوم ، وجعلت نفسي عدلاً بينهم . ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم أستحل كتمانته مع زوال التيقن ، وسلاح الدهر ، وإنصاف القيم .

ثم رجعنا إلى كلامنا الأول ققلنا : لا بد لخلافة الرجل من إحدى منزلتين : إما في الحياة أو بعد الموت : فأما في الحياة فلا يستطيع أحد أن يقول : إن النبي صلى الله عليه استخلف علياً في حياته . وليس يضع ذلك من علي ؛ لأن أبا بكر وعمر الذين هما عندنا أولى بالأمر منه لم يستخلفهما النبي صلى الله عليه قط في حياته . أو تكون الخلافة بعد الموت فلا يجوز أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه عتي بقوله « أنت مكي بمنزلة هارون من موسى » الخلافة لعل بعده . والذي قد علم أن هارون قد مات قبل موسى : لأن هارون وموسى وأمهاتاً جميعاً في شهر واحد ، وكان موسى صلى الله عليه آخرهم موتاً . ولذلك قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلت هارون^(٢) .

فإن قالوا : ومن يقول : إن هارون مات قبل موسى ؟
قيل لهم : إن شئتم فاعترضوا أصحاب التفسير والسيرة ، وانتمسوا علم

(١) أي يوقع عليهم . وفي اللسان : « ساروا بهم : وقسوا بهم » .

(٢) انظر كامل ابن الأثير ١ : ١١١ ففيه قصة وفاة هارون . والظر كذلك سفر العدد

ذلك من رِبَلِ أصحابِ ابنِ عباس ، وإن شئتُمْ فأهل الكتاب يهودهم
ونصاراهم الذين ليس لهم في ذلك دَفْعُ مَصْرَةٍ ولا اجتلابُ منفعة ، ولو
آثَرُوا أن يَجْهَدُوا ما عَرَفُوا ، وأن يُطَبِّقُوا على إنكار ما علموا ، وكان
ذلك ممكناً في القُدرة ، سائناً جائزاً ، لجحدوا أن بني إسرائيل أخذتْ
موسى بقتل هارونَ نِعْتَةً ونبياً ، أو غلطاً أو جهلاً .

وهذا مشهورٌ عند أهل الكتاب وأهل التفسير .
وليس أحدٌ أحقَّ بأن يُصِيبَ في الأمثال إذا ضَرَبَهَا ، ولا أولى بِمُسْنِ
التَّشْبِيهِ إذا شَبَّه ، مِن خِيرةِ الله وَصَفْوَتِهِ مِن رسله ، فكيف يجوزُ أن يقول
النبي صلى الله عليه لملى : « أنتَ متى بمنزلة هارونَ من موسى » وهو
يريد الخِلافةَ ، وهارونُ لم يكن من موسى خليفةً من بعد موته ، ولم يكن
على خليفة النبي صلى الله عليه في حياته . ففى أىِّ التَّوَلَّيْنِ وعلى آيةِ
الحالين يكون على خليفةٍ إذ لم يكن استخلفه النبي ^(١) أيام حياته . بل
كيف يجعلهُ من نفسه بمنزلة هارونَ من موسى وهو يريد الخِلافةَ من
بعده ، وهارونُ لم يكن خليفة موسى بعده .

ولا بدَّ للحديث مع سوء تأويلكم واضطراب حُجَّتِكُمْ من ضربين :
إمّا أن يكون باطلاً لم يتَّكَلَّمْ به النبي صلى الله عليه . وإمّا أن
يكون حقّاً ومعناه غير ما قلتم ، وتفسيرُهُ غير ما ادَّعَيْتُمْ .
ولو أن النبي صلى الله عليه أراد أن يحملَ عليّاً خليفةً من بعده إذ لم
يكن جَمَلُهُ خليفةً أيام حياته ، لقَالَ ^(٢) : أنتَ متى بمنزلة يُوشَعَ بن نُونٍ

٢٠ (١) في الأصل : « استخلفه موسى » ، وكلمة « موسى » ملحقه .

(٢) في الأصل : « فقال » .

إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، لَأَنْ يَوْشَعَ كَانَ خَلِيفَةً مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَعْدَهُ ، وَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى وَبَعْدَهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَقْصِدِ إِلَى الْخِلَافَةِ وَلَمْ يُرِدِ
الْإِمَامَةَ ، وَلَكِنَّهُ هُوَ الْوَزَارَةُ .

قُلْنَا : إِنَّ وَزَارَةَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى لَا بَدَّ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى هُوَ جَمْلُ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةٍ مَا يَتَّخِذُ
الْإِمَامُ وَزِيرًا وَالْمَلِكُ وَزِيرًا عَلَى مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثِّقَةِ .

أَوْ يَكُونَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةِ الْمُوَازَرَةِ وَالْكَاتِفَةِ وَالتَّعَاوُنِ ، عَلَى أَنْ
كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَزِيرُ صَاحِبِهِ وَمَعَاوُنُهُ وَمَكَاتِفُهُ ، إِذَا غَابَ عَنْ قَوْمِهِ
كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ ، لَا عَلَى أَنْ مُوسَى الْجَاهِلُ ذَلِكَ لَهُ .

وَلَا مَنْزِلَةَ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ
وَالْوِزَارَةِ ، لِأَنَّ نَبُوَّةَ هَارُونَ لَا تَكُونُ مِنْ قِبَلِ مُوسَى ، وَالنَّبُوَّةُ
لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ .

وَلَيْسَ بِخُلُقٍ قَوْلُ مُوسَى لِهَارُونَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » عَنْ ضَرَبَيْنِ :
١٠ إِمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ جَمْلُهُ خَلِيفَتَهُ عَلَى جِهَةِ الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثِّقَةِ بِهِ ،
وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا غَابَ عَنْ
قَوْمِهِ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ .

فَإِنْ كَانَتْ وَزَارَةُ هَارُونَ وَخِلَافَتُهُ لِمُوسَى إِمَّا كَانَتْ مَنْزِلَتَيْنِ أُتْرِلَ فِيهِمَا
مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ غَيْرُهُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
٢٠ عَلَيْهِ : « أَنْتَ مَتَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » فَكَأْتُمَا قَالَتْ : لَكَ خِلَافَتِي

ووزارتي^(١) ، فكيف يقول : إَلا أَنَّهُ لا نبيَّ بعدى . والنبوة منزلةٌ من الله لهارون وليست منزلةً لهارون من موسى . فإذا كان ذلك كذلك فكيف يستثنى الحكيم المرشد الشيء من [غير] شكله ١٩ وهل يكون بعض من غير كلّه ١٩ ؟

- وكيف يقول : قد جعلتك خليفتي ووزيراً ، إَلا أَنى لم أجعلك نبياً • مثلى ، ومنزلةُ النبوة ليست إليه كما كانت منزلةُ الخلافة والوزارة إليه . وإنما قوله : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » يريد به : إن لك منى مثل الذى كان لهارون من موسى ، وهو الخلافة والوزارة . فكيف يقول : « إَلا أَنَّهُ لا نبيَّ بعدى » فيستثنى ما لا يملكه ولا يجوز أن يملكه ، بما قد ملكه ويجوز أن يملكه مَنْ هو دونه من خلفائه ومن خلفاء خلفائه .

- أو يكون هارون كان وزيرَ موسى على جهة المُوَازرة والمعاونة ، وعلى أن يكون كلُّ واحدٍ منهما وزيرَ صاحبه وخليفته عند النُبوة وحضور الآخر ، ليس أَنَّهُ قد كان خليفةً ووزيراً . وإن كان ذلك كذلك فليست لهارون من موسى منزلةٌ من الوزارة والخلافة إَلا ولموسى من ١٥ هارون مثلها . وإذا كان ذلك كذلك فقد سارت خلافتُهما ووزارتُهما كنبوتُهما أو رسالتُهما . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وآله : أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، وليست لهارون من موسى منزلةٌ إَلا ولموسى مثلها من هارون ١٩ . وكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وآله ذلك لعلَّ ومنزلةً هارون من موسى منزلةً النبي من ٢٠

(١) فى الأصل : « فإنما قال ذلك خلافتي ووزارتي » .

النبي ، والشكل من الشكل ، والمثل من المثل ، وهي منزلة من الله كما أن نبوة موسى منزلة من الله ؟

وكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدى ، وسبيل النبوة سبيل منزلة هارون من موسى على ما حكيناه من التماون والتآزر ؟

وإذا كان هذا الحديث لو صح في أصله وأول مخرجه ، وسلم من الزيادة والنقصان وجاء بحجج الحجة ، لم يقدر القوم على أن يجعلوه دليلاً موجيباً وشاهداً صادقاً على^(١) خلافته وإمامته دون غيره ؟ فما ظنك به إن كان قد دخله من الخلل والضمف والاحتمال في الفساد ما يوجب تكذيبه ورده .

وأقل ما للمثانية في هذا الحديث أن يساؤوكم في تأويلكم ، وفي ذلك الخلاف بطلان حجتكم .

وقد زعم ناس من المثانية أن هذا الحديث باطل من أجل أنه لا يحتمل من التأويل إلا ما حكيت لك ، وأن النبي صلى الله عليه لا يعلن ولا يظهر غير ما يضمن ، ولا يتكلم بالفساد ، ولا يستكره الماني ، ولا يتكلم بالتقدم^(٢) ، ولا يضرب مثلاً ولا يشبه شيئاً بشيء إلا وذلك الشيء وفق ما قال ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

وجه آخر : أن هذا الحديث لم يرو إلا عن عامر بن سعد^(٣) . فواحدة إن عامر بن سعد هذا لو كان بالفقه والحديث والفضل معروفاً

(١) في الأصل : « وعلى » .

(٢) يقال عقد كلامه تقليداً : عوصه وحماه .

(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة توفي سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

وكان كأمثاله من بني الصحابة كعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن^(١) وغيرهم ، ما كان ليكون وحده حجة في تأخير أبي بكر عن مقامه ، فكيف وهو في غير سبيلهم وطريقهم . ولو سمعنا هذا الخبر من سعيد وحده ما كان إلا حجة على نفسه كالحجة على علي في روايته أن النبي صلى الله عليه قال في أبي بكر ٥
ومر : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة » .

وكيف يروى هذا سعد مع قوله في الإمامة : « ما أنا بقميصي هذا أحقّ متى بها » وهو يدعو علياً إلى الشورى والخلافة والمكانة بالمعنى ، ويقول : « أعيذوها شورى كما كانت » ، ويسبّ علياً بالاستبداد ، ويقول : « كنتُ سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه ، ١٠
ما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر ، ثمّ جاءني أعرابيٌّ يملأني دين الله ، ما أنا بقميصي هذا بأحقّ متى بها » .

وإنما نفّر بأنّه كان سابع سبعة على عليّ لأنّ علياً لم يكن فيهم عنده ، وكان إنّما حدّثاً صغيراً وإما على أمر غير ذلك .
وسعد من المشرة ، ومن السّعة ، ومن السّبعة^(٢) ، والمستجاب ١٥

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن موف ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كشيته . تهذيب التهذيب ١٢ : ١١٥ — ١١٨ .
(٢) أى المعصرة المبعثرين بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن موف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح . وقى شأنهم ألف أبو الطيب كتابه «الرياض النضرة» في مناقب المعصرة .
وأما السّعة فهم أهل الشورى ، الذين اختارهم عمر بعد أن طعن ليختاروا من بينهم رجلاً للخلافة ، وهم على ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن موف ، والزبير ، وطلحة . ثم ضم إليهم عبد الرحمن بن عمر سابقاً على ألا يكون له شيء من الأمر . الطبرى —

الدعوة . وقال له النبي صلى الله عليه : « ارمِ فِدَاكَ أبى وأمى » .
ومن كان لهذه الأمور مستحقاً لم يجمع بين طلب غايَةِ رجلٍ ومكاثرتِه
بالحاسن وهو مَقْرٌ أَنْ النبي صلى الله عليه عليه جعلَ خصمه منه بمنزلة
هارون من موسى ، إلّا أن يكون تأويلُ الحديث عند سعيدٍ وعند من
شهد سعيداً على غير معناكم .

وحديثُ عامرٍ على غير ما يروون ، وإنما قال : « أنت مَتَّى بمنزلة
هارون من موسى ، إلّا أنه ليس مِى نبيّ » ، هكذا رَوَّوه عن عامر
ابن سعيدٍ على غير معناكم .

وفي قول النبي صلى الله عليه : « هذا خالى أباهى به فليأت كلُّ
امرئٍ بخاله ^(١) » تفضيل له على كلِّ خالٍ فى الأرض ، وقد كان على خالٍ
جمدة بن هُبيرة . ولم يستثن أحداً .

فإن قالوا : الدليل على ماقلنا أن النبي صلى الله عليه لَمَّا آخَى بين
المهاجرين والأنصار آخَى بينه وبينه ، فلولاً أنه كان أشبهَ الناس به
هذياناً ، وعلماً وفضلاً ، لم يجعله عدلٌ نفسه دون غيره .

١٤ قيل لهم : أنتم ليس لكم علمٌ بالآثر ولا بالخبر . وكيف يعرف الآثار
والأخبار من يكفرُ الأسلاف ، ويبرأ من التابعين ، ويجحد كلَّ مالم

— ٣٤ : ٣٥ . وأما السبعة فهم السابقون إلى الإسلام من الرجال : زيد بن حارثة ،
وأبو بكر ، وعثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة .
الرياض النضرة ٢ : ٢٩٢ وعيون الأثر ١ : ٩٣ - ٩٥ .

٣٥ (١) يقول هذا فى شأن سعد بن أبى وقاص . الإصابة وصلة الصغوة ١ : ١٤٠ ،
والرياض النضرة ٢ : ٢٩٦ . قال أبو الطيب : « وكان سعد من بنى زهرة ، وأم النبي صلى
الله عليه وسلم من بنى زهرة ، فلذلك قال : خالى » .

يوافق هواه ، ويدعى ماوافق هواه وإن كان باطلا ، بل لا يرضى حتى يتفكر الزور ويولد الباطل .

- وليس شيء أيسر من أن يقول قائل : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 آخى بين أصحابه آخى بين نفسه وبين أبي بكر . ولكن الحق أحق
 ماخضع له واحتل ما فيه . وهذه الفقهاء وأصحاب الآثار عُرِضَتْ لكم ،
 فإن لم يقولوا إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار
 آخى بين عليٍّ وسهل بن حنيف فنحن أولى بمحمد المعروف منكم .
 وقد قال الله : « فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون »^(١) .
 وأنتم لستم^(٢) أصحاب آثاره ، فاسألوا أصحاب الآثار إن كنتم لا تعلمون ؛
 فإن ذلك أمرٌ مشهور لا خفاء به ، ولا دافع له ، أعنى المؤاخاة بين
 عليٍّ وسهل بن حنيف .

- ولتَقِ عليٌّ به استعمله على المدينة حين خرج عنها . ومن أجل
 سهل بن حنيف امتنع الزبير وطلحة أن يركبوا عثمان بن حنيف وإلى
 عليٍّ على البصرة بأكثر مما كانوا ركبوه به . ولذلك السبب صلى
 أبو أمامة بن سهل بن حنيف بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
 وعثمان محاصر ، لرأى عليٌّ كان في ذلك ، ولتلبته على الدار ، وأنه
 كان يطاع بأكثر من طاعة الزبير وطلحة وسعد .

ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين سهل بن حنيف الأنصاري
 كما كان آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت^(٣) . ولذلك قال

٢٠

(١) الآية ١٣ من سورة النحل .

(٢) في الأصل : « ليس » .

(٣) هو أخو حسان بن ثابت .

حَسَّانَ يَحَايِ دَوْتَهُ وَيَقْصُرُهُ بِالْكَلَامِ وَالشَّمْرِ ، وَيُظْهِرُ اللَّيْلَ عَلَى عَلِيٍّ
حِينَ قَالَ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ هَفَآنَا^(١)
لَنَسْمَعَنَّ وَشَيْكًا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُنَانَا
وَلَقَدْ قَالَ فِي كَلَامِهِ لَهُ وَهُوَ يَتَمَدَّدُ رَأْيَ عَلِيٍّ وَاخْتِيَارَهُ : تَكَلَّمْتُ أَمْ نَزَالَ
حَرْبُ لُقِي ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كِفَاحًا ، وَسَمِعْتُ أَمْ نَزَالَ رَأْيَ لُقِي ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
سَهْوًا . فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَشَمْرٍ كَثِيرٍ .

وَكَمَا أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسُلَيْمَانَ ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ عَوْفٍ وَسَمْدَ بْنَ الرَّبِيعِ ، وَبَيْنَ خُدَيْفَةَ وَهَمَّارٍ^(٢) ، وَبَيْنَ حَمْزَةَ وَزَيْدٍ^(٣) ،
١ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ

فَإِنْ قَالُوا : فَلَمَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ
عَلِيٍّ وَبَيْنَ سَهْلِ بْنِ خُثَيْفٍ ، وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ ، كَمَا كَانَ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلِ
الْمُهَاجِرِيِّ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضِهِمْ
فِي بَعْضٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ تَصِيرُ^(٤) الْمُوَاخَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اثْنَيْنِ :
١٤ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ .

قُلْنَا لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ^(٥) لَمْ نَجِدْ لِقَوْلِكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
أَخَى عَلِيًّا إِسْتِنَادًا يَشُقُّ بِهِ أَحْبَابُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَاءَ مَجِيءُ

(١) ديوان حسان ٤١٠ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر .

(٣) زيد بن حارثة . هيون الأثر ١ : ٢٠١ .

(٤) في الأصل : «صبر» .

(٥) في الأصل : «فلان» .

الحديث . ولو كان النبي عليه السلام حيث آخى بين المهاجرين ولم يرض
لعلّ إلا بنفسه لفضل على على غيره وأنه أشبه الأئمّة به وأقرّبهم حالاً
من حاله ، ثم آثر أن يؤاخى بينه وبين رجل من الأنصار كفضله بغيره
من المهاجرين - كان ينبغي له أن يؤاخى بينه وبين أفضل الأنصار ؛
إذ كان الذي يمنعه من أن يؤاخى بينه وبين بعض المهاجرين طلب
أفضلهم ، وكان ينبغي على هذا الذهاب أن يؤاخى بينه وبين سعد
بن مُعاذ .

فإن قالوا : سهل بن حنيف أفضل من سعد ومن سمّي الدّبر ومن
غسيل اللاتسكة ، ومن مكلم الدّيب^(١) ومن غيره ، لم يكن هذا منكراً
من مكابرتهم وجهلهم .

فإن قالوا : إنّه جائز أن يؤاخى بين غير الأشكال في الفضل ، وجائز
ألا يؤاخى بين التساويين والتفاريين .

قيل لهم : فلم أيضاً النبي صلى الله عليه لم يؤاخى بين نفسه وبين
على - إن كان آخاه كما زعم - من قبل تقارب الحال والمشاكلة
في الأفعال . ولم النبي صلى الله عليه لم يؤاخى علياً رأساً إذا أجاز ألا
يؤاخى بين الأشكال ، ولا يقارب بين الأمثال . وأدنى ما فيه أن يكون
ذلك قد كان جائزاً .

فإن زكوا هذا أجمع وقالوا : كيف يجوز أن يكون أبو بكر هو الإمام
وقد كان النبي صلى الله عليه جتّه في جيش أسامة ، وما زال يقول في شكاته :
« أنفذوا جيش أسامة » يُعيد ذلك ويكرّره ، إلى أن قبضه الله إلى جتّه .

قيل لهم : إن في أمر النبي صلى الله عليه له أن يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين . وعائشة وحفصة قد اعتوتنا^(١) ليصرفا ذلك إلى عمر ، ويقولان : إن أبا بكر رجل رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك .

وهو قد ودّع المسلمين في خطبته التي خطبها في شكانه حين قال : « إن عبداً من عباد الله خير الله بين الدنيا والآخرة فاحترار الآخرة » فبكى أبو بكر ، فحجبه الناس منه وقالوا^(٢) : قال رسول الله صلى الله عليه : إن عبداً من عباد الله ! قالوا : وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه . هكذا الخبر ثم جاء جبريل في شكائه فقال : يا محمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك . قال : ائذن له . فأذن له جبريل حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه عليه ثم قال : يا محمد ، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به ، فإن أمرتني قبضت نفسك قبضتها ، وإن كرهت ذلك تركتها . قالوا : فسمع النبي صلى الله عليه يقول : « الرقيق الأعلى » . فعلم أنه قد خیر صلى الله عليه .

ثم كان عند كل صلاة لا يجدها إفاقة يقول : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » ويقول : « أبي الله إلا أبا بكر » ، وفي قوله أبي الله أن يصلي إلا أبو بكر ، دليل أن ذلك من قبل الوحي . مع قوله لعائشة وحفصة حين أرادتا صرف ذلك إلى عمر : « أنتن صواحبات يوسف ، أبي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » بالنمط . فلو كان الخطب في ذلك صغيراً ما غلظ النبي صلى الله عليه لها ، ولا اشتد عليهما .

٢ (١) اعتوتنا ، مثل تماوتنا . وفي الأصل « اعتونا » .

(٢) في الأصل : « وقال » .

فإن قالوا : ومادعا عائشة إلى صرفِ هذا الأمرِ العظيم والمقام الشريف إلى عمر ؟

قيل : فإنه ليس عندنا في ذلك إلا ما اعتذرتُ هي به لنفسها ؛ فإنها قالت : إني والله ما أردتُ صرفَ ذلك على أني لم أعرفُ شره وخطره ، ولكني خفتُ أن يتشام المسلمون به ، وألاَّ يحبوا رجلاً قام مقامه أبداً .

فأما حديث الربيع بن صبيح^(١) عن الحسن فإنه زعم أنها قالت : خفتُ ألاَّ يطبقَ حلَّ الخلافة ، وظننتُ أنَّ الناسَ سيريدون منه مثلَ مانموذوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمتُ أن أحداً لا يكون كالنبي .
فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم جملة في جيش أسامة فقد استثناه حين^{١٠} اشتكى ، من جميع الجيش ، إذا استخلفه في مقامه ، وأتره بالصلاة لأُمته ؛ لأنَّ من صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده ومصلاه ، في أعياده وسائر أيامه ، فقد صلى بجميع الأمة ، وتأمر على جميع البرية .

وإنما أدخلنا فيها صلاة الجمعة والمدينة لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « أيُّ الله ورسوله إلاَّ أن يصلي أبو بكر » لم يستثن صلاة دون صلاة . فإذا كان الكلامُ عاماً والنبي صلى الله عليه وسلم على يقين من فراق الدنيا ، والوحي ينزل عليه ، فقد دخل في ذلك صلاة العيد والجمعة ؛ لأنَّ النبي يتكلم كلاماً عاماً^(٢) .

(١) يفتح الصاد وكسر الباء ، كما في حواشي تهذيب التهذيب .

(٢) بعده في الأصل : « وهو على يقين من فراق الدنيا والوحي ينزل عليه » .

وقد علم الله ورسوله أن الكلام المأم يتخذ الناس حجة فيها يدل عليه المأم .

وقد علم الله أن أبا بكر سيصلى بالناس في أعيادهم وسائر صلاتهم وأنه سيحتج في استحقاق أبي بكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أبي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » ؛ فكان ذلك دليلاً على أن الله قد أراد ذلك وأوجبه ، وعناه وأحبه .

فهذا دليل على أن أبا بكر لم يخالف أمر الله بتخلفه عن جيش أسامة إن كان أبو بكر ممن كان في ذلك الجيش قبل شكاة النبي صلى الله عليه وسلم وأمره له بالسلامة .

١٠ ووجه آخر يدل على ما قلنا . وهو أننا لم نجد أحداً من المسلمين ولا من الأنصار والهاجرين ذكروا عنه في ذلك الدهر حرفاً واحداً من ذكر تخلف أبي بكر ، لا عاباً زارياً ، ولا مستنهما مسترشداً ، ولا متعجباً نافقاً ، ولا مصوباً عاذراً ؛ ولم يذكر أحدٌ حديثاً - ضعف إسعاده أم قوي - أن أحداً احتج لأبي بكر ولا عليه (١) .

١٤ ولا يكون رجل في مثل نباهة أبي بكر وقدره ، وفي مثل نباهة ماسار إليه ، لأنه لا موضع أولى بشدة (٢) الحسد وكثرة الطعن منه ، وقد كان منه التخلف الذي لا يخفى موضعه ، مع تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم وشيئته على ذلك ، ثم لا يلجأ في تخلفه إلى حجة ولا أمر

(١) في الأصل : « علا عليه » .

(٢) بين هذه الكلمة وسابقتها بيان في الأصل بقدر كلمة واحدة .

من النبي صلى الله عليه وسلم ثم يطبق^(١) جميع الخلق في ذلك على السكوت والرضا والاستحسان أكثر مما صاروا إليه .

هذا وهو عبد مناف شهود^(٢) ، وخالد بن سعيد^(٣) قد ترك بيته ستة أشهر ، وقال : أرضيتهم مشرّ بى عبد مناف أن يكى عليكم رجلاً من تيم ؟ وقال أبو سفيان بن حرب مثل ذلك . وقالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير . وقد سمع أبو قحافة رجّة وهو بكه ، وهو مكفوف ، قال : ما هذا ؟ قالوا : مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما صنع الناس ؟ قالوا : أقاموا ابنك . قال : فرضيت بنو عبد مناف بذلك ؟ قالوا : نعم : قال : وبنو النيرة ؟ قالوا : ام . قال : فلا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع^(٤) .

١٠

وفي إطباق الجميع على السكوت عن التخلّف بيته ، مع قول خالد وأبي سفيان ، دليل على أنهم لو وجدوا غيرة أو خلافاً أو معصية لم يدعوا الاحتجاج به ، والخوض فيه . ولو كانت القبة قطعتمهم عن ذلك لقطعتمهم عن ذكر الطعن في إمامته ، كما قطعتمهم عن ذكر الطعن في تخلّفه .

١٥

وفي رضا أسامة وتسليمه وسكوته وقناعته حتى لا يحكى عنه في ذلك كلمة واحدة ، دليل على ما قلنا .

فإن قالوا : إن أسامة قد عرف صنيعه في تخلّفه ولكنه كان في نية منه ، لأنّ أبا بكر لم يكن هو الطاع في العوام ، والمقتنع

(١) في الأصل : « ثم يلجأ في يطبق »

(٢) خالد بن سعيد بن العاص .

(٣) في الأصل : « معطى » .

في الأسماء ، ما تقدم بنى عبد مناف وكان أسامة لا يستطيع أن يبدى
في دهر عمر من ذلك شيئاً ، لشدة عمر في تنظيم أبي بكر ؛ لأن
الطعن في أبي بكر راجع على عمر ، وإن رعية عمر رعية أبي بكر
و كذلك كان أسامة في دهر عثمان ، لأنه نسق واحد وسبيل واحدة .

فيل لهم : فما منه أن يتكلم في دهر علي ومع علي يومئذ مائة
ألف سيف يطليه . وهل عندكم في أسامة أكثر من أن تدعوا على
ضميره فيرد ما يدل عليه ظاهره عليه ١٩ وإن أولى الناس ألا يحتج
بأسامة لأنهم ؛ لأن أسامة هو الشاهد لطلحة على علي ، حين قال علي :
بأيمتني ونسكت ييمى . قال طلحة : « بأيمتك والهج على قفى » (١) .
١ واستشهد أسامة ، فقال أسامة : أما السيف على قفاه فلم أزه ولكن
بأيم وهو كاره . في أمور كثيرة تدل على أن أسامة كان عربياً ،
ليس هذا موضع ذكرها . فهذا هذا .

وفي إطباقهم جميعاً يدعوونه خليفة رسول الله من تلقاء أنفسهم ،
لا مكرهين ولا مقهورين ، لم يرفع عليهم سوط ولا شور (٢) سيف ،
١٠ ولا سمعوا وعيداً ، ولا رأوا لذلك أثراً ، ولا رأوا منه إمرة لمض
المشائر ، فيخافون أن يتقوى بهم عليهم ، مع كثرة التدد واختلاف
الأنساب وتفرق الأهواء ، و [في] الذي قبله ، دليل على ما قلنا ، وحجة
على الذي ادعينا .

(١) الحج : السيف . قال ابن سيده : وأظن أن السيف إنما سمي لما في هذا الحديث وحده .

٢ في ، أى قفى . ومى لغة مذبل ، يحملون ألف اللصوصية عند إضافته لياء ، ومنه قول
أبي ذؤيب :

سلبوا هوى وأعتقوا هواهم قهرموا ولكل جنب مصرع

أبى حوى . وانظر الطبرى : ١٧٤ : ٢٠٤ في حوادث سنة ٣٦ .

(٢) في الأصل : « ولا يهبر » .

ومما يُقَرَّب من قولنا قولُ النبي صلى الله عليه : « أَتَفْذُوا جَيْشَ
أسامة » . فقد يعلم المستدلُّ أنَّ النبي صلى الله عليه إنما قصد بذلك الأمر
في خاصته والمطاعين ، لأنَّ قوله : « أَتَفْذُوا » دليلٌ أنَّه قد كان هناك
مَنْ ينفذُ أمره ، وإليه قصد الأمر مُقْتَمِينَ^(١) غير ساطخين .

- ولو كان الأمرُ إنما كان لأسامة وأصحابه كان اللفظُ على غير هذا .
فإذا كان ذلك كذلك فَتَنَ أُولَى بَأْن يكون من المخاطبين المطاعين مِنْ
أبي بكر وخليفه^(٢) وصفيّه ، على ما كتبتُ لك في كتابي هذا ، مع أَنَا
لم نبلغه ولم نَسْتَفْصِه ، إِنَّمَا بالخوف مِنَّا والكراهة لِإِطَالَةِ الْكِتَابِ ، وَإِنَّمَا
بالتقصير مِنَّا في معرفة جميع محاسنه .

- ١٠ ووجه آخر : أَنَّكَ لو جَهِدْتَ أَنْ تَجِدَ لِحَدِيثِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ
كان في جيشِ أسامة أسلاً لم تَجِدْ ، وَإِنَّمَا أَنَّى حَامَةُ ذَلِكَ^(٣) مِنْ قَبْلِ
كَوْنِ عُمَرَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ ، لِأَنَّ عُمَرَ وَأَبَا هَبِيبَةَ^(٤) كَانَا مِنْ أَوَّلِي مَنْ
انْتَدَبَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ .

- وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ كَثِيراً مَا يَرَوْنَ عُمَرَ يَجْرِي مَعَ أَبِي بَكْرٍ غِلَطُوا فِي ذَلِكَ
فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، حَتَّى جَرَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِرَاقَ عُمَرَ يَوْمَ أَحَدَ ،
فَقَالَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ : وَفَرَّ يَوْمَ أَحَدٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وَمَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ
وَالْتَفَرُّ مِنَ الْمَاجِرِينَ فِي يَوْمِ أَحَدٍ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَطْمَسَ عَلَيْهِ جَاهِدُ .
وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ فِي جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَلْحَقُوا بِهِ أَبَا بَكْرٍ .

(١) مُقْتَمِينَ ، أَيْ رَاضِينَ . أَفْصَحُهُ الْعَمَلُ : « وَفِي الْأَسْلِ : « مُقْتَمِينَ » .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « وَخَالَهُ » .

(٣) فِي الْأَسْلِ : « حَامَهُ فِي ذَلِكَ » .

(٤) فِي الْأَسْلِ : « وَابْنُ عُمَرَ » . وَانْظُرْ عَيُونَ الْأَثَرِ ٢ : ٢٨١ وَابْتِغَاءُ الْأَصْحَاحِ ١ : ٣٧٧ .

فإنْ أَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ فَالْجَوَابُ عَلَى مَا قُلْنَا .
فإنْ قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكُمْ ، وَلَكِنْ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ؟

قلنا لهم : إنه ليس لأنه كان مأموراً بالصلاة فقط ، ولكنه صلى
بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً إِلَى أَنْ تَوَفَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَذَلِكَ
أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَدَأَ^(١) يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ اللَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ ،
وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَانْتَهَى عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَجَبٍ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ عِنْدَهُمْ .
وَزَمَّ أَصْحَابُ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ بِأَمْرِ بِإِلَاقَةِ
بِالْأَذَانِ ، فَإِذَا وَجَدَ إِفَاقَةً خَرَجَ يَصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَإِنْ اشْتَدَّ مَا بِهِ قَالَ :
« مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّي بِالنَّاسِ » ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ يَصَلِّيَانِ عَلَى
هَذِهِ الصِّفَةِ .

فإنْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِّيَ
و [أَدْعُوا^(٢)] أَنْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَاطِلٌ ، وَأَنَّ الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
كُلُّهَا لَمْ تَمْنَحِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى مَاتَ .

قِيلَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ هَذَا الَّذِي قُلْتُمُوهُ وَأَدْعَيْتُمُوهُ ، أَشَيْءٌ اسْتَخْرَجْتُمُوهُ
أَوْ سَمِعْتُمُوهُ ؟

فإنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا قُلْنَا لَهُمْ : فَأَتُوا بِفَقِيهٍ وَاحِدٍ أَوْ عَدَّةٍ يَقُولُ
كَأَقُولُونَ ، وَيَحْدِّثُ كَمَا تَزْعُمُونَ ، وَجَمِيعٌ مَا يُدَّعَى بَاطِلٌ .

(١) فِي عِيُونِ الْأَثَرِ ٢: ٢٨١ : « فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَجْهَهُ لِحِمٍّ وَصَدَحَ » .

(٢) يُمَثِّلُ هَذِهِ التَّكْمِلَةَ يَتِمُّ الْقَوْلُ .

وإن كَانَ إِذَا اعترضوا المحدثين والناقلين لم يجدوا أحداً إلاّ وهو يُخبر بما قلنا فالحقُّ أحقُّ أن يتبع . ولا يجوز أن يقولوا : إنّنا استخرجنا معرفة هذا المعنى ؛ لأنّ الاستخراج لا يكون إلاّ من عيانٍ أو خبر . أو ليس قد كان النبيّ موضوعاً على سريره حين زاعت الشمس يوم الاثنين إلى حين زاعت من يوم الثلاثاء ، يصليّ الناسُ عليه وهو على شفير قبره^(١) وأبو بكر يصليّ بالناس ؟ !

فإنّ أتوا بحديثٍ واحدٍ أنّه صلى بالناس في غير ذلك الوقت غير أبي بكرٍ فالقول كما قالوا . وإنّ أتوا بحديثٍ واحدٍ أنّه صلى بالناس غير أبي بكرٍ أوّل صلاةٍ سلاها المسلمون [حين] اختلفوا في تأمير الأمراء واستخلاف الخلفاء عليهم ، كما قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير^{١٠} فالقول كما قالوا .

وهل يستطيعون أن يزعموا أنهم قالوا : منّا مصلٍّ ومنكم مصلٍّ . والمجيب^(٢) كيف لم يقولوا : إنّ عليّاً لم يزل هو المصلّي بالناس ، والأُمُور بالصلاة ، فقُصِبَ حقُّه وظلم مقامه ؟ !^{١٥}

وكيف يجوز أن يحمي رجلٌ من أرضه وسمائه من غير نسب ولا سبب ، حتّى ينفذ من أشرف المقامات ، بحضرة القرائة والعشيرة ، من عمِّ وابن عم ، وقريبٍ ونسيب ، ورجلة المهاجرين والأنصار ، والعطاء وعلية قريش ، ودَهَاء العرب ، ثمّ لا يتكلّم في ذلك رجلٌ واحد ؟ ! فإِنَّمَا

(١) في [مطاع الإسماع ١: ٥٥٦] : « فصل عليه وسريره على شفير قبره » .

(٢) في الأصل : « واجب » .

يقول هذا من لا يعرف قَدَرَ ذلك المقام في الصدور، وكيف طبائمه قريش وأنفه العرب .

فإن قالوا : كيف يكون أبو بكر إماماً ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به ؟ ! وقد قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وقال سلمان : « كَرْدَاذُ وَنَكْرَدَاذُ^(١) » . وقال خالد بن سميد : أرضيتم معشر بني عبد مناف هذا . وقال أبو سفيان بن حرب مثل مقالته ، وخرج الزبير بسيفه شاداً^(٢) ، فلما رآه عمر قال : دُونَكُمْ السَّكْب . وجلس على [في] منزله واعتلَّ بأنه آتَى آلَ يَرْحَ حَتَّى يجمع القرآن .

قيل لهم : ليس الأمر على ما تقولون . ولو كان الأمر على ما تقولون ما كان خلاف هؤلاء ناقضاً لأمره ، لأن الرجل إذا كان أفضل الناس وأكمله وأنفه للمسلمين وأردّه عليهم^(٣) ، فعملهم إقامته والتسليم له ، والرضا به ؛ لأن كل ما عدتْ لك من فضله هم كانوا أعلم به ، إذ كانوا يسافرون معاً ويُقيمون معاً ، وكانوا أغنى بمعرفة الخبير ، وأمرع إلى العلم به منا ومن أهل دهرنا .

ولو كان أبو بكر تنقِضُ إمامته ، وكان عليه اعتزال ذلك المقام ، بخلاف^(٤) رجلٍ أو رجلين أو ثلاثة ، كان أولى الناس بأن يكون له في الإمامة

(١) كلمتان فارسيتان معناهما « صنعتم ولم تصنعوا » . كرداد بمعنى التشديد والتأسيس وإقامة العزم . والنون علامة لثني في الفارسية . انظر ماسيني في الكلام ص ١٧٩ وكذا معجم استنباط ص ١٠٢٢ .

(٢) في الأصل : « شاد » . وفي الطبري ٣ : ١٩٨ : « مصلاً بالسيف » : ١

(٣) أي أكرمهم بها . وفي اللسان : « هذا الأمر أرد عليه ، أي أرفع له » .

(٤) في الأصل : « خلاف » . وانظر ماسيني في صفحة ١٧٧ .

سببٌ ولاحقٌ ومتعلقٌ على "بَنِ أَبِي طَالِبٍ" ، لِأَنَّ^(١) سَمَدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ
كَانَ أَحَدَ الشُّوَرَى وَأَحَدَ الْأَكْفَاءِ ، وَقَدْ أَبَاهُ ، وَقَالَ قَوْلًا آيَنَ مِنْ قَوْلِ خَالِدٍ
وَأَبِي سُوَيْيَانَ وَسَلْمَانَ ، قَالَ : « مَا أَنَا بِقَمِيصِي هَذَا أَحَقُّ مَعِّي بِهَا ، أُعِيدُوهَا
شُورَى ، أُمَّا بِالسَّيْفِ فَلَا أُرِيدُهَا » . وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ عَلَى بَيْتِهِ :
« نَكَلْتُ أَمْ لَمْ تَكُنْ لِي ، لَئِنْ كُنْتُ سَادِسَ سِتَّةٍ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَزَقُّ الْبَشَامِ ، »
وَقَدْ جَاءَنِي أَهْرَابُ الْأَوْسِ تَعْلَمُنِي دِينَ اللَّهِ ۚ ۱۹ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ^(٢) .

وَخَالِفُهُ طَلْحَةُ وَالْزُّبَيْرُ وَهِيَ شَرِيكَاهُ ، وَأَحَدُهُمَا فَارَسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْآخِرُ وَقَاتِيهِ ، فَقَالَ عَلَى : « بَايَمَتَانِي ؟ » قَالَ : الزُّبَيْرُ : « مَا بَايَمْتُكَ قَطُّ ، إِنْ
كُنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّكَ أَوْلَى بِهَا فَاجْتَلِهَا شُورَى ، يَمِمْهُ وَحَقُّ دَعْوَاكَ
مِنْ بَاطِلِهِ^(٣) . »

١٠

وَقَالَ طَلْحَةُ : « بَايَمْتُ وَأُلْجِجْتُ عَلَى قَفِي^(٤) » حِينَ رَفَى^(٥) إِلَيْهِ الْمَسَاكِرَ
وَطَلَمَتِ عَلَيْهِ هَائِلَةٌ وَاسْتَحَلَّتْ عِمَارَتَهُ . ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ أَهْلُ الشَّامِ
قَاطِبَةً فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ ، وَكُتُبُ بْنُ مَرْثَدٍ الْبَهْرِيُّ^(٦) ، وَكَانَ مِنْ فَضْلِهِ
أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ : « سَتَكُونُ فِتْنَةٌ هَذَا فِيهَا يَوْمُئِذٍ عَلَى الْحَقِّ » ، وَأَوَّمَا إِلَى رَجُلٍ مَقْنَعٍ ،
فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَإِذَا هُوَ عُمَانٌ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانٌ وَهُوَ يَكْفُ عَنْ الْقِتَالِ
اسْتَنْصَرَ ، فَكَانَ يَحْدِثُ هَذَا الْحَدِيثَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَئِنْ » .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٥٩ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٤) انْظُرْ مَا مَضَى فِي ص ١٦٨ .

(٥) كَتَبْتُ فِي الْأَصْلِ : « وَفَا » .

(٦) الْإِسَابَةُ ٧٤٢٨ .

٣٠

ومنها وائلة بن الأسقع اللّيثي ، وله صحبة ونُسك^(١) ، والثّمّان بن بشير ، ومُسلمة بن مخلد ، وجبيب بن مسلمة ، وذو الكَلّاح ، ومُماوية ابن حُدّيج^(٢) .

ومن التابعين أبو مسلم الخولاني ، وشُرّحيل بن السمط ، وعمر بن وائد الغامدي^(٣) الذي قال [فيه] مكحول : كأنّه قد مات ودخل النار وحُوسب^(٤) ثم رُدَّ إلى الدنيا ، فعه خوف المجرب .

ثم خالف عليه خاصّة إخوانه ونُسك أصحابه ، وأهل البصائر من جُنده وحدث^(٥) حتّى أكَفَرُوا وخلصوا^(٦) إمامته وولايته .

وفيه مع نسكهم ورجلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم فردة بن نوفل الأشجعي ، وخرقوص بن زهير . وفيهم من التابعين مثل رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن حصن الطائي^(٧) .

ولقد دعا محمد بن مسلمة إلى عونه ، واعترض أخذًا بسيفه ، ثم كسره وقال : أضربُ المسلمين بسيفٍ ضربتُ به الكافرين ؟ !

١٤ (١) الإصابة ٩٠٨٨ وصفة الصفوة ١: ٢٨٠ . والأسقع بالفتح .

(٢) الإصابة ٨٠٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١١٥ .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأصل في نهاية هذه الفقرة .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) في الأصل : « وخلصوا » . ٢٠

(٧) الإصابة ٢٨٨٧ وذكر أنه كان عامل عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : « وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في ذلك الزمان إلا الصحابة » . ولم يذكره بذلك في تهذيب التهذيب

فدعا زيد بن ثابت إلى عونه فأبى وقال : أنت والله تعلم أن لو شحنا أسدناه^(١) لأقمته كفى دُونك ؟ فأما أن أعرب بسني لأؤكد لك مُلكاً فلا .

ودعا عبد الله بن عمر فقال حين أرادته على بيئته : إني لن أنزع يدي من جامع وأصمتها في فرقة . وكذلك قال حين قيل له بعد ذلك :
 لا يايمت أخاك عبد الله بن الزبير . قال : إن أخي وضع يده في فرقة ، وإني لن أنزع يدي من جامع وأصمتها في فرقة .

وطعن عليه سمع بن زيد بن عمرو بن نفيل وعلى طلحة وقال : « فتنة سمياء يخبط أهلها » . قال طلحة : ابن عمك كان أعلم بى وبك حين جملنى فى الشورى وأخرجك منها . قال : إن ابن عمى خاك وأمنى . ١٥

ودعا^(٢) إلى بيئته وعونه أسامة بن زيد فقال : إني إذن لفتون ا وأسامه هو الذى كان طلحة استشهده على قوله : « قد بايعت واللحج على قفى » فستل أسامة عن ذلك ، فكلّمه طلحة بكلام غليظ .

وقول صهيب أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، كل هؤلاء السبعة [ما منهم] إلا من شهد بدرأ . ١٥

وزعم ابن سيرين والشعبي أنهما قالا : وقعت الفتنة بالدينة وأصحاب النبى صلى الله عليه أكثر من عشرة آلاف ، فقال : فما يدّون من خف فيها عشرين رجلا . فسميًا حرب على وطلحة والزبير وصيفين فتنة .

(١) شحناه يشعوه ويشعاه : فتحه .

(٢) فى الأصل : « ودعاك » .

(٣) يثلمها يثلم الكلام .

وكما قال الشعبي : من حدثك أنه شهد الجبل من شهد بداراً أكثر من أربعة نفر فسكذب به . كان عليّ وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية .

وقد تعلمون أنه لم يكن في الأرض عتاني إلا تعلمون أنه منكرو لإمامته . وهم أكثر عدداً وأكثرهم فقياً وعدناً . ولقد كان الرجل من أصحاب الآثار يُظنُّ به التشيع فيترك ويضعف ويُتهم عند أهل العلم ، حتى أنه كان يطلوه ويستره أكثر مما يسرُّ السوء يكون بجلده .

فلو كان الفاضل الكامل فتنقضُ إمامته وتفسدُ عدائته من قبل خلاف أربعة أو خمسة ، لما كان في الأرض أشدُّ انتقاماً من إمامة علي .

١٠ وأما قولكم : إن الأنصار قالت لقريش والمهاجرين : منّا أميرٌ ومنكم أمير ! فهذا إلى أن يكون حجةً عليكم أقرب ، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله لو كان أقامَ عليّاً وجعله خليفةً ووصياً ونصَّ على ذلك بغدير خمٍّ ، أو في بعض المنازى ، ما كان بلغ من حرّهم^(١) وعُنودهم أن يقولوا هذا الكلام والإمام قائم الحجة ، معروف السكان .

١١ وكيف حاز أن يُلغوا ذكره حتى لا يذكرونه في شيء من مخاطباتهم ومناظراتهم ، إلا والقوم لم يكن عندهم فيه عهد ولا سبب . فهذه حجة قاطمة .

وأخرى : الذي رأينا من قلة مبالاهم من أقاته المهاجرون كائناً من كان ؛ لأنَّ قولهم : منّا أمير ومنكم أمير ، قول قوم كأنهم قالوا :

لا بدّ لنا معشر الأنصار من أميرٍ على حال ، وأنتم بَمَدُّ أَعْلَمُ بِشَأْنِكُمْ فَأُثَرُوا عَلَيْكُمْ مَنْ بَدَأَ لَكُمْ . وليس في هذا طعنٌ على خاصّة أبي بكر ، كما أنّه ليس فيه تأكيدٌ لإمامته دون غيره .

وهذا قولٌ كان من نفرٍ من الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، قبل أن يقومَ فيهم أبو بكرٍ خطيباً وواعظاً ، ومبيناً ومحتجاً . فلا يستطيع أحدٌ أن يقول : إنّ أحداً منهم ردّ على أبي بكرٍ خاصّةً كلمةً واحدة . فليس في قولهم : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، خلافٌ على أبي بكرٍ ؛ وإن كان خلافاً فإنّنا هو على الجميع .

وإن كان هذا الكلامُ منهم حجةً ما كان إلّا على مَنْ زعم أن الإمامة غير واجبة ، أمّا على مَنْ زعمَ أنّها لأبي بكرٍ دونَ عليٍّ فإنّها غير لازمة .

ولعمري لو كان القوم حيث قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ قالوا : ولا يكون أميركم إلّا عليٌّ أو فلانٌ أو فلانٌ ، أو قالوا : الرأى لكم أنْ نجعلوا أميركم عليّاً أو فلاناً أو فلاناً ، كان في ذلك مايتعلق به متعلق ، ويشعّب به شاغب . وهذا مالا يحتاج به طالع ، لأنّ الحجة فيها للرافضة أوّلاً ، وعليها أوكد .

أمّا قولهم أن سلمان قال ما قال^(١) ، فإنّا سلمان رجلٌ من مَرْضِ المسلمين ، لا يصلح أن يكون خليفة ، ولا يجوز أن يكون في الشورى ومع الأكفاء ، فتنقّضَ به مريّة أو تبرّم به ؛ لأسباب :

منها أنه ليس من المهاجرين ، ولا ممن شهد بدرًا ولا أحدًا ، ولا لقى في الله مالتى نظراؤه عند الناس كبلالٍ وصُبيب ، وخَبَّابٍ وعمار ؛ ولا كان من الذين آوَوْا ونَصَرُوا ، وذُكروا في القرآن وقدَّموا .

وكان حديث الإسلام قليل المشاهد ، وإنما أَسْلَمَ حين انحسرت الشدة وانكشف عنهم معظم الكربة ، ولكنه كان من الصالحين ومن الفضلاء المخلصين ؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وجها ، وعند خلفائه مقربًا . وقد قال النبي فيه قولاً حسناً ، ولكنه ليس من الأكفاء في الإمامة وموضع الثوري والخلافة ، فيكون قوله حجةً تَنَقِّصُ به الإمامة ، وطعنه عليه يصرف الخلافه .

ثم آخر : أنا قد وجدناه وليَ لعمرو بن الخطاب على الدائن ، يُقيم له الحدود ويحبس له المتراج ، ويدعو له على المدبر ، ويؤكد له خلافته ، وينفذ أمره ، مطيعاً غير مكره ، وغُضِّلَ غير مقصور ، فولايته لعمرو دليلٌ على تصويب أبي بكر ، ومطيعٌ لعمرو أذعنُ لأبي بكر ، ومعظمُ عمر أشدُّ تعظيماً لأبي بكر .

١ ولقد كان يخرج آذِنُ عمر والناسُ يبابه فيجمله في الفوج الأول . حتى روى عن أبي سفيان بن حربٍ وشهيل بن عمرو في ذلك كلامٌ مشهور : من ذلك أنهم كانوا يباب عمر في جيلةٍ من قريش والعرب ، مثل عيينة بن حصنٍ وغيره ، إذ خرج آذِنُ عمرَ فقال : أين بلال ؟ أين سلمان ؟ أين صُبيب ؟ أين تَمَار ؟ ادخلوا . فتفترت وجوههم واستبان الخرجُ فيهم ، فأقبلَ عليهم سهيلُ بن عمرو واعظاً ، ومُعرِّباً^(١) ومذكراً ،

فقال : دُعُوا وَدُعِينَا ، فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، [وَلْتَن حَسَدْتُمُوم^(١)] عَلَى يَابِ
عَمْرٍَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمَ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ مِثْلُ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْذَنُ لِسُلْمَانَ قَبْلَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ
وَسُهَيْلِ بْنِ مَعْرُورٍ ، وَيُوَلِّيهِ بِلَادَ كَسْرَى وَآلَ كَسْرَى ، وَسُلْمَانَ عِنْدَهُ
ظُلَيْنٌ فِي بَيْمَةِ أَبِي بَكْرٍ وَنَاقِمٌ عَلَيْهِ .

٥

وَقَدْ بَارَكَ عَمْرُؤُا بِكَرٍ^(٢) ، فِي خَالِدِ بْنِ سَمِيدٍ بْنِ النَّاصِ ، حِينَ
عَقَدَ لَهُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّامِ ، لِكَلِمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْمَةِ أَبِي بَكْرٍ ،
حَقَّقَ عِزَّهُ .

فَكَيْفَ يَحْتَمِلُ لِسُلْمَانَ الطَّمَنَ وَالْخِلَافَ ثُمَّ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا بِالْوِلَايَةِ
عَلَى بِلَادِ كَسْرَى ، وَسُلْمَانَ لَا يَجْرِي عِنْدَ مُعَمَّرٍ جَرَى خَالِدٍ وَلَا قَرِيبَا ١٩ .
فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سُلْمَانَ لَمْ يَقُلْ : « كَرْدَاذُ وَنَكْرَدَاذُ^(٣) » . وَإِنْ
كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَقًّا كَانَتْ تَرْجُمَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ : صَنَعْتُمْ وَلَمْ تَصْنَعُوا .
يَقُولُ : قَدْ أَقْتَمَ . فَاضْلًا مُجْزِيًا وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ .
وَأُخْرَى فَلَوْ كَانَ سُلْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ

(١) مَكَانَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَبَاهِي فِي الْأَسْلَ ، وَأَمْتُهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ فِي الْوَرَقَةِ ١٥
١٦٢ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ . وَجَاءَ فِي صَفَةِ الصَّفُورَةِ ١ : ٣٠٧ : « فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ
يَأْذَنُ لِهَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا ١٩ قَالَ سُهَيْلُ بْنُ مَعْرُورٍ — وَكَانَ رَجُلًا مَافِلًا —
أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنْ إِي وَاقَعُ لَدَى أَرَى الْقِيَّ فِي وَجْهِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دَعَى الْقَوْمَ
وَدَعِيَّتْ فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأُوا . فَكَيْفَ بَعَثَ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرَكْتُمْ ١٩ أَمَا وَاقَعُ لَنَا سَبْقُكُمْ
إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا تَرَوْنَ أَهْذًا عَلَيْكُمْ فَوَرَأَ مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الْقِيَّ كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ عَلَيْهِ » .
(٢) بَارَكَ : أَدَامَ لَهُ التَّعْرِيفَ وَالْكَرَامَةَ .
(٣) الْفُزْلُ مَا سَبَقَ س ١٧٢ .

استخلف علياً ونصبه إماماً وجمّله وصياً لم يقل : صنعتم ولم تصنعوا ،
إلاّ أنّ قوله « صنعتم » تثبيت لإمامته ، فكأنه قال : هو إمامٌ ، لو كان
غيره كان خيراً لكم منه . وليس على هذا بُعِيّ القول ^(١) .

ولو احتجّ بهذا القول الزيديةُ كان أشبهَ من أن يحتجّ به الطاعن
٥ في إمامة أبي بكرٍ حين قال : ارتدّ الناسُ كلّهم عن الإسلام يأنسكارم
إمامة عليٍّ ، والتسليم لمن أنكر ، ما خلا أربعة نفر : سلمان ، والمقداد ،
وأبو ذرٍّ ، وبلال . ثمّ زعموا أنّ حذيفة وعمّاراً تابا بعد عمر .

ولئن كان بلالٌ كما قالوا من الطعن والخلاف على أبي بكرٍ وعمر ،
لقد شاركهما حيثُ ولىّ لها دمشق ، لأنّ عمر كان ولىّ بلالاً دِمَشق ،
١٠ فكان أنفَذَ لأمره من أبي حبيدة .

وكيف يكون بلالٌ طاعناً على أبي بكرٍ وعمر حتّى قد شهِرَ بذلك
من بين الخلقِ وعمرُ يولّيه ، وقرّبه ويُدنيه ، ويقدمُ إذنه ، ويُلحق
عطائه بمطاء عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وسعد ، ويقول : « بلالٌ
سيدنا ومولّى سيدنا » ، ومرة يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » .

١٥ ولا يجوزُ هذا القول من عمر منّ يجوزُ طعن بلالٍ على أبي بكرٍ ،
إلاّ جاهلٌ بِعمر ، جاهلٌ بأمر السلطان ، وعزّ الخلاف .

فأمّا ذِكْرهم المقدادَ فما عَلِمنا ولا علِم أصحاب الآثارِ أنّه نطق
في خلافة أبي بكرٍ وفي قضاها ، وفي خلافة عليٍّ وتوكيدها ، بحرفٍ
قطّ ، ولا وقَفَ في ذلك موقفاً ، ولا قام في إنكاره [أ] وتثبيته مقاماً .
٢٠ وما ندرى : بأيّ سببٍ ادّعوه ؛ إلاّ أنّ يكونوا ذهبوا إلى إنّ عليّاً رحمةُ

(١) في الأصل : « القوم » .

الله عليه ربما كانت له الحاجةُ إلى النبي عليه السلام ، فيُكَبِّرُ النبي صلى الله عليه وسلم عن مواجهته بها ، فيكف ذلك المقداد .

من ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه في الرجل إذا دنا من المرأة فأمدى ولم يمسها ، فاستحيا على أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا من أجل ابنته ، فقدم المقداد فسأله ، فقال النبي عليه السلام : ٥ « يفسد ذكره وأثيبيته ويتوضأ » . وغير ذلك .

والأغلب علينا^(١) أن المقداد لم يزل مُتَنَكِّراً لعلّ ، لأن المقداد حين خطب ضبأه بنت الزبير بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بث النبي إليها علياً بذلك يخبرها ، وأنه قد رضيها لها ، فكره على ذلك فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : رأيتهَا كارهة . فأرسل النبي ١٠ إليها رسولاً فقال : أَوَلَمْ أُحِبَّ عَلِيّاً أَتَى قَدْ رَضِيتُ لِنَفْسِي بِمَا رَضِيَ بِهِ النَّبِيُّ ١١ ؟ فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يَا عَلِيُّ قُمْ فَانْظُرْ مَنْ مِنْ يَمِينِكَ وَمَنْ شِمَالِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ فَضْلٌ عَلَى أَسْوَدَ وَأَحْمَرَ^(٢) إِلَّا بِالْإِيمَانِ » . فهذا قد رُوِيَ ، والله أعلم .

وَلَمْ يُرَوَّ عَنْ الْمِقْدَادِ الطَّنُّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي خِلَافَتِهِ لِيُؤَكِّدَ بِذَلِكَ ١٥ لَعَلَّ شَيْئاً .

وأقل ما ينبغي للشكك أن يعرف فروق الأمور ؛ فإنه إذا عرف ذلك لم يتعلق من الأسباب إلا بأمتها . فأما تجريد الباطل وكثرة الدعوى بلا سبب ، فهذا جهد الماحز .

(١) لعلها « عندنا » .

(٢) الأسود والأحمر : العرب والجم .

ولزبما نملقوا بالسبب الضيف ، كالذي وجدوا لعمار بن ياسر من
عداوة عثمان ، وصنيع عثمان به ، فلما كان عثمان عِندهم في طريق عمر
وأبي بكر وفي حيزها جعلوا طعنَ عمار عليه طعنًا عليهما ، واحتجاجَ
عمارَ لعلَّ احتجاجًا عليهما .

ولو اجتهدت أن تصيبَ لعمارَ موقفًا واحدًا أو كلمة طاعةً على
أبي بكرٍ وعمر وعثمان ، فضلاً عليهما قبل إحداه ، وقبل أن يجرى
بينهما ما جرى ، ما قدرت عليه .

وهل كان لمر والي أنفذَ لطاعته من عمار ١١ ولقد رَفَعَ عليه
جريرٌ بن عبد الله ، فجمعَ بينهما طمعاً في ظهور حُجته ، والصرح من
نفسه^(١) ، فلما لم يجد ذلك عنده قال : ما عندنا خيرٌ لك يا أبا اليقظان .

ومن أجل ضعفِ عمارٍ في الولاية وقوةِ المنيرة حين شكاهما أهلُ
الكوفة قال مر : « أعضلَ بي^(٢) أهلُ الكوفة ، إن وليت عليهم تقيًا
شمقوه ، وإن وليت عليهم قويًا فجروه » .

فلذا كان عمارٌ يخطبُ على منبر الكوفة بهوكيد إمامة عمر ، ويأمر
الناسَ بطاعته ، ويقيم الحدود والأحكام بأمره ، ويفتح الفتوح بتأثيره ،
فيرى القتلَ والسبي وإحلالَ الفروج ، غيرَ مكرهٍ بوعيدٍ ولا مقصور
بإيقاع ، فأبى دليله أدلُّ مما حكيناه .

ولو أن طاعناً طعنَ في طاعةِ سهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ،
وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي مسعود البدرى ، لعلَّ ، هل كان عندكم

(١) الصريح : الفتح .

(٢) في الأصل : « أعضاني » ، رواه في اللسان (عضل ١٧٩) .

في دفع ذلك إلّا مثلُ ما عندنا من الدَّفْعِ عن طاعةِ سلمانَ وبِلَالٍ
وَعَمَّارٍ وأَقْلَ منه .

فأمّا أبو ذرٍّ فزعم أصحابُ الآثارِ أنّه كان يعظّمُ عمرَ بن الخطابِ تعظيماً
ما عظمه أحدٌ قطّ . فمن ذلك أنّ عمرَ صالحه يوماً فمصر^(١) يده وكان أيّداً ،
فصاح : يا قُفْلَ الفِئْتَةِ ! وَمَسَحَ مِنْ وَجْهِهِ العَرَقَ يَاطُنِ رَاحَتِهِ ، وعمرُ
موعوك وهو يقول : يَا بَنِي رُحَضَاؤِكَ^(٢) لَوْ قَدِ مِتَّ صَرْنَا هَكَذَا - وَشَبَّكَ
بَيْنَ أَصَابِهِ - أَوْ جَمَعْتَنِي أَوْ خَلَّاهُ وَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كَانَ هَذَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ » .
وقال عمرُ لِسَابِ : فَفَرَّ اللَّهُ لَكَ إِقَامَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : اسْتَغْفِرُنِي !
وهو حديثٌ فيه أمورٌ كثيرة .

ولو لم يجرِ عن أبي ذرٍّ من هذا قليل ولا كثير لكان حكمه الرِّضَا
والتَّسْلِيمَ ، إذ لم يَرِ مِنْهُ طَعْنٌ ، وَلَا رَأْيُنَا لَهُ مَتَوَعَّدًا .

ولو اعترضتم مائةً من أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُمْ كَانُوا
طَعْنَانِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُؤَكَّدِينَ لَخِلافَةِ عَلِيٍّ ، مَا كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ
حديثٍ قَائِمٍ ، وَلَا خَبَرٍ شَاهِدٍ ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّ حَكْمَ الْمَسِيكِ عَنِ الطَّعْنِ
وَالْخِلَافِ هُوَ الرِّضَا^(٣) وَالتَّسْلِيمُ .

ولقد ينبغى لنا ولكم أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي مَعْنَى كَلِمَةِ سَلْمَانَ^(٤) ، فَقَدْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَصْر » .

(٢) الرُّحَضَاءُ : الْفَرَقُ فِي إِثْرِ الْحَيِّ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَالرِّضَا »

(٤) الْفَطْرُ مَا مَضَى فِي س ١٧٧ .

أكثرتم فيها ، حيث قال صنعتم ولم تصنعوا ؛ ومعنى هذا الكلام : إنكم قد أقمتم مجزئاً وتركتم من هو أجزأ منه ، فيجب أن نعرف الخلل الذى لم يسدّه أبو بكر . . . (١) التى لم يملأها ، والموضع الذى عجز عنه ، ما هو ؟ وأى ضرب هو ؟ إلا أن امتحن بما لم يمتحن به أحد قبله ، ولا يمتحن به أحد بعده ، من قيامه فى مقام رسول الله صلى الله عليه ، فى عقب الذى تمرد السلون من طريقته ، وتمرقفوا من سيرته فى نفسه وفى أمته ، ثلاثاً وعشرين سنة - وهى السيرة التى لا تحتاج إلى الإخبار عن فضلها ، والإطباب فى تشريفها - فلم يُنادِر ولم ينحرف ولم يتغير ، ولم يؤزر (٢) ولم يصف .

١ وقد علمنا أن الذى عظم صغير ما كان من أمر عثمان ، وشنع عظيم ما كان منه من الضعف وغير ذلك ، الذى كان من إفراط جَلَوِ صر ، وشدة رأيه وشكيمته ، ويقظته وخشونته ، وثبات عزمه ، وسخيلته نفسه على مذهب صاحبيه قبله . ولذلك قال هو ملا (٣) : « ما قَعَلَ عثمان غير عمر » . فالفضل الذى بين النبي صلى الله عليه وأبي بكر أكبر وأظهر من فضل (٤) ما بين عمر وعثمان . ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : « ليس لله سِرٌّ أكتفُ ولا أسبغُ من سِتره على الصديق حين لم يتكشَفْ إذ قام يعقب النبي صلى الله عليه » .

وقد تملون أن لو كان النبي غائباً عن المدينة فى غزاة ، أو حجّة

(١) يباين بقدر كلة فى الأصل ، لها « فى الأمور » .

(٢) فى الأصل : « ولم يور » .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى الأصل : « وفصل » .

- وارتدت العربُ وانتقضت المهود ، وظهرَ النفاق وماج الناس ، فوثبَ رجلٌ من عُرُض أصحابه ، فلم يَزَلْ بِاللَّيْنِ والشَّدَّةِ ، والكفِّ والإقدام ، والبَطْشِ والحيلة ، حتَّى رَدَّه في نصابه ، وأعادَه كأحسنِ عادته يَبْذُلُ النَّفْسَ فَمَا دُونَهَا^(١) ، لقد كان صَنِيعاً عظيماً ، وفعلَ فعلاً كبيراً .
- فكَيْفَ برجلٌ قَامَ بأمر الإسلام وقد هُتِّكَتْ أَسْتَارُهُ ، وَهَطَّطَتْ أَطْلَانُهُ ، وَمَرَجَّتْ عَهْدُهُ^(٢) ، منفردٌ^(٣) بالرأى غير مستعينٍ عليه ، ولا مستوحشٍ^(٤) إلى غيره ، بل خالفه الجميعُ في صوابه^(٥) وما أوجَدَهُ الرأى ، ودلَّ عليه الظَّفرُ مِنْ عِزِّهِ ، وقد أبى إلَّا صرامةً وبصيرةً وثقةً ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم قد ماتَ غيرَ خَوْفٍ ولا متوقِّعٍ قدومه ، فردَّ أهلُ الرِّدَّةِ قاطبةً ما بين أهلِ الحيرة ، إلى شِعْرِ حُمان إلى أَقْصَى الْبَيْتِ ، وقع الذَّنْقُ بالمدينة وما حولها ، وقتل مُسَيْلَمَةُ واستفتح الجِمامة ، وأسرَ طُلَيْحَةَ ، ثُمَّ أَوْطَأَ خَيْلَهُ النَّشَامَ ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ ، وَمَنَعَ الْحَوْزَةَ ، وَوَطَأَ الْأَمْرَ ، وَقَتَلَ الْمَدَوِّ بِكُلِّ مَكَانٍ . ثُمَّ لَمْ يَسْتَأْذِنْ بِدِرْهِمٍ ، وَلَمْ يَكْنِزْ دِينَاراً ، وَلَمْ يَخْلُفْ دِرْهَمًا ، وَلَمْ يَتَفَكَّهْ بِفَنِيْمَةٍ ؛ وَجَمَلَ عِمَامَتَهُ حَرْدُودَةَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَلِذَلِكَ قَالَ صَرٌّ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ » .
- فَا الشَّيْءُ الَّذِي لَوْ كَانَ عَلَى هُوَ الْقِسْمُ بِهِ كَانَ أَجْزَأَ مِنْهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ . وَكَيْفَ يَكُونُ عَلَى أَجْزَأَ مِنْهُ وَلَمْ تُنْثَلِقِ الْفَتْوحُ إِلَّا فِي زَمَانِهِ ، وَلَمْ نَكُنِ الْفَتْحُ إِلَّا عَلَى رَأْسِهِ ، وَلَمْ تَخْرُجِ الْخَوَارِجُ إِلَّا عَلَيْهِ . وَهَذَا

(١) في الأصل : « فَمَا دُونَهَا » .

(٢) مرجت المهود : اختلطت وقال الوفاء بها .

(٣) في الأصل : « ومنفرد » .

(٤) كفنا في الأصل .

(٥) في الأصل : « وصوابه » .

باب^(١) الكلام فيه على عليّ ، ولكنّا إذا فعلنا ذلك فقد دخلنا في الذي عبنا .

مع أنّك لو مُطفت في الآفاق تطلب لكرّداذ ونكرّداذ^(٢) إسناداً^(٣) .
ولكنّا قد رويّا أنّ سلمان قال : « أصبتم الحقّ وأخطأتم المدين »
فنى أنّه إن كان قال هذا القولَ فإنّما ذهب إلى أنّ الأمر لو كان في
بيت النبي صلى الله عليه وعلى الثّوارث الأقرب فالأقرب ، كان أجدر
ألا يطمع فيه ذوّ بان العرب ودُهاة التّجمع ، على غابر الأيام ، وتناول الدّهود .
وسلمان رجلٌ فارسيّ ، وهذا كان شاهد كسرى ؛ فتوهم أنّ حكم
الكتاب والثّقة حكم تدير السرّ^(٤) والقاعين بالملك ؛ فإنّما تكلم على
عادة وترتيبه . ١

ولعمري لقد كان في قوم قد ساسوا النّاس سياسةً وربّهم ترتيماً ؛
يقطع عن الطمع في الملك بآيين^(٥) : لم يعملوا للصّانع أن يفتقل عن
صناعته إلى الكتابة ؛ ولم يعملوا للكتاب أن يفتقل من كتابته إلى القيادة ؛
ولم يعملوا لأبنائهم إلّا مثل ما كان لأبائهم ؛ ليمودوا النّاس عادة
يستوحشون معها إلى الخروج منها^(٦) . ١٤

وإنّما حسنَ هذا في مُلكهم إذ كان بالرّأى والنبّة ، ولم يكن لأهل

(١) كذا . وله « باب يكثر » أو « باب يتسع » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٧٢ .

(٣) في الكلام نفس ظاهر ، تقديره « ما قدرت عليه » أو نحوه .

(٤) السرّ : القائد والرئيس ، فارسيّته « سرّ » . وفي الأصل : « قدبر السر » .

(٥) الآيين : القانون ، كلمة فارسية .

(٦) إمّا يقال : استوحش عنه ومنه : لم يأنس به .

أمثل من التدبير والحكم ، لم يكن شأنهم الأخذ بالكتاب والسنة ؛ وسبيل الإمامة غير سبيل الملك .

فإن كان سلمان إلى هذا المعنى ذهب ، وإيأاه عني ، فإنما قوله حجة للعباسية لا للملوية .

وَسُتُخِرَ عَنْ مَقَالَةِ الْعَبَّاسِيَةِ وَوُجُوهِ احْتِجَاجِهِمْ بِمَدِّ فِرَاقِنَا مِنْ مَقَالَةِ الْمَنِيَانِيَةِ ، بِنَاقِيَةِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الاسْتِقْصَاءِ ، وَإِنْصَافِ الْبَعْضِ مِنْ بَعْضٍ ، لِتَكُونَ أَنْتَ الْخُتَارَ لِنَفْسِكَ بِمَقْلَكِ ، وَالْأَوَّلُ ظَاهِرَةٌ مَجْلِيَّةٌ لَدَيْنِكَ ؛ فَلَنْ أُعْجِزَكَ الْاِخْتِيَارَ الْأَرْجَحُ بِمَدِّ الْكَفَايَةِ إِنَّكَ مِنْ اسْتِبْطَاطِهِ وَتَخْلِيصِهِ أَعْجَزُ .

وقد ذكر هشيم ، عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : ١٠ قال سلمان حين بُويع : « أصبتم حين بايعتم وحيد الناس ، وأخطأتم حين عزلتموها عن أهل بيت نبيكم ، ولو وضعتوها فيهم لأكلهم رعداً » . وهذا حكم من سلمان أن أبابكر خير من علي ومن جميع الناس ، والناس على خير الناس أطلع منهم على من دونهم .

وأخرى : أن سلمان حين قال « كرداذ » كما زعمتم ، لو لم يكن ١٥ عندكم عظيم القدر نبيل الرأي ، قدوة عند الاختلاف ، لم تسمعوا قوله بهذا المكان ، حتى صار مثل طمعه وخلافه ، ينقض إمامة الأئمة ، وتتخذونه على خصائكم حجة .

وإن كان سلمان على ما قد وصفتم ، وبالمكان الذي وصفتم ، من ٢٠ الحكمة والبيان ، فما دعاه إلى أن يكلم العرب والأعراب بالفارسية ، وهو عربى اللسان فصيح الكلام ، وهو يعلم أنه لم يكن بمحضرة المدينة فرس ولا من يتكلم بالفارسية ولا من يفهمها . وهو إنما أراد الاحتجاج عليهم والإعذار إليهم ، وأن يقضى حق إمامة علي ويقوم بشأنه .

وقد ينبغي لمن بَلَغَ من صِدْقِ نَيْتِهِ وَفَرَطِ اجْتِنَاعِ لُبِّهِ^(١) وشدة عزيمته أن يتكَلَّمَ في دارِ التَّقِيَّةِ^(٢) لافي دارِ المَلَانِيَّةِ ، حتَّى خاطر بنفسه وبكلِّ شيءٍ يَهْوُلُهُ ، ومن شأنه أن يفهم الحجة ، ويوضح الموعظة ، ويُبَيِّنَ عن موضع اللَّظْلَمَةِ ، وإلا فمكوثه^(٣) أحسن من الفارسية .

وكيف فهمت معناه العربُ وهي لا تعرف^(٤) من الفارسية قليلاً ولا كثيراً ، ولم يكن للنبيِّ صلى الله عليه وآله ترجمانٌ يبرِّ عنه للفرس فيكون ذلك الترجمان كان حاضراً لكلامه ، فيفسِّر للناس معناه .

وكيف نقلت عنه الصَّحابة إلى التَّابِعِينَ وكلُّ مَنْ كان بمحضرة القوم حين يأمروا أبا بكرٍ لا يفهمون الفارسية ، ويكون سلمان حين نكَلَّمَ بها استرابوا عندها فسألوه عنها ففسَّرها . ولو كان ذلك كذلك لحكاه الذين نقلوا الحديث ، فكان ذلك أحبَّ إلى الروافض ، لأنهم إنما نقلوه ليمروا من كان الطاعن على أبي بكر . والطمُنُ كلما كثرت فيه المراجعة والمناقضة ، وطالَ سببُهُ ، وعُرفَ علمُهُ ، كان أدلَّ على الشهرة والاستفاضة ، وأنَّ الأمرَ كان حقاً معروفاً .

فواحدة أنَّ الأمر لو كان كذلك لكانت الروافضُ أسرع الناس إلى حكايته ، لتستشهدهُ على الدعوى ، ولتقوِّى به الحديث ، وتشدُّ به الحجة .

(١) الب : ما جل في قلب الرجل من الغفل . في الأصل : « د ه » .

(٢) بعد هذه الكلمة في الأصل ورقة بأكلها يبدو أنها نقلت إلى هذا الموضع من نهاية الكتاب فردتها إلى موضعها هناك منها عليه .

(٣) في الأصل : « د وإلا فسكوته » .

(٤) في الأصل : « د وهو لا يعرف » .

وثانية : أن النافلين أنفسهم كانوا سيحْكُونَهُ ، إذ كانوا إنا حَكُوا
 من الكلمة ليعرفوا أنه قد كان هناك خلاف ، ويدلونا على أن
 سلمان كان ممن خالف ، وممن له هذا القدر الرفيع الذي يُحتجُّ بخلافه .
 وأخرى : أن ذلك لو كان قاله سلمان ، وهو طعنٌ على أبي بكر ،
 كان مشهوراً عند عمر وعثمان ، وأبي عبيدة وسعد وعبد الرحمن ، وهؤلاء
 عندكم شيع أبي بكر . فكيف أطبقوا على ترك التكلم على سلمان والدار
 دارهم والحكم حكمهم ، ومعهم الرغبة والرهبة ، مع أن الجراءة^(١) على
 سلمان أيسر وأسلم مقبلة من الجراءة على أبي بكر . وقد أبطقت طاعته
 الأمة خلا أربعة نفر : أحدهم سلمان . وليس سلمان معروفاً بالنجدة
 وشدّة الشكيمة ، ولا وراثة ظهر يمينه ، فكيف لم يزجره عن ذلك
 زاجر ، ولم يدفعه عن ذلك دافع . ولم يناظره مناظر ، ولم يتعجب منه
 متعجب ، ولم يرفع ذلك رجل إلى أبي بكر كما رفعوا إليه قول خالد
 ابن سعيد .

فإن قلت : إن أبا بكر كان مدارياً يتسع صدره لأكثر من هذا
 كما اتسع صدره فلم يعاتب خالداً ولا أرادَه على يمينه . كيف سلم على حدة
 حكم^(٢) فأبى جدُّ عمر وحده وقلة احتماله ، واعتقاده لمثل هذا ١٩ وكيف
 [سلم] طلحة مع شدة باؤه^(٣) وصرامته .
 ولا نعلم شيئاً مما ادَّعَوْه أظهر باطلاً ، ولا أفسد معنى من قوله
 « كَرِداذ ونَكَرداذ » .

٢٠ (١) في الأصل : « الحرة » بالحاء ، في هذا الموضع ، وبالجيم في تاليه .
 (٢) كذا في الأصل .
 (٣) البأو : السكب ورفعة النفس .

وأما ما ذكرتم من ترك خالد بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر فإن الذين
 قلوا هذا هم الذين نقلوا أن خالداً يوم توفى النبي صلى الله عليه كان
 على صدقات اليمن ، فقدم بعد أن بايع الناس أبا بكر ، فلما دخل
 المدينة استقبله عثمان وعلي فقال لهما : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن
 يلى هذا الأمر عليكم غيركم ؟ فلم يذكر لنا أنهما رداً عليه قولاً ،
 ولا أظهرهما قبوله . ثم جلس عن يمينه لا يسأله ذاك أبو بكر
 ولا يدعو إليه ، فبينما هو كذلك إذ مر أبو بكر بدار خالد مُظْهِراً^(١)
 لبعض الأمر ، وخالد في داره ، فسلم عليه أبو بكر فقال له خالد : أتنبه
 أن أبابك ؟ قال : أحب أن تدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون . قال
 له خالد : موعدك العشية . فأتاه وهو على المنبر فبايعه .

ففى هذا وجوه من الكلام :

منه أن خالداً لم يطمئن في إمامة أبي بكر من جهة الجزء^(٢) والكفاية
 والكمال والفضل ، ولا من طريق ما تنسُد به الإمامة وتنتقض به الخلافة
 وإنما ذكر الحسب وطرائق^(٣) الجاهلية . وهذا الأمر إن كان مقصوداً في
 قوم^(٤) دون قوم ، فليس هو في بني عبد مناف طامة . وإن كان ليس
 [مقصوداً] في قوم ، وليس لقول خالد معنى ، فإن كان مقصوداً في
 عبد مناف للترتب أو للقرابة ، فالعباس أولى بذلك من علي وجميع
 عبد مناف .

(١) أمى في وقت الظهيرة .

(٢) الجزء : الكفاية والثناء . وفي الأصل : « الحرو » .

(٣) في الأصل : « طرئى » .

(٤) في الأصل : « فى قوم » .

ولو أراد علياً لم يقل : أَرْضَيْتُمْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ١؟ لَأَنَّ هَمَانَ وَعَلِيَّ
مَنَافِيَّانِ ، بل كان يقول : أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ الْعِتْرَةِ ، أو مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ
ومعشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . مع أَنَّهُ لو قال ذلك لكان للمُبَاسِ فِي ذَلِكَ
الْقَوْلِ مِنَ السَّبَبِ مَا لَيْسَ لِعَلِيٍّ ؛ لَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ صَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ
مَنْ رَهَطَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَنْ أَقْرَبَ النَّاسَ إِلَيْهِ ، إِلَى أَقْصَى ٥
بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، لَصَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى أَقْصَى بَنِي كَلَابٍ . فإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَتَيْمٌ وَعَبْدُ مَنَافٍ سَوَاءٌ .

وَمَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ كَانَ
إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْجُرْءِ (١) وَالْفَتَاءِ (٢) فَلَيْسَ لِدِرْكَرٍ عَبْدٍ مَنَافٍ مَعْنَى .
وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ لِأَفْضَلِ قَرِيشٍ كَانَتْ مَنَافٍ كَانَ فَلَمْ يَقُلْ خَالِدٌ شَيْئًا ، ١٠
وَلَيْسَ لِدِرْكَرٍ عَبْدٍ مَنَافٍ مَعْنَى .

وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا .

وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ لِرَجُلٍ بِعَيْنِهِ قَدْ نَصَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَلَيْهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسِيرَ بِالنَّصُوصِ ١٥
أَوْ بِالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ .

أَوْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ لَا يُصَاحِبُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوَرَاثَةِ . فَلِنْ كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ سَاحِبَ الْوَرَاثَةِ أَظْهَرَ أَمْرًا وَأَشْهَرَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحُرُوءُ » . وَالْمَنْظَرُ مَا سَبَقَ فِي ص ١٩٠ .

(٢) كَتَبْتُ فِي الْأَصْلِ : « الْفَتَى » .

موضماً من أن يحتاج إلى كلمة ليست بأن تدلّ عليه بأقرب منها من أن تدلّ على خالد نفسه .

ووجه آخر : أنه قصد بكلامه إلى عثمان وعلى جميعاً ، ليهزّهما معاً ؛ لأن هذا اللفظ الأغلب على ظاهره حبّ المصيبة ، والمحاماة على الأحساب ، وترك التّخاير بالأفعال ، والتفاضل بالجزء^(١) والكمال .

ولعلّه أراد عثمان دون عليّ ، أو لعله أراد نفسه والتذكير بها والتنبية عليها ؛ فإنّه كان أشرف من عثمان وأقدم إسلاماً منه ، وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان ذا قدر عظيم . وهو ابن أبي أحيحة^(٢) ، وكان أبو أحيحة إذا اهتمّ بمكّة لم يتمّ بها أحد ؛ لكباراً لقدّره ، وتقضياً لحاله^(٣) . ١٠

وكان عثمان لا يحال . . . سعيد بن العاصي .

وظاهر كلام خالد وقع على عبد مناف بمجلة ، وهو يرى أنه في السرّ منهم . فإنّ كنتم أردتم أن تُخبروا عن خلاف خالد على أبي بكر وجولسه عنه ، فلقد كان ذلك حتّى راجع من تلقاء نفسه ، وثاب إليه ١٥ طازبُ رأيه ، فأناب إلى خطّته ، ودخل في صالح ما دخل فيه غيره . وما كان تخلفه عن بيعته إلّا ريثما ذهبت عنه حميته ، وانجذاب عن . . . وتيقّظ من نومه .

(١) في الأصل : « وللفاضل بالحرو » .

(٢) أبو أحيحة سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس . الإصابة ٢١٦٣ .

(٣) مما يبعد ذلك ما أنشدته المبرد في الكامل ١٩٧ : ٢٠

أبو أحيحة من يتمّ محبته يضرب وإن كان ذا مال وذا عدد

وما ذلك بأعجب من اجتماع الأنصار وقوله للمهاجرين الأولين :
 « ميثاً أميرٌ ومنكم أميراً » والشار دارم ، والمهاجرون ضيفانهم وزولٌ
 فيهم ، وهم أولُ الناس والمددُ والمُلاحُ والرأى ، فكانوا مُجَلِّين^(١)
 جادّين مجدّين ، فإهو إلّا أن هجم عليه الصديقُ وقام فيهم مُرشداً
 وعتجاً [حتى] استبدلوا بالخلاف طاعة ، وبالصّحّة إطراقاً ، وبالأَنفَة •
 خضوعاً ، وبالطّيش حلماً ، وأنصتوا ممّا واستمعوا مما .

وكان السائلُ إنّما أراد ترميقنا أنّه كان من خالدهِ خلاف . فقد كان
 ذلك ثم رجع إلى نفسه وعرف موضع خطئه ، غير مرغوب ولا مرهوب .
 وإن كان إنّما أراد أن يجعل هذا وشبهه حُجةً على إمامة عليّ فليس
 لعلّ رحمة الله عليه في ذلك من الحجّة على إمامته قليلٌ ولا كثير ، ١٠
 إذ لم يذكره في شيء من أمورهم ، لا في يسير أمرهم ولا قسيده .
 ولو ذكره ما كان لذكرهم دليلٌ على أنّه أولى بالإمامة من أبي بكر ،
 مهما عددنا عليك من خصاله التي لا تبقى بها عليٌّ ولا غيره .
 وإنّما كان يكونُ هذا الإدخال حجة لو قلنا : إن أحداً لم يخالف
 أباً بكر . ١٥

ورضى الجميع وسكونهم وصوابهم^(٢) لم^(٣) يكن لينهاً أبداً ، حتّى لا ينطق
 أحدٌ بحرف واحدٍ لا جاهل ولا عالم ، ولا عصي ولا حاسد .
 وكيف يتفق إطباقهم على سكون واحد والناس من بين حاسد وراضٍ ،
 وعصيّ وتقيٍّ ، وحليمٍ وسخيف ، وغالطٍ ومصيب ، وعاقيل وأحقى ؟

٢٠

(١) التجليل : الصّعب والتصويت

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) كذا في الأصل .

وإذا كان النبي صلى الله عليه مع رجائه على جميع الخلق لم يَسَلِّمْ
على أمته [من] المستجيبين له ، فضلاً على جاحديه والناكثين له ،
كان أبو بكر أجدَرُ ألا يَسَلِّمْ من رعيته .

ولقد قامَ رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه فقال : والله يا محمد ما عدلتَ
في الرعيّة ، ولا قسمتَ بالسوية . وقال الله : « ومنهم من يَلِيزُكَ في
الصدقات^(١) » وقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ^(٢) » .
وقال عباسُ بن مرداس :

أَتَجْمَلُ نَفْسِي وَنَهَبَ الشَّيْخَ بَيْنَ هَيْئَةٍ وَالْأُفْرَعِ^(٣)
فَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي الْمَجْمَعِ

١٠ في شعر له طويل .

وقال أبو حذيفة بن عتبة^(٤) يوم بدر : يقتل أبناءنا وأعمامنا وبنهانا
من عشيرة^(٥) ، والله لئن أدركته لأججته بالسيف !

وخالفوا عليه في يوم الحديبية في نَحَرِ الْهَدْيِ ، وحيث قالوا :
« لَا نُعْطِي الْفَتْيَةَ حَرَّةً بَعْدَ حَرَّةٍ » ، في أمور كثيرة .

١١ فليس في طعن الطاعن دلالةٌ إذا كان الملعون عليه كاملاً فاضلاً .

(١) الآية ٥٨ من سورة التوبة . وانظر تفسير أبي حيان : . . .

(٢) الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٣) انظر الخزاعة ١ : ٧٣ . والعبيد : اسم فرس العباس . هينة بن حصن النزارى .
والأفراع بن حابس الجاشي التميمي . أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بئر وكان
من المؤلفة قلوبهم ، وأعطى عباس بن مرداس أبا هريرة فسطحها .

(٤) الإصابة ٢٦٣ من باب السكنى ، والسيرة في مواضع كثيرة . وفي الأصل : « وعيه » .

(٥) في الأصل « عشيره » !

وإجماع الناس كلهم على الصواب أمرٌ لا يقال ، ولكن إذا كانت الأمة قد أُطبقتْ على طاعة رجل على غير الرغبة والرهبة ، ثم لم يكن اغتراراً ولا إغفالاً ؛ فليس في شذوذ رجل ولا رجلين دلالةٌ على انتفاض أمره ، وفساد شأنه .

- و ليس محتجٌ بهذا وشبهه إلا رجلٌ جاهل بطبائع الناس وعالهم . ٥
ولو كان هذا وشبهه ناقضاً لإمامة أبي بكر ، كانت إمامةٌ على أُنقضٍ وأفسد ؛ لأنَّ الدنيا انكفتْ بأهلها عليه^(١) وماجتْ بساكنيها ... من ولايته ، وتداعت من أقطارها ، تريد عمارته ، حتى لقد نازعه فيها من ليس في مثل حاله ولا شرفٍ موضعه ؛ ولا في فضيلة دينه فناهضه الحرب ، ونازله القتال ... ييمته ، والتج^(٢) عليه الخلفاء من أهل ١٠ طاعته ، وموضع الجدِّ في عسكره ، فردَّ بأسه في أصحابه ، وصرف كيده إلى جسده ، وجلس خلى الذرع ، رضى البال ، [في] عجب الفاتن وسرور المخادع ، وعزَّ المصيب ، وبأو الأريب^(٣) . ثم بعث رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ وبعث خصمه رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ فكان رسوله المندوع ورسولُ خصمه المخادع ؛ ثم رجعت الأمور إلى ١٥ خصمه ، وانثرت منه ومن ولده مرةً بالبطش ، ومرةً بالهيلة .

ثم كان يَرى من خلاف أصحابه واضطراب جنده وتبديل أصحابه مثل ما يرى خصمه من طاعة خاصته ، ونصرة جنده ، وثبات عهد أصحابه ؛ فلم يكن ذلك عاراً عندنا ولا عندكم على على ، ولا دليلاً على قصص رأيه ،

(١) في الأصل : « على » .

(٢) التج : اخط . في الأصل « والبع » .

(٣) البأو : الكبر والنفور .

وضمف حَزْمُه ، وَسَمَّةُ علمه وكثرة فضله . وقد أصابه من الخلاف والتنذر
واقتشار الأمر ، واضطراب الحبل ، وظفر الأعداء وشماتة الحساد ،
ما قد رأيتم ؟ ثم قد جثم تشبثون بطن سلمان ، وقول أبي سفيان ،
وعمود خالد ، كأنكم لم تعرفوا ما عند خصومكم ؛ فرارة ونقصا .

• وأعجب من هذا أنكم مرة زعمون أن الذي حتمل بنى أمية على صرف
الإمامة عن عليّ الضغن الذي في نفوسها ، والأحقاد التي في صدورها ،
لقتل عليّ أبناءها وإخوتها وأمهاتها . ومرة تمتلون وتحتجون في نقض
إمامة أبي بكر بطن عظيمي بنى أمية في إمامته كمل ؛ كخالد بن سعيد ،
وأبي سفيان بن حرب . وإذا شتم كانا لكم ، وإذا شتم كانا عليكم .

١٠ وأما ما ذكرتم من قول أبي بكر : « ما كانت يميني إلا فلتة » ،
وقول عمر : « ما كانت يميني أبي بكر إلا فلتة وفي الله شرها » فإن
الأمر على هذا واضح ، والحجة فيه قاعة .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفى كان الناس على طبقات :
من رجل مؤمن عالم ، ناسح لله ورسوله .

١٥ ومن رجل مطاع ليس له علم بالإمامة ، وما السبب الذي به تنمقد
من السبب الذي به تنحل .

ومن رجل مكانه في قريش أشرف من مكان أبي بكر ، وليست
غايتة صلاح المسلمين ، إنما غايته أن يكون الإمام من أقرب القبائل إليه ،
ليزداد هو وقومه بذلك شرقا وغربا .

٢٠ ومن رجل له قرابة فهو يرى أنها تفنيه عن العلم والعمل .
ومن رجل شديد في بأسه ، ضيف في دينه ، مخفي في ذات يده

ببعدِ المهمة حامل في هدوء الناس وأمنهم ، فهو لا يألو إضرارَ الفتننة ،
وتبهيح السُّفلة ، يرى أنَّ في الميَّسج ظهورَ نَجْدَةٍ ، وخروجَه من الخمول
إلى القُبَّاحة ، ومن الإقلال إلى الإكثار .

ومن رجله دخل في الإسلام مع مَنْ دخل في دين الله ، دخل من
الأفواج ، لا يعرف حقيقته ، ولا يستريح به إلى الثقة .

ومن رجله أخافه السَّيْف ، وأنقى الدُّلَّ والقتلَ بإسلامه ونفاقه ،
كنافى المدينة ومَنْ حولها من أهل القرى والبادية ، يَمْضُونَ على المسلمين
الأنامل بالفيظ ، وهم البِطَانَةُ لا يَأْلُونَ خِبالاً ، يترقبون الدوائر ،
وينفرون إلى الأراجيف ، ويستريحون إلى الأمانى .

ومن رجله صاحب سَلَم ، يَدِينُ مَنْ غَلَبَ ، لا يَدْفَعُ مُبْطَلًا ولا يُعِينُ
مُحَقًّا ، يرى أنَّ سَلاحَ خاصته هو صلاح العامة .

ثم الذي كان من وثوب الأنصار ، وهم أهل المدد وأصحاب الدَّارِ
والأموال ، على أمرٍ لو تابهم المهاجرون عليه حتى يكون من كل فرقة
أمير ، لفتحت بذلك باباً من الفساد لا يقوى أحدٌ على سدِّه ، ولكن
الذى يقع بين الأوس والخزرج في الأمر أشدُّ مما كان يُخاف منها ومن
قريش ؛ لأنَّ القِراة كلَّما كانت أَمَسَّ ، والجوار أقرب ، كانت الدِواءُ
على قَدَرِ ذلك .

ولو أنَّ الأنصار حين أتاها أبو بكر فأظهروا الشقاق والخلاف ... (١)
عن الحقِّ وجَهلوه ، ما كان لهم دون البَوَارِ مانع ، ولكن غيرَ مأمون
وثوبُ مَنْ بالمدينة ومَنْ حولها من المناهقين وأشباههم ، من الحشو

(١) يباين في الأصل بقدر ثلاث كلمات .

والطَّعَامَ ، ولكانَ غيرَ مأمونٍ أن يَنضمَّ إليهم مَن حوَلَ المديقة من المرتدِّين ، مَن بَدَلَ إسلامه ساعةً بلفتته وفاة النبي صلى الله عليه . ولو ساروا إلى ذلك لكانوا أقوى من المهاجرين والأنصار ، إذ كانوا جميعاً نَشْرًا^(١) وقلوبهم شَتَّى ، وبأسهم بينهم ، ولكان غير مأمونٍ عند ذلك أن يَنزَوْهم مُسِيلَةً في أهل اليمامة قاطبة مع مَن حولها من أهل البادية . ثم كان غير مأمون أن يَستَمدَّ بجميع أهل الرِّدَّة من نكث^(٢) ونصب العداوة .

١٠ وجميعُ ما قلنا إنَّه كان غيرَ مأمون ، لم نُقله إلاَّ بأسبابٍ قد كانت هناك قائِمةً معروفةً ، فإعسى نفعه^(٣) المهاجرون والأنصار على ما وصفنا ونزَّلنا .

١٥ فقد صدق أبو بكرٍ وصدقَ مرُءٌ أنَّ تلك البيعة كانت فلتةً وأعجوبةً وغريبةً ، إذ سلَّطَ على كلِّ ما وصَفنا من أسبابِ الهلكة ، وهي سَرَبَخٌ^(٤) ، وليسَ دونها سِترٌ ولا رِدٌّ^(٥) ، فكانت يبعثُه يَمْنًا وبركةً أَقْبَذَ اللهُ بها من الهلكة ، وجمعَ بها من الثَّغرات ، وردَّ بها الإسلامَ في نصايه ، بعد تخلفه واضطرابه . فأَمَاتَتِ السَّخِيمةُ ، وأودعت القلوبَ السَّلامَةَ ، وجمعتها على الألفه .

(١) النفر : المقتولون . وفي حديث عائشة : « فرد نفر الإسلام على فرسه » ، أي رد ما انتفر من الإسلام إلى حالته .

(٢) في الأصل : « لئن نكث » .

(٣) كذا في الأصل . ٢٠

(٤) السربخ : الأرض الواسعة البعيدة الأرجاء . في الأصل : « سوغ » .

(٥) الرد ، بالكسر : ما يرد الفىء . أنفذ في اللسان :

• فكأن له من البلايا رجا •

أي معقلا يرد عنه البلاء .

وهذه مكرمةٌ وعطيةٌ ، ولا يجوز أن يجوزَ بها خالقُ العبادِ إلا نبيًّا
أو خليفةً نبي .

فأما قوله : « ما كانت يمتقي إلا فلتةٌ وق الله شرها » ، فقولُ
امرئٍ عالمٍ بالعواقب ، عالمٍ بأسبابِ الفتن ، شديدٍ الشفقةِ منها ، حامدٍ لربه
على السلامة منها .

- أو ما علمتَ أنَّ أبا بكرٍ بينا هو يخطبُ على المهاجرين في مسجد النبي
صلى الله عليه ، والنبيُّ مسجى ، وهو يحتجُّ عليهم ويمرِّفهم سرِّفهم ،
واعتداءهم في قولهم : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه لم يمت . وقد خافَ أن
يصير بهم الإفراط في التعظيم ، والغلو في الحبِّ ، أن يضارِعوا مذهبَ النصارى
وخافَ أن يكون آخرُ أمورهم أشدَّ من أوله . وكان أشدُّ الأمور عليه في ١٠
ذلك أنَّ مثلَ عُمر ، وعبد الرحمن ، وعثمان ، هم الذين كانوا خرجوا
إلى ما لا ينبغي من القول ، فيدرم بالخطبة محتجاً عليهم ومعرفاً لهم مواضعَ
غلطهم ، ونَحَسَ إفراطهم ، فحين تبَيَّن لهم خطوهم وسَكُوا لاحتجاجه
عليهم ، أناه آتٍ فقال : إنَّ الأنصار قد اجتمعت إلى سعد بن عُبادة
في سقيفةِ بني ساعدة ، يقولون : منا أميرٌ ومنكم أمير . فراعهُ ذلك ، ١٥
وصوَّر له الحزْمُ كلَّ حَؤُوف ، فلم أن الداء الذي عنه نطقوا أشدَّ علاجاً
من الداء الذي نطق عنه عمر وعثمان وعبد الرحمن ، والنقرُ من المهاجرين
الذين قالوا : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله لم يمتْ ؛ وعلم أنَّ إراء كلِّ
سقمٍ أهونُ من إراء سقمِ الحمية والطَّمَع في الملك ، ولا سبياً إذا شابههما
سوء تأويل ، وضائقها الحسَّ بالقوَّة . وهذا هو الداء المُضال^(١) ، والنهاية المُقام . ٢٠

(١) في الأصل : « المضاء » .

فلما انتهى إليه أمرهم ، وعَرَفَ جميع مآعليه طبائعهم وعلمهم ،
وطبائعُ أنسابهم ، لم يكن شيءٌ أُمُّ إله من الدِّيار إليهم قبل أن
يستفحل الشرُّ ، ويتمكَّن العزم ، فرَّ حثيثاً وتبعه مُمرٌ ، ولحقه أبو عبيدة
في نفر من قريش ، فيمرُّ بالناس حَلَقاً عَزِيزاً وهم يَبْكُون ويتحدثون ،
فَيَقِيلُ عليهم فيقول : أنتم جُلوسٌ نفرٌ كون أعبىكم وفي الإسلام المسا
البدار . وقيل البوار^(١) .

فلو لم يتداركهم بحِيطته وقِظته وسدق حسُّه ، وأبطأ عنهم ربنا كانوا
يتطارحون الرأى ، ويستتبرون دفين الحسد حتى يتمكَّن ذلك الحسد ،
وتتمثل لهم صورة الظفر ، فلو هَجَمَ عليهم أبو بكرٍ في ضعف من بالدينة
١٠ من قريش ، لم يكن في طاقهم دَقَمُهُم ، والدَّارُ دارُهم ، والبلاد بلادهم
والباديةُ باديتهم ، ومن فيها تبعٌ لهم ؛ فكان من صنع الله أن كان هو
الذَّائد والقائم ، والحارس ، والمألف والمداوى ، ولم يكلمهم الله إلى نظرهم
واختيارهم ، فيكون ذلك فسادهم وهلكتهم .

فإن قالوا : فما معنى قول أبو بكرٍ للأَنصار حين أنام : « إن هذا
١٥ الأمر ليس بمُخلَّسة . قد علمتُم مشرَّ قريش [أنا] أكرمُ العربِ
أحساباً ، وأقربُ أنساباً ، وأنا عترَةُ النبي صلى الله عليه وأصلُّه ، والبيضةُ
التي تَفَقَّأت عنه ؟ »

فلو يذكر أبو بكرٍ قريشاً وأحسابها وعترَةَ النبي صلى الله عليه والبيضة
التي تَفَقَّأت عنه ، إلا وهو يرى أن له عليهم بهذا من الفضل ما ليس لهم ،
٢٠ ومن السبب إلى الخلقة ما ليس لهم . فقد ينبغي أن يكون لبني هاشمٍ على
هذا القياس من الفضل والسبب ما ليس لبني تيم .

(١) كذا في الأصل .

قلنا لهم : إن أبا بكر لم يقل هذا القول وهو يريد معنى مذهبيكم فيه ، مع أنكم قد قطعتم الكلام ، لأنه قال : « فإنه لم يكن فينا فكان يوحى^(١) به وإنا نحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، وإن الله لم يذكرنا وإياكم في شيء من القرآن إلا بدأ بذكرنا قبلكم ، ففنا الأمراء ومنكم الوزراء » .

فلم يقل أبو بكر : « قد علمت يا مشر قرين أنا أكرم العرب أحساباً ، وأيقنها أنساباً ، وأنا هترة النبي وأصله » ، وهو يريد أن يخبر أن الرئاسة في الدين تستحق لغير الدين ، والخلافة أعظم رياسات الدين ، فعل حسب ذلك تحتاج إلى العمل الصالح .

- ولكن أبا بكر خطب على قوم كانوا يزّون للحسب قدراً ، وللقراية ١٠ سبباً ، فأتاهم من أئامهم^(٢) ، وأخذهم من أقرب مأخذهم ، واحتج عليهم بالذي هو عندهم ، ليكون أقطع للشغب ، وأسرع للقبول . وليس في كل المواضع تفسير لحجة أمثل من إظهار الجملة ، وتعريف الناس الناية ، وحلهم على أدق الحجج وأسلوبها . وربما أخفى الإمام^(٣) كثيراً مما يريد بالناس فهمه ، لذى . . . من بعضهم عن فضله ، وضيق صدورهم من سكة ١٥ فضله ، بل يعلم أنه لو أطلعهم طلع إرادته^(٤) ، والذي عزم عليه من صلاحهم ، كانوا أسرع إلى طلب بنفسه من عدوم .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « من أئام » .

(٣) في الأصل : « الاحتمام » .

(٤) في القاموس : « وفي حديث ابن ذي يزن ، قال لعبد المطلب : أطلعك طلعه .

أي أطلعك . والطلع : اسم من أطلع على الشيء ، إذا علمه » .

وقد دلّ أبو بكرٍ على مذهبه في الأحساب في أوّل خطبة خطبها على المهاجرين والأنصار ، حين قال في كلامه :

«وعليكم بقوى الله ؛ فإن أكيس الكيس التقوى ، وأحقّ الحقّ الفجور ، وإلى متبع ولست بمتدّع ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وأن زغتُ فقوموني . أيّها الناسُ إنّهُ لم يدع الجهادَ قومٌ قطّ إلاّ ضربهم الله بذلّ ، ولم تشع الفاحشةُ في قومٍ قطّ إلاّ صمّهم بالبلاء . أيّها الناسُ اتّبعوا كتابَ الله ، واثابوا النصيحة ، فإنّ الله يقبلُ التوبة ، ويمفو عن السيئة . واحذروا الخطايا التي لكلّ بنى آدم منها نصيب ، ولكنّ خيرهم من اتّقى الله . واتّقوا يوماً لا ينفَع فيه حِمٌّ ولا شفيعٌ يطاع .»

١٠ ألا تراه ذكرَ جميع بنى آدم ثم قال : ولكنّ خيرهم أقام كما قال الله : « إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم قال : اتّقوا يوماً لا ينفَع فيه حِمٌّ ولا شفيع ؛ فقد أخبرَ من نفسه ومذهبه في ذلك المقام بناية ما يتكلّم به أصحابُ النسوة . فكانَ أبا بكرٍ إنّما قال : فإنّ كان هذا الأمرُ ممّشراً الأنصار إنّما يُستحقّ بالحسب ، ويُسْتَوْجِب بالقرابة فقيشُ أكرمُ منكم حسباً ، وأقربُ منكم قرابة ، وإنّ كان إنّما يُستحقّ بالفضل في الدّين فالسابقون الأوّلون من المهاجرين المقدّمون عليكم في جميع القرآن أولى به منكم . لأنّ أبا بكرٍ ذكر في صدر كلامه الحسب والقرابة ، وفي عجزه فضلَ المهاجرين على الأنصار . فلما أبصرَ القومُ وجهَ الحجة ، وقرّروا بما لم يزل عليه قبل ذلك طبائعهم ، لحقوا بالطاعة وأعطوا القادة .

٢٠ وكيف يكون كبار الأنصار أفضلَ من كبار المهاجرين ، وقد سبقهم المهاجرون وأسلموا قبلهم بالسّتين قبل السّتين ، والأنصارُ بعدُ على دين

آبائهم ، وعبادة أسنانهم . ثُمَّ اتى لى المهاجرون فى الله يعطن مكة
والأنصارُ وادْعُون فى بيوتهم ، رافضون فى ديارهم ، ناعمٌ بالهم ،
خَلِيٌّ سَرِيهِمْ (١) ، لَدِيدٌ حَيْشِهِمْ . ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى دَارِهِمْ فَكَانُوا مَعَ
فى العبادة والجهاد ، إِلَّا مَا قَضَاؤُهُ مِنْ وَخْشَةِ الْإِفْتِرَابِ ، وَفِرَاقِ الدَّارِ
وَالْأَحْبَابِ . فَلِلْمُهَاجِرِينَ مِثْلُ مَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَدْ بَانُوا بِسَابِقَتِهِمْ ، وَإِنَّمَا قُدُّمُوا
فى الْقُرْآنِ لَتَقْدُّمِهِمْ فى الْإِسْلَامِ .

- وَكَا أَنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ لَيْسُوا كَثِيرِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَكَأَنَّ
مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ لَيْسَ كَمَنْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ ؛ فَكَذَلِكَ لَيْسَ مَنْ أَسْلَمَ وَالنَّاسُ
كُلُّهُمْ كَفَارٌ غَيْرُهُ ، كَمَنْ أَسْلَمَ وَقَدْ أَسْلَمَ النَّاسُ قَبْلَهُ .
- وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَ الصَّدِّيقِ لِلْأَنْصَارِ : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ
بِخَفِيزَةٍ » عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ ثَابِتَ الْجَلْعَانِ ، رَابِطَ الْجَمَاشِ ، وَاقِفًا بِالْحَلِجَةِ ،
حَارِقًا بِمَوَاضِعِ الْإِمَامَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ غَايَتُهُ تَهْرِيمَ بَفْضِيلَةِ الْمُهَاجِرِينَ ،
لَأَنَّهُمْ إِذَا صَارُوا إِلَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى ذِكْرِ نَفْسِهِ وَتَعْرِيفِهِمْ فَضْلَهُ ،
لَأَنَّ تَبْزِيهَهُ كَانَ يَبِينُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، وَفَضْلُهُ كَانَ ظَاهِرًا عَلَى السَّابِقِينَ .
- وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ خَوْضَ الْأَنْصَارِ وَكَلَامِهَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَيَا بَيْنَ
مِجْلَةِ الْأَنْصَارِ وَمِجْلَةِ الْمُهَاجِرِينَ ، قَالُوا : مَنَّا أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ . فَأَ هُوَ
إِلَّا أَنْ قَرَّرْهُمْ بِفَضِيلَةِ الْمُهَاجِرِينَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ، حَقٌّ
أَطْبَقُوا جَمِيعًا عَلَى بَيْتِهِمْ وَالْمُهَاجِرُونَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ - فَلَا يَسْتَطِيعُ
أَحَدٌ أَنْ يَدْعَى أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ مِنَ الْأَنْصَارِ : فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ
مَعَكُمْ الْأَمْرَاءُ فَلَيْكُنْ فُلَانٌ ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ وَأَحَقُّ بِقَرَابَةٍ أَوْ بِمِثْلِ -
فَسَكَتُوا مَعَ سَكْتَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَسَلَمُوا مَعَ تَسْلِيمٍ وَاحِدٍ .

(١) الْمَرْبِ ، بِالْفَتْحِ : الطَّرِيقُ وَالرَّجْعُ وَالرَّأْيُ .

ولو أنْ الأنصار كانوا قد سَلَّموا للمهاجرين في البَدْء فلم يفارقوا ولم يَنَادُوا ، وكانوا كالمهاجرين في إطباقهم على أنْ الإمام منهم ما كان ليظهر للناس من شهامة أبي بكر وصرامته واجتماع نفسه وقوة مُنتَهه ، وجَلَد رأيه ، وقِلَّة حَيَرته وتَضَجُّمه^(١) مثلُ الذي ظهر لهم . وإنَّما يَعْرِفُ العاقلُ فَضْلَ العاقلِ في مَصَائِقِ الأمور ، وساعةِ الجُلُوة ، والتَّجَلُّة والحيرة ، وظُهور الفِتنة ، ومَوَجانِ السُّفلة ، واضطرابِ المِلَّةِ^(٢) واختلاطِ الخاصَّة بالعامَّة .

فَعَلَّ أَحَفْضَ به دَلالاً فلم يَسُدَّ قَفْرَه^(٣) ، أم هل نَجَمَ بلاءٌ فلم يَتَوَلَّ قَمَهِ ١٩
وزعمت (السُّبَّانية) أنْ أَحَدًا لا يَنالُ الرِّياسَةَ في الدِّينِ بغيرِ الدِّينِ .
١٠ ولو جازَ أنْ يعطى اللهُ رجلاً عَطِيَّةً ويفضَّلَه على غيره لِنَتَبَه ، وعلمُهما سِوَاها في دارِ الدُّنْيا ، جازَ أنْ يفضَّلَه عليه في الآخِرة .

وليس ذلك كالمُقامِ والمُبْتَلى ؛ لأنَّ العافيةَ والبلاءَ ، والشُّكرَ والصَّبْرَ ، والثَّوابَ على الطَّاعةِ بهما والمُقابَ على المَعْصيةِ فيهما ، إذا وازَنتَ بينَ عِوَاجِلِ أُمُورِهما وأَوَاجِلِها مِن كُلِّ وُجُوهِها ، رأيتُهما سِوَاها لا فَضْلَ بينهما . ١٤

وكذلك شَأْنُ المملوكِ والمالكِ ، والفَقيرِ والغنيِّ ، والمُبْتَلى والمُقامِ .
فإنَّ كانَ القَرِيبُ القَرابَةِ والبَعيدُ القَرابَةِ سِيبِلُهما في النِّقْصِ والْفَضْلِ ، والصَّبْرِ والشُّكرِ ، والثَّوابِ والمُقابِ ، وجميعِ حالِتهما في العاجِلِ والآجِلِ ، كالمُقامِ والمُبْتَلى ، والمالكِ والمملوكِ ، والفَقيرِ والغنيِّ ؛ فليسَ بينَ القَرِيبِ

٢٠ (١) تَضَجُّع في الأمر : كَلَمَد ولم يَعْمَ به .

(٢) في الأصل : « الغلبة » .

(٣) في الأصل : « فلم يَسِرْ بِمِرَّة » .

والبعيد فرق ، وليس لقرايته فضيلة على غيره ، ولا ينفعه شيء إلا كما نمت الماتى والنقى في ظاهر أمرها ، وما يقع الميان عليه منهما ، وما في الثنى والمصلحة ، والنظر والصنع ، سواء .

- وليس على هذا بنى القوم أمرهم في القراية ؛ لأنهم زعموا أن القراية سبب للرئاسة في الدين . ولو قالوا إنها سبب لتقدير الثبابة في الدنيا • كان ذلك وجهاً ، كما ترى من فضل حال المنيع الرهط ، الجليل الرواء ، والماتى في بدنه الكثير المال ، على الذليل الرهط الذميم في رؤائه ، المبلى في بدنه ، القليل ذات اليد ، وما في مُنِيب أمرها ، وفيها لا يقع الميان عليه من شأنهما ، سواء في صنع الله وفضله وعائدته .

- [وإنما] كان لنا أن نزعم أن القراية تنفع في الدين والحسب ١٠ فتكون سبباً إلى الرئاسة فيهما ، أن لو كنا رأينا من عظم قدر القراية ونبل من أجله ^(١) نال الرئاسة الكبرى بالحسب . فإذا رأينا النبي صلى الله عليه لم يستحق ذلك الموضع البائن العالى إلا بالفضل دون المركب ^(٢) كان من مت بقرابته أجدر ألا ينال الرئاسة إلا بالفضل دون المركب ؛ لأن النبي صلى الله عليه لو كان نال ذلك بالهاشمية كان هو ورجل من ١٥ حُرُض بنى هاشم سواء .

ولو كان ناله بسبب المطلب لكان وفد عبد المطلب لصُلبه أقرب إليه . وقد نعلم أن ذلك لو كان لشخص بالهاشمية أو بالمطلبية لكان لغير في ذلك ما ليس لأحد ، لأنه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم .

٢٠

(١) كذا في الأصل .

(٢) للمركب : الأصل والمنبت . هو كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه في قومه .

فلما وجدنا الأمر كما ذكرنا ، علمنا أن النبي صلى الله عليه لم يصيره مستحقاً لأعظم الرياسات وأشرف المقامات إلا بالعمل ، إذ كنّا قد وجدنا من يساويه في الهاشمية لا يستحق مثل ما له .

وزعمت (الثمانية) أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة ، قد عرفتها وسمعتها من أهلها .

ولكن كتابي هذا لم يوضع إلا في الإمامة ، ولربما ذكرت من المقالة والملة^(١) والفحلة التي تمرض في الإمامة صدرأ ، طلباً للتمام ، وتبريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها .

والكلام في التسوية كلامٌ يدخل في باب التمديل والتجوير ، وهو بابٌ يشقُّ الكلام فيه وينمّض ، فإن أخبرنا عن فرعه ولم نخبر عن أصله لم ينتفع القارئ به ، وصار وبالاً عليه .

وقد زعم ناس من (الثمانية) أن الله بفضله ومّنه كفى أكثر الناس مؤونة الروية ، وتكلف غامض الكلام في التسوية ، فأخبرهم في كتابه بأبين الكلام وأوضحه عن معاني التسوية ، وما يجوز في عدله وحكمته . فقال وهو يريد أن يعلم الناس أنهم لا ينتفعون بصلاح آبائهم ، ولا يضرهم فساد رعايتهم فقال : « وإبراهيم الذي وفى . ألا تردّ وازدة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سقى^(٢) » . فإذا كان كون الإنسان ابن نبي وابن خليفة نبي ، أو ابن عم نبي ليس من سميّه ، فقد أخبر أنه لا شيء له في ذلك حين قال :

٢٠ (١) في الأصل : « والملة » .

(٢) الآيات ٣٧ — ٣٩ من سورة النجم .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » فَاسْمِعُوا مَعْرُوفًا ، وَالْكَوْنُ مِنْ رَهْطِهِ دُونَ رَهْطِهِ لَيْسَ مِنْ سَعَى الْمَرْءِ فِي شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِقَرَابَتِهِ حِينَ جَمَعَهُمْ : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا سَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، إِنِّي لَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

- ولو أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْقَرَابَةِ إِذَا هُوَ عَصَى وَعَصَى غَيْرُهُ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ •
غَفَرَ اللَّهُ [لَهُ] لِقَرَابَتِهِ ، وَلَمْ يَفْرِ لِلْآخَرِ ؛ وَكَانَ إِذَا أَطَاعَ وَأَطَاعَ غَيْرُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى الْآخَرُ ، لَكَانَا إِذَا اسْتَوَيَا فَلَمْ يَطْعِمَا جَمِيعًا وَلَمْ يَمْسِيا ؛ فَكَانَا إِذَا طِفَلَيْنِ وَإِمَا مَجْنُونَيْنِ وَإِمَا نَائِمَيْنِ ، وَإِمَا سَاهِيَيْنِ ، أَعْطَى الْقَرِيبَ وَقَضَّاهُ ، وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ شَيْئًا وَلَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُطْعِمَ وَلَمْ يَمْسِ ، كَمَا لَمْ يُطْعِمِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يَمْسِ ، لَمْ يَكُنْ ١٠
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَقُولَ لِمَهُ وَمَعَهُ : إِنِّي لَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا .
وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « السُّلُوكُ تَكَافُؤًا دِمَاؤُهُمْ ، وَيُسَمَّى بِذَمِّهِمْ أَذْنَاهُمْ » .

- وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : النَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَسْنَانِ الْمُسْطَ .
وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي حَبِيبَةٍ مِّنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ١٥
مَا يَرَى لِنَفْسِهِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنْ عَيْنِيَّةَ قَالَ : أَنَا ابْنُ الْأَشْبَاخِ ، أَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُلَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ حَمْرٍ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَشْرَفُ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ يُسُفٍ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

- وَلِذَلِكَ أَخَذَ وَبَرَّةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ يَوْمَ حُتَيْنَ فَقَالَ : « وَالَّذِي فَتَنَنِي ٢٠
بِيَدِهِ مَا أَنَا بِهَذَا أَحَقُّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقد قال الله : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(١) » ؛ فلم يستثن من جميع النفوس نفساً واحدة ، لا ابنَ نبيٍّ ولا ابنَ عمٍّ .

وقال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ^(٢) » . والمولى كلمةٌ واقعةٌ على جميعٍ ، فنه ابن عمِّ المرء ، ومنه خليفته ، ومنه مولاة من فوق ، ومنه مولاة من تحت ، ومنه مولاة الذي ملكه قبل عتقه . فإذا قال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » فقد دخل فيه ابنُ الممّ وغيره ، ولم يستثنِ الأنبياءَ دونَ المسلمين .

وقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٣) » وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَايزٌ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا ^(٤) » ثم قال : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرُغَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ » . فمن اغترَّ بمد هذا بالقرابة وانكسل على غير العمل الصالح فقد ردَّ تأديبَ الله وتعليله .

ثم الذي رأينا من قصة ابن آدم حينَ قُرِبَ مع أخيه قُرباناً فُتْبِلَ من أخيه ولم يُتْقَبَلْ منه ، قُتِلَتْ حسداً له وبنيّاً عليه . وكيف لم تنفعه قِرابته من آدم حيثُ لَمَسَهُ اللهُ وبرىءُ منه ، وجعلهُ من أصحابِ النَّارِ ، ثم قال : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ^(٥) »

(١) الآية ٤٨ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٤١ من سورة الفخار .
(٣) الآية ٨٨ — ٨٩ من سورة الصعراء .
(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان .
(٥) من الآية ٢٩ في سورة المائدة .

لكي لا يتشكل أحدٌ ظالمٌ بدمه على قرابته ، ولا يفترّ بأن يكون ابنٌ نبيٍّ . ولذلك أرسل الكلام على تخرج الموم . ولم يُخرجه ذلك المخرج إلّا وذلك إرادته .

فإن قالوا : إنه لم يكن لصلبه ، ولو كان لصلبه لنفمه ذلك عنده .

- قلنا : إنه ليس لأحدٍ سمح الله يقول : « وائلٌ عليهم نبأ ابني آدم » أن يحملهما من عرض بني آدم بعد سبعين قرناً إلّا بحجّة . وإن لم تكن له في ذلك حجةٌ فليس له أن يُزيل معنى ابنه عن أصله^(١) ؛ لأن الأصل المستعمل الموضوع أن يكون الابن للصلب ؛ فإنما جاز أن يقال لابن الابن على التشبيه بالابن ، [و] على الحمل عليه . وكذلك الابن الذي هو على التبني والتربية ؛ لأن رجلاً لو قال : ٥
أنا فلان بن فلان ، لم يكن لأحدٍ أن يقول : إنه لم يكن ابنه وربيته ، إلّا بحجة ؛ وإلا فالكلام موضوعٌ على أصله وعلى المستعمل المروى منه .
- ثم صنيعُ الله بابن نوح ، وهو كما علمت من أعظم الأنبياء قدراً ومزلةً ومكاناً ، حين عصى فيمن عصى ، كيف غرقه فيمن غرق^(٢) .
١٥ ممن لا قرابة له ولا ولادة .

فإن قالوا : إنه لم يكن ابنه ، لأن^(٣) الله قال : « إنه ليس من أهلِكَ إنه حملٌ غيرُ صالح^(٤) » ، وذكر امرأة نوح وامرأة لوط فقال :

(١) في الأصل : « عن صلبه » .

(٢) في الأصل : « كيف غرقه فيمن غرق » .

(٣) في الأصل : « إلا أن » .

(٤) الآية ٤٦ من سورة هود .

« كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(١) » .

قيل لهم : إنه ليس لنا أن ندفع قول الله : « ونادى نوح ابنة » إلى تأويل مختلف فيه . ولقولته الخيانة خارج غير تأويلكم . وقد تفجر المرأة بعد أن صبح منها لبعولها ولد كبير . وفي قوله : « فلم يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » دليل أن محبتهما كان الصفع من خيانتها ، وأن محبتهما لم تكن ^(٢) عنهما شيئاً .

ولا يشبه قولكم [في] نساء الأنبياء الذي نعرف من حسن اختيار الله لهم من طيب النكاح ، وطهارة المداخل . وهذا معنى طبائع الناس .
١٥ لم يكن الله ليترك امرأة نبي تصير إلى تهجينه والتصغير بقدره ؛ لأن الرسالة ملطفة مصفاة ، لا تحمل الأعداء ، ولا تملق بها الأعداس ، ولا يطوق ^(٣) الباطلين عليها الاعتماد .

وفي قول الله لإبراهيم ، وهو شجرة الرسالة ، و خليل رب العزة حين يقول له : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ^(٤) » قال إبراهيم إماماً مستقماً وإماماً طالباً : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » قال : « لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وأخبر أن عهد إمامته وخلافته لا ينال الظالم وإن كان من خير خلق الله .

(١) الآية ١٠ من سورة التحريم .

(٢) في الأصل : « لم تغنيا » .

(٣) طاق القى يطوقه : أطاله وقدر عليه .

(٤) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة .

ففي هذا دليلٌ أنَّ الرِّبَاسَةَ في الدِّينِ لَا تُفَالُ بِغَيْرِ الدِّينِ .

وقال الله : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيمَ وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ والكتابَ فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ فاسِقون^(١) » أَلَا تَرَى أَنَّ الذَّرِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا ذَرِيَّةً وَمَكَانُهَا مِنَ الْقَرَابَةِ سَوَاءً ، فَهِيَ وَلِيُّ وَمِنْهَا عَدُوٌّ .

فَإِنْ تَرَكَوْا هَذَا جَانِباً وَقَالُوا : كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَرَى ٥
التَّسْوِيَةَ ، وَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ الْفُرُوسِيَّةَ أَسْلَبٌ لِلْإِمَامَةِ ، وَالْقَرَابَةُ شُعْبَةٌ عَنِ الْخِلَافَةِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَبَدَ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ مِنْ خَاصَّتِهِ وَخُلَيفَتِهِ وَصَنِيعَتِهِ ، وَالْمُتَنَذِي عَلَى مِثَالِهِ ، عَمَرَ بِنَ الْخَطَّابِ ؛ لِأَنَّهُ فَضَّلَ الْقُرَشِيَّاتِ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِهِنَّ ، وَفَضَّلَ الْعَرَبَ فِي الْمِطَاءِ عَلَى الْغَالِي . وَقَالَ : « زَوَّجُوا الْأَكْفَاءَ » . وَكَانَ أَشَدَّ مِنْهُ ١٠
فِي أَمْرِ الْمُنَافِقِ .

قِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ كَانَ أَبَدَ مِمَّا قُتِلَ مِنْ عَمْرٍ ، وَلَا [ظَهَرَ] مِنْهُ - خِلَافَ مَا ادَّعَيْتُمْ - مِثْلُ الْقَدِيِّ ظَهَرَ مِنْهُ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى غُلَطِكُمْ وَخَطَأِ قَوْلِكُمْ ، أَنَّ عَمَرَ لَمْ يَفُضْ الْأَعْلِيَّةَ وَدُونَ الدَّوَّائِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، فَقَالَا : ١٥
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدِيَّوَانُ كَدِيَّوَانُ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٢) ؛ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ انْتَكَلَ النَّاسُ عَلَى الدِّيَّوَانِ وَتَرَكَوا التَّجَارَاتِ وَالْمَعَاشَ ! فَقَالَ عَمَرُ :
قَدْ كَثُرَ الْقِيَامُ وَالسُّلُوكُ .

فَقَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَلِلْأَنْصَارِ وَمَوَالِيهِمْ ، تَمَنَّ شَهِيدَ بَدِيٍّ

(١) الآية ٢٦ من سورة الحديد .

(٢) بنو الأصفر هم الروم . انظر ابن خلكان في ترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي ٢ : ٢٠٩ .

في ستة آلاف ستة آلاف^(١) فكان عطاء عمر وعلية وعبد الرحمن وطلحة
والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ، وعطاء بلال وسالم مولى أبي حذيفة
وجميع الموالى سواء .

ثم قَرَضَ على قَدَرِ الفَضْلِ والفَنَاءِ والسَّابِقَةِ ، على قَدَرِ بُعْدِ الدَّارِ
وَقُرْبِهَا مِنَ الْمَاجِرِ ، ففرض لأهل اليمن في السبعائة إلى الألف ، وهم
أَبَدُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْهُ وَمِنْ مُضَرٍ أَرْحَامًا وَنَسَبًا . وَإِنَّمَا أُرْغِبُهُمْ وَزَادَهُمْ لِبُعْدِ
دَارِهِمْ مِنَ الْمَاجِرِ^(٢) ، وَكَانُوا أَهْلَ قَرَى وَمَزَارِعَ ، فَتَرَكُوا مُطَبِّعَهُمْ^(٣)
رَغْبَةً فِي الْمُهْجَةِ .

وَفَرَضَ لِمُضَرَ وَبَلِيَّةٍ وَكَلْبٍ وَطَيْيَّةٍ فِي الثَّلَاثَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ . فَتَسَوَّيْتُهُ
١٠ بَيْنَ مُضَرَ وَطَيْيَّةٍ دَلِيلًا عَلَى مَاقَلْنَا .

وفرض لريسة في خمسين ومائتين وقال : إِنَّمَا هَاجَرُوا مِنْ أَطْنَابِ
بِيوتِهِمْ . وَرِيْسَةُ أُمَّسٍ بِهِ وَبِمُضَرَ مِنْ بَلِيَّةٍ وَطَيْيَّةٍ .

وفرض لأشراف الأحاجم : لِهَرَمَقَانَ نَهْرِ الْمَلِكِ^(٤) ، وَهُوَ قِيْرُوزُ بْنُ
يَزْدَجَرْدَ ، وَلِابْنِ الصَّخْرِيَّانِ^(٥) ، وَنَخْلَةَ وَجِيلِ أَبِي بَصْبَهْرَى^(٦)

١٥ (١) في الأحكام السلطانية لأبي بصل ٢٢٢ أنها خمسة آلاف درهم في كل سنة .

(٢) في الأصل : « للمهاجرين » .

(٣) المطلب : موضع الإقامة ، يقال طلب بالمكان تطلبيا : أقام به . في الأصل : « بصهم »
واقطر ما سياتي .

(٤) نهر الملك : كورة واسعة بقداد كانت تفتل على ثلاثة وستين قرية ، على عدد أيام
٢٠ السنة . ياقوت .

(٥) كذا . وفي الطبري « النخريجان » . اقطر ١ : ١٠٣٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٢ - ٢٤٢٢ ،

٢٤٣٩ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٢٧ طبع ليدن .

(٦) اقطر البيان ٢ : ٢٦٣ .

دهقان الفلوجة ، ولسفام بن زرسى دهقان بابل ، وجُفينة السبابة ،
ورميل^(١) فى ألفين ألفين .

وفرض للموسحاتان^(٢) ، والمُرمزان ، ولسياه وخش^(٣) وأمقلاس
فى ألفين وخمسة ، وهو أقصى شئ أخذَه عربى قط ، فقيل له فى ذلك ،
فقال : قوم أعاجمُ أشراف ، أحببتُ أن أنالَفَ بهم غيرم .

وفرض لسوى هؤلاء النَّفَر من المعجم من الحاشية والموام مَن سُبى
وأسر وخرج فى الصلح مع رئيسه وقائده ، فى أقل مما فرض للأعراب
وحاشية العرب وعوامهم ، فقيل له فى ذلك فقال : إن الأعرابيَّ إلاَّ
يقاتلُ عن دينه قاتلٌ عن رهله وشقَّه وناحيته . وإن لم يكن ذا بصيرة
فى دينه قاتلٌ حمامة عن حسبه وأصحابه ، وقد أمنتُ تحوُّله إلى عدوه
فأقلُّ ما عنده إذا لم يُبلَّ أن يكثر السواد ويكتف الجيش . وهو على حال
أفقَّه فى الدين ، وأفهم للتأويل . والمجميُّ ليس بذى بصيرة فى الإسلام
ولا يقاتل عن داره ، ولا يُحامى عن حسبه ، ولا يدافع عن رهله
وغير مأمون عليه التحول إلى أصحابه فيدلُّ على المَوَرة ، وهو أجدرُ
ألاَّ يفهم تنزيلا ولا تأويلا .

وسجَّلَ قوماً فى البحر وآخرين فى البر ، ففضل على قدر المؤونة ،
وأعطى على قدر المشقة .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) سياه وخش معناه فى الفارسية الأسود العين . استينجاس ٧١٣ . وهو سياوخش

ابن مهران بن بهرام شوين الرازى . الطبرى ٤ : ٢٠٣ .

فكذلك كانت عطاياه ، وهكذا كان تدييره فيها نقلت العلماء وروّت
القصاه . ولا يشك في ذلك صاحب خبر ، ولا يدفعه صاحب أثر .

فأما ما ذكرنا من تهجينه أمر المجّم ، وتغليمه أمر العرب ، فإنما
كان ذلك لأنه لما ندب الناس إلى قتال كسرى والأساورة تناقلت عن
ذلك العرب والأعراب وجميع المهاجرين والأنصار ، هيئة للاحية كسرى
والفرس ، وخفوا لفرز الروم ونشطوا له ، حتى انتدب أبو عبيد الثقفي
أول من انتدب ، فلذلك قد له على كبار المهاجرين الأولين ،
والأنصار ، والبدرين ، فلم يكن له هم إلا تصغير أمرهم وتهجين شأنهم
والخط من أقدارهم ليرد ذلك من نفوس العرب .

وهكذا ينبغي أن يكون تديير المدير . ١٠

أو ما عرفت أن المنيرة بن شعبة لما سمع قيس بن مكشوح يقول
حين عاين الفرس : ما رأيت كال يوم حديداً ولا عديداً ، وهذا يوم
القادسية ، وقد كان قيس شهد قبل القادسية حروب الروم ، وقيس
يومئذ على الخليل ، والمنيرة على الرجالة ، فأقبل عليه المنيرة منتهراً له
وهو يقول : إنما هذا زبد من زبد الشيطان^(١) ! ١١

وقد كان المنيرة قد عاين مثل الذي عاين قيس ، ولكن التديير
كان غير الذي ذهب إليه قيس .

ومن الدليل على ما وصفنا من تديير عمر ، تركه الاستخفاف بأقدار
المعجم وإظهار احتقارهم والإزراء بهم ، بعد جلولاه^(٢) .

٢ (١) الزبد ، بالفتح : الرقد والبطاء .

(٢) كان بها الرقة المصورة للفلسين على الفرس سنة ١٦ قتلوا منهم مائة ألف .
معجم البلدان والطبري ٤ : ١٧٩ .

فمن ذلك أنه لما أتى بسيف كسرى وقبائه ومنطقته ألبسه سُرَاقَةً ابن مالك بن جُمُثم ، ثم قال له : أدِرْ ، ثم قال له : أقبِلْ . فلما أقبِل عليه مُمر وعنده الناسُ فقال : أما والله لربُّ يومٍ لو كان هذا من كسرى وآلِ كسرى لكان شرفاً لك ولقومك ، في أمور كثيرة من هذا الضرب لم يكن . مُمر لينطق بحرف منها وحربهم مخوفة ، ٥ ونفوس العرب لهم هائية .

وهكذا تديرُ الخلفاء ولكنَّ أكثر الناس لا يملكون . ولو كانوا إذا لم يفهموا عن الأئمة لم يترضوا عليهم ولم يخطبوا ولم يجهلوا كان أيسر . ولا أعلم في الأرض جيلاً أجهَلَ بهذا وشبهه بمن يتحل اسم الكلام ويتنصب نفسه للخصومات . ثمَّ الروافض خاصة ، ليس يعرفون من أمر الإمام إلاَّ أنه يمل ما يكون قبل أن يكون . ١٠

ومن الدلائل على ما وصفنا به مُمر ، قوله لسعد بن أبي وقاص حيث وجهه إلى القادسية وأوصاه ، قال : يا سعد سعد بن وهيب^(١) إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحب عبداً حبَّبه إلى النَّاس ، فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلتك أن يقال خال رسول الله صلى الله عليه ، فإن الناس في ذات ١٥ الله سواء .

فأى قول أجمع وأدلُّ ، وأى فعل أشبه بالذي حكينا عنه من التسمية ، من هذه الأقاويل^(٢) والأفاعيل .

(١) هو سعد بن مالك بن وهيب - أو وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

انظر ما مضى في ص ٥٦ .

(٢) في الأصل : « الأوائل » .

وكان سعدٌ خال النبي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وقد أخذ بيده : « هذا خالي أبيي به فليأت كل امرئ بخاله » .

وفي قول عمر في الناكح : « ليس شيء من خصال الجاهلية إلا وقد تركته ، إلا إنني لست أبالي إلى من نكحت ، وإلى من أنكحت » . فإن شئت أن تقول : وأي أمر هو أوجب على العاقل السليم الحر من ألا يبالي إلى من نكح وأنكح ؟

قلت : وإن قلت إن هذا الكلام من عمر يدل على بقية عصبية فيه . فما تبرأ^(١) إليك منه حين جملة^(٢) من خصال الجاهلية إلا وهو آبٍ له وناءٍ عنه ، وزارٍ عليه . وفي قوله هذا دليل على أنه قد اكثرت لبقية عادة الجاهلية ، وأنه راغب عنهما كما رغب عن أكبر منهما .

وفي قوله لعبد الله بن عمر حين فرض له في ألفين وفرض لأسماء في ألفين وخمسمائة ، وابنه قرشي وأسماء مولى ، حين قال له عبد الله : أنفضل علي أسماء في العطاء وأنا وهو سيان ؟ قال : إن أسماء كان أحب إلى رسول الله منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك .

ألا ترى أنه يدور مع الدين حيناً دار ؟

وفي قول عبد الله بن عمر لأبيه : أنفضل علي أسماء في العطاء وأنا وهو سيان ، دليل على أن القوم كانوا لا يعرفون إلا الدين والسابقة ، والثناء من المسلمين .

وفي وسيتته عند وفاته أن يصلى عليه صهيبي ، وفي أمره بإياه بالصلاة

(١) في الأصل : « فقد برى » .

(٢) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الحرف الأول .

بالناس في مقامه إلى أن يختارَ السلون رجلاً ، دليله على ما قلنا .
وصهيب مولى لمبد الله بن جُدْطان .

والدليل على أن صهيباً رجلاً من المعجم قولُ رسول الله صلى الله عليه :
« بلالٌ سابق الحبشة ، وسلمان سابق فارس ، وصهيب سابق الروم » .

وهذا حديث لم يختلف فيه فقهاء .

وفي خروج آذنه وحاجبيه يوماً إلى الناس ، وقريش والعرب جلوساً
يبابه ينتظرون إذنه ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، وشهيل بن عمرو ، وحكيم
ابن حزام ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فنادى بأعلى صوته :
أين حمار ؟ أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين سلمان ؟ فينهضون مكرمين ومفضلين ،

وعلى الناس مقدمين ، وتلك الليلةُ وتلك السادةُ جلوساً لا ينطقون
ولا ينكرون ، فلما كثر ذلك عليهم تضرعت وجوههم ، وامتنعت ألوانهم ،
فأبصرهم سهيلٌ ففرق ما قد أصابهم ونزل بهم ، وكان حليفاً خطيباً فقال :

لِمَ تضرعون وجوهكم وتتنفرون ألوانكم ، ولا ترجعون باللائمة على أنفسكم ؟
دُعينا ودُعوا ، فأبطأنا وأمرعوا ، ولئن حسدتموني على باب عمرٍو لكدى
أعد الله لهم في الجنة أفضل^(١) !

ثم الدليل الذي ليس فوقه دليل ، قوله وعندَه أصحابُ الشورى وكبارُ
المهاجرين ورجلةُ الأنصار ، وعيينةُ العرب ، وهو مؤيدٌ على قبره ينتظر
خروج نفسه : « لو كان سالمٌ حياً ما تخالجتني فيه الشك » . وسالمٌ مولى
امرأة من الأنصار ، وكان حليفاً لأبي حذيفة بن عتبة بمكة ، فلذلك كان يقال :
مولى أبي حذيفة ؛ لأنَّ حليفَ الرجل مولاه .

فإن كان هذا لا يدلُّ على التَّباعد من الحليَّة والأعرابيَّة والمصبيَّة ، ولا يدلُّ على التَّسوية ، فما عندنا ولا عند أحدٍ شيءٌ يدلُّ على شيءٍ ! وإذا كان هذا مذهبه وقوله في الخلافِ فما ظنُّك به فيما دونَ الخِلافة ؟ ! وهذا بابٌ إن استقصيناه كثيرٌ وشغل الكتاب . وفيما قلُّنا مَنعَ لمن كان الحقُّ له مَنعُنا ، والصَّواب له مألُفا .

فعل يقدِّرُ أحدُ أن يحكي عن عليٍّ مثلَ الذي حكينا عن مُمرٍ في التَّسوية ، أو شطره ١٩

إنَّ أكبرَ ما رأينا في أبديكم عنه قوله : « لئن قرأتُ ما بين دفتي المصحفِ فلم أجِدْ فيه لِبني إسماعيلَ على بني إسحاقَ فضلا » .

فهذا قولٌ إنَّ قاله علىٌ فليس فيه دليلٌ أنه أراد به الطَّعن على مُمرٍ وإظهارَ خِلافه ؛ لأنَّ عليا قد مَلَكَ أَكْثَرُ الأرضِ حَسْبَ حِجَجٍ ، فلو كان رأيه في خلافِ مُمرٍ على ما تصفون ، وكان مُمرٌ عنده لا يرى التَّسوية في الصَّطاء ، لقد كان غَيْرَ دواوينِ مُمرٍ ، وبدلَ أعطيته وفُروضة وحولها إلى الحقِّ عنده ، أو نطقَ فيها بحرفٍ ، أو أظهر ذلك في هيئته (١) إن لم ينطق به خطيبا ومحتجا .

وكيف يكون ذلك ولا أحدٌ أَعْلَمُ بصواب ما دبرَ مُمرٌ في ذلك من عليٍّ ١٩ وكيف يكون مُمرٌ لا يرى التَّسوية وقد صنَّعَ صنيعاً لو قام مقامه أشدُّ الناسِ سَنِيّاً - ما لم يَجْرَ عن الحقِّ ويمدِّلْ عن السُّداد - ما كان عنده ولا في طاقته أكثر منه .

والمعجب أنَّكم تَزعمون أنَّ عليّاً كان يرى التَّسوية ، وأنَّ مُمرَ صاحبُ

(١) في الأصل : « حنه » .

حمية ، فأنتم زروون أن أكثر احتجاجه إنما كان بذكر قرابته وأمن
أسبابه ومُصاهرته ، مع أن القرابة هي التي أخرجكم إلى هذا الإفراط
كله . فأنتم تحبون بني هاشم وتفضلونهم للقرابة ، وتوجبون لهم الإمامة
للقرابة . ثم زعمون أن علياً كان يرى أن ولد إسماعيل وإسحاق سواء ،
وكان يرى أن العرب والمعجم سواء .

٥

وكيف غضبتم على عمر لأنه فضل قريشاً على العرب ، والعرب على
المعجم ، ولم تفضلوا على أنفسكم حين فضلتم بني عبد المطلب على بني هاشم ،
وفضلتم بني هاشم على بني عبد شمس ؟ !

ففضلوا أيضاً بني عبد شمس على سائر قُصَى ، وسائر قُصَى على سائر
كعب ، وسائر كعب على سائر قريش ، وكذلك سائر قريش على سائر
مضر ، وكذلك سائر مضر على ربيعة ، وربيعة على ولد إسحاق ، وولد
إسحاق على ولد قحطان .

وإن شتمت ففضلوا ربيعة على اليمن ، واليمن على المعجم . وإذا أنتم
قد دخلتم في كل ما عيبتهم .

فإنما أن تفضلوا من شتمت على من شتمت - وإن كان من لم تفضلوا
في القياس كن فضلتم - فليس ذلك لكم ؛ لأن القياس قد اعترض دون
مشيئتهم وقضى عليكم .

ولو أن قاتلاً قال : أنا أزعم أن الناس كلهم بعد بني عبد المطلب لسُلبه
سؤالا ، كما قلتم إن الناس كلهم بعد بني هاشم سواء ، ما كان^(١) الذي قال
أمسّ بالرسول وأولى بالحكم . فإن قلتم : فمن أين كان له أن يقف على

٢٠

(١) في الأصل : « كما أن » .

جَدَّ عبد المطلب وليس بينه وبين هاشم إلا أب ؟ فيقال لكم^(١) : وكيف كان لكم أن تقفوا على جدِّ هاشم وبين هاشم وعبد مناف أب واحد ؟ وكيف كان لكم أن تقطعوا التفضيل وحقَّ القرابة من لدن هاشم ، وهاشم وعبد شمس أخوان لأم وأب ؟ ! ولذلك قال الشاعر :

عبد شمس كان يتلو هاشمًا وها بـمـدُّ لأم وأب

فاجملوه يتلو هاشمًا في حقَّ القرابة واستحقاق الإمامة . وإذا جاز عندكم أن تتخطى الإمامة الممَّ إلى ابن الممَّ كان [ذلك] في الأخ للأم وللأب . ثم زعمتم أن الدليل على أن عمر صاحب عصبيَّة وحمة ، ردَّه لسلمان حين خطبَ إليه ابنته ، وسلمان كان أَعْقَلَ من أن يخطب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى .

قلنا : جوابنا في هذا في خطبته إلى عليّ ، وإن كان عليّ أشرف موضعاً . مع أن القائم عن سلمان أنه كان يقول : قال لي النبي صلى الله عليه : « يا سلمان لا تُبْنِضَ المَرْبَ فَتُبْنِضَنِي » . وكان يقول : أمرنا أن نأتمَّ بكم ولا نُؤمَّكم ، وأمرنا أن نزوَّجكم ولا نَزَوَّجَ منكم . فليس في الأرض متعربٌّ وصاحبُ عصبيَّةٍ إلَّا وأكبرُ ما يحتاجُ به في الناكح حديثُ سلمان .

وقد تمنعُ الأشرافُ عقائلَ نساءها لأسبابٍ غير التَّحريم ، لا يكون ذلك عيباً عليهم في آدابهم ، ولا نقصاً في أديانهم .

وفي قول عليّ يوم الجمل حين رأى عبد الرحمن بن عتاب صريخاً : « شَفَيْتُ نَفْسِي وَجَدَّهْتُ أَنْفِي . قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ »

(١) في الأصل : « قد لكم » .

وَأَتَتْهُ ^(١) الْأَعْيَانُ مِنْ بَنِي مُجَحِّحٍ أ « فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَشِدَّةٌ مَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أ قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ قَاتَتْ عَنِّي وَعَنهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقُمْنِ عِنْدَكَ » دَلِيلٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَرَى لِلْأَمَهَاتِ قُدْرًا كَثِيرًا ، وَلِلنَّاسِ خَطَرًا عَظِيمًا .

وَفِي كِرَاهَتِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُسَادُّ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ النَّبِيِّ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ، دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدْبِيرِهِ .

وَلَمَّا بَنَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍو مِنْ قَدْرِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍو فِي جَمِيعِ مُعَقَّلِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى التَّكَلُّمِ إِذَا قُلَّ مَعَاذُهُ أَنْ يَخْرُجَهُ الْجَهْلُ [إِلَى] اسْتِمْنَارِ بَعْضِهِمْ أَوْ تَضْلِيلِهِ ^(٢) وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، فَيَهْلِكَ هَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٠

وَلَمَّا أَغْنَى النَّاسُ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ عَمْرِو خُصُومَتِهِ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالتَّكَلُّمِ .

وَالَّذِينَ نَحَلُوا عَمْرَ الْمُسَيْبَةَ رَجُلَانِ : رَافِضِيٌّ أَحَبَّ أَنْ يَمُوتَ إِلَى الْمَجِيمِ وَالْمَوَالِي ، وَمَتَرَّبٌ هَرَفَ أَنَّ عَمْرَ عِنْدَ النَّاسِ قُدْوَةٌ ، فَتَحَلَّ ذَلِكَ لِيَكُونَ لَهُ حِجَّةٌ . فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

١٥

وَأَمَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الطَّيِّشُ وَالتَّسْرُوعُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَتَهْيِيجُ النَّاسِ عَلَى إِظْهَارِ السَّلَاحِ .

(١) كَذَا فِي الْأَسْل. وَانْظُرْ أَسْمَاءَ فَرِيضِ ١٩٣ .

(٢) فِي الْأَسْل. : « صَلْبِهِ » .

٢٠

وإنما أتى أبو بكر الأنصارَ واعظاً ومحتجاً ، ومسكناً ومصلحاً بالين
الكلام وأحسنَ المسدَى ، لم يحِمل سوطاً ولا سيفاً ، ولم يُظهرَ مُعَاوَةَ
ولا أرادَ المُغَالِبَةَ^(١) . فما وجه خروج الزبير بسيفه شاذاً نحوه ١٩ بل
كان أشبهُ الأمور بالزبير وأولاهها به ، والذي يجبُ علينا أن نفلته به ،
أن يقومَ محتجاً ومُصلِحاً ؛ فإذا أبانَ عن حُجَّتِهِ وأَعَدَرَ في موَعظته فلم يرَ
ذلك ناجحاً^(٢) ولا مقبولاً ، ورأى شيئاً يجوزُ به سَحْلُ السيف والسُّدُّ به ،
كان مِن وراء ذلك .

وكيف علمَ أن الزبيرَ إنما سلَّ سيفه ليؤكدَ لعلَّ إمامته أو ليوطئَ
له خلافته ؟ ولعله إنما أرادَ الأمرَ لنفسه دونَ غيره . ولعله إنما
غضبَ لصرف الأمرِ عن خاله وكبيره وشيخه البَساسِ بن عبد المطلب .
فكيف علمَ أنه إنما أرادَ صَرَفَهَا عن أبي بكرٍ خاصَّةً ؟ وكيف يشدُّ
على رجلٍ لم يَقُلْ بايعوني ، ولا أظهرَ الحرصَ عليها ، وإنما كرهَ أن
يبقَ الناسُ نَشَرًا ، وعلمَ أنَّ على الأنصارِ أن يسمُوا للمهاجرين ، وقد قال
للناس : « بايعوا أيَّ هذين شئتم » ، يعني أبا عبيدة وممر . إلا أن يكونَ
الزبير قال : ولمَ كنتَ أنتَ المحتجُّ على الأنصارِ والمعرِّفُ لهم فضلَ
المهاجرين عليهم دونَ عليّ .

ويقال لهم عند ذلك : أمَّا بادئ الرأي والذي لا نَشْكُ فيه نحن
ولا أحدٌ ممنْ خالفنا ، فالذي كان من مُنَاصَبَةِ الزبير لعلَّ وعمارته له
دونَ الإمامة ، وزعمه أنه أَفْضَلُ منه وأولى بها منه ، ولو جَعَلَهَا شُورَى
٢٠ لفرَّعه وبرَّزَ عليه .

(١) في الأصل : « معارَة إلا أرادَ المُغَالِبَةَ » . والمعارَة : المُغَالِبَةُ في العزة .

(٢) في الأصل : « ناجحاً » .

ثم الذي لا يشكُّ الناسُ فيه من طاعته لعمر ، وإنَّما عمر شعبةٌ من شعب أبي بكر . ولقد بلغ من تعظيمه لعمر وطاعته له وإكباره لقدرة ، أنَّه عا نفسه من الديوان لما قُتل عمرُ تَسْلَباً عليه^(١) ، ورفعاً لقدرة أن يليَ منه من الإعطاء والمنع أحدٌ كما كان يليه منه عمر . كما عا نفسه من الديوان حَكيم بن حزام لما تَوَقَّى النبي صلى الله عليه . وكذلك عا نفسه من الديوان عبدُ الله بن الزبير حين قُتل عثمان .

ولقد بلغ من طاعته لعمر أنه بعثه تدداً لتمرو بن العاص ، فجعل عمرَ الأمير عليه ينفذُ لأمره ويصلِّي بصلاته .

والذي يدلُّك على انبثاقه^(٢) في هوى أبي بكر ، وانقطاعه إليه بمودته ، الخاسئة التي كانت بين أبي بكر وبينه . وذلك أنَّ عبد الله بن مسعود أوصى إليه حين مات . وعبدُ الله مُرَرَّاً عَض ، وهو القائل في عثمان حين برز على الشورى : « مَا أَلَوْنَا أَنْ جِئْنَا بِهَا [في أهلنا] نَا ذَا فَوْقُ^(٣) » فإذا كان هذا قوله في عثمان وعلىَ فا ظنُّك به في أبي بكر وعمر^(٤) .

ثم أوصى إليه عثمان بن عفان [و] هو أصلُ المعرية والثمانية ، والمباينة لمليٍّ وشيمته عندهم . وأوصى إليه عبد الرحمن بن عوف ، وهو المختار

(١) التلبيط : الإحداد . (٢) في الأصل : « انبثاقه » .

(٣) في الأصل : « نادى فوق » والتكلم والتصيح مما سيأتي مما سأبئه عليه ، ومما استغفأت به من اللسان ، ففيه مادة (فوق) (١٩٥) : « وفي حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا عثمان ولم نأل عن خيرنا ذَا فوق » أي خيرنا سهما في الإسلام والسابقة والفضل . ذُو الفوق ، يضم الفاء ، هو السهم . وقوله : موضع الترم منه .

(٤) في الأصل : « وعلى » .

لثمان على عليّ ، وصاحبُ أبي بكر ، والله افع بالوسم في خلافة أبي بكر من بين جميع المهاجرين .

هذا مع أسباب الزبير الواشجة بأبي بكر : فمن ذلك إسلامه على يديه ، واحتماله مؤونته في مصاهرته ، حيث رغب إليه في تزويج ابنته ٥ أسماء ذات النطاقين ، فولدت عبد الله - وعبد الله كنيته أبو خبيب - وعروة وغيرها . وكان عبد الله أول مولود ولد في الهجرة ، فسماه الزبير باسم جده أبي بكر ؛ لأن اسم أبي بكر عبد الله ولقبه عتيق ، وإنما لقب بعتيق لعتق وجهه ودقة محاسنه . ثم كنى الزبير بأبي بكر بكنية جده ، فكان عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر تيمناً منهم بكنيته ١٠ وتبركا باسمه .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ألا تسكنيني يا رسول الله ؟ قال : « بلى ، اكنفي بابك » يعني عبد الله بن الزبير . فكانت عائشة تسكني بأمر عبد الله . ولذلك كانت تقول : قال ابني ، وفعل ابني ، وكادوا يوم الجمل أن يقتلوا ابني .

١٥ فيقال للرافضة : أما البيان والوجود فهو الذي خبرناكم به . وأما ما ادّعيتم من [أن] الزبير سل سيفاً ليؤكد إمامة عليّ فقد ينبغي أن تأتوا على ذلك ببرهان . فأما معاداة الزبير له وعارضة إيّاه ونفره عليه ، فهذا مالا يُدفع عنه . ولقد فخر عليه حين دعاه إلى الشورى وأبى ذلك عليّ فقال : أسلمتُ بالنار مديراً وأسلمتُ ناشئاً طفلاً ، وكنتُ أول من سل سيفاً ٢٠ في الإسلام يطن مكة وأنت مستخفي في الشعب يكفلك الرجالُ وعونك الأتارب من هاشم ، وكنتُ فارساً وكنتُ راجلاً ، وكنتُ شجاعاً وكنتُ

بطلًا . ولئن كنتَ زُعمُ [أنك ابن عمه] إني لابنُ حمته^(١) . وأنا عابر
البحر يومَ الحبشة ، وفي هيتي نزلت الملائكةُ ، وأنا حواريُّ رسول الله
صلى الله عليه وفارسه .

خبرني بهذا الكلام أبو زُفر^(٢) عن ضراب^(٣) ، أن الزبيرَ
كان احتجَّ به .

وخبَرني جماعةٌ من الثمانية عن محمد بن عائشة^(٤) ، أن الزبير كان
احتجَّ به ، وقد سقط عني بعضُه لطول العهد بسماعه .

وقالت (الثمانية) : العجبُ أن الروافضَ ربَّما احتجت علينا بأنَّ
الزبير سَلَّ سيفه ومضى قُدماً في تأكيد ييمة عليٍّ وخَلَعَ سواه ، ونقص
من أبي بكر .

فيقال لهم : فَمَا منكم أن تقولوا لما مات النبي صلى الله عليه
وجحد السلفُ إمامةَ عليٍّ : كفر الناس خلا خمسة نفر^(٥) أولهم الزبير
في نفسه وفضيلته على غيره . وأكبر ما كان منه من سَلَّ السيف
والشدُّ به ، وهذا موقفٌ لم يَقِفْه بلالٌ ولا أبو ذرٌّ . وأنتم على رِقَقَةٍ أن

(١) في الأصل : « ولان عمه » ، والوجه ما أنبت ، فإن أباه الزبير والدته صفيه بنت عبد المطلب
عمة رسول الله .

(٢) أبو زُفر ، ذكره في لسان الميزان ٦ : ٣٧٩ وقال : « ذكره ابن النديم في مصنف
المترلة » . وليس في النسخة المطبوعة من الفهرست .

(٣) ضراب ، آخره باء في الأصل . وله « ضراب » آخره راء ، وهو ضراب بن عمرو
صاحب الضرارية . انظر حواشي الحيوان ٥ : ١٠ .

(٤) هو محمد بن حفص . انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٥) انظر ما مضى من ١٨٠ س ٥ — ٧ .

ذلك كان ، وأنَّ السَّيْفَ لم يُحْمَلْ إِلَّا لِنَصْرَةِ هَلِيِّ دُونَ الْمَبَاسِ وَجَمِيعِ
بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ وَمَا وَلَدَتْ قُصَى .

وكيف لم يكن أدنى منازل الزُّبَيْرِ أَنْ يكون قد كان مؤمناً ولياً
إلى أَنْ جَعَدَ إِمَامَةً هَلِيٍّ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ ، فيكون سَيْلُهُ شَبِيهاً بِسَبِيلِ
حُدَيْفَةَ وَمَعَارٍ ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا عِنْدَكُمْ كَافِرَيْنِ حَتَّى تَابَا فِي زَمَنِ عُمَانَ ،
فَكَانَ يَكُونُ الزُّبَيْرُ مُؤْمِناً إِلَيَّ أَنْ كَفَرَ عِنْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ .

وإِنَّمَا سَارَ حُدَيْفَةُ وَمَعَارٍ عِنْدَ الرَّافِضَةِ وَلِبَيْنٍ لِأَنَّهُمَا قَالَا بِزَعْمِهِمْ :
وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عُمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَلِيفَةُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ .

١٠ فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا سَارُوا إِلَى تَوَلِّيهِمَا بَعْدَ إِكْفَارِهَا مِنْ أَجْلِ تَصَدِيقِ
هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِينَ رَوَوْهُ هُمُ الَّذِينَ رَوَوْا أَنَّهُمَا قَالَا : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ
عُمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَلِيفَةُ عَلَى الصَّرَاطِ يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ ،
وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَرٍ ! فَإِنْ كَانَا قَدْ تَابَا
بِقَوْلِهَا الْأَوَّلِ لَقَدْ ارْتَدَّا بِقَوْلِهَا الثَّانِي حِينَ قَالَا : وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ
١٥ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَرٍ .

ولو لم يكن ذلك كذلك بل كَانَا مُرْتَدَّيْنِ فَتَابَا فَتَوَلَّيْتُمُوهَا عِنْدَ تَوْبَتِهِمَا
وَعَادَتَيْتُمُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى طَاعَتِهِمَا لَعَمْرُ ، فَمَا بِالْكُمِ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ
فِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُؤْمِناً حَتَّى جَعَدَ إِمَامَةً عَلَى بَعْدِ ١٩ مَعَ أَنَّ سُلَّ
الزُّبَيْرِ سَيْفُهُ ، وَعَدَّوْهُ نَحْوَ أَبِي بَكْرٍ وَأَحْمَاهِ ، وَقَوْلُهُ عَمْرٍ : « دُونَكُمْ
٢٠ الْكَلْبُ » حَتَّى أَخَذَ سَيْفَهُ وَخَطَرَ ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ وَجَدْنَاهُ فِي بَعْضِ
السِّيَرَةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَضَيِّعَةِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَحْفَقُّهُ أَحْبَابُ الْحَدِيثِ .

وإن قالوا : فما قول أبي بكر في خطبته التي خطب بها في أول خلافة : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِمُخَيَّرِكُمْ » ؟ وهل يخلو هذا القول من الصدق والكذب . فإن كان صدقاً فهو خلاف قولكم في تفضيله على جميع أئمتكم ، والرجل كان أعلم بنفسه وبأهل دهره . وإن كان كاذباً فأى كذب أقبح من كذب إمام على منبر جماعة ؟ ومن أحق بالآل يلبثهم ويحمل إمامة دينهم ودنياهم يحسن يكذب على منبر الرسول من غير أن يُكرهه أحدٌ أو يُريده عليه ، أو يكون في تقيته تكاثف السوط والسيف ؟ بل ما يدعو إلى الكذب ، والكذب مقبح في العقل مقبح في الدين ، ولم يكن هناك رهبة تسوقه ولا رغبة تقوده ؟ على أن كذب الرعية^(١) أسخف وأقبح ، وهو لا يخلو من أن يكون صادقاً فلا يسمعه أن يتقدم من هو خير منه وقد مكنته تقديمه ، أو يكون كاذباً^(٢) فالقول فيه على ما قلنا .

قلنا : إن (الثمانية) تذكر ذلك وجوهاً :

فنها : أن الحسن كان يقول : والله أعلم أنه كان خيرهم ، ولكن المؤمن يهضم نفسه . فزعم الحسن أنه إنما تهضم نفسه ووضع منها ١٥ لأن الخلف المشفق كثيراً ما يزي على نفسه ويصيب عليها ويستبطنها^(٣) ، ويظهر المقت لها والخوف عليها . فهذا كان مذهب الحسن .

وأما قتادة فزعم أن قوله : « وليتكم ولست بمخيركم » إنما أراد في الحسب ، ليملهم أنه إذ يلجئهم بالحسب فإنما وليهم بالسابقة ، لأنهم

(١) أي الكذب على الرعية . (٢) في الأصل : « كذبا » . ٢٠

(٣) هذه الكلمة عامة للإممال في الأصل .

قد كانوا أَكْثَرُوا من قولهم : أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ بنى عبد مناف أن تلى عليكم تيم ١٩ وأراد فى أَوَّل مَقَامٍ قَامَهُ أَنْ يُمْلِئَهُمْ [أَنْ] ذَلِكَ الْقِيَامَ لَا يُقَالُ بَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ خَيْرَ النَّاسِ حَسَبًا وَمَرْكَبًا ، إِنَّمَا يُنَالُ بِأَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ عِلْمًا وَعَمَلًا .

٥ وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَزَعَمَ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الْخَائِفِينَ الْوَجِلِينَ الْمُشْفِقِينَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ : كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّى ؟ ثُمَّ يَبْكِي عَلَى تَضْيِيعِهِ ، وَيَسْتَغْظَمُ صَغِيرَ ذَنْبِهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُذْنِبٌ سِوَاهُ . وَأَكْثَرُ مَا يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ بَعْضِ ذَنْبِهِ أَوْ عِنْدَ بَعْضِ مَا يَمَارِضُهُ بِهِ الشَّيْطَانُ وَالْإِنْسَانُ ، مِنْ تَرْكِيبِهِ وَتَقْرِيطِهِ وَإِظْهَارِ تَفْضِيلِهِ لِنَفْسِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَالْمُحِبِّ (١) بِجَاهِهِ . لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَدَّ أَنْ يَرَى الْمَبْدُ أَنَّ ذَنْبَهُ مِنْ رِقَبِلِ رَبِّهِ مَذْهَبٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ وَاسْتِصْفَارِ الْمَصِيَةِ . فَمَعْنَى ذَلِكَ يَمَارِضُهُ الْمُؤْمِنُ بِتَقْرِيعِ نَفْسِهِ وَتَأْنِيهِهَا ، وَتَوْقِيفِهَا عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهَا ، وَتَذَكِيرِهَا بِمَسَاوِيهَا ، وَاسْتِظْهَامِ كُلِّ مَا كَانَ مِنْ تَقْصِيرِهَا وَإِسَاءَتِهَا ، وَاسْتِصْفَارِ كُلِّ مَا كَانَ مِنْ عَظِيمِ إِحْسَانِهَا وَطَاعَتِهَا ، فَيَقُولُ : كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّى . وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْكَلَامِ .

١٥ وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ اللَّفْظِ ، إِذَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَلَيْسَ فِي تَجَرُّى الْكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّوْر . وَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ : « كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّى » خَيْرًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .

٢٠ فَكَانَ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا خَطَبَ النَّاسَ وَقَامَ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعِلِيَّةٌ قَرِيشٌ وَسَادَةُ الْعَرَبِ قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَصَفُوفًا عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، يَقُولُونَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) فى الأصل : « وَلَسِبَ » .

وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أِزْمَةُ الْأُمُور ، وَأَعْطَوْهُ الْقَادَةَ ، وَأَسْمَحَتْ نَفُوسُهُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَقَدْ صَرَفُوهَا عَنْ الْقِرَابَةِ وَعَنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، رَأَى بِسُطَّةِ عَيْشِهِ ^(١) مِنْ عِزٍّ الْخِلَافَةَ وَبِأَوِّ الإِمَامَةِ ، مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ ، وَلَا تَأْتِي الصَّفَةَ عَلَى كُنْهٍ . وَلِلشَّيْطَانِ ^(٢) هُنَاكَ مَدَاخِلٌ وَمَخَانِلٌ ، وَدَسٌّ وَتَحْرِيكٌ وَطَمَعٌ ، لَيْسَ يَقْوَى بِشَرِّهِ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، وَلَسْكَيْنِ تِلْكَ الْحَرَكَةُ ، وَالنُّهُوضُ بِتِلْكَ الْحَنَةِ ،

• إِلَّا بِنَايَةِ الزُّرِّيِّ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَغْضَمِ لَهَا ، وَالنَّبْضِ وَالتَّخَوُّنِ مِنْهَا ، وَتَنَابُؤِي ذَكَرَ جَمِيعَ حِمَاسِهَا ، وَاجْتِلَابَ ذَكَرَ جَمِيعَ مَسَاوِيهَا . فَبِالْحَرَمَى إِذَا صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ مِنْ غَرَبِهِ وَطَوَائِعِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتِّشَارِ هَزَمِهِ ، وَاتِّقَاضِ يَرْكَنِهِ .

وَهَذِهِ حَالٌ لَا يُمْتَحَنُ بِهَا إِلَّا الْخُلَفَاءُ ، وَلَا يُجْتَبَرُ بِهَا إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْهُدَى ؛

١٠ لِأَنَّ مَعَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الثَّمَنِ وَمِنْ فَضُولِ الْأَحْلَامِ ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَثَبَاتِ النَّفْسِ ، وَالْعُرْفَةِ بِمَا آدَاءُ الطَّائِعِ ، وَإِمَانَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَعَ ... مَا يَقَامُ بِهِ مَوْرَهُ ^(٣) مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ وَتَعْظِيمِ الْإِنْسَانِ ، وَعِزِّ السُّلْطَانِ . وَالنَّفْسُ لَا تَسْمِعُ بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْهَا حَتَّى تَمْتَعَهَا مَا لَهَا .

وَأِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « وَلَيْتَكُمْ فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » لَمَّا أَرَادَ بِهِ مَدَاوَاةَ قَلْبِهِ ، وَالزُّرِّيُّ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِكَذِّبٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرِمُ ، إِذْ كَانَ إِنَّمَا أَرَادَ لِإِصْلَاحِ قَلْبِهِ ، وَعِلَاجَ دَائِهِ ، وَابْتِدَاءَ مِنْ تَقْرِيرِ الْقَوْمِ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ فَضْلِهِ ، وَالْفَخْرِ عَلَيْهِمْ بِتَبَرُّزِهِ . فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ مَنْ يُظْهَرُ التَّعَلُّمُ إِذَا عَمِلَ ، وَسَبِيلُ مَنْ يَتَوَاضَعُ إِذَا عَظُمَ . فَجَمَعَ بِذَلِكَ حَسَنَ الْأَدَبِ ، وَابْتِدَاءَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَسْطَهَ عَيْشِهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالشَّيْطَانُ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ .

من التزكية ، والتعجب إلى المستمع ، والتواضع لرَبِّه ، والداواة لقلبه ،
والظفر بمدوّه ، وإحراز دينه .

وقد يكون إخلاصُ ظاهرٍ لفظه على شيء ومعناه غيره ، فلا يكونُ
ذلك كذباً ، لمعرفة القائل بقَهْم المستمع عنه . وهذا بابٌ كثيراً
ما يستعمله العرب . ٥

يقول الرجل لامرأته : أَلَقِيتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ ! وهو يَمْنَى طلاقها
وليس هناك حَبْلٌ أَقْبَى عَلَى غَارِبٍ .

ويقول : مَالِي فِي هَذَا الْأَمْرِ نَاقَةٌ وَلَا سَجَلٌ ! وليس ذلك يُرِيدُ .
و : لست منها في عَيْرٍ وَلَا تَغِيرُ ! وليس ذلك يُرِيدُ .

١٠ وقال مُرَّرٌ فِي الصَّدَاقِ مَا بَلَغَكُمْ ، فَلَمَّا احْتَجَّتْ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ يَقُولُ
اللَّهُ : « وَأَنْتِمْ لِأَحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ^(١) » قال : كلُّ أَحَدٍ
أَفْقَهُ مِنْ حَرٍ .

وهذا القولُ يَبْنِي أَنْ يَكُونَ عَلَى قِيَاسِكُمْ هَذَا كَذِباً . وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا
رَوَاهُ عَنْ مُرَّرٍ إِلَّا عَلَى التَّفْضِيلِ لَهُ . وَوَجْهُهُ قَائِمٌ مَعْرُوفٌ .

١٥ فَإِنْ قَالُوا : مَا مَعْنَى قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ : « يَا مَعْزُومُ أَيُّ هَذَيْنِ شَتَمْتَ » ، يَمْنَى
مُرَّرٌ وَأَبَا هَبِيبَةَ .

قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ لِلْأَنْصَارِ وَمِنْ حَضَرَ
بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ الْأَنْصَارَ بِفَضْلِ الْمُهَاجِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُمْ . فَعَلِمَ
عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَاقٍ عِنْدَ الْأَنْصَارِ مِنْ جَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ كَمَا بَانَ عِنْدَ الْمُهَاجِرِينَ

٢٠ (١) الآية ٢٠ من سورة النساء . وفي الأصل : « وَإِنْ أَنْتِمْ » ، وهو تحريف .

ولكنه كان سائساً رفيقاً ، فسكره أن يقول بالعمى ، ليكونوا هم الذين يطلبون منه ذلك ويريدونه عليه ، ويظهرون حباً قديماً ؛ لتكون النفوس بطاعته أسمع ، وفيها أرغب ، ولذهبه أحد ؛ ولأن ذلك عندهم أبعد من الاستبداد عليهم ، والافتيات بالأمر دونهم ، والحريص على التأثر عليهم . ولذلك مشى في الناس بمد يمينه ثلاثاً يقول : هل من مستقبل فيقال ؟

وقد قال في خطبته بمد البيعة :

وقد كانت بيعتي قلعة ، وخشيت الفتنة . وإيم الله ما حرصت عليها يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ، ومالي فيها راحة . وقد قلدتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ، ولوددتُ أن أقوى الناس ١٠ عليها مكاناً .

ألا ترى زهده فيها^(١) ، وقلة حرصه عليها ، وكيف يُعبرُ أنه لو لم يخشَ الفتنة ما قبلها ، وتوددُ أن أقوى الناس عليها مكانه ؟

وقوله « لوددت أن أقوى الناس عليها مكاناً » ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها مني . ليس^(٢) أنه يرى أن ١٥ في الأرض يومئذ رجلاً هو أقوى عليها منه .

ومثلُ هذا في كلام العرب كثير .

وقال الرازي^(٣) وذكر إليه فقال ، إذا كانت عليها متعارضها^(٤) :

(١) في الأصل : « ألا ترى في زهده فيها » .

(٢) في الأصل : « فليس » . ٢٠

(٣) هو أبو محمد الفصيح . الحسان (غرض) .

(٤) جمع مفرض ، كجمل ، وأصله جانب البطن أسفل الأضلاع ، وهو ما يقع عليه الفرس وهو حزام الرجل . وقد عني به الجناح الأغرأض . ويبدو أن هذه العبارة مقحمة ، وموضعا بمد .

• يشرِّينَ حَتَّى تَنْقُضَ الْمَارِضُ^(١) •

يقول : يشرِّينَ حتى لو [كانت عليهما مفاوضهما^(٢)] سمعت لها تقيعنا .
والبعير لا يُورَدَ وعليه غَرْمُهُ وبطائنه .

ثم رجعنا إلى الحديث الأول

• فكانَ أبا بكرٍ حين قال : « يا أيُّها الذين شتمتم » علمَ أن عمر
وأبا عبيدة لا يستجيزان تقدُّمه والتأثرَ عليه ، كما بلغنا من قول مُهرٍ في أبي بكر ،
يومَ جمع المهاجرين والأنصار يستشيرهم في غزو الروم حيثُ خلفوه وأبى أبو بكرٍ
إلاَّ إيفادَ ذلك الجيش والتعريفَ لهم بالحجة^(٣) فيه ، حين يقول : « الحمد لله
الذي يَخْصُ بالخَيْرِ من يشاء من خلقه . والله ما استَبَقْنَا إلى شيءٍ من الخير
إلاَّ سَبَقْنَا إليه ، ذلك فضلُ الله يُؤْتِيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .
وقال أيضاً يوم السَّقِيفَةِ حين قال أبو بكر : « يا أيُّها الذين شتمتم :
» والله لأنَّ أقدَمَ فنضربَ عنقَ أحبِّ إلىَّ من أن أتقدَّمَ أبا بكرٍ » .
وقال : « والله لأنَّ أضجَعَ فأذبح كما يذبح الجمل أحبُّ إلىَّ من أن
أتقدم أبا بكرٍ » .

١٥ ولقد بلغ من تعظيمه له وتقديره إِيَّاه ، أنه قال حين سُئِلَ عن
الكلالة : « والله إني لأستحي الله أن أرى خلافَ رأيِ أبي بكرٍ » .
وأنت لم تجد أبا عبيدة تقدُّمه في موقفٍ قطَّ ، وقد وجدت
أبا بكرٍ قد تقدَّمَ أبا عبيدة في مواقف كثيرة ، في حياة رسول الله صلى

(١) في أساس البلاغة : « حتى تلتأ » .

(٢) انظر التلخيص ، من الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : « الحجة » . وانظر من ١٠٥ س ٨ - ٩ .

الله عليه وبعد وفاته ، كما حكينا لك قبل هذا . ولم نجد ذكر
أبي بكر وعمر في موضع قطع إلا وأبو بكر المقدم عليه ؛ مع مقامات
لأبي بكر شريفة ليس لغيره فيها ذكر .

- فبين أن يكون أبو بكر بأمرهم بذلك أمراً أو يطلب إليهم طلباً ،
وبين أن يجعله إليهم فيكونوا الطالبين له والراغبين إليه ، وليكون ذلك •
من تلقائهم وطيب أنفسهم ، فرق عظيم .

- وأية بيعة أثبت من بيعة عقدها عمر والنبي يقول : « ضرب
بالحق على لسانه » و « الشيطان يفرق من حسه^(١) » و اللهم أمر
الإسلام بعمر » ١٩ وأية بيعة أثبت من بيعة عقدها أبو عبيدة والنبي
يقول : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . ١٠
وأية يمين أثبت من يمين عقدها عبد الرحمن بن عوف وقد سماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمين^(٢) » . فإذا كان أمين رسول الله
صلى الله عليه في أمته ، والفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ،
حيث قال : « لا يُعبد الله سراً بعد اليوم » قد عقدا بيمينته وأكدا
أمره^(٣) ، فما عسى أن يبلغ قول قائل ؟ ! ولو كان ذلك عن مواطاة من ١٥

(١) في الرياض النضرة ١ : ٢٠٨ في حديث المرأة الأنصارية : « فقامت بالدف على
رأس النبي صلى الله عليه وسلم ففترت ترفين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها
واسرعت إلى خدر عائشة . فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت من نهبت . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليغر من حس عمر » .

(٢) انظر السيرة ١٠ : جوتين ، لؤلؤ رسول الله في شأنه : « اتفقوا المشية أثبت
معكم القوي الأمين » . وفي الرياض النضرة ٢ : ٣٠٨ : « إن لكل أمة أميناً وإن أميننا
أثبتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح . أخرجه البخاري ومسلم . وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ،
ولفظهما : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ... » .

(٣) في الأصل : « عقد يمينته وأكده أمره » . وإنما ما أبو عبيدة الأمين ، وعمر الفاروق .

أبي بكر لأبي حبيدة كما واطأ معاويةُ عمرو بن العاص ، ما استعمل عليه خالد بن الوليد أميراً أيام حياته حتى عزله عمرو بن الخطاب ، ولكن كما صنع معاويةُ بعمرو حين أطعمه مصر .

وَأَيَّةُ سَيْمَةٍ أَثْبَتَ مِنْ سَيْمَةٍ عَقَدَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَضِيْتُ لِأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ »^(١) . فَإِذَا رَضِيَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ سَيْمَةً رَجُلٍ فَقَدْ رَضِيَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ قَالَ : « رَضِيْتُ لِأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ » .

ولقد بلغ من تقديمه لأبي بكر وعمر وعثمان أنه قال عند اختيار الناس لعثمان : « مَا أَلَوْنَا أَنْ جَمَلْنَاهَا فِي أَهْلَانَا ذَا فَوْقٍ »^(٢) .

ولقد بلغ من تعظيمه لعمرو وتقدمه له ، أنه قال : « لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ فِي حُبِّ عُمَرَ » . وقال : « مَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ » . وقال بعد موت عمرو : « إِنْ عُمَرَ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حَصْنًا حَصِينًا يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَاتَ انْثَلَمَ ذَلِكَ الْحَصْنُ فَصَارَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ » . وقال : « إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ غَيَّرَ هَلَاكًا بِعُمَرَ »^(٣) .

فإذا كان عمرو وعثمان من أتباع أبي بكر وشيخته وأوليائه ، وهذا قوله فيهما ، وتفضيله لهما ، فما ظنك به في أبي بكر ؟

(١) انظر ما مضى في ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٢٣ . وكتبت في الأصل : « اعلى لادى فوق » .

(٣) أى ابدأ به وجعل يذكره .

ولو أن رجلاً واجداً من نحو من ذكرنا عقد لعل إمامة ، أو نطق فيه بكلمة ، لأكلت الشيع والرافض هذه الأمة فضلاً عن أن تحتج برضاه واختياره . فهذا بهذا .

ثم الذي نقولوا إلينا^(١) من تثبت على يمة أبي بكر . وذلك أنهم قالوا : لا بويج أبو بكر وبأيمه على^٥ وبنو هاشم ، قام أبو بكر فطاف في الناس ثلاثاً يقول : « أيها الناس ، قد أفلتكم يميني » ! قالوا : يقول على^٥ من بين الناس : « والله لا نفيك ولا نستطيعك ، قد ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فمن ذا يؤخرك ؟ ! » .

ثم الذي نقله الناس عن علي حين قال على منبره : « ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر ، والثاني عمر ، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت » .

وقولوا جميعاً أن علياً قال : بينا أنا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال النبي : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين والمرسلين ، لا يخبرهما بالذي قلت يا علي » . قالوا : قال علي : لولا أنهما قد ماتا ما حدثتكم .

قال الشعبي : قال علي : « إن أبا بكر كان أواهاً منياً ، وإن عمر ناصح الله فتصبحه الله » .

وقولوا أن علياً قال : ودخل علي عمر وقد مات وهو مسجى —

(١) في الأصل : « سلوا بنا » .

فقال : رحلك الله يا عمر ! والله ما أحدٌ أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل
صيفته من هذا المسجى صاحب السرر !
وبلنه أن رجلاً تناولَ أبا بكرٍ وعمر ، فقال للرجل : لو سمعتُ
منك الذى بلغنى لألقيت أكثرك شراً .

• وقال : لو أُرِيتُ رجلاً يشتمهما لجلدته حدَّ المفتري .

ثم الذى نقله جميع أصحاب الآثار أنه قال : كنتُ إذا سمعت من
النبي صلى الله عليه حديثاً نفَعنى الله بما شاء منه ، فإذا حدثنى غيره عنه
استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته . وإنَّ أبا بكرٍ حدثنى — وصدقَ
أبو بكر — حدثنى أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « ما من رجلٍ
يُذنب ذنباً فيَتوضأُ فيُحسِن الوضوءَ ثم يصلُّ ركعتين ويستغفر الله إلَّا
١٠ غُفِرَ له ^(١) » .

ألا ترى كيف أوردَه بالتصديق وقِلةِ التهمة ، وأقامه مقامَ التقليد
ورَفَع الاستِراة .

فهذا مذهبُ عليٍّ فيهما وتطعيمُهُ لهما .

١٥ ثم الذى كان من تزويجه أمّ كلثوم بنتِ فاطمة بنتِ رسول الله صلى
الله عليه ، من عمر بن الخطاب ، طائماً رافياً ، وعمر يقول : إني سمعتُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّه ليس سببٌ ولا نسبٌ
إلَّا مُنْقَطِعٌ ، إلَّا نَسَبِي » . قال عليٌّ : إنها والله ما بَلَعَتْ يا أمير المؤمنين .
قال : إني والله ما أريدُها لَذاك ! فأرسلها إليه فنظر إليها قبل أن يتزوجها ،

ثمَّ زَوْجَهَا إِيَّاهُ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ زَيْدَ بْنَ عُمَرَ ، وَهُوَ قَتِيلُ سُودَانَ مَرْوَانَ^(١) ،
فَلَمَّا أَتَى النَّعْمُ أُمَّ كَلْثُومٍ كَدَّتْ عَلَيْهِ حُزْنًا حَتَّى مَاتَتْ ، وَقَالَتْ : وَاحَرَّهَا !
قَتَلَ أَبُوهَا عَلِيٌّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَتَقَتْلَ زَوْجَهَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَفَتِيلَ
وَلَدَهَا زَيْدَ بْنَ عُمَرَ .

- ثُمَّ تَسْمِيَةُ عَلَى أَوْلَادِهِ بِأَسْمَائِهِمْ ، كَمَا يَتَرَكُّ الرَّجُلُ بِأَسْمَاءِ أُمَّتِهِ وَقَادَتِهِ ،
حِينَ سَمِيَ بِمُحَمَّدٍ وَعُمَانَ وَأَبِي بَكْرٍ ، فَأَعْقَبَ عُمَرَ وَلَمْ يُعَقِّبْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَانُ .
• ثُمَّ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبُولِهِ وَلَايَةَ عُمَرَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَعَى
عُمَرُ مُسْكِرًا يَرِيدُ جَيْشَ مِهْرَانَ^(٢) بِسَدِّ وَقْعَةِ قُسِّ النَّاطِفِ^(٣) فَاتَّاهُ عَلَى*
إِلَى مُسْكِرِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ فِيمَنْ أَشَارَ^(٤) بِأَنَّ الرَّأْيَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَلَا يَلْقَاهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَدِّهِ ، بَلْ يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ فَيْئَةً^(٥) . فرجع عمر . ١٠
وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَ النَّاسِ لِيَجِدُوا وَيَزِمُوا .

فَإِنْ قَالُوا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ ، أَوْ قَالُوا : إِنَّ هَذَا الَّذِي حَكِيمَتُهُ وَإِنْ
كَانَ حَقًّا فَلَيْمَّا كَانَ عَلَى التَّقْيَةِ . فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ بِالَّذِي يَكْتَفِي بِهِ .
وَالْمُعْجَبُ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ عَلَى النَّاسِ تَصْدِيقَهُمْ أَنْ سَلَّمَ قَالَ : « كَرْدَاذِ

- (١) انظر نسب فريش ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٢٧٧ ، ومهجرة أنساب العرب ١٤٧ . ١٥
(٢) هو مهران بن بإذان المصنف الفارسي ، وكان عربي الأصل لقأ مع أبيه باليمن
إذ كان حاملاً لسكرى . وروى الطبري ٤ : ٧٨ أنه قال في تلك الحرب :
إِنْ تَأَلَّوْا عَلَى فُلَانٍ مِهْرَانَ أَتَا لِمَنْ أَنْكَرْتَنِي ابْنَ بِإَذَانَ
مُسْكِرِ الرَّجُلِ وَالْجَيْشِ : كَانَ فِي الْمُسْكِرِ . وفي الطبري ٤ : ٨٣ : « خَرَجَ عُمَرُ حَتَّى نَزَلَ
عَلَى مَاءٍ يَدُمِي ضَرَارًا فَمُسْكِرَ بِهِ » . ٢٠
(٣) كَانَتْ فِي سَنَةِ ١٣ .
(٤) انظر خبر هذه الصورة في الطبري ٤ : ٨٣ - ٨٤ .
(٥) أَيْ مَرْجَعًا .

ونَكَرْدَاذ^(١) » وَأَنَّ الْإِيزِيرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ لِيُؤَكِّدَ إِمَامَتَهُ عَلَيَّ ، وَأَنَّ
الْأَنْصَارَ إِنَّمَا خَالَفَتْ عَلَيَّ - الْمُهَاجِرِينَ هَفْضًا مِنْ اسْتِبْدَادِ أَبِي بَكْرٍ^(٢) ، وَأَنَّ
أَبَا سَفْيَانَ بْنَ خَرْبٍ ، وَخَالِدَ بْنَ سَمِيدٍ ، إِنَّمَا قَالَا : « أَرْضَيْنَا مَعشَرَ
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ أَنْ يَلِيَ عَلَيْكُمْ تَيْمٌ » ، نَصْرَةً لِعَلِيِّ دُونَ جَمِيعِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ،
فَإِنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ^(٣) ، وَإِنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « أَنْتَ مَعِيَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى » ، وَجِئْتُ إِلَيْهِ طَلَّاقَ نِسَائِهِ ، وَأَنَّهُ قَسَمَ النَّارَ^(٤) ، وَصَاحِبَ
الْعَرَضِ ، وَالْقَائِمِ عَلَى الْخُلُوصِ ، فَيُوجِبُونَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْدُقَهُمْ فِي هَذَا
وَلَا يُوجِبُونَ عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ لِحُكْمِ الْآثَارِ أَنْ عَلِيًّا قَالَ فِي الْخَلِيفَةِ وَالْبَرِيَّةِ ،
وَالْبَائِنَةِ ، وَالبَيْتَةِ ، وَطَلَّاقِ الْحَرْجِ ، وَأَمْرُكَ بِيَدِكَ ، وَالْحَرَامِ ، أَنَّهَُا كَثَلَاتُ
١٠ تَطْلِيقَاتٍ . وَيُوجِبُونَ عَلَيَّ طُلُوبَ الْحَدِيثِ أَنْ عَلِيًّا كَانَ لَا يَرَى الطَّلَاقَ
إِلَّا طَلَّاقَ الشُّنَّةِ .

وهذا أمرٌ ما سَمِعْنَا بِهِ قَطُّ عَنْ عَلِيٍّ إِلَّا مِنْهُمْ .
وَلَيْسَ بِأَعْجَبَ مِنْ اسْتِشْهَادِ خُصُومِهِمُ الْبَيَانَ وَالْإِجْمَاعَ وَمَا عَلَيْهِ الْوُجُودُ ،
وَاسْتِشْهَادِهِمُ الْقَصْدَ وَالْعَمِيمَ وَالنَّيْبَ ، وَجَمْلَهُمْ لَهُ يَوَازِنُ الظَّاهِرَ وَالشَّائِعَ .
١٥ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا قَالَ : أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ كَهَلَا وَأَسْلَمَ عَلِيٌّ كَهَلَا .

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) في الأصل : « أَبِي بَكْرٍ عَلَيَّ » .

(٣) في الرُّأُوسِ النَّصْرَةِ ٢ : ١٧٩ : « عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرٍ عَلَيَّ وَهُوَ يُوحِي إِلَيَّ فَلَمَّا سَمِعْتُهُ عَنْهُ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، صَلِّتَ النَّصْرَ ؟
٢٠ قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّكَ كُنْتَ فِي حَاجَتِكَ وَحَاجَةُ نَبِيِّكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . فَرَدَّهَا
عَلَيْهِ فَصَلَّ وَفَاتَتْ الشَّمْسُ . خَرَجَهُ الْفُؤَادِيُّ قَالَ : وَقَالَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ : وَهُوَ حَدِيثٌ مُوَضَّوعٌ
وَلَمْ تَرُدَّ الشَّمْسُ لِأَحَدٍ ، وَإِنَّمَا حِجَّتْ لِيُوشَعَ بْنِ نُوَيْسٍ » .
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

قالوا : كان عليٌّ وهو ابن سبع سنين أرجحَ عقلاً من أبي بكر وهو ابن إحدى وأربعين سنة . فتركوا البيان ومارضوا الشاهد بالناصب .

وإن قال قائل : إنَّ أبا بكر كان مع النبيِّ في النار وقد نطقَ به القرآنُ وبُتِّته الإجماع . قالوا : فإنَّ عليًّا أباته النبيُّ على فراشه .

- وإن قلت : إنَّ النبيَّ سمَّى أبا بكر بالصديق تفضيلاً له ولم يجعل له اسمًا يفضُّله به . قالوا : كَيْلٌ ، قد كان النبيُّ سمَّاهُ الصَّديق الأكبر ، ولكنَّ الناسَ منعوه ذلك وظلموه ، حين لم يُسَيِّروه ويُسَيِّمونه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ اشتكى أياماً وليالي ، كلَّ ذلك يأمر أبا بكر بالصلاة ، وهو حاضرٌ ولا يأمره . قالوا : لأنَّ عليًّا كان مشغولاً بتمريضه .

- وإن قلت : إنَّ الناسَ لما اغتفتوا بعد موت النبيِّ وعظموا شأنه حتى دماهم الإفراطُ إلى أن قالوا : لم يمِتْ ، ولكنه يغيب مثل ما غاب موسى من قومه . فكان أبو بكر هو التَّكَلُّمُ والمُتَجِّجُ والمُهاجِرُ حتى عرفَهم الحقُّ وتلبَّهوا من الرِّسنة . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان اشتدَّ حزنه حتى قطعه عن الاحتجاج والتعريف .

- فإن قلت : حين أظهروا الفرقة والذَّارُ دارُهم ، لو تركهم أبو بكر ولم يعرفهم فضل المهاجرين عليهم ، لكان في ذلك أشدُّ الفتنَةِ وأكْبَرُ الفسادِ ، فصاحبهم وتجرَّدوا للاحتجاج عليهم ، حين كان كلُّ إنسانٍ همُّه همُّ نفسه ، وعلىَّ بمزِيلِ حتى كأنَّه كان غائباً . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان معروفَ حسدٍ قريشٍ وبنيها عليه ، وطاعتها وحبها لأبي بكر ، فلم يكن ليقدح في غير مقدَّح ، أو ينفُخَ في غير غَمِّ .

فإن قلنا : إن إظهارَ عليّ الرضا بالشورى دليلٌ على طاعة عمر .
قالوا : إنما ذلك للتقية .

فإن قيل : فلم رضى ببعد الرحمن غتاراً وعبدُ الرحمن عنده من
عدوه ، وأدى منزله أن يكون كان خوفاً عنده ، وأدى من ذلك أن
يكون النطق غير مأمورٍ عليه . ٥

قلنا : وهلاً أظهر من الخلاف شيئاً يسيراً إلينا ، وهلاً نطق بحرفٍ
واحد بقدر ما يتخذُه الناسُ بعد حجة ، ولم يكن بلغ أقصى خلافهم
فيُرى وعيداً أو إيقاعاً .

فإن قلت : إن علياً قال لأسماء بنت عميس — وهي يومئذ امرأته —
١٠ حين تفاخر ولدها من أبي بكر وجمفر وعليّ عندها : اقضى بين ولدك .
فقلت : ما رأيتُ شاباً كان أظهر من جمفر ، ولا رأيتُ شيخاً كان
أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسهم لفعلك^(١) ! فلم يُنكر ولم
يصحح ، ولم يفرق^(٢) ولم يتمجب ، والكلام يؤثر والتقنية تظهر .
قالوا : إن فضله أظهر في الناس من أن يحتاج إلى الاحتجاج ،
وإنما قالت ذلك مازحة ، كما تمزح المرأة مع زوجها وتحرش به^(٣) . ١٥

فإن قلت : إن علياً قد بايع أبا بكر وأعطاه صفته طائفاً غير مكروه
والحكم السابق من الله ورسوله أن الدق على إذا أقر ولم ينكر ،
ولم ير الوالي أثر جنون ولا إكراها ، أن إقراره جائز عليه ، فكذلك

(١) انظر ما سبق في ص ٩٥ .

(٢) الفرق : الجرح . في الأصل : « ولم يعرف » .

(٣) التحريش : الإغراء . في الأصل : « وتغرش به » .

على إذا كان قد بايع وليس على رأسه سيف ولا سوط ، فحكمه حكم
الراضي السلم .

قالوا : قد كان هناك إكراه ظاهر ، ولكن الناس تكاثروه
وأخفوه فبايعنا وبينهم ، إذ كان الجمهور الأكبر معهم .

- فإن قلت : قد صدقناكم في قولكم إنه قد كان في تقيّة من أبي بكر
ومرّ وعثمان ، أرايتم أباكم سلطان نفسه ومعه مائة ألف سيف تطيعه
وأهل الأرض كلهم رعيته ما خلا الشام ، لم كان يظهر تزيّة أبي بكر
ومرّ على منبره وفي مجلسه ؟

قالوا : للتقيّة من رعيته ، إذ كان أكثرهم على هواهم وطاعهم .

- قلنا : قد حرّفنا أن تركه لنهم والبراءة منهم والإخبار عن
استبدادهم وظلمهم ، على التقيّة ، فاحمله على تركيهم والإخبار عن
محاسنهم ، والرواية الحسنة فيهم ، وقد كان له في السكوت سعة ، وعن
الكلام مندوحة ؟ ولقد تعدّى في مدح أبي بكر ومرّ حتى قال لابن
طلحة : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله : « إخوانا
على سرور متقابلين » .

١٥

وإن قلنا : إن في تسميته ببنه بأسمائهم دليل على تعظيمهم لهم .

قالوا : لأنه قد كان علم أن شيعة سيحتاجون في آخر الزمان إلى
الترثم على أبي بكر ومرّ وعثمان ، تقيّة من شيعتهم ، فسمّى ببنه بأسمائهم ،
حتى يكون ذلك الترثم واقعا عليهم ، ولأنّ ينصب لهم من إذا قصدوا
إليه بالترثم أسابوا الحق ولم يحتاجوا إلى الإلطاط^(١) .

٢٠

(١) الإلطاط : اللطاف ، والاعتدال في الخصومة .

وإن قلنا : إنه زَوْجٌ مَرَّ غَيْرِ مُسْكِرَةٍ^(١) ، ولا شيء أدلُّ على الخامسة
والصفاء من المشاركة والمصاهرة .

قالوا : قد كان هناك تَوَعُّدٌ وتخوُّفٌ ، وقد قال بعضهم : إنَّ هذا باطلٌ
وإنَّ عليًّا لم يزُوجَ مَرَّ قَطُّ . ونبئت من بعضهم أنَّه قال : قد كان ذلك على
التقية ، ولكن الله سأنها فأخفاها ورفعها .

ف قيل له : نخبرنا من التي رأوها في منزل مُمرٍ وعلى فراشه ، وولدت
منه زيدا ، ما هي ؟ وأي شيء كانت ؟
قال : شيطانةٌ في سورة امرأة .

وإن قلت لهم : كيف زعمتم أنَّه كان أشدَّ أهلِ الأرض قلبًا ،
وأنتم ترمون أنَّه كان يتقى كلَّ شيء ، حتى يُسَلِّمَ حرمةً إلى كافرٍ من
غير أن يُشهرَ عليه سَيْفٌ أو يُضربَ بسَوْطٍ . وقد رأينا مَنْ هو في دون
حالِهِ في التَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ ، والحَيَّةِ والبَصِيرَةِ ، يمتنع حتى يُقتَلَ في دونِ
هذا . وقد تعلمون أنَّه لم يُكَلِّمْ ولم يُخَدِّشْ ، فضلاً على أن يُبرِّحَ
ويُقتَلَ ، في جميع المقامات التي زعمتم أنَّه لئنما استجاز واستحل من التقية .

وأعجبُ من جميع هذا أنَّنا رأيناكم ترمون أنَّ أبا بكرٍ وعُمانَ كانا
من أجبنِ البرية وأبغده من حجة ، وقد رأينا سنيعَ أبي بكرٍ في الردَّة
كيف نفّض بالقليل في عاربة الكثير ، وكيف أشاروا عليه بأن يستعينَ
بجيش أسامة حتى إذا رَدَّ الردة أعاد الجيشَ إلى حاله . وكيف قال لهم حين
قالوا له : إنَّا قد أمَّنا غزوَ الرُّومِ إِيَّانا في يومنا هذا ، ولسنا نأمنُ مع
ارتداد جميع العرب أن نُفَرِّقَ في مُعَقَّرِ دارنا ! قال : لو بقيتُ حتى يأكلني

الكلابُ وحدي ما أُخِرْتُ جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنفاذه .
 ثم رأينا عثمان ، وهو عندكم أضف من أبي بكر وأجبن ، قد كان
 حاضراً مُعطشاً غدولاً قد قهره عدوه ، والسيوف تلح على يابه ، وقد أفضوا
 إلى داره ، وتسلقوا عليه من خَوْخَةٍ^(١) ، وهم يريدون نفسه أو خلع
 الخلافه من عنقه ، ففسبرَ حتى قُتِلَ كريماً محتسباً وهو يقول :
 « لا أنزع قيصاً قمصينه الله ! » ، وهو يرى الجِدَّ وليس معه أمانٌ
 من يقيله .

وقد يزعمون أن علياً قد كان يعلم أنه لا يُقتل ولا يموت حتى
 يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، ومع ذا يزعمون أن الله^(٢) قد
 كان أسراً إليه علم كل ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والفتنح . وهذا
 لا يُشبهه اتخاذه أبا موسى حكماً عليه وله ، مع قباء^(٣) أبي موسى
 وعداوتيه كانت له ، ولا سيما إذا قرنه بمرو بن الماص . وما ظنك برأى
 مرو وقد كان فيه مموه^(٤) .

ففي جميع ما قلنا دليل على أن القوم إما أن يكونوا^(٥) مالكيين لأهوائهم .
 فإن قالوا : ما الدليل على إسلام أبي بكر فضلاً على تقديمه وتفضيله
 ومباينته ؟ ومن أين لكم أن تزعموا أنه قد كان مسلماً وأنتم وخصومكم
 مجمون على أنه قد كان كافراً ، ثم ادعيتم أنه قد أسلم بعد كفره وأنكر
 ذلك خصومكم ، فليس لكم أن ترجعوا ممّا اجتمعتم عليه إلّا بإجماع منكم

(١) الخوخة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

(٢) في الأصل : « الذي » .

(٣) في الأصل : « عا » بإسقاط .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل . والوجه « لم يكونوا » .

يوازنه . وقد ينبغي أن تطرحوا موضع الفِرقة وتَقَمُّوا بموضع الجماعة ، وقد جَامَعْتُمونا أَنَّ عَلِيًّا لم يَزَلْ مؤمناً .

قيل لهم : إِنَّا لو كُنَّا عرفنا أَنَّهُ قد كان مرَّةً كافرًا من قِبَل خبر أصحابنا وبجماعة خصومهم لهم ، وكان علمُ ذلك لا يُصَاب إِلَّا بمجامعتهم لأصحابنا ، لقد كان الذي قلتم واجبًا وقياسًا صحيحًا . ولكنَّا عَرَفْنَا أَنَّهُ قد كان كافرًا بقدر من الخبر قد يكذب مثله ^(١) ، وبه ثبت عندنا أَنَّهُ قد كان في الدنيا ، فضلًا على أن يكون كان له فعلٌ يسمَّى كفرًا وإيمانًا . وإنَّما الحجة في الميِّء الذي لا يكذب مثله ، ثم لا نلتفت بعد ذلك إلى موافق ولا إلى مخالف ، ولا إلى عقل ولا إلى نظر . ثمَّ نظرنا فإذا الوجه الذي منه علمنا أَنَّهُ قد كان في الدنيا ، منه علمنا أَنَّهُ قد كان مرَّةً كافرًا ، و [هو] الوجه الذي منه علمنا أَنَّهُ قد أسلم بعد كفره . ولو أنَّا عرفنا كفره بنا وبخصومنا ، لما عرفنا إيمانَه إِلَّا بنا وبهم .

ووجهٌ آخرٌ من الجواب : أنكم قد جَامَعْتُمونا على أَنَّهُ قد كان يشهد الشهادة ، ويأكل الذبيحة ، ويظهر الإسلام ، في حيثُ النفاقُ مستغفِر وثوبُ الإسلام داجٍ ^(٢) ، والكفرُ ذليل والإسلام عزيز ؛ [ثمَّ] ادَّعَيْتُمْ بعد أن أقررتُم أَنَّهُ قد كان يظهر الإسلامَ في دار الإسلام ، أَنَّهُ كان مُستبرأً بالكفر ، وَأَنَّهُ كان من المؤلِّفة قلوبُهُم .

فالواجب بالقياس أن يُحكَمَ له بالإسلام على ظاهر ما اجتمعنا عليه من جللته . ولاندعُ موضع الإجماع إلى قولكم وحدكم : إِنَّهُ قد كان إسلامه

(١) في الأصل : « لا يكذب مثله » .

(٢) دجا : الإسلام : قوى وأبلى كل شيء ، كما يدجو الليل ، إذا تم وأبلى كل شيء .

على نفاق ، لأنَّ الجماعة لا تنزل إلى فرقة ، ولأنَّ الحق لا تُترك إلا بحجة .
 فإن قالوا : فإنَّ أبا بكر لم يشهد قطُّ الشهادة ، ولا سلى [إلى] القبلة .
 قلنا : ما تقولون في رجلٍ رأيناه كافراً في دار الكفر ، ثمَّ رأيناه
 بعد ذلك في دار الإسلام وفي زىِّ أهله ، وحكم الإسلام غالي ، ومعلومٌ
 أنَّ من عادة أهله قَتَلَ من كفر ، كيف يكون حكمُ ذلك الرجل ؟ ٥
 فإن قالوا : ولكننا قف في منبئيه .

قلنا : اجعلوا أبا بكرٍ ذلك الرجل .
 فإن قالوا : فإنَّ أبا بكرٍ لم يزل يُظهر الكفر في دار الإسلام ، كما كان
 يظهر الكفر في دار الكفر .

قلنا : لا بدَّ لكفره من وجهين : إمَّا أن يكون كان يظهره على ١٠
 عهدٍ وذمةٍ فلذلك لم تقتلوه . أو يكون كان على غير عهدٍ وذمةٍ .

فإن ادَّعوا أنَّ كفره كان على عهدٍ وذمةٍ كما جعل الله ورسوله للنصارى
 وللإهود ، خرَّجوا إلى ما لا نحتاج مع فُحْشه إلى الكلام فيه . وإنَّ زعموا
 أنَّه كان على غير عهدٍ وذمةٍ وحكم الإسلام ظاهرٌ ، فما أشبهَ هذا
 القول بالقول الأوَّل . ١٥

ويقال لهم : خبرونا عن أبي بكر ، هل يخاف من أن يكون لم يزل
 قطُّ في دار الإسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يكون قد قال
 ذلك مرَّةً واحدةً ؟

فإنَّ زعموا أنَّه قد قالها مرَّةً واحدةً ثمَّ تركها ، قيل لهم : قد
 أقررتهم وجامعتهم خصومكم على أنَّه قد شهَّد الشهادة ، فليس لكم أن ٢٠

تخرجوه إلى نفاقٍ أو إلى تركٍ ، إلا لجماعة خصومكم لكم ، إذ كانت الفرقة لا تنقض الجماعة .

فإن قالوا : فإنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة قط من دهره ، لاعلى نفاق ولا على غيره ، بل كان يظهر عبادة الأصنام ، ثم مع ذلك سلم على حكم الكتاب والسنة ، وعلى حكم الدار . فليس عندنا في ذلك إلا إسقاطه ونحریم كلامه وإمضاء حكم مثله فيه .

بل قد ثبت إسلامه بعد الوجوه التي ذكرتها بوجوه :

منها أن الله أثنى على عباده الصالحين ، نفص بتفضيله السابقين والمهاجرين الأولين ، وقد اجتمعت الأمة أنه من المهاجرين الأولين مع فضيلة هجرته ، إذ كانت هجرته وهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله .
فهذا وجه .

ثم التي رأينا من ذكر الله وثنائه على أهل بدر . وقد أجمع المسلمون أنه كان من شهيد بدر ، مع ما فضل به من الكون في العرش ، ولا موضع أدل على الخاصة من ذلك الموضع في ذلك الموقف ، مع ما شهد به من مستجيبه وعظمائه ومواليه . ولقد بلغ من قدر من شهد بدر أن حامة النعماء تحدث أن الله « أطلع على أهل بدر فقال امكأوا ما شئتم » فلذلك كان الحسن يقول : إن طلحة والزبير وعلياً في الجنة معاً وإن لم يكونوا كانوا^(١) في الدنيا ، لأنهم عظماء الله من النار ، ولم يكن الله ليمتق عبداً ثم يميده في رقه . ولذلك كان الحسن ، وحوشب ، وهاشم الأوقص ، وبكر بن أخيه عبد الواحد ، يقولون إذا ذكروا يوم الجمل : « هلك الأتباع ونجت القادة » . فهذا هذا .

(١) في الأصل : « وا » بالإممال .

- ثم الذي كان من ذكر الله وحُسن ثنائه على مَنْ بايَعَ تحت الشَّجرة .
 وأى شيء أعجبُ من اجتماع السَّلف مهاجريها وأنصاريها خلا أريمة نفر
 على تقديم رجل في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضى في أشبارهم
 وأشعارهم وفروجهم وأموالهم ، ويحمل أماناتهم ، ويدعونه خليفة
 رسول الله ، حتَّى ترك^(١) الشرف الطاع ذا السابقة والقدِّم وتولَّى مكانه •
 الخامل القليل المقصّر ، فلا يرادُّ ولا يُدافع ، ولا يُراجع ولا يستفهم ، وهو
 المعروف عندهم بمحمد الرسول وعبادة الأوثان ، وليس بذى عشيرة منيعة .
 ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه قد كان واطأَ المشائر ليعرفوا إليه
 هونهم على أن يؤثروهم^(٢) ويفضِّلهم . ولو كان ذلك لظهر علمه ولم يخفَ أثره .
 ١٠ ومثل هذا لا يستطاع كتمانهُ وسره وتزويله .
 وكيف وقد سَوَّى بين الرُّفيع والوضيع ، والذَّليل [و] المنيع ؟ فلم^(٣)
 يؤثّر قريباً ولم يولِّ نسياً .
 ولو استعان بطلحة وولاهَ وفضَّله لقد كان لذلك موضعاً ، وللولاية
 والتَّقديم أهلاً ، بل صَنَعَ ضِدَّ ما يصنعه أصحاب التَّبيل والأثيرة ،
 ١٥ والمعبيَّة والمواطاة .
 ولو كان قريبَ القرابة لجاز^(٤) لقائل أن يقول : إنَّما قدِّم لقراجه .
 ولو كان عصبيَّةً لقالوا : إنَّما استحقَّ بوراته .
 ولو كان منبجَّ الرُّهط لقالوا : إنَّما قدِّم لكثرة قبيلته .

(١) في الأصل : « هول » بالإعمال .

(٢) في الأصل : « مورهم » بالإعمال .

(٣) في الأصل : « قن لم » .

(٤) في الأصل : « وراز » .

ولو كان استمانَ يقوم على مواعاةٍ وشريطٍ ، كصنيع معاوية بندي
الكلّاع ومرو بن الماص ، لقاتلوا : إنما قدّم رهبةً ممّن واطأه ، ورغبةً
فيمن أكّد هواه .

[و] وثى بنى مخزوم أعتاق العرب وقتل أهل الردّة ، وحرب
مسيلة ومخاربة طليحة ، دون رهطه . ولو وثى ذلك طلحة لكان لذلك
أهلاً ، ولكنّ الطامع قد كان يجد سبيّاً .

وكذلك مرّ بن الخطاب لو كان أدخل في الشورى سعيد بن زيد
كما كلّم في ذلك ، وأدخل في الرّقاء عبد الله بن ممر كما كلّم في ذلك ،
لكان لتلك أهلاً ، ولكنّ الطامع قد كان يجد متعلّقاً .

١٠ وولى خالد بن الوليد حرب مسيلة وطليحة وبنى تميم وأهل البادية ،
وولى عكرمة ردةً عُثمان ، وولى المهاجر بن أبي أمية ردةً أهل نجير
واليمن . وما زال عمر يمانبه في خالد فيقول أبو بكر : « لا أشيم سيفاً سلّه الله
على الكفّار » . فهذا هذا .

والعجب^(١) لهذه الأمة كيف اختلفت في رجلين أحدهما خير خلق الله ،
والآخر شرّ خلق الله . وكيف اختلفت في رجلين أحدهما لم يزل مؤمناً
والآخر لم يزل كافراً ، ثمّ كان التقدّم الخسيس الكافر ، على الرضيع المسلم !
[وم] أصحاب القرآن وخامسة الرسول من الصحابة والبدريين والأنصار
والمهاجرين ، وم الذين قال فيهم التّابون : خير هذه الأمة أصحاب محمد
سلى الله عليه ! ابتلوا فصبروا ، وأنعم عليهم فشكروا .

٢٠ (١) في الأصل : « والعجب » في هذا للوضع والوضعين بعده .

- والمعجب كيف رأوا^(١) تفضيل عليّ على أبي بكرٍ وعمر مديحاً له .
 وإنما كان يكون عليّ عالياً وفيماً مقدماً زاهداً عالياً سائساً أن لو كان
 أفضل من فضلاء ، وأعلم من علماء ، وأقل من عقلاء ، وأزهد من
 زهاد ، وأسوس من ساسة . فأنما أن يكون أفضل من أنفص الناس ،
 وأزهد من أرغب الناس ، وخيراً من شرّ الناس ، وأعلم من أجهل
 ٥ الناس ، فليس في هذا التفضيل دركٌ فيشكله متكلفٌ ، ويقوم به قائم .
 والمعجب من رجلين بينهما هذا التفاوت والتباين ثم شهد التكمين^(٢)
 من مسمهما يمتازان فيهما ، فيحسب الحاضر أن شرهما خيرهما ، وهو
 الأريب الأديب الناهب مع التعارف عن التناكر . وكيف التبس الأمر
 وأشكل أن لم يكن الأمر مشكلاً ملتبساً .
 ١٠ وكيف يجوز أن يكون أبو بكر لم يزل كافراً ، أو يكون كفر يحدده
 إمامة علي وكفر منه المهاجرون والأنصار ، وقد أجمع أصحاب الأخبار
 ومُحال الآثار أن النبي صلى الله عليه قال : « إن من أمّتي سبعين ألفاً
 يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقام مكاشة بن عيص بن ققال : يا رسول الله ،
 ١٥ دعه الله يحملني منهم . قال : أنت منهم . قُتل مع خالد بن الوليد يوم بَرَاخَةَ
 في امرأة أبي بكرٍ وطاعته والإقرار بخلافته ، فقتله طليحة بن خويلد
 الأسدي . فكيف يجوز أن تكون إمامة أبي بكر مَعْصيةً فضلاً على أن
 تكون كفراً والمقتول في طاعته والنقاد لأمره من أهل الجنة .
 ثم تزم الروافض أن من الدليل على أن علياً كان الحقّ دون طلحة
 والزبير ، أن النبي صلى الله عليه [قال] وذُكر زيد بن سُوْحان : « زيد

(١) في الأصل : « ماوا » .

(٢) كذلك وردت هذه العبارة .

وما زيد ! يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة . فقتل يوم الجمل . فجعلوا الدليل على صواب عليّ في قتاله أنّ زيدا قُتل في طاعته .

قيل لهم : ففي قول النبي « يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة » دليلٌ أن ذلك المصور لم يسبق إلى الجنة إلاّ وقد قُطِع في طاعة الله . وقد اجمعا أن يده قُطعت يوم نهاوند ، في طاعة مصر .

وهذا بابٌ كبير إن تتبعته متبّع ، ولكنّا أردنا أن ندلّ على جميع الأبواب في تفضيل الشيخين ، ونفى التنصص عنهما^(١) .

وإن سأل سائل فقال : هل على الناس أن يتخذوا إماماً وأن يُقيموا خليفة ؟

١٠ قيل لهم : إن قولكم « الناس » يحتمل الخاصة والمائة . فإن كنتم قصدتم إليها ، ولم تفصلوا بين حالهما ، فإنّا زعمنا أن المائة لا تعرف معنى الإمامة وتأويل الخلافة ، ولا تفصيل بين فضل وجودها ونقص عدمها^(٢) ولأى شيء ارتدّت ولأى أمر أملت ، وكيف مأتاها والسييلُ إليها . بل هي مع كل ربح تهب ، وناشئة تنجّم^(٣) ، ولعلها بالباطلين أقرّ حيناً^(٤) بالحقّين .

١٥ وإنما المائة أداة للخاصة ، تبتذلها للمهن ، وتزجّج بها الأمور ، وتطول^(٥) بها على المدوّ ، وتسدّ بها الثغور . ومقام المائة من الخاصة مقامُ جوارح الإنسان من الإنسان ؛ فإن الإنسان إذا فُكّر أبصر ، وإذا أبصر عزم ،

(١) بعد هذه الكلمة يبدأ اختيار جديد في نسخة النصف البريطاني المرموز إليها بالرمز (ب) وسأبيّه على نهايته من بعد .

(٢) في الأصل : « حزبا » ، صوابه في ب .

(٣) في الأصل : « وباسمه فخص » وأثبت ما في ب .

(٤) الكلمة من ب .

(٥) ب : « تصول » .

وإذا هزم تحرك أو سكن وهذا^(١) بالجوارح [دون القلب . وكما أن الجوارح^(٢)] لا تعرف قصد النفس ولا تروى في الأمور ، ولم يخرجها ذلك من الطاعة للتعزم ، فكذلك المائة لا تعرف قصد القادة^(٣) ولا تدبير الخاصة ، ولا تروى معها ؛ وليس يخرجها ذلك من طاعة عزها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والجوارح والتوأم وإن كانت مسخرة ومديرة فقد تمتنع لملل تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها^(٤) ، كاليد يمرض لها الفالج ، واللسان يمتريه الخرس ، فلا تقدر النفس على تسديدها وقويمها ، ولو اشتد عزها وحسن ثنائها ورقها . وكذلك المائة عند نفورها وتهيبها^(٥) وغلبة الهوى والشغف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة وتعهدها^(٦) . ١٠ غير أن مصيبة الجارحة أيسر ضرراً وأهون أمراً ، لأن المائة إذا انكفت^(٧) بالخاصة وتنكرت للقادة ، وتشرقت على الراضة^(٨) كان البوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وصلاح الدنيا وتام النعمة ، في تدبير الخاصة وطاعة المائة ، كما أن كمال المنفعة وتام دَرَكَ الحاجة^(٩) بصواب قصد النفس وطاعة الجارحة ، ١٥

(١) في النسخين : « وهما » .

(٢) الكلمة من ب .

(٣) في الأصل : « المادة » وب « المائة » والوجه ما أثبت .

(٤) في النسخين : « ينقضها » .

(٥) أ : « يبورها وتهيبها » .

(٦) كنا في النسخين ، لها « تكفت » .

(٧) الراضة : جمع راض . تفزنت : تصعبت . والكلمة جملة في الأصل . وفي ب

« تفزنت » تحريف .

(٨) في الأصل : « الخاصة » صوابه في ب .

لأنَّ النفس لو أدركت كلَّ بُنية ، وأوفت على كلِّ غاية ، وفتحت كلَّ مستغلق ، واستقارت كلَّ دفين ، ثم لم يُطعمها اللسانُ بحسن العبارة ، واليدُ بحسن الكتابة ، كان وجود ذلك المستنبت — وإنَّ جلَّ قدره وعظم خطره — [وعدمه ^(١)] سواء .

٥ فلخاصةً نحتاج إلى المائة كحاجة المائة إلى الخاصّة . وكذلك القلب والجراحة . وإنّما المائة جُنّة للدفع ، وسلاحٌ للقطع ، وكائنُ الرّأى ، والفاؤ للنجار . وليس مضى ^(٢) سيف صارمٍ بكفٍّ امرئٍ صارمٍ بأمضى من شجاعٍ أطاع أميره وقَلدَ إمامه أو ما كَلَبَ أشلاه ربُّه وأحشاه كَلابُه ، بأفراطٍ تنزُّفاً ^(٣) ولا أسرعَ تقدُّماً ، ولا أشدَّ تهوُّراً ، من جندِيٍّ أغراء طمَعه ، وصاح به قائده .

١٠ وليس في الأعمال أقلُّ من الاختيار ، ولا في الاختيار أقلُّ من الصّواب ، فليأبُ كلُّ حملٍ اختياره ، وصفوة كل اختيار صوابه ، ومع كثرة الاختيار يكثر الصّواب . فأكثر الناس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً موجبة أقلّهم اختياراً ، وأقلّهم اختياراً أقلّهم صواباً .

١٥ فإنَّ قالوا : فقد يبنّى للعوامَ ألا يكونوا مأمورين ولا منهيين ، ولا حاسين ولا مُطيعين .

قيل لهم : أمّا فيما يعرفون فقد يطيعون ويَمنعون .
فإنَّ قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

٢٠ (١) التكلفة من ب .

(٢) في الأصل : « يعضى » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « نزفا » .

قيل : أما الذي يعرفون بالتنزيل المبرّد بنير^(١) تأويله ، وُجّهة الشريعة بنير تفسيرها ، وما جلّ من الخبر واستفاض ، وكثُر تردّده على الأسماع ، وكُرِّدَه على الأفهام . وأما الذي يجهلون فتأويل النُّزُل ، وتفسير الجمل ، وغامض الشُّنن التي حملها^(٢) الخواصّ عن الخواص من حملة الأثر ، وطُلاب الخبر ، مما يتكلّف معرفته ويتتبع في مواضعه ، ولا يَهْجُم على طالبه^(٣) .
ولا يَهْمَر سمع القاعد عنه .

والخبر ، خبران : خبرٌ للخاصة فيه فضلٌ على العامة ، كالصلوات الخمس ، وسوم رمضان ، وغُسل الجَنابة ، وفي المائتين خمسة^(٤) . وخبرٌ تفضّل فيه الخاصة العامة ، وهو كما سنّ الرّسول في الحلال والحرام ، وأبواب القضاء^(٥) والطلاق ، والمناسك ، والبُيُوع ، والأُشربة ،^{١٠} والكفّارات وأشباه ذلك .

وبابٌ آخر يجهله العوامُ ويخبط فيه الحُشُو ، ولا تشرع بمَجَرها^(٦) و[لا] موضع دَأِها^(٧) . ومتى جرى سببُه أو ظهر شيء منه تسنّمتْ أَعلاه ، وركبتْ حَوْمته^(٨) ؛ كالكلام في القَدَر والتَّشْبِيه ، والوعد والوعيد ،

١٥

(١) في الأصل : « يد » ، صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « جهلتها » ، صوابه في ب .

(٣) أي يسهل فهمه . ب « يهيم » تحريف .

(٤) يشير إلى الزكاة .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « الفضل » .

٢٠

(٦) ب : « يسرها » .

(٧) الكلمة السالفة من ب ودأها في الأصل : « ذاتها » وفي ب « دأها »

والوجه ما أثبت .

(٨) في الأصل : « حرمة » ووجهه من ب .

لأنّها قد تحجب^(١) [عن] دعوى الفتيا، ولا تنهاها فيها، [ولا] تتسكّع فيها لا يعرف منها^(٢)، ولا تستوحش من الكلام في [التعديل والتجوير، ولا تفرغ من الكلام في^(٣)] الاختيار والطباع، وجمي الأخبار^(٤) وكل ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله في الله وفي غيره.

ولو برز^(٥) عالم على جادة منهج وقارة طريق، فنازع في النحو واحتجّ في العروض، وخاض في الفتيا، وذكر النجوم والحساب، والطب والهندسة، وأبواب الصناعات، لم يمرض له ولم يفانحه إلا أهل هذه الطبقات.

ولو نطق بحرف في القدر حتى يذكر العلم والمشيئة^(٦)، والاستطاعة والتكليف، وهل خلق الله الكفر وقدره؟ أو لم يخلقه ولم يقدره لم يبق سمّال أغتر^(٧) ولا يطاف^(٨) غث، ولا خامل غفل، ولا غبي كهائم، ولا جاهل سفيه، إلا وقف عليه ولاخاء، وصوبه وخعداء؛ ثم لم يرض حتى يتولى من أرضاه، ويكفر من يخالف هواه. فإنّ جراه محق، أو أغلظ له واعظ، وأتفق أن يكون بحضرته أشكاه، استموى ١٥ أمثاله^(٩) فأشملوها فتنة، وأضرموها ناراً.

(١) ب : « هزّت » . والتكلمة التالية من ب .

(٢) التسكع : أن يعفى متصفاً لغير وجهه . ب : « ولا تلتع » .

(٣) التكلمة من ب .

(٤) ب : « الآثار » .

(٥) في الأصل : « ولم رد » ، سوايه من ب . ٢٠

(٦) هذا ما في ب . وفي الأصل : « اللفيه » .

(٧) الأغتر : الأحمق الجاهل .

(٨) كذا في ب ، والحرف الأول مهمل في الأصل .

(٩) استمواهم : فسق بهم إلى الفتنة .

فليس لمن كانت هذه صفته أن يتحيز مع الخاصة . مع أنه لو حسنت نيته لم تحتمل فطرته معرفة الفصول وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلهم لا يعرفون الله ورسوله كالأعرفون عدله من جوره ، وتنبهه بخلقه من نفى ذلك عنه ، وكما لا يعرفون [القرآن ^(١)] تفسير ^(٢) مجمله ، وتأويل منزله .

- قبل لهم : إن قلوب البالغين مستقرة لمعرفة رب العالمين ، ومحولة على تصديق الرسلين ، بالتنبه على [مواضع ^(٣)] الأدلة ، وقصر النفوس على الروية ، ومنها [عن ^(٤)] الجولان والتصرف ، وكل ما ربت عن التفكير ^(٥) ، وشغل عن التحصيل ، من وسوسة أو زاع شهوة ؛ لأن الإنسان ما لم يكن متوهمًا أو طفلًا فحجوج على ألسنة الرسلين عند جميع المسلمين ، ولا يكون عجوجًا حتى يكون عالمًا بما أمر به ، عارفًا بما نهى عنه ، لأن من لم يعلم في أي الضرين سقط الله وفي أي التومين رضاه ، ثم ركب السخط أو آف الرضا ، لم يكن ذلك منه إلا على الاتفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد ، والله يتمنى أن يعاقب من لم يرد خلافه ولم يعرف رضاه ، أو يحمده من لم يمتد رضاه ولم يقصد إليه .
- ولم يكن الله ليمدل صفته ويسوى أداته ^(٦) ، ويفرق بينه وبين المنقوص في بفته وتركيبه ، إلا ليفرق بين حاله وحال الطفل والمتوهم .

(١) التكملة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل « نفس » .

٢٠

(٣) ربه من العلم : حبه وصرفه في السخين : « على التفكير » ، تعريف .

(٤) ب : « آداه » تعريفه .

وليس المعرفة وجه^(١) إلا لتبصيره ، وتخييره ، ولولا ذلك لم يكن للذي خُصَّ به من الإبانة ، وتعديل الصُّنعة ، وإحكام البنية^(٢) معنى . والله يتمنى من فعل مالا معنى له .

وفى قول الله : « وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » دليل

٥ على ما قلنا .

وليس لأحد أن يُخْرِجَ بمض الجنِّ والإنس من أن يكون خُلِقَ للعبادة إلا بحجة . ولا حجة إلا في عقل ، أو كتاب ، أو خبر .

فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للعبادة والاختيار مع الأمة فحكمهم^(٣) حكم المسلمين المتعبدين . وإنما الإمام ١٠ إمام المسلمين والمتعبدين .

قلنا : إنما يلزم القاس الأمر فيها عرفوا سبيله ، وليس للعوام خاصة معرفة بسبيل إقامة الأئمة فيلزمها^(٤) أمر ، أو يجري عليها نهى .

والمامة وإن كانت تعرف مجل الدين بقدر ما ممتها من العقول فإنه لم يبلغ من قوة عقولها وكثرة خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ، ولم تبلغ من ضعف عقولها أن تنحط إلى طبقة المجانين والأطفال . ١٥

وأقدار طبائع العوام والخواص ليست بمجولة فنحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أن طبائع الرُّسل فوق طبائع

(١) في الأصل : « وليس المعرفة وجه إلا لسمعه » صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « وتحكيم البنية » ، صوابه في ب .

(٣) في النسخين : « وحكمهم » .

(٤) في الأصل : « الأمة فللزمها » ، صوابه في ب .

الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك الناسُ على منازلهم من الفضل ، وطبائعهم من التركيب في البخل والسخاء ، والبُذْءة والذكاء ، والقدَر والوفاء ، والجبن^(٢) والنَجدة ، والجَزَع [والصبر^(٣)] والطيش والحِلْم ، والكِبَر والثِيَّة ، والحِفْظ والنسيان ، والعمى والبيان .

- ولو كانت العامة تعرف من الدين والدنيا ما تعرف الخاصة كانت العامة خاصة ، وذهب التفاضل في المعرفة ، والتباين في البنية . ولو لم يخالف بين طبائعهم لسقط الامتحان وبطل الاختبار ، ولم يكن^(٤) في الأرض اختيار . وإنما خولف بينهم في الفرزة ليصبر صابر ، ويشكر شاكر ، وليتفقوا على الطاعة . ولذلك كان الاختلاف هو سبب الائتلاف^(٥).

- وقال لهم عند ذلك : إنكم قد أكثرتم في أمر العوام ، وخطأتم ١٠ في الحكم عليهم ، فررة تزعمون أننا نكذب عليهم حين نزم أنهم غير محجوجين ، لأنهم بزعمكم لا يَفْصِلون بين الأمور ، ولا يَفْرقون بين الكاذب المحتال وبين الصادق الحق . وجعلتم الدليل على ذلك أنكم اعترضتموهم بزعمكم فسألتموهم عن الدليل والحجة ، والفرق والملة ، فلم تجدوهم يشعرون بما^(٦) يلزم فيها ولا يعرفون بابها ، وكيف الكلام فيها . ١٥

(١) البلدة ، بفتح الباء وضمها ، والبلادة أيضا : ضد النفاذ والذكاء وللضاء في الأمور .
ب : « البلادة » .

(٢) في الأصل : « والحذر » مع الإجمال ، سواه في ب .

(٣) التكلفة من ب .

(٤) في الأصل : « ولو لم يكن » ، سواية في ب .

(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار الأخير في نسخة (ب) . وتنفرد نسخة هذه بالنص .

(٦) في الأصل : « لما » .

وإنّا معشر أصحاب المعرفة قد تممنا الكذب عليهم ، حين زعمنا أنهم يعرفون ذلك ، ويفرقون بين معانيه . ومرتّة زعمون أنهم يعرفون ما يعرفه الخواص والعلماء ، ويسلمون ما يملكه التكلمون والفقهاء ، من إقامة الأئمة وعقد الخلافة . فمرتّة تخرجونهم من جميع المعرفة ، ومرتّة يجعلونهم في غاية المعرفة . وأعدل الأمور في ذلك وأقسطها أن زعموا أنهم يعرفون مجمل الشرائع الظاهرة الجليلة^(١) ، ومجمل الشئب الواضحة المستفيضة ، ويجعلون تفسير مجملها وتأويل منجزها ، وكل منصوص لم^(٢) يظهر كظهور الحج ، ولم يشهر كشهرة^(٣) صوم رمضان ، وفصل الجنابة ، وتحريم الخمر والخنزير والبيته والدم . ولكن دعونا جانباً ، واضربوا عما نقول صفحاً ، وقربوا جميع القولين لتعاون عليهما ، فأيهما كان أثبت على الامتحان ، وأنقى للقدى ، وأحسن منزى ، وأجد على الآيام ، وأصح على التقلب ، دنا به ، وحامينا عليه ، وتقربنا به ، وآثرناه على ما سواه .

على أنا لا نستمل حق ذلك وسدقه إلا منكم ، ولا نحتج عليكم إلا بما تقرّون به على أنفسكم .

١٥ خبرونا عن المواث : هل يخلو أمرهم من أن يكونوا محجوجين أو غير محجوجين ؟ فإن كانوا غير محجوجين فقد دخلوا في أكثر مما طابوا . وإن كانوا محجوجين فهل تخلو الحجة الذي بها قطع الرسول عذرهم من ضريين : إمّا أن تكون المعرفة بصدق الرسول وقصل ما بينه وبين

(١) في الأصل : « الجليلة » .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) في الأصل : « كمشهور » .

المتنبي كما يقول . وإما أن تكون الحجة في الدليل على المعرفة ، وليست بالمعرفة .

فإن زعموا أن الحجة هي المعرفة فقد وافقوا وأسأبوا . وإن زعموا أنها الدليل على المعرفة فليخبرونا عن ذلك الدليل ما هو ؟

فإن قالوا : هو كلام القُتُب^(١) وحنين المود^(٢) ، وإظلال النمامة^(٣) ، وقصة الميضاة^(٤) ، وخذ الشجرة^(٥) ، وكلام الدراع^(٦) ، وعجز الشعراء عن تأليف القرآن ، والبيانات برسلته في الكتب .

قلنا : قد صدقتم فيما ذكرتم من هذه الآيات والأجيب ، ولكن

(١) هو ذئب أهاب بن أوس الصعالي . قالوا : كله القُتُب ويصره بالرسول . انظر حواشي الميوان ٣ : ٥١٣ .

(٢) انظر لحنين الجذع سيرة ابن سيد الناس ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ . وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل في أصل أسطوانة جذع في مسجده ، ثم تحول إلى أصل أخرى ، فحنت إليه الأولى ومالت نحوه ، حتى رجع إليها فاحضنها وسكنت . وفي حديث آخر أنه كان يصل إلى جذع في مسجده فلما حمل له الخبز سعد إليه ، فحن الجذع إليه ، أي نزح واشتاق . انظر اللسان (حن) .

(٣) كان ذلك فيما يروون في رحلة إلى الشام . السيرة ١٢٠ جوتجن .

(٤) الميضاة : الإناة يتوضأ منه . وهو إشارة إلى ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم أتى بقدح فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يسع ، فوضع أربعة منها وقال : حلوا . فتوضؤوا أجمعين وهم من السبعين إلى الثمانين . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٨ .

(٥) الحد : القوق . في الأصل : « وخذ البقرة » تحريف ، وفي سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٦ : « ونام لحاء شجرة لفق الأرض حتى فُطست عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم حل فأذن لها » .

(٦) هو ذراع الفاء التي أهدتها إليه زيلب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم . وكانت أكثرت له من السم في الذراع فتناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يستعصم قال : « إن هذا العظيم ليخبرني أنه مسموم » . السيرة ٧٦٤ - ٧٦٥ .

[لا] تخلو عقولُ الموام من أن تكون قد عرفتَ هذا كله وأقرتَ به ،
أو لم تعرفه ولم تقرَّ به ، ولم تُودِع العلمَ بصحة مجيئه .
فإنَّ زعموا أنها لم تعرف ذلك ولم تُقرِّر به ، قبل لهم : فمن أين
زعمتم أنَّ الحجة لهم قاطعة ، والفريضة لهم لازمة ، ولم يعرفوا الحق
• ولا الدليلَ عليه .

وإذا كانت المعرفة لا تُستطاع إلا بالدليل ، والدليل معدوم ، والتكليف
لازم ، فقد كُلِّفوا ما لا يُستطاع ، ولم يَضَعْ الكلامَ بيننا وبين الجبرية .
وإنَّ كان الله قد قرَّر^(١) عقولهم بالآيات ، وعرفهم صِدْقَهَا وصحة مجيئها ،
فإنَّما الفرق بيننا وبينهم أنَّنا زعم أنَّ الماقل إذا كان قد جربَ بعضَ
١٠ التجربة أنه لا يمتنع من تصديق من أحيا الموتى ، وأبرأ الأكفَّة ، وفلق
البحر ، وأطلق السباع . وأنتم تزعمون أنه يمتنع ، ويجوز أن يعتقد أنه
أكذبُ المالين وأبطلُ البُطلين ، مع ما أراه^(٢) من عظيم البرهان ومجيب
الآيات . ولعلَّ قومَ موسى كلما زادهم موسى آيةً وأردفها بسلامة ،
ازدادوا جهلاً بصدقه^(٣) ، واستبصاراً في تكذيبه .

١٥ وكيف يستطيع ذلك من صحتِ فطرته ، وقد جربَ من أمور الدنيا
بعضَ التجربة ، وعرفتَ ما يحدث في المادة وغير المادة .

وإنَّ كانت المامة قد قرَّرتْ بأعلام الأنبياء ، وعرفت الآيات كما
زعمتم ، فقد كان ينبغي لنا إذا سألناهم عن صِدْقها وصحة مجيئها وإن لم
نفصل بيننا وبين حبيلة المبطل ، أن نخبرونا عنها ونزَّلوا لنا أمرها . فإنا

٢٠ (١) في الأصل : « قدر » . وانظر ص ٢٦١ م ٦ .

(٢) أي ما أراه لإياه حي الموتى ويرى الأكفَّة .

(٣) في الأصل : « فصدقه » .

إذا سألناهم لم زعمهم يعرفونها ، ولا يحصلون مجيئها ، ولا يخبرونا عن صدقها .
فإن كان لكم أن تقضوا على المائة بالجهل بين النبي والتنبى ، لأنهم
لم يروهم يحسنون الفروق ، ويفصلون بين الأمور ، فقد ينبغي لنا أيضاً
أن نقضى عليهم بالجهل ، وأنهم لم يعرفوا الدلالة ، ولم يقرروا^(١) بشيء
من الآيات والأعاجيب .

فإذا كان القوم عندكم محجوجين قد قرروا وعرفوا ، ونحن لا نجد
عندهم على المسألة من ذلك شيئاً ، وجاز لكم أن تزعموا ما زعمتم ،
فلم لا يجوز لنا أن نزم أنهم [كانوا] عارفين وإن لم نجد ذلك عندهم
على المسألة .

ولولا أني قد ذكرت هذا الباب مفسراً في « كتاب المعرفة » لأخبرت
من أي وجهه جاز أن يكون بعض المارفين لا يخبر عن كل ما في نفسه
ومن أين امتنع ذلك عليه .

فإن قالوا : قد فهمنا قولكم في المائة فما تقولون في الخاصة ؟
فهل كلّمها الله ذلك أم لم يكلفها كما لم يكلف المائة ؟ وفي ذلك سقوط
التكليف عن الجميع .

قلنا : بل قول : إن على الناس إقامة الإمام ، نريد الخاصة .
ولا قول أيضاً إن على الخاصة إقامة الإمام إلا على الإمكان .
فإن قالوا : وما سبب حجب الخاصة وإمكانها ؟

قلنا : من ذلك أن تكون المائة عليها مع جُند الباقي^(٢) المنقلب .

(١) في الأصل : « لم يروا » . قرره بالقي : حله على الإقرار به والاعتراف .

(٢) في الأصل : « السامي » : وانظر ما سيأتي ص ٢٦٤ س ٣ .

فإن قالوا : فهل يلزمها فرض الإقامة إذا كانت المائة كافةً عن
المون عليها .

قلنا : قد يلزمها في ذلك ولا يلزمها في أخرى .

وإن قالوا : ففي أية الحالين يلزمها ؟

٥ قلنا : إذا كان المستحق للإقامة والمستوجب للخلافة معروفَ الموضع ،
مكتشوفَ الأمر ، وكانت الثقة عنها زائلة .

فإن قالوا : وكيف لا تكون الثقة منها زائلةً ، وهي على حالٍ أكثر
عدداً من جند التئلب والباقي ، والمائة كافة ممسكة لها ولا عليها .

١٥ قلنا : إنه ليس في حال أكثر عدداً . فإذا كانوا أكثر عدداً
وكانت الثقة زائلةً ، فليهم إقامته .

فإن قالوا : فلم جعلتم لهم الثقة ، وأسقطتم عنهم الفرض في الحال التي
هم فيها أكثر عدداً ؟

١٥ قلنا : لأسباب ، منها أن العدو إذا كان مُعِدّاً ، ذا سلاح وعتاد
وكرّاع ، وكانوا على هيئةٍ وأمرهم جميعٌ ، فقليلٌ مجتمعٌ أكثر من
كثيرٍ نثر^(١) . مع أن معهم أنفذَ السّلاحين ، وأوفر المتادين : الضرا^(٢)
والدّرية ، وحسن التدبير والمعرفة ، بطول الممارسة وكثرة الحاجة .

ومنها أن الخاصّة وإن عرّفت موضعَ المستحقّ ، وظهر لها المستوجب ،
وكانوا أكثر جماعاً ، فكلُّ واحدٍ منهم على ثقةٍ من محلِّ صاحبه^(٣) ،
وخذلانه له . ولا بدّ ، مادامت الثقة ، من التّوكل والتّخاذل ، وإن

(١) خسر بالقيء خرا : لهج به وصار عادة له .

(٢) النعر : التفرق . (٣) المحل والمحال : للكر والكيد .

اتَّفَقَ رَأْيُ الْجَمِيعِ فِي الْمَتِّيبِ عَلَى النَّصْرَةِ . وَلَيْسَ مُنْتَفِعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ
مَا لَمْ يَتَشَاعَرُوا^(١) .

فَإِنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا نَصِفُونَ وَجِبَ الْآ لَا يَقِيمُوا إِمَامًا أَبَدًا ؛
لأنَّهم كَالْإِنْفِكَوْنِ مِنَ النَّقِيَّةِ ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَكُّوْنَ مِنَ التَّخَاذُلِ .

- قلنا : ليس الأمر كما تقولون ، لأنَّ تَقِيَّةَ بَعْضِ الْخَاسَةِ لِبَعْضٍ قَدْ
تَزُولُ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا أَنْ تَسُوهُ سِيرَةُ التَّسَلُّطِ الْبَاغِي فِيهِمْ وَيَفْحَشَ
جَوْرُهُ ، وَيَكْثُرَ تَمَضِيْلُهُ^(٢) وَاسْتِثْنَاؤُهُ وَقَهْرُهُ ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِحْرَاجًا
لَهُمْ^(٣) وَسَبَبًا لِلْكَلامِ وَالشُّكَايَةِ وَالتَّلَاقِ ، لأنَّهم قَدْ مُنِّمُوا بِالْإِحْرَاجِ مِمَّا
يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَرِّجِينَ يَتَّكِلُ عَلَى رَأْيِ سَاحِبِهِ ، لِمَلَمَةِ الْبَازِي
لَقِيٍّ مِنَ الْمَكْرُوهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، مِنْ تَوَرُّانِ النَّفْسِ وَتَهْيِيجِ الطَّبِيعَةِ . فَلَا
يُزَالُ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّفَقُوا فِي الظَّاهِرِ كَاتِفًا قَهُمَ فِي الْبَاطِنِ ، إِذْ كَانَ
الْإِحْرَاجُ قَدْ شَمِلَهُمْ وَنَمَّهْمَ ، وَبَلَغَ أَقْصَاهُ يَمُدُّ أَدْنَاهُ ، وَعِنْدَ التَّلَاقِ
تَزْدَادُ النَّفُوسُ حِمِيَّةً وَغَضَبًا وَبَصِيرَةً . فَإِذَا تَبَاثُوثًا وَتَكَاشَفُوا وَشَاعَ ذَلِكَ
مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَشُهِرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لِمَدُونِهِمْ ،
وَالْتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهم قَدْ حَلَّجُوا فِي الْحَرْبِ ، ١٥
وَنَشَبُوا فِي النَّاصِبَةِ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ لَمْ يَجِدُوا بَدْءًا مِنْ يَذُلِّ الْمَالِ ،
وَإِعْطَاءِ الْجَهْدِ . وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابُ تَرَكَمَى ، وَعِلَلٌ تَدَاخَى ، وَأُمُورٌ تَهْبِجُ
أُمُورًا ، وَأَسْبَابٌ تَوْجِبُ أَفْعَالًا ، فَمَنْ ذَلِكَ تَحْكُنُ الشَّدَّةَ ، وَيَجِبُ الْفَرَضَ .

(١) فِي أَصَاسِ الْبَلَاغَةِ مَادَّةُ (هَمْز) : « وَتَقُولُ : يَنْهَى سَاحِبُهُ وَمُشَاعَرُهُ » .

(٢) التَّمْضِيلُ : أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَيَبِينُ مَا يُرِيدُ . وَفِي الْأَصْلِ « تَمْضِيلُهُ » ، تَحْرِيفٌ . ٢٥

(٣) فِي الْأَصْلِ : « إِخْرَاجًا لَهُمْ » .

ومدار الأمر على الإمكان ، فحق بطل بطل الفرض ، ومتى وُجِدَ
وُجِدَ الفرض .

وربما كان سببُ تكاشفهم ما يعرفون من ضعف جُند الباغي عليهم ،
والمتبذِّء عليهم بأمرهم^(١) .

• واضعفهم أسبابٌ : فربما كان لاختلافِ يقع بينهم ، وربما كان لمدوِّ
يديهم وبنازعهم مُلكهم ، وربما كان للخلل^(٢) يدخل عليهم ، والرقعة نصيبهم ،
من موت أعلامهم ، أو قتل قوادهم ، وربما كان لضعف رأى مدبرهم
وسياسة سائهم^(٣) ، أو موت قيِّمهم .

فهذا وأشباهه تكاشف النَّاس ، وتظهر على السنتهم ضمايرهم ، وتبدو
١٠ أسرارهم ، ونفوسهم من قبل ذلك حقيقة عليهم ، متدبئة بظلمهم والاستبدال
بهم ، وإنما أمسكت عن الإنكار وأظهرت التسليم ريثما تجد فرصة
وترى خلَّة ، ويستجمع الأمر ، وتزول الثقة . مع أننا نعلم أن المائة
أسخفُ أحلاماً وأخفُ حركة ، وأشدُّ طيشاً ، أن تؤثر الكف والغزلة والتسليم
والجانية ، عند حرب الحقِّين والتسلطين . ولو كانت تطيق ذلك ويجوز عليها
١٥ ما كانت المائة بمائة ، ولكانت المائة خاصة . ولكننا أجبنَّا على قدر
بحرى السألة .

وإنما البلية المظلمى والداهية الكبرى ، أن نهاز المائة حتى يصير
بعضها مع الخاصة ، وبعضها مع البُناة والظلمة .

(١) في الأصل : « وأمرهم »

(٢) في الأصل : « وإنما كان للخل » ، تحريف . ٢٠

(٣) في الأصل : « وساء » .

والجملة أنهم متى أقرنوا لمدوم^(١) وأسكنهم منهم ، والرجل المستحق
ظاهر لهم معروف عندهم ، فعليهم إقامته والدفع عنه .

فإن قالوا : ومن لهم بمعرفة الرجل الذي لا يَمُدُّه^(٢) ؟

قيل : إنه ليس على الناس أن يصنعوا المعرفة ، وإنما عليهم إذا عرفوه
واستطاعوا إقامته أن يُقيموه . ولا بد للناس أن يقوم^(٣) فيهم — إذ فرض
ذلك عليهم — رجلٌ يصلح لجباية خراجهم ، وإقامة صلاتهم ، وسد ثغورهم
وتنفيذ أحكامهم .

فإن قالوا : فكيف تعرفون فضلَه ولم تقابلوا بينه وبين غيره ، وأهل
الفضل كثير ، والفضل ممنون^(٤) مستفيض ؟

قيل : كما بأن عند الممثلة عمرو بن عُبيد ، وكما بأن الحسن بن حَمَّ^(٥)
عند الزيدية من بينها ، وكما بأن يرداس بن أدية عند جميع الخوارج من بينهم ،
وكما علمت من حال قَيْلان بدمشق ، وحال عبد الله بن المبارك بخراسان .
وليس أن الممثلة اجتمعت من أقطار الأرض فقالت نَمَّ جِيعُهَا^(٦) ،
ولا وضعت فيه شُورَى ، ولا تساوى^(٧) منهم نفرٌ فاحتاجوا إلى القرعة .
وكذلك الزيدية في الحسن بن حَمَّ ، والخوارج في يرداس بن أدية . ولكن

(١) أقرن لهم : أطالَه وقدر عليه

(٢) الكلمة مبهمة في الأصل .

(٣) في الأصل : « يقول » .

(٤) كذا في الأصل . ولعلها « منجون » .

(٥) هو الحسن بن صالح بن حي الميماني . ولد سنة ١٠٠ ووفى سنة ١٦٩ .

تهذيب التهذيب .

(٦) في الأصل : « وجيعها » .

(٧) في الأصل : « تساود » .

الأمور تَرُدُّ على القلوب ، وتهجُّم على العقول على طول الأيام ، [إمَّا] بالخبر
الذى يَشْفَى من الشَّكِّ ويبرئ السَّعَم . وإمَّا بالعيان^(١) الذى يُثْلَج الصدور
ويَضطَرُّ العقول .

وقد علمنا نحن على حداثة أَسناننا وتقاؤم النَّاس قبلنا ، أنَّ جالينوس
٥ قد كان بائنًا في طبعه ، وأنَّ الأرسطاطاليس كان البائن في النطق .

وكذلك علمنا أنَّ قيس بن زهير كان داهية قيس في الجاهلية ، وأنَّ
الحارث بن ظالم كان فاتكها ، وأنَّ هَرَم بن سنان كان جوادها ، وأنَّ
الناطقة كان شاعرها ، وأنَّ الحارث بن كَلْدَةَ كان أطبها ، وأنَّ عامر
ابن الطفيل كان أفرسها . ولم نَسْعَ قطُّ في هذا سُورى ، ولا وضَّعه من
١٠ كان قبلنا ، ولا استجمعت قيس قُبايلتَ بين خصال هؤلاء^(٢) وبين جميع
قيس ، لتعرف الفضيلة بالموازنة^(٣) والمقابلة ، ولا احتاجوا في ذلك إلى
الإقراع والساحمة .

وإذا كنَّا مع تقادم الأخبار نعرف البائن في كل عصر ، والمقدَّم
في كل أمر ، فعلى شبيه ما وصفنا^(٤) يعرف الناس فضيلة المستوجب .
١٥ والخير لا يستطاع بكتابه ، والشر لا يدُّ من ظهوره .

واعلم أنَّه لا يمكن أن يكون رجلٌ أعلم النَّاس بالدين والدُّنيا
ثم لا يُسمع به ، لأنَّه لا يصير كذلك إلَّا بالاختلاف إلى العلماء ، وبطول

(١) في الأصل : « فأما العيان » .

(٢) في الأصل : « خصالهم لا » .

(٣) في الأصل : « اللوارة » بدون ياء وبالإجمال .

(٤) في الأصل : « ها وصفنا » .

جاءة^(١) التفهاء ، وكثرة دَرَسِ كُتُبِ الله وكتبِ الناس ، ومنازعة
الخصم ومقابلة الأَكْفَاء . وهذا كله مما يُظهر أمره ، ويشهر مكانه .

ثم الذى يدخل العالم^(٢) من حَيَلِءِ العلم وعِزِّ الحق ، وسرور الظَّفَرِ
بما أُميا الناس معرفته ، حتى لا يستطيع أن يكتمه وإن اشتدَّ عزمه ، وقلَّ
رياءؤه ونَفَجُهُ ؛ لأنَّ للمسلم سورة ، ولافتاحه بمد استغلاقه فَرَحُهُ ،
لا يضبطها بشرى وإن اشتدَّت حُنْكَته ، وقويت مُتَنُّهُ ، وفضلت قُوَّتُهُ .

وإنَّك لتجد كثيراً من المتلاء يُحاطرون بأعناقهم ، لبعض المظلة
يمجدونها^(٣) فى أنفسهم على خصوصهم وأَكْفائهم ، حتى لا يمتنعون من
إظهارها والفخر بها ، فما ظنُّك بالمسلم إذا كان بائناً بنفسه ، وكان
فى دولته . وتمتَّعُ الناس مُوَكَّلَ بمواجهه كيف يستطيع كتمانته وإماتته ،
مع ما أخذ الله على المسلم من حُسن الإرشاد واحتمال المؤونة ، واستنقاذ
الناس من الجهالة . ومن القيام بحقِّ العلم تعليمُ الجاهل بهذه الكُله ينفى من
لقاء الكلِّ للكلِّ .

ولو أشكل أمره ولم يَبَيِّنْ من أمثاله ، وهو للناس أَسْلَحُ من غيره ،
فقد أمكن البأس^(٤) ؛ إذ لو كان ظاهراً لهم إقامته لنبهَ الله على مواضع
فَضْلِهِ ، ولأذكر الناس ما سقط عنهم من تدييره ، ولبيثَ الهمم على حُبِّهِ
وطلب محاسنه .

(١) جملة فى الأصل . جاءه : جيل ركبته لى ركبته .

(٢) فى الأصل : « الطاء » .

(٣) فى الأصل : « ويمجدونها » .

(٤) البأس : القصة . فى الأصل : « وقد أمكن الناس أن لو كان ظاهراً » . وانظر ماسياتى

وكيف يجوز أن يكون أكلُ الناسِ خفيًّا عَنِ الْعِلْمِ وَمَغْيِبَ التَّمَلُّ ، وهو لا يكون كذلك حَتَّى تَكْثُرَ تَجَرُّبُهُ وَيَكْثُرَ سَوَابُهُ ، وَيَشْتَدَّ حِلُّهُ ، وَيَحْسَنَ تَدْيِيرُهُ . ولابد من كثرةِ حَجِّهِ وَفَزْوِ ، وصلاةِ وصومِ وصَدَقَةٍ ، وذكرِ وقراءةِ قرآنٍ ، وأمرٍ بِالْمَرْوِفِ ونَهْيٍ عَنِ الْفَكْرِ ، وَحَدَبٍ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَغِلْظَةٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ . إِنْ دَامَ قَرُّهُ دَامَتْ قَضَاعَتُهُ وَقَلَّ إِسْفَاغُهُ ، وَإِنْ دَامَ غِنَاؤُهُ دَامَ بَذْلُهُ وَقَلَّ طُغْيَانُهُ . وليس من هذا شيءٌ إِلَّا وهو يَشْهَرُ سَاحِبَهُ وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ مَكَانَهُ ، وَيُدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ .

وإن زعموا أَنَّهُ يجوز أن يكون خَيْرُ النَّاسِ أَوْ أَمَلُ النَّاسِ ، وَإِنْ لَمْ يُعْرِفْ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا ، فَقَدْ صَارَ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ .
١٠ فإِنْ قَالُوا : فَمَا تَقُولُونَ إِنْ وُجِدُوا عَشْرَةَ سَوَاءً ؟

قلنا : قد يكون أن تجدوا عَشْرَةَ مُتَقَارِبِينَ ، فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَوَازَنَةِ بَانَ الْأَفْضَلُ مِنَ الْأَمْثَلِ . وَقَلِيلًا^(١) مَا يَكُونُ ذَلِكَ ، كَمَا وَجَدْنَا السَّنَةَ الثُّورِيَّ الَّذِينَ أَخْلَاصُوا حُرْمَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مَعَهُ ، فَقَدْ كَانُوا فِي طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ . وَلَكِنْ أَهْلُ الطَّبَقَةِ قَدْ يَتَفَاضَلُونَ بِأَمْرِ يَنْبَغِي لَاحْفَاءُ بِهِ ، كَمَا نَظَرُوا فَاخْتَارُوا وَجْهَانِ غَيْرِ مُكْرَهَيْنِ وَلَا مَحْمُولَيْنِ .
١٥

ولكن لا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يَتَّفَقَ عَشْرَةُ سَوَاءً فِي الْحَقِيقَةِ ، وَعِنْدَ الْمَوَازَنَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ لِأَنَّ فِي اتِّفَاقِ ذَلِكَ مُبْطَلَانِ الْإِمَامَةِ . وَلَوْ جَازَ أَنْ يَتَّفَقَ عَشْرَةُ سَوَاءً لَجَازَ أَنْ يَكُونَ الرُّقَبَاءُ وَالشُّهُودُ عَلَيْهِمْ سَوَاءً . وَلَوْ جَازَ أَنْ تَسْتَوِيَ حَالَتُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ جَازَ أَنْ يَقُولُوا لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولُوا فِيهِ قَتْمٌ : « لَا » مَعًا ، وَلِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ لَا : « نَعَمْ » مَعًا .
٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَقَلِيلٌ » .

وفي هذا فساد الاختيار والإقراع . فإذا فسَد الاختيار والإقراع ولم يكن الرجلُ بائناً فلا سبيل إلى إقامته . ولم يكن الله ليفرض أمراً ولا يجمّل إليه سبيلاً ، ولم يكن الله ليكلّف الناس أمراً إلاّ وذلك الأمر مصلحةٌ لهم . فكيف يمنهم مصلحتهم ، بل كيف يُظهر لهم فرض الإمامة وقد أمكنتهم الشدة^(١) ، والمعلوم عنده أنّ العالم سينتهي فيه ويتفق ٥ ما لا يمكن معه أداء الفرض ، ولا بلوغ المصلحة .

ولو جاز أن يتفق عشرةٌ سؤالا في الحقيقة وعند الموازنة في جميع الخصال ، ما كان إحياء الموت وإبراء الأكلر أعجب منه ، ولا أخرج من العادة . وإنّما جعل الله ذلك لرسله فقط .

ولو جاز أن يتفق في العالم شيء يكون جاهلاً^(٢) من الرسالة جاز ١٠ ذلك في أمور كثيرة . ولو جاز ذلك اختلط الكاذبُ بالصادق ، والصُّبّة بالشبهة . وهذا مالا يجوز على الله تبارك اسمه ، ونمالي جده .

ولو عرّفوا موضع الإمام بعينه ثمّ قال الشامي : لا يكون إلّا منّا ، وقال العراقي : لا يكون إلّا مِنّا ، وقال الحجازي : لا يكون إلّا منّا ، وكذلك التهامي والجزري . وكذلك إذا قال القرشي : لا يكون ١٥ إلّا منّا ، وقال الحسيني : لا يكون إلّا منّا ، وقال الحسني : لا يكون إلّا منّا ، وكذلك القلاني والقلاني . وكذلك أنّ لو قال الإباضي : لا يكون إلّا منّا ، وكذلك لو قال الصفري والأزرق والتنجدي والزيدي ،

(١) انظر ماضي في ص ٢٦٧ س ١٥ .

(٢) كذا في الأصل .

والفلاف والفلاف - لَمَّا وَصَلَ أَهْلُ الْحَقِّ إِلَى إِمَامَتِهِ إِلَّا بَأَن يَكُونُوا
فِي عِدَدِ الْجَمِيعِ فِي مَقَادِمِهِ .
وَالْإِمَامُ يَقَامُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :
فَوَجْهٌ كَالَّذِي حَكَيْنَا وَوَسَفْنَا .

٥ ووجه آخر مثل ما أقام المسلمون عثمان بن عفان حين اختار عمر
سبعة متقاربين فاخترأوا منهم رجلاً ، فلو أن الستة كانوا باثنين عند
الجميع لم يطبقوا ذلك الإطباق ، لأنه لم يقل واحد : كان ينبغي أن يكون
منا^(١) ، ولم يقل واحد من الرقباء ولا من الفقهاء والخاصة : فينا
واحد كان ينبغي أن يكون معهم ، ولا قالوا : فيهم واحد كان ينبغي
أن يكون معنا . فهذا دليل أن الستة كما كانوا باثنين عند عمر كانوا
باثنين عند الخاصة .

١٥ ووجه آخر ، وهو مثل إقامة الناس لأبي بكر ، ليس على أن النبي
صلى الله عليه وسلم جَعَلَ شُرَى كَمَا وَضَعَهَا^(٢) عمر ، ولا على جهة
ما حَكَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِإِقَامَةِ الْإِمَامِ وَالنَّصِّ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ
أَسْلَمَ وَأَخْفَ فِي الْوُزْنَةِ ، وَأَبَدَ مِنَ الْفَلْطِ وَالْفَتْنَةِ . وَقَدْ وَجَدْتُمْ مَا هُوَ
أَغْضُ مَعْنَى وَأَدَقُّ مَسْلَكًا ، وَأَغْوَسَ مُسْتَخْرَجًا ، وَأَخْفَى مَأْمَأً ، غَيْرَ
مُفَسَّرٍ وَلَا مُتَّصِفٍ عَلَيْهِ ، كَالْكَلَامِ فِي التَّمْدِيلِ وَالتَّجْوِيزِ ، وَفُصِّلَ
مَا بَيْنَ الطَّبَاعِ وَالِاخْتِيَارِ ، وَالْكَلَامِ فِي التَّشْبِيهِ وَنَقِيهِ ، وَفِي مَجْمَعِ الْأَخْبَارِ
وَحُجُبِ الْعُقُولِ .

٢٠ وَمَنْ لَمْ تَرَ أَحَدًا قَطُّ أَلْحَدَ وَلَا تَزْدَقَ مِنْ قِبَلِ الْفَلْطِ فِي كَلَامِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَعْنَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَضَعَهَا » .

الإمامة والاختلاف فيها . وَمَنْ وجدناه قد ارتدَّ زنديقاً أو دهرمياً مِنْ قَبْلِ هذه الأبواب أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحْصِيَ لَمْ عِدداً ، أَوْ نَقِصَ مِنْهُمْ عَلَى حَدِّ .

فإِذَا جاز أَنْ يَتْرَكْنَا وَأَشَدُّ الْأَمْرَيْنِ لِنَكُونُ نَحْمَنِ الدِّينِ نَسْتَنْبِطُهُ وَتَشْكُلُ مَعْرِفَتُهُ ، لِيَكُونُ مَاجِلُ سروره ورِيئته ^(١) وَأَجَلُ ثوابه وعظيم جزائه ، كان الذي هو ^(٢) أَظْهَرُ لِلْقَوْلِ ، وَأَسْهَلُ عَلَى الطَّالِبِ ، وَالْأَيْنُ كَفَفًا لِلوَاطِئِ ، وَأَقْرَبُ مَأْخِذاً لِلْمُسْتَرْشِدِ ، أَوَّلَى بِذَلِكَ .

ولا بدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا أَحَدَ أَمْرَيْنِ : إمَّا أَنْ يَقُولُوا : إِنَّا إِذْ وجدنا نَعَصَبَ الإمام والنصَّ عَلَيْهِ أَسْلَمَ لَنَا مِنَ الْخَطَا ، فالواجبُ عَلَيْنَا أَنْ نَزْعِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ خِبراً لُضْطَرِّهِ إِلَيْهِ ، ولا قرآناً يَنْصُرُ ١٠ عَلَيْهِ ، والإمامة مختلفة في ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصَبْ إِمَاماً ، ولا في الخبر .

وإما أَنْ يَقُولُوا إِنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ ^(٣) ، وَإِنَّمَا هَرَفْنَا بِالْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالكِتَابِ .

فإنَّ كَانُوا أَنَّمَا حَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِفِعْلِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ لَهُمْ مِنَ الْخَطَا ؛ وَأَبْصَدَ لَهُمْ مِنَ التَّلَطُّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ وجدوا بِذَلِكَ خِبراً قاطعاً ، وكتاباً دالاً ، فإنَّ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهَمْ أَوْجَبُوا عَلَى اللَّهِ فِعْلَ مَا هُوَ أَيْسَرُ

(١) الرِّث : البطله . وفي الأصل « ورهه » .

(٢) في الأصل : « كان هو الذي » .

(٣) في الأصل : « وقوع منه » .

وأظهر ، وقد وجدوا الله لم يصنع ذلك فيما هو أغص وأشكل . كالذي وصفنا قبل هذا من الكلام في التمديل والتجوير ، والتشبيه ، وعجى الأخبار . وقد علموا مع ذلك أن أكثر الناس لم يؤمنوا في هلكتهم إلا من قبل سرف شهواتهم ، وغلبة طبائهم .

٥ وكيف لم يحكموا على الله بغير ما وجدوا من رفع مؤونتها ، وقبح دواعيها ، حتى لا يلجج الناس طبائهم ، ولا تورطهم شهواتهم . وإنما يحكم بهذا وأشباهه على الله من لا علم له بالله وتديده ؛ لأن الله لو أسقط عن الناس كل ما أثقل ظهورهم ، واستبشعته نفوسهم ، وخالف أهواءهم لسطوا الامتحان ، وبطل الاختبار^(١) ، إذ لم يكن هناك حلاوة مُجتنَب ومرارة تُركب ، ولذيد يؤخر ، وكريه يقدم .

١٥ وإن ذهب السائل إلى غير هذا الوجه ، وزعم أنه إنما قال إن الله قد نص على إمامة علي لأن الخبير به جاء المجيء الذي لا يكذب مثله . ولولا أن الخبير صحيح^(٢) جاز عنده أن يكون الله يطوِّقهم النظر^(٣) ، ويضع لهم الدلائل ، ولا ينصهم^(٤) على شيء ولا يفسره لهم ، كيفه فيما هو أدق وأخفى ، وأعظم إثمًا وأشدَّ خطرًا .

قيل لهم : إنكم وإن سمعتم فليسم بأعلم بالأخبار من غيركم . ولئن كنتم عبيدين بخير قد سمعنا معكم فلم يحجنا كما حجكم ، إنه لمحب . وإن كان الخبير قد حج جميع من خالفكم مع كذبتهم ، وأطبقوا على كتمان وجهه وانفقوا عليه ، إن هذا لأعجب .

(١) في الأصل : « إن » .

(٢) في الأصل : « الصحيح » .

(٣) أى يكلفهم بالنظر .

(٤) في اللسان والفاوس : « النص : النصين على شيء ما » .

وكيف تَحْجُبُونَ بَحْجِرٍ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقِيمُوا حُجَّتَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ . فَإِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا حَجَّكُمْ سَلَفُكُمْ فَحُجُّوا أَهْلَ عَصْرِكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ ، كَمَا حَجَّكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَسْلَافِكُمْ .

وقد نفَضْنَا الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ نَجِدْ فِيهِ آيَةً ^(١) تَنْصُ عَلَى إِمَامَةٍ ، وَلَا أَنَّهَا إِذْ لَمْ تَنْصُ كَانَتْ دَالَّةً عِنْدَ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّيرِ ، وَلَا أَنَّهَا إِذْ لَمْ تُدَلِّ بِالْقَطَرِ وَالتَّفَكُّيرِ وَكَانَ ظَاهِرُهُ لَفْظُهَا غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى مَا قَلَّمْ كَانَ أَصْحَابُ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ مُطَبِّقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهَا إِمَامَةَ فُلَانٍ .

فهَذَا بَابٌ لَا تَقْدِرُونَ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَلَيْسَ لَكُمْ فِي بَابِ الْخَبَرِ وَالْإِجْمَاعِ مَتَعَلِّقٌ وَلَا سَبَبٌ ، مَعَ قَوْلِ الْأَنْصَارِ : مِثْلُ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . وَقَوْلِ الْمُهَاجِرِينَ : بَلْ مِثْلُ الْأُمَرَاءِ وَمِنْكُمْ الْوُزَرَاءُ .

١٠ ثُمَّ وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ مِنْكُمْ قَرِيشٍ وَصَاحِبُ أَمْرِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْمُزَانِعُ عَنْهُمْ يَوْمَ السَّقِيبَةِ ، يَقُولُ لِلنَّاسِ بَعْدَ سُكُونِ الْأَنْصَارِ وَارْتِدَاعِهِمْ : يَا أَيُّهَا هَذَيْنِ شَلْتُمَا — يَمْنَى مَرَّ وَأَبَا عُبَيْدَةَ — فَلَمْ نَجِدْهُ إِذَاهَا لِنَفْسِهِ ، وَلَا أَبَى أَنْ تَكُونَ لغيرِهِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنْسَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَلَا مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ^(٢) : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ جَمَلُهُا لِفُلَانٍ وَحَفَنَ عَلَيْهَا لَهُ . وَلَا أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَدْعُوا النَّصَّ ^(٣) قَالَ قَاتِلُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ كَانَ قَالَ قَوْلًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لِفُلَانٍ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ أَحَدٌ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ كَمَا لَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ فِيهَا ^(٤) .

(١) فِي الْأَوَّلِ : « أَوَّلُهُ » .

(٢) أَفْنَاءُ النَّاسِ : أَخْلَاطُهُمْ .

(٣) فِي الْأَوَّلِ : « النَّصْر » .

(٤) فِي الْأَوَّلِ : « مِنْهَا » .

ثم وجدنا أبا بكر حين أراد أن يجعلها إلى عمر من بعده كيف يمشي إليه رجال المهاجرين وحليّة السابقين ، ليصرفها إلى من هو أئين جانباً وأخفّ جناحاً ، وأقلّ هيبة ، ويقولون : يا خليفة رسول الله ، إن الحاجة للأرمل والأرملة ، والضعيف والضعيفة ، وعمر رجل مهيب في صدور الناس والله ما زيد صرفها عنه ألا يكون سبق إلى كل يوم خير ! قال أبو بكر :
• أبرئني تهديّ دوني ، أمّا إذا لقيتك فقال لي : من ^(١) استخلفت على عبادي ؟ قلت : استخلفت عليهم خير أهلك عندي ^(٢) .

فلم يجر بينهم ممّا يقولون حرف واحد .

ثم أن عمر بعد ذلك جعلها شورى بين ستة وجعل إليهم الخيار ، وسلم ذلك جميع المسلمين ، فيهم الزهري والثيمي والمهاشمي والأموي والأسدّي ، على أنها إن وقعت للأسدّي لم يكن منكراً عند الجميع ، وكذلك الزهري والأموي .

وأعجب من هذا أجمع وأدّل على الاختلاف ، وأبعد من النعم والإجماع ، قول عمر في شكاه وهو مؤوّن على قبره وعنده المهاجرون
١٥ الأولون : « لو أدركت سالكاً مولى أبي خذيفة ما تخالجتني فيه الشك » حين ذكر دُعابة على ، وبخل ^(٣) الزبير ، وبأو طلحة ، وحُبّ عثمان لهطه .

(١) في الأصل : « لمن » ، تحريف .

(٢) في الطبري : « : : » : « من أسماء بنت ميس قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ؟ وأنت لاني ربك فسألك من رحمتك ؟ فقال أبو بكر — وكان مضطجماً — أجلسوني . فأجلسوه فقال لطلحة : أباهة تفرقي — أو أباهة تخوفني — إذا لقيت الله ربي فسألتني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك » .

(٣) انظر أنساب الأشراف لبلاذري : ١٧ حيث يقول عمر فيه إنه : « لفس ، =

ثم الذي كان من مُنازعة سمير بن أبي وقاص لعلّ ، وتركه يمتعه
ودعائه له إلى وضع الثوري ، والتخاير بالأعمال والجزء^(١) ، فلم يجهدوا أحداً
من الناس يقول من وراء سمير أو في وجهه : ولم تخايرك وقد اختاره
الرسولُ دونك .

وقد كان ينبغي لأصحاب عليّ ومن معه من المهاجرين والبدرين وسائر
الصحابية والتابعين ، ألاّ يُمسكوا عن ذكر هذه الحجة وإن أمسك عنها
الناس وأضاعوها ، وعاندوا أو غلطوا فيها . ولم نعلم هذا وأشباهه إلاّ دليلاً
قاطعاً لمن لم يجمع قلبه معرفة الحقّ ولسانه الإقرار به ، في محاربة طلحة والزبير
وعائشة وعليّ ، وما أراقوا من الدماء . ولم يقلّ واحدٌ من الناس : ولم
تقاتلوا رجلاً^(٢) أو تطلبوا غايته وقد نصبه النبي صلى الله عليه وسلم
أمراً ، وبين شأنه . [وهذا] دليل على ما قلنا ، وبرهان لما ادّعينا .

ولقد قال رجلٌ لممر بن عليّ : خبرني عن وصية رسول الله صلى الله
عليه إلى أبيك . قال : والله إنّ هذا الكلام ما سميتُ به قطّ إلاّ الساعة .
وقد تعلمون أن الأمة كلّها مع اختلاف أهوائها ونحسها ، لا تعرف ممّا
تدعون من أمر النّس والوصية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما هذه دَفْوى ١٥
مقصودة فيكم ، لا يعرفها سواكم . وإنّ أشدّ الناس عليكم في الوصية

== مؤمن الرضا كافر الفضب ، صحيح . « لكن في الإصابة ٢٧٨٣ أنه « كانه ألب ملوك
يؤدون إليه الحراج فكان لا يدخل بيته منها شيئاً ، يصدق به كله » . وانظر أيضاً الرياض
الفضرة ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ حيث التنويه بمجوده وكرمه .

(١) الجزء : الإجزاء والكتابة . في الأصل : « المر » .
(٢) في الأصل : « سلا » ، وإذا تصقت الزاء مائة إلى أعلى بالجمع صارت على هذا
الشكل المحرف .

والنصر للزيدية مع نصيحتها وإفراطها وشدة إقدامها على عثمان ، وسوء قولها وشدة عداوتها للزبير وطلحة .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نصبه للناس وبين أمره واحتج له ، لم يكن هناك اختلاف ولا ارتياب ، ولا تحير ، ولا احتج بذلك المجوسيون على شاذ إن شذ ومفارق . [وفي] هذا وأقل منه ما يردع ذا اللب ، ويكفّ ذا الحجا .

وزعمت الزائفة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى رجله بينه ، وأمر أمته بالوصية في تركتهم ، لأن ذلك أجمع للشمل ، وأدعى إلى الألفة ، وأمنع للفساد ، وأقطع للشغب ، وأذهب للضنائن ، وأبعد من النلط . ١٠
إلا أن الله قد كان يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى ذلك المستحق تكفر أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أنفس ، وأن الوصي سيضئف عن القيام بالحق ، وسبيل مع العام^(١) يديه^(٢) إظهاره بلسانه ، وأنه لا يرضى بالكف عن شتمه الكافرين حتى يزيهم على مقبره . فسيحان الله ما أعجب هذا القول !

١٥ وإن تركوا الكتاب وأغربوا عن الإجماع واحتجوا بالرواية ، فما أحد أجدها لها ولا أرد لمرفتها منهم . مع أن رواية غيرهم أكثر ، وعلى السنة أصحاب الحديث أظهر .

ولو كانت روايتهم ورواية خصومهم سواء ما كان تأويلهم بأصل لتأويل خصومهم من تأويل خصومهم لتأويلهم . مع أن الحديث إن كان ٢٠ يحتمل ضروبة التأويل فنلط في حق ذلك من باطله رجل فليس بكافر

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « مده » .

ولا مكابر ، لأن ذلك الحديث لو كان صحيحاً لم يكن بأبين من القرآن ولا أوضح .

وقد يختلف الناس في تأويله ولا يكفرون ولا يكابرون ، فكيف يكفر من غلط في تأويل حديث لو كان رده لم يكن عاصياً .

وإن كانت إمامة علي لا تثبت عندهم إلا من قبل الرواية فقد أفلح خصم الرافضة ، واستراح من كد المنازعة .

وقد زعم ناس من (الثمانية) أن الله قد اختار للناس إماماً ، ونسب لهم قبيحاً ، على معنى الدلالة والإيضاح منه بالملامة ، لا على النص والتسمية ، لأن الله إذا قال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

— وقد عرفنا صفة العدالة — فحق رأيناها في إنسان علمنا أنه الذي كان على الله بالآية وإن لم يستمه فيها . وكذلك قول الرسول : « ليؤمكم خياركم » فقد عرفنا الله إختيار من الشّرار ، والفضل من النقص ، فحق وجدنا الفضيلة في رجل فهو الذي عناء النبي صلى الله عليه وإن لم يذكره باسمه .

(١) ولا يهمل الناس ويتركهم سدى من وضع لهم الأدلة ، وبهتتهم على موضع البرهان ، وعرفهم أبواب الصلاة .

ولو قلنا إن النبي صلى الله عليه قد اختار (٢) للناس إماماً على معنى أنه إذ أمر أبا بكر بأن يتقدم المسلمين في بُصلّاه ومقامه ومديره فقد استخلفه ، جاز ذلك في الكلام . وباب الجواب في هذه المسائل كثير (٣) .

٢٠

(١) في الأصل : « ومن لا » .

(٢) في الأصل : « أجاز » .

(٣) الكلام يند إلى « وحكمتم عليه » س ٢٧٩ س ٤ موضعه في نسخة الأصل بعد كلمة

« التبعة » س ١٨٨ س ٢ . وقد أثبتته في موضعه الصحيح هنا .

لأنه لا يجوز أن يكونوا لم يعلموا ذلك وقد علموا ما هو أخفى وأدق وأيسر خطباً وأقل نفماً ، وهم القوم الذين لا يؤتون من نصيحة وحسن معرفة . وكيف يؤتون منهما وبهم عرفنا النصيحة والمعرفة .

فإن قالوا : فإنما كان خيراً للناس أن يختاروا لأنفسهم أو يختار النبي لهم .

قلنا : لو كان النبي قد اختاره لهم لقد كان ذلك خيراً لهم من اختيارهم لأنفسهم . فإذا لم يختره^(١) لهم فترك اختياره خيراً لهم ، لأنه إذا كان أن لو كان اختاره لهم^(٢) ، فقد دلّ تركه الاختيار أن تركه الاختيار لهم خيراً لهم ، إذ كان قد كان اختار الترك دون الاختيار ، وترك الاختيار ربماً^(٣) كان اختياراً . وهو في هذه المواضع اختيار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليختار لهم ترك النص والتسمية إلا وترك النص والتسمية خير من النص والتسمية .

وإنما هذا مثل قائل لو قال لنا : أرايتم التأويل الذي قد ضلّ من أجله عالم ، والتشبيه ، والوعد والوعيد ، والقدر ، والأسماء ، والأحكام التي قد كفر من أجلها بشر ، وبسببها تناحر الناس . وإنما كان خيراً لهم أن يعرفوه بأشده ، ويتصّلوا على حقيقته ، ويكفّوا المؤونة فيه ، حتى كان لا يقع خلاف ، ولا يوجد خطأ ، ولا يشيع فساد ، ولا يتفانى الناس أو يُتركوا ونظروهم ، ويختاروا واختيارهم .

قلنا : إن الخبرة فيما صنع الله . فلا كان الله بين ذلك بالنص والتفسير

(١) في الأصل : « لم يختاره » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة ، وأراها مقصدة .

(٣) في الأصل : « بما » .

دون الدلالة ووضع العلامة ، كان ذلك خيرة ؛ لأننا نعلم أن الله لا يصنع إلا ما هو خير .

فلو لم يفعل ذلك ^(١) ولم ينص عليه فتركه الأمر على ما نحن عليه خير لنا وأفضل . فكيف أوجبتم على الله وحكمتم عليه .

هذا جمل جوابات الممانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية . ولولا أن فيا قدّمنا غنى مما أخرنا لقد فسرنا كما أجهلنا . وإنما ملاك وضع الكتاب لإحكام أصله ، وألا يشذ عنه شيء من أركانه . فأما استقصاؤه حتى لا يجرى بين الخصمين منه إلا شيء قد وضع بينه ، فهذا مالا يمكن الواضع ولا يحتمل الكتاب . ولو أمكن الواضع واحتمله الكتاب لكان طوله ١٠ قاطماً للنشاط القارئ ، وبجيلة لنماس المستمع ، إلا لمن صحت إرادته ، وأفرطت شهوته وقوى طبعه ، وحسن احتسابه .

وقد أهيئنا هذه الصفة في الملمين ، فكيف [في] الضمدين .
وعلى أن للنحل صوراً كصور الناس ، فكما أن بعض الصور أشدّ مشاكلة لطبعه ، وأنت في هينك ، وأخف على نفسك ، فكذلك النحل ١٥ في مقابلة الأهواء ، ومشاكلة الشهوات ، والخفة على النفوس .
فاحذر حوادث الشهوات ، وانمالم المشاكلة ؛ فإنه أخفى من الفيق ، وأدق من الخلق .

هذا إذا كان المعنى مجرداً والذهب ماريأ ، فكيف إذا موّه صاحبه ، وزخرفه واضمه ، بأهذب الألفاظ وأشهاها ، وأحسن الخارج وأعفاها ^(٢) ٢٠

(١) في الأصل : « قالوا فلم » .

(٢) كذا في الأصل .

فشئى كل واحدٍ منهما صاحبه ، وحبَّه إلى سامعه . فإن وافق ذلك منه
تظلم لسكفه ، وهوى في قائله ، فقد أسحمت نفسه بالتقليد ،
واستسلمت للاعتقاد .

فاحذر في^(١) هذه الصفة ، ولا تستغفّن بهذه الوسيّة .

• واعلم أنّ واضح الكتاب لا يكون بين المخصوص عدلا ، ولأهل النظر
مألّفا حتّى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذى يبلغ لنفسه ، حتّى
لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلا مقالة خصمه تُخيل له أنه الذى اجتباه
لنفسه ، واختاره لدينه .

ولولا اتكالى على انقطاع الباطل عن مدى الحق وإن استقصيته وبلغت
١٥ غايته ، ما استجزت حكايته ، ووقت^(٢) مقام صاحبه .

ونحن مبتدئون في كتاب المسائل وبالله ذى المنّ والطول نستمين ،
وعليه تتوكل .

هذه جل أقوال^(٣) العثمانية ، والحمد لله كثيراً دائماً ،
وصلّى الله على سيّدنا محمد نبيه ، وآله الطاهرين
وصحبه ، وسلّم تسليماً .

(١) كفا في الأصل .

(٢) في الأصل : « وأقت » .

(٣) في الأصل : « قول » .

مناقضات

أبي جعفر الإسكافي

لبعض ما أورده الجاحظ في المئانية

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

مناقضة لصفحة ١ — ٦ من السابعة

قال أبو جعفر الإسكافي :

لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتاج إلى نقض ما احتججت به السابعة ، فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقاتلهم ، وعرف كل أحد [علا^(١)] أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلهم ، وقهر سلطانهم ، وارتفاع التقية عنهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والحديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك ، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم ، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يُخملوا ذكر على عليه السلام وولده ، ويطغشوا نورهم ويكتسبوا فضائلهم ، ومناقبهم وسوابقهم ، وحمّلوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دماهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتل وأسير ، وشريد وهارب ؛ ومستخف ذليل ، وخائف مترقب ، حتى إن الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم ليُقدّم إليه ويتوقّع بنائية الإيماة وأشدّ العقوبة أن لا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخسوا لأحد أن يطيف بهم ؛ وحتى بلغ من تقية المحدث إذا ذكر حديثاً عن على عليه السلام كنى عن ذكره فقال : قال رجل من قرشي ، وفعل رجل من قرشي ولا يذكر علياً عليه السلام ولا يتفوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات لمحوها ، من خارجي مارق ، وناصب حق ، ونابت مستبهم ، وناشئ معاند ، ومتافق مكذب ، وعثماني حسود ، يسترش فيها ويطعن ، ومعتزلي قد نفذ في الكلام وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتأول مشهور فضائله ، فرة يتأولها بما لا يحتمل ، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منقضى ، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة .

(١) هذه من ط . أي من النسخة للطبوعة من شرح نهج البلاغة .

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم — وذلك نحو ثمانين سنة — لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويح لمعاوية أقام المنيرة بن شعبة خطباء يلتمون علياً عليه السلام ، فقال سميد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم ، بأمر يلعن رجل من أهل الجنة ؟ !

روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال : سمعت عبد الرحمن ابن الأحنس يقول : شهدت المنيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام فقال منه . روى أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن الشثي النخعي عن رياح بن الحارث قال : بينما المنيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المنيرة فسب علياً عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الأسفهانى عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن هلى ابن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال لي مروان : ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم . قلت : فبالكم تسبونوه على النار ؟ قال : إنه لا يسقيم لنا الأمر إلا بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن عليه السلام جالس ، فقال من هلى عليه السلام ، فقال الحسن : ويحك يا مروان ، أهذا الذي تشتم أشرف الناس ^(١) ؟ قال : لا ، ولكنه خير الناس .

روى أبو غسان أيضاً قال : قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي يطلب فلا يزال مستمرّاً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه وأصفر وجهه وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك فقال : أوقد فطنت لذلك ؟ إن هؤلاء لو يعلمون من على ما يلعنه أبوك ما تبعتهم منهم رجل .

(١) هو كانى قراءة أبي فلاة : « سيطرون هدأ من السكذاب الأشرف » .

روى أبو قسّان قال : حدثنا أبو اليقظان قال : قام رجل من ولد عثمان إلى هشام ابن عبد الملك يوم عرفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لمن أبي تراب .

روى مرو بن القناد عن محمد بن فضيل عن أشعث^(١) بن سوار قال : سب عديّ ابن أرملة علياً عليه السلام على المنبر فبكى الحسن البصريّ وقال : لقد سبّ هذا اليوم رجلاً إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

روى عدي بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة ، فخرج المنيرة فخطب ، فحمد الله ثم ذكر ماشاء الله أن يذكر ، ثم وقع في علي عليه السلام ، فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتي ثم قال : أقبل على فخذني فلنا لسان في جمعة ، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

روى عبد الله بن عثمان الثقفي قال : حدثنا ابن أبي سيف قال : قال ابن حاصر بن عبد الله بن الزبير لولده : لا تذكر يا بني علياً إلا بخير ، فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفة ، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته .

وروى عثمان بن سعيد قال : حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأسبهاني قال : كان دعوى بني أمية ، يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم علياً عليه السلام ، فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله ليستعمله وإنه ليعلم ما هو ، ولكنه كان ختنه . وقد نكس سعيد بن السيب ، ففتح عينيه ثم قال : ويحك ما قال هذا الخطيب ؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدو الله !

وروى القناد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدي قال : بينا أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف فسب علياً عليه السلام ، فغف به الناس ينظرون إليه . فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال :

(١) في الأصل : «أشعث» سوابه في ط .

اللهم إن كان سب عبداً لك صالحاً فأرسله إلى المسلمين خزيه ! فإبى أن يفرضه عليهم
فسقط فأنذرت عنه .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبي
عبد الله الجليل قال : دخلت على أم سلمة رَحِمَهَا اللهُ فقالت - له - : أيْسَبُ رسولُ
الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ؟ قلت : وأنى يكون هذا ؟ قالت : أليس
يُسَبُّ على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبي قال : حدثني أبو بكر الهذلي عن الزهري قال :
قال ابن عباس لماوية : ألا تكشف عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى
يردُّ عليه الصغير ويهرم فيه الكبير . فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه
فقال الناس : ترك السنة . قال : وقد روى عن ابن مسعود إماموقفاً عليه أو مروفاً :
كيف أنتم إذا شتمتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجري عليها
الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة .

قال أبو جعفر : وقد نملون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولاً أو ديناً هوئى ،
فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره ، كنعجو ما أخذ الناس الحجاجُ
ابن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب ، وتوعد على ذلك
بدون ما صنع هو وجبايرة بن أمية وطفة بن مروان بولد على عليه السلام وشيمته .
وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على
قراءة عثمان ، ونشأ أبناءهم ولا يعرفون غيرها إلا بمسك الآباء عنها ، وكف الملم عن
تعليمها ، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبى ما عرفوها ، ولظنوا بآلئها الاستكراه
والاستهجان ، لإلف المادة وطول الجاهة ، لأنه إذا استولت على الرعية الميلية وطالت
عليهم أيام التسلط ، وشاعت فيهم الخافة ، وشملتهم التقية ، اتفقوا على التضائل والتسكات ،
فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقص من مرائهم ، حتى
تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للغة التي كانوا يعرفونها .

ولقد كان الحجاج ومن ولاء ، كعبد الملك والوليد ، ومن كان قبلهما وبعدهما من

فراغته بنى أمية على إخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله ، وفضائل ولده وشيعته . وإسقاط أقدارهم ، أحرص منهم على إسقاط قراء عبد الله وأبي ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حليم . وفي إظهار فضل على عليه السلام ولده وإظهار محاسنهم بآرائهم ، وتسليط حكم الكتاب النبوي عليهم ، غرسوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وعلوا الناس على كتبها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً ، وجهم إلا شغفاً وشدة ، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة ، وجهم إلا وضوحاً وقوة ، وفضلهم إلا ظهوراً ، وشأنهم إلا علواً ، وأقدارهم إلا إعظاماً ، حتى أصبحوا بإهانتهم لإمام أعزاء ، وبإماتتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيراً . فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ، ومزيائه وسوابقه ، ما لم يتقدمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاسدون ، ولا يلحقه الطالبون . ولولا أنها كانت كالقبة المنصوبة في الشهرة ، وكالسن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذ كان الأمر كما وصفناه .

فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم المقيفة . وما رأينا من ذلك ؛ لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايموا منهما من شئتم . ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ! ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام . وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك . على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال ، منهم علي بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبو ذر الغفاري ، وعمر بن عيسى^(١) السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخباب بن الأثرث . وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن هلياً

(١) ط : « عنسة » سوابه في الأصل وتهذيب التهذيب .

عليه السلام أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاماً فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رويوا وأشهر .

فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري قال : حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال : فرض الله تعالى الاستغفار لمل عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . فكل من أسلم بعد على فهو يستغفر لمل عليه السلام .

وروى سفيان بن هيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « السباق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى ، وسبق على عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام . فهذا قول ابن عباس في سبق عليه السلام إلى الإسلام . وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر . على أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر المنزلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمل عليه السلام : « هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي » .

قال : فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام ، المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن الفيرة ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنني قدمت مكة مع حمومة لى وناس من قومي ، وكان من أفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فبينما نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى أنصاف أذنيه جمدة ، أشم أفنى ، أدعج العينين ، كثر اللحية ، براق الثنايا ، أبيض تملوه حمرة ، كأنه القمر ليلة البدر ، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم

حسن الوجه ، تقفهم امرأة قد سترت عاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه النلام ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبما والنلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبر ، وقام النلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرقت يديها وكبرت ، فأطال القنوت ، ثم ركب وركب النلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع النلام والمرأة معه ثم سجدوا وسجد النلام معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئا نذكره لا نعرفه بمكة أقبلنا على المباس قلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ا قال : أجل والله . قلنا : فمن هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا النلام ابن أخي أيضاً ، هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندي — وقد رواه عن عفيف أيضاً مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة — قالوا جميعاً : حدثنا سميد بن جشم عن أسد بن عبد الله^(١) البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال :

كنت في الجاهلية عطاراً ، فقدمت مكة فنزلت على المباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر ، حتى روى بصره إلى السماء ، فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصاف قدميه يصلي ، فخرج على إثره فتى كأن وجهه صحيفة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجأت امرأة متلفعة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكماً فركما معه ، ثم أهوى إلى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للمباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم ، أتدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أتدري من هذا الفتى ؟ قلت :

(١) في الأصل : « ابن عبد » سواءه في ط .

لا ، قال : هذا ابن أخي أبي طالب بن عبد المطلب ، أتندري من المرأة ؟ قلت : لا . قال : ابنة خويلد بن أسد بن عبد المزي ، هذه خديجة زوج محمد . هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء ، وأمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى . ويزعم أنه نبي ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجته خديجة هذه المرأة ، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : فقلت له : فما تقولون أنتم ؟ قال : ننتظر الشيخ ما يصنع ، يمتي أبا طالب أخاه .

وروى عبيد الله بن موسى والفصل بن دكين والحسن بن عطية قالوا : حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال : كنت أوصي^(١) النبي صلى الله عليه وآله فقال لي : هل لك أن نمود فاطمة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . فقام يمشي متوكئاً على وقال : أما إنه سيعمل ثقلها فترك ويكون أجراً لك . قال : فوالله كأنه لم يكن على من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شيئاً . فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وسلم : كيف تعبدينك ؟ قالت : لقد طال أسقى واشتد حزني وقال لي النساء : زوجك أبوك فقيرا لا مال له ! فقال لها : أما ترين أني زوجتك أقدم أمي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ؟ قالت : بلى ، رضيت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد ، وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع عن أبي أيوب الأنصاري بالفاظه أو نحوه^(٢) .

وروى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج فاطمة — دخل النساء عليها فقلن : يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان فردم عنك وزوجك فقيراً لا مال له ! فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها ، فسأها فذكرت له ذلك ، فقال :

(١) ط : « أوصل » .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية الفقرة التالية ساقط من ط .

يا فاطمة ، إن الله أمرني فأناكحتك أقدمهم سلما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حلما ،
وما زوجتك إلا بأمر من السماء . أما علمت أنه أخى فى الدنيا والآخرة ؟ !

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدى ، أن أبا بكر ومهر خطبا
فاطمة عليها السلام فردما رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لم أؤمر بذلك .
فخطبها على عليه السلام فزوجه لإياها وقال لها : زوجتك أقدم الأمة إسلاما .
وذكر تمام الحديث .

قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت ميمس ، وأم أيمن
وابن عباس ، وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن حبيب الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال :
أتيت أبا ذر بالريذة أودعه ، فلما أردت الانصراف قال لى ولا ناس معى : ستكون
فتنة فأتقوا الله ، وعليكم بالشيخ على بن أبي طالب فاتبعوه ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بى ، وأول من يصافى يوم القيامة ، وأنت
الصدىق الأكبر ، وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يمسوب
الؤمنين ، والمال يمسوب الكافرين ، وأنت أخى ووزيرى وخير من أترك بىدى ،
تقضى دينى وتنجز موعودى .

قال : وقد روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن نعيم عن العلاء بن صالح عن المنهال
ابن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدى قال :

سمعت على بن أبي طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر
لا يقولها غيرى إلا كذاب . ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله المدوية قالت : سمعت عليا عليه السلام يخاطب على
منبر البصرة ويقول : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت
قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرفى أنه سمع عليا عليه السلام يقول : أنا أول رجل

أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن
سفیان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سميد الحارث عن علي بن حرار عن علي بن ماصر عن أبي الجحاف
عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : سلّيت قبل الناس
سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت :
يا رسول ما هذا ؟ قال : أمرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن
جابر بن عبد الله قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بملء
وفي الرواية الأخرى عن أنس بن مالك : استنجد النبي صلى الله عليه وآله يوم
الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء بملء .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة
الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء
غداة ذلك اليوم .

قال : وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان
الفارسي وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، أن عليا عليه السلام أول من أسلم .
وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً » : علي
ابن أبي طالب .

فروى يس بن محمد بن أيمن ، عن أبي حازم مولى ابن عباس ، عن ابن عباس
قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفوا عن علي بن أبي طالب ؛ فإني سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لو أن^١ خصلة منها في جميع آل الخطأ كان أحب^٢ إلى^٣ مما طلعت عليه الشمس .

كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ، مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نطلبه ، فأتيناه إلى باب أم سلمة فوجدنا علياً متكئاً على نِجاف الباب^(١) ، فقلنا : أرونا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو في البيت ، رويدكم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فترنا حوله ، فاتسكأ على^٢ عليه السلام وضرب بيده على منكبيه فقال : أبشر يا علي بن أبي طالب ، إنك مخاصم وإنك تخصم الناس بسبع لا يماريك أحد في واحدة منهم : أنت أول الناس إسلاماً وأعلمهم بأيام الله . وذكر الحديث

قال : وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث . قال : وروى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد صلت الملائكة على^٣ وعلى علي عليه السلام سبع سنين . وذلك أنه لم يصل^٤ معي رجل فيها غيره . قال أبو جعفر : فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما تبعني حرٌّ وعبد » . فإنه لم يسم في هذا الحديث أبابكر وبلا لا . وكيف وأبو بكر لم يشتر بلا لا إلا بعد ظهور الإسلام بمكة ، فلما أظهر بلال إسلامه هدَّ به أمية بن خلف ، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ولا في أمر الإسلام . وقد قيل إنه عليه السلام إنما عني بالحرِّ على بن أبي طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن إسحاق .

قال : وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال : قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر على بن أبي طالب : ما تقول

(١) النجاف : العتبة ، وهي أسكفة الباب .

أنت يا حسن ؟ فقال : ما أقول ؟ هو أول من صلى إلى القبلة ، وأجاب دعوة الرسول ، وإنه لم يزل منزلة من ربه ، وقراءة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد . فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بمض البيوت ، وأمر بصرفنا .

قال الشعبي : وكنا جماعة ما منا إلا من نال من على عليه السلام ، مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

وروى حمز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال : قال رجل للحسن ما لنا لا نراك ثني على على وتفرضه ؟ قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دماً ، إنه لأول من أسلم ، وحسبك بذلك .

قال : فهذه الأخبار ، وأما الأشعار المروية فمروفة كثيرة منتشرة .

فنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب محباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وإن ولي الله بعد محمد على وفي كل المواطن صاحبه
وصى رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لأن جانبه
وقال خزيمه بن ثابت في هذا :

وصى رسول الله من دون أهله وقارسه قد كان في سالف الزمن
وأول من صلى الله من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو من
وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين يروع أبو بكر :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف من هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم وأعلم الناس بالأحكام والسنن
وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير :

وإن علياً لكم مُصَحَّرٌ بمائله الأسد الأسود
إما إنه أول العابدين من بمكة والله لا يمسد

وقال سعيد بن قيس الحمداني يرتجز بصفين :

هذا على وابن م المصطفى أول من أجابه فيما روى
هو الإمام لا يزال من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

فحطوا علياً وانصروه فإنه وصى وفي الإسلام أول أول
ولن تمخلوه والحوادث جمة فليس لكم من أرضكم متحول

قال : والأشمار كالأخبار إذا امتنع في عجم القبيلين^(١) التواطؤ والاتفاق كان
ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ : « فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهم مما » فقد أبطل بهذا
ما احتج به لإمامة أبي بكر ، لأنه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر : ويقال لهم : لسنا نحتاج من ذكر سبق على عليه السلام إلا
بجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس . ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دهوى غير
مقبولة إلا لحجة . قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم . ولو كان طفلاً لكان في
الحقيقة غير مسلم ، لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر ، والطاعة والمعصية ، إنما يقع
على البالغين دون الأطفال والمجانين .

وإذا أطلقتم وأطلقنا عليه اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة . كيف وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول من آمن بي وأول من صدقني . وقال
لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلاً » أو قال « إسلاماً » .

فإن قالوا : إنما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على جهة المرض
لالتكليف ؟

قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء — وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف — ثم

(١) في الأصل : « القبيلين » ، سوابه في ط .

ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض . وليس لكم أن تعجلوا معنى الدعاء إلا لحجة .
فإن قالوا : لعله كان على وجه التأديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال .
قلنا : إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله ، أو عند النشوء عليه والولادة
فيه . فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف
ولا معتاد بينهم . على أنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم دماء أطفال المشركين
إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضاً فمن شأن الطفل
اتباع أهله وتقليد أبيه والخضوع على منشته ومولده . وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه
وسلم حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا يقتتل إليها إلا من ثبت
الإسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .

فإن قالوا : إن علياً عليه السلام كان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ، فوافقه
على طريق المساعدة له .

قلنا : إنه وإن كان يألفه فلم يكن يألفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل
بيته ، ولم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه ، ولم يكن الإسلام مما غدّى به وكره
على ممهه ، لأن الإسلام هو خُلص الأنداد ، والبراءة ممن أشرك بالله ، وهذا لا يجتمع
في اعتقاد طفل .

ومن المعبود قول العباس لمعروف بن قيس : « نلتظر الشيخ وما يصنع » فإذا كان
العباس وحمة ينتظران أبا طالب ويصدان عن رأيه ، فكيف يخالف ابنه ويؤثر
القتل على الكثرة ، ويفارق الم محبوب إلى المكروه ، والمزالي الذل ، والأمن إلى
الخطوف ، من غير معرفة ولا علم بما فيه .

فأما قوله : « إن القتل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكدر يزعم أنه
أسلم وهو ابن تسع سنين » فأول ما يقال في ذلك أن الأخبار جاءت في سنه عليه
السلام يوم أسلم على خمسة أقسام :

القسم (الأول) : الذين قالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن أوس قال : سألت خباب بن الأرت عن إسلام علي فقال : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بالغ مستحکم البلوغ .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة

القسم (الثاني) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة . رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال : كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلى من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ تسأفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذب عنه إلا علي عليه السلام .

وروى ابن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد قال : أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة .

القسم (الثالث) : الذين قالوا أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة . رواه إسماعيل ابن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سحمان عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن محمد بن علي عليهما السلام : أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة . وروى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : أول من آمن بالله علي بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة .

القسم (الرابع) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن عشر سنين . رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال : أول من آمن وصدق بالنبوة علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم (الخامس) : الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين . رواه الحسن بن عبيدة الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر : فهذه الأخبار كاتراها . فإما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد المناد .

فأما قوله « فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول : إنه أسلم وهو ابن سبع سنين » فإن هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل أذمى قبل رجل عشرة دراهم فأنكر ذلك وقال : إنما يستحق قبل أربعة دراهم ، فيلبنى أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم : كان كافرا وقال قوم : كان إماماً عادلاً ، أن نقول : أحدل الأثاويل أو سطها ، وهو منزلة بين المنزلتين ، فنقول : كان فاسقاً ظالماً . وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فأما قوله : « وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنى ولاية عثمان ومصر وأبي بكر وسنى الهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر » ، فيقال له : لو كانت الرواية متفقة على هذه التواريخ لكان لهذا القول مساغ ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد الرسالة خمس عشرة ، رواه ابن عباس . وقيل ثلاث عشرة ، وروى [عن ^(١)] ابن عباس أيضاً . وأكثر الناس يردونه . وقيل عشر سنين ، رواه عروة بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسبب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : كان ابن خمس وستين ، وقيل : كان ابن ثلاث وستين ، وقيل : كان ابن ستين . واختلفوا في سن على عليه السلام ، فقيل كان ابن سبع وستين ، وقيل : كان ابن خمس وستين ،

(١) التكملة من ط .

وقيل : ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل : ابن تسع وخمسين . فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذا الحال .

وإنما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على ، فإن هذا الاسم لا يكون مطلقاً إلا على البالغ . على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالغاً ويولد الأولاد . فقد روت^(١) الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسن من ابنه عبد الله إلا باثنتي عشرة سنة . وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة . ورووا أيضاً أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه علي بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة .

فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلم على الحقيقة ، ولا مثاب ، ولا مطيع بالإسلام ، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين . رواه هشيم عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين .

(٢)

لصفحة ٦ - ٩ من الثمانية

هذا كله مبني على أنه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا أنه أسلم بالغاً ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة . على أننا لو نزلنا على حكم الخصوم وقتلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية ، وهو أنه أسلم وهو ابن عشر ، لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لأن ابن عشر قد يستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأمور المعقولة . ومتى كان الصبي عاقلاً مميزاً كان مكلفاً بالمعاليات وإن كان تكليفه بالشرعيات موقوفاً على حد آخر وغاية أخرى ، فليس يمتكر أن يكون على عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المجردة فلزمه الإقرار بالنبوة ، وأسلم إسلام هارف ، لا إسلام مقلد تابع .

(١) في الأصل : « روت » ، صوابه في ط .

وإن كان ما نسقه الجاحظ. وعدده من معرفة السحر والتجوم ، والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز وما لا يحده إلا الخلق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدر ، ومعرفة التوبة والتجديس والمكر ، شرطا في صحة الإسلام لما صح إسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما من العرب ، وإنما التكليف لهؤلاء بالجل^(١) ومبادئ المعارف ، لا بدقاتهما والناض منها . وليس يقتصر الإسلام إلى أن يكون السلم قد فاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم ، وإنما يقتصر إلى صحة الفريضة وكال العقل وسلامة الفطرة . ألا ترى أن طفلا لو نشأ في دار لم يماشر الناس بها ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم ثم كل عقله وحصلت العلوم البديهية عنده لكان مكلفا بالعقليات .

فأما توجهه أن عليا عليه السلام أسلم عن تربية الخاضعين وتلقين القيم ورياضة السائس ، فلعمري إن محمدا صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن منقطعا عن أبيه أبي طالب ، ولا عن إخوته طالب وعقيل وجعفر ، ولا عن عمومته وأهل بيته ، وما زال مخالطا لهم متمزجا بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله ، وهم كثير ومحمد صلى الله عليه وآله واحد ، وأنت تعلم أن الصبي إذا كان له أهل فو وكثرة وفيهم واحد يذهب إلى رأى مفرد لا يوافق عليه غيره فإنه إلى ذوى السكرة أميل ، وعن ذى رأى الشاذ المفرد أبعد .

وعلى أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام وإنما ولد في دار الشرك ، وربى بين المشركين وشاهد الأصنام ، وطاف ببنيته أهله ورعته يبدونها ، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول بحال ، ولقليل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الفلتر ، وعن سماع كلمة الإسلام ، ومشاهدة شواره ؛ لأنه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواء ، فلما لم يكن ولد كذلك [ثبت أن إسلامه إسلام المميز المعارف بما دخل عليه . ونولا

(١) في الأصل : « بالجهل » ، سواه في ط .

أنه كذلك^(١) [لما قدمه^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا أرضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها : « زوجتك أقدمهم سلما » . ولا قرن إلى ذلك قوله « وأكثرهم علما وأعظمهم حلما » والحلم : العقل . وهذان الأمران غاية الفضل . فلو لا أنه أسلم لإسلام طارف عالم يميز لما ضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما . وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه ولا معاقبا عليه لو تركه . ولو كان إسلامه من تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رءوس الشهداء ولا خُطب على المنبر ، وهو بين عدو محارب وخاذل منافق ، فقال : « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه » . فهل بلغكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو ما به أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلا أسلمت على تربية محمد صلى الله عليه وآله لك وتلقيته إياك ، كما تعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيفا ، فلا تغر له في تعلم ذلك ، وخصوصا في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والهروان ، وقد اعتورته الأعداء وهجته الشمراء . فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بريد وسارع في الضلال أبو تراب
معاوية الإمام وأنت منها على ونح بمنقطع السراب^(٣)
وقال فيه أيضا بعض الخوارج :

دسنا له تحت الظلام ابن ملج جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها
وقال عمران بن حطان يمدح قاتله :
يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليلنج من ذى المرش رضوانا
لأنى لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

(٢) ط : « مدحه » .

(١) التكملة من ط .

(٣) الوبح : القليل النافعة .

فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفتخر به من تقدم إسلامه لبدعوا بذلك وتركوا مالا معنى له .

وقد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه . وقد قال في أمهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه ، فكيف تركوا أن يسيبوه بما كان يفتخر به مما لا يخفى فيه عندهم وعابوه بقوله في أمهات الأولاد .

ثم يقال له ^(١) خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد أجازته النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يميزه يوم أحد : هل [كان] يميز ما ذكرته ، وهل كان يعلم فرق ما بين النبي الغني ويفصل بين السحر والمجزة إلى غيره مما هدت وفصلت . فإن قال نعم ونجاس على ذلك قبل له : فعلى عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر ، لأنه أذكي وأظن بلا خلاف بين العقلاء . وأنى يشك في ذلك وقد رويتم أنه لم يميز بين الميزان والمود بمد طول السن وكثرة التجارب ، ولم يميز أيضاً بين إمام الرشد وإمام النقي ، فإنه امتنع من بيعة على عليه السلام ، وطرق على الحجاج بأه ليل ليبيع لعبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، زعم . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية » ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال : أصفق بيدك عليها . فذلك تمييزه بين الميزان والمود ، وهذا اختياره في الأئمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصديق حسده معلومة مشهورة . فإذا جاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقها ، وأظهر فصاحته وتشادقه فيها ، فعلى بمعرفة ذلك أحق ، وبصحة إسلامه أولى .

وإن قال : لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، أبطل إسلامه وطمن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث حكم بصحة إسلامه وأجازته يوم الخندق ، لأنه عليه السلام كان قال : لا أجبر إلا البالغ الماقل ، ولذلك لم يميزه يوم أحد . ثم يقال : إن ما نقوله

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « قلنا له » .

في بلوغ على عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب ، وهو ابن عشر سنين ، ليس بأعجب من مجيء الولد لستة أشهر . وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وإن كان خارجاً من التمارف والتجارب والمادة . وكذلك مجيء الولد لستين خارج أيضاً عن التمارف والمادة ، وقد صححه الفقهاء والناس . وروى أن معاذاً لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاماً قد نبقت ثدياته فقال أبوه : أبى ورب الكعبة ! فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء . وقد وجدنا المادة تقضى بأن الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة ، وأنه أقل سن تحيض فيه المرأة ، وقد يكون في الأقل نساء يحضن لمشر ونسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان : لو جاءت المرأة بحمل وزوجها سبي له دون عشر سنين لم يكن ولداً له ، لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وإن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لمان إذا لم يقر به ، وقال الفقهاء أيضاً : إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر يلاذهن .

(٣)

لصفحة ٩ - ١٢ من المأينة

إن مثل الجاحظ ، مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقول تمصباً وعناداً . وقد روى الناس كافة افتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنجد يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ، وأنه كان يقول : صليت قبل الناس سبع سنين ، وأنه مازال يقول : أنا أول من أسلم ، ويفتخر بذلك ويفتخره به أولياؤه ومادحوه وشيمته في عصره وبعد وفاته . والأمر في ذلك أشهر من كل شهير ، وقد قدمنا طرقاً منه . وما علينا أحداً من الناس فيما خلا استخف بإسلام على عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غريب ، وطفل صغير . ومن العجب أن يكون مثل العباس وحزاة ينتظران أباطال [وفعله ^(١)] ليصدرا عن رأيه ، ثم يخالفه على ابنه لتغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة على

(١) هذه التكلفة من ط .

الكثرة ، والنذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالعاقبة . وكيف يسكر الجاحظ والمثانية أن رسول الله صلى عليه وآله دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق ، وروى في الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمسكة أن يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له ، فخرجوا ذلك اليوم ، ولم ينذروهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها معه أبو لهب ، فكلفه اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية ، فصنعه ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته ، وخليفته من بعده ، فأمسكوا كلهم وأجابوه وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأؤازرك وأبأيك ! فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعان منهم الإياء ومنه الإجابة : هذا أخى ووصيى وخليفى من بعدى ! فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبى طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك ! فهل يكلف حمل الطعام ودعاء القوم صنيير غير مميز ، وفقر غير عاقل ؟ ! وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ ! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب ؟ ! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ويعطيه صفة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل لولاية الله ، وعداوة أعدائه ؟ !

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله ، ولم يَرَّ مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه ، وهو كأحدهم في طبقة بعضهم في معرفته . وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعته فيقال : دعاه تهنى الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحلته العزة والحدائث على حضور لموم والدخول في حالهم ، بل مارأيناه إلا ماضيا على إسلامه ، مصمما في أمره ، عمقا لقوله بفعله ، وقد صدق إسلامه بسفاهه وزهده ، ولمسح برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من يحضرته ، فهو أمينه وأليفه في دنياه

وآخرته . وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ؛ لما يرجوه من فوز العاقبة وثواب الآخرة .

وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله واقتتاح أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فأقبلت تحمداً الأرض ، فقالت قريش : ساحر خفيف السحرا فقال على عليه السلام : يا رسول الله ، أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك ، وبرهاناً على صحة دعوتك . فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرة ؟ ! ولكن حنق العنانية وغيظهم وعصبية الجاحظ والبحرافه ، مما لا حيلة فيه .

ثم لينظر المنتصف وليدع الهوى جانباً ليعلم نعمة الله على عليه السلام بالإسلام ، حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فإنه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها له ، لما كان إلا كيمض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله . فقد كان ممازجاً له كما زجته ، وغالطاً له كغالبه كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلاً ، فإن جمعوا عليه السلام كان ملتصقاً به ولم يسلم حينئذ . وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدق ، بل كان شديداً عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم ورأيهم ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة ، وكافله وناصره ، والهاوى عنه ، ومن نولاه لم تقم له قاعة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات . وكان البساس عمه وصنو أبيه ، والقرين له في الولادة والنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل . وكان أبو لهب عمه وكديمه ولحمه ، ولم يسلم ، وكان شديداً عليه ، فكيف ينسب إسلام على عليه السلام إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة ، والتلفيق والحضانة والدار الجامعة وطول المشرة ، والأنس والغلوة . وقد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سَكِينًا وقد فاز بالمنزلة غيره .

وهل يدل تأمل حال علي عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم ، لأنه شاهد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة إلا بما يمتلئ بأموال الآخرة .

(٤)

ص ٢٢ من الثانية

ينبغي أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ^(١) والأصم في نصرة العتانية ، واجتهادها في القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها ، فرة يطلان معناها ، ومرة يتوصلان إلى حط قدرها . فلينظر في كل باب اعتراض فيه أين بلغت حيثما ؟ وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجنهما ؟ أليس إذا تأملتها علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى ، وأنها عليها شجى وبلاء ، وإلا فما عسى أن تبلغ حيلة الحاسد وينى كيد الكائد الشاقي لمن قد جل قدره عن النقص ، وأضاءت فضائله إشاعة الشمس .

وأي قول الجاحظ من دلائل السماء ، وبراهين الأنبياء وقدم الصنبر والكبير ، والعالم والجاهل ممن بلنه ذكر علي عليه السلام ، وعلم بميث النبي صلى الله عليه وآله أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام ، ولا غذى في حجر الإيمان ، وإنما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة الفصح والجماعة . وعمره يومئذ ثمان سنين ، فكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة ، فدعاه وهو بالغ كامل العقل إلى الإسلام ، فأسلم بعد مشاهدة المعجزة ، وبعد إعمال النظر والفكرة . وإن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم فإنما يعني ما بين الثمان والعش عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية ، ويتحدث ويجانب

(١) هنا ما في ط . وفي الأصل : « الأخرى » .

الناس ويهتزل ويطلب الخلاوة ويتقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملائكة وبشرته بالرسالة ، دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالأعلام في المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضيا ١٩

وإن كان إسلامه ينقص من إسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التمسك مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، ليكون طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثاله من المصومين ، لأن المصمة عند أهل العدل لطف بمنع من اختص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل ، فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألطاف .

وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبح النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه ، ولا تواترت أعلام النبوة على مشاهدته ، ولا تطاول الوقت عليه لتخفف محنته ويسقط ثقل تكليفه ، بل إن فضله وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ أسلم حال بلوغه ، وعانى نوازح طبعه ، ولم يؤخر ذلك بمد سماعه .

وقد غر الجاحظ في كتابه هذا أن أبى بكر كان قبل إسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفاً ، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة ، وحجج الرسل ، وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر ، والإسلام عليه أسهل ، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجاً ، وكل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ، ومسهل إليه سبيله ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله : « أتيت بيت المقدس » سأله أبو بكر عن المسجد ومواضعه ، فصدقه وبأن له أمره ، وخفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت . فخرج إذاً إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى القتضاب .

وفي ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا وكان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبي بكر فإنه لم يتلعم حتى هم به اليقين إلى المعرفة والإسلام . فأين إسلام هذا وإسلام من خُلِّي وعقله ، وألجئ إلى نظره مع سفر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ، ونشأته في ضد ما دخل فيه ، والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو . فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التفسير بالمصيبة ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره ، وخرج من عادته وما كان غُدِي به ، لصحة نظره ، ولطافة فكره ، وفاض فهمه ؟ فمظلم استنباطه ، ورجح فضله ، وشرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ولا تنعم فيها بنعم ، حدثاً ولا كبيراً ، [وحى نفسه عن الهوى ^(١)] ، وكسر شريرة حدائمه بالتقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، وأشتغل ^(٢) هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فأسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ، ولنهاجهم متبها ، وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام ، فإن أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه : من ربى ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبى ؟ فزبرته ونهرته ، إلى أن اطلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال : هذا ربى . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى . فلما أفل قال : لئن لم يهتدى ربى لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر . فلما أفلت قال : يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم منكسورا السموات والأرض وليكون من الموقنين » . وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر

(١) التسلية من ط .

(٢) كذا في المتن ، ولعلها « أشمر » .

عليه السلام . لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه ، على ما قال الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وأما اعتلال الجاحظ^(١) بأن له ظهراً كتابي طالب ، ووراءه كبنى هاشم ، فإنه يوجب عليه أن يكون محنة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن أبا طالب ظهره ، وبنى هاشم رداؤه . وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدره على عليه السلام إلا بحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولم يكن أحد أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كآبي لبممه ، وامرأة أبي لبم ، وهي أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبد مناف . ثم ما كان من عقبة بن أبي مُعيط وهو ابن ممه ، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بني عبد الدار بن قصي وهو ابن ممه أيضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعداده ، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه وينقل أخباره ، ويرميه بالحجارة ، ويرمي الكرش والفرت^(٢) عليه . وكانوا يؤذون عليها عليه السلام كأذاه ، ويجهدون في ممه ويستهنئون به ، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي . ولما كان بين علي وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والإلف والاتفاق ، أحجم المناقون بالمدينة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه وأنه صاحب الدار والجيش ، وأمره مطاع وقوله نافذ ، تخافوا على دماهم منه فاقوه ، وأمسكوا عن إظهار بنضه وأظهروا بنض علي عليه السلام وشأنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه الخبر الذي روى في جميع الصحاح : « لا يجيبك إلا مؤمن ، ولا يينفضك إلا منافق » . وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين الحديثين : « ما كنا نعرف المناققين إلا يينفض علي بن أبي طالب » . وأين كان ظهر

(١) هذا ما في ط . وهذا في الأصل : « وقوله » فقط .

(٢) في الأصل : « والفرب » صوابه في ط .

أبي طالب من جعفر وقد أزهجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة خيراً
البحر . أتوهم الجاحظ أن أبا طالب نصر علياً وخذل جعفر ؟ ١٩

(٥)

ص ٢٥ - ٢٧ من المئانية

أما ما ذكره من كثرة المال والصديق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت ، وكبر
السن ، فكلُّه عليه لاله . وذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ
الصديق ، والوفاء بالذمام ، والهيبة لدى الثروة ، واحترام ذى السن العالية ،
وفى كل هذا ظهر شديد وسند ، وثقة يعتمد عليها عند المحن ، ولذلك كان المرء منهم
إذا تمكن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه ، وكان ذلك سبباً لنجاته والمفوة عنه .
على أن على بن أبي طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سنة فقد شهره نسبه
وموضعه من بني هاشم ، وإن لم يستغض ذكره بقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاض
بأبي طالب . فأنتم تعدون أنه ليس نبي في بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو قحافة
كأبي طالب . وعلى حسب ذلك يملو ذكر الفتي على ذى السن ، ويعد صيت الحدث
على الشيخ .

ومعلوم أيضاً أن علياً على أعناق المشركين أنقل ، إذ كان هاشمياً وإن كان أبوه
حاشي رسول الله صلى الله عليه وآله والمناجى لحوزته . وعلى هو الذى فتح على العرب
باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة ، وخالف رطله وعشيرته
وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى : « لتنذر قوما
ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشق حزنه ، وأنيسه
فى خلوته وجليسه ، وأليفه فى أيامه كلها . وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة
العرب له .

ثم أنتم معاشر^(١) المئانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه

(١) ط : « معشر »

وآله من مكة إلى يثرب ، ودخوله معه في النار ، فقلتم : مرتبة شريفة ، وحالة جليلة ، إذ كان شريك في الهجرة ، وأنيسه في الوحشة ، فأين هذه من محبة علي عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد أنيساً غيره لبله ونهاره ، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا ، ويكلف له الحاجة جهرا ، ويخدمه كالمد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكالولد يبر والده ويمطف عليه .

ولما سئلت عائشة : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : أما من الرجال فلي ، وأما من النساء ففاطمة .

(٦)

ص ٢٧ - ٢١ من الثمانية

أما القول فمكن والدعوى سهلة ، سبأ على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فمعناه زور ، وقوله لنو ، ومطلبه سجع ، وكلامه لمب ولغو ، يقول الشيء وخلافه ويحسن القول وضده ، ليس له من نفسه واعظ ، ولا لدعواه حد قائم . وإلا فكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً ؟ لقد بينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالنفا كاملاً ، مناظراً بلسانه وقلبه لمشركي قريش ، ثقيلاً على قلوبهم ، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخطوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، المتجرع لنمصص المرار من أبي لبب وأبي جهل وغيرهما ، والمصطلي لكل مكروه ، والشريك لتنبية في كل أذى ، قد نهض بالجل الثقل ، وبأن بالأمر الجليل . ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق ، ويخفي نفسه ويضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من ييمته إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو غفروا به لأراقوا دمه . أعلى كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر ؟

وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، فقال في خطبة له مشهورة : « فتماقدوا
ألا يماثلونا ولا يناكفونا ، وأوقنت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا إلى جبل وعمر ،
مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحاي عن الأصل » . ولقد كانت القبائل كلها
اجتمعت عليهم ، وقطعوا عنهم المأوى والميرة ، فكانوا يتوقعون الموت جوعاً مباحاً
ومساء ، لا يرون وجهاً ولا فرجاً ، قد اضطلع عزمهم وانقطع رجائهم ، فن الذي
خلص إليه مكروه تلك الحين بمد محمد صلى الله عليه وآله إلا على عليه السلام وحده .
وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة من قصي معانيها وبلوغ غاية
كنها وفضيلة الصابرين . ودامت هذه الهمة ثلاث سنين حتى ^(١) انفرجت عنهم
بقصة الصحيفة . والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في على عليه السلام : إنه قبل الهجرة
كان وادعاً رافهاً ، لم يكن مطلوباً ولا طالباً ، وهو صاحب الفراء ، الذي فدى
رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ، ورضخ
الحجارة دونه . وهل ينتهي الواصف وإن أطلب ، والمادح وإن أسهب ، إلى الإبانة
عن مقدار هذه الفضيلة ، والإيضاح لمزية هذه الخصصة .

فأما قوله : « إن أبا بكر عذب بمكة » فإننا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلا بريد
أو عسيف ، أو لمن لا هشيرة له تمنه . فأنتم في أبي بكر بين أمرين : تارة يجعلونه
دخيلاً ساقطاً وهيناً ، وذليلاً مستضعفاً [ذليلاً] ، وتارة يجعلونه رئيساً متبعاً وكبيراً
مطاعاً ، فاعتمدوا على أحد القولين لتكلمكم بحسب ما يختارونه لأنفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنة والعذاب لكان عمار وخباب وبلال وكل منذب بمكة
أفضل من أبي بكر ، لأنهم كانوا من العذاب في أكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم
من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا »
قالوا : نزلت في خباب وبلال . ونزل في عمار قوله : « إلا من أكره » وقلبه

(١) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

مُطْمَئِنِّينَ بِالْإِيمَانِ » . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه وهم يمدبون ، يمدبهم بنو غزوم لأنهم كانوا حلفاءهم ، فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » . وكان بلال يقلب على الرضاء وهو يقول : أحد أحد ١١ وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكراً .

ولقد كان لملى عليه السلام عنده يد غراء - إن صح ما روئتموه في تميزه - لأنه قتل نوفل بن خويلد ، وصير^(١) بن عثمان يوم بدر . ضرب نوفلاً فقطع ساقه فقال : أذكرك الله والرحم فقال : قد قطع الله كل رحم وصهر ، إلا من كان تابماً لحمد الله ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه . وصمد لمعير^(٢) بن عثمان التيمي فوجده يروم الحرب وقد ارتج عليه المسلك ، فضربه على شراسيف^(٣) صدره ، فصار نصفه الأعلى بين رجله . وليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجهد ، [لكنه] لم يقدر على أن يفعل فعل على عليه السلام ، فبان على عليه السلام بفعله دونه .

(٧)

ص ٢٨ - ٢٩ من المئانية

كيف كانت بنو جح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو سطوة وقدر ، وترك أبا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم . وأنتم الذين روئتم عن ابن مسعود أنه قال : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب » . والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل عمر ، فكيف هذا ؟

وأما ما ذكرتم من رقة صوته وعَتَاق^(٤) وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ، أن عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين ، مروق الخدين ،

(١) هذه من ط .

(٢) في الأصل : « صير » ، سواءه في ط والسير ٥٠٨ .

(٣) كذا في ط . وفي الأصل : « شر سوف » .

(٤) العتاق : المتق .

غائر المئينين ، أحفاد^(١) لا يمسك إزاره ، فقالت : ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا .
فلا . اها دلت على شيء من الجلال في صفته .

(٨)

ص ٣١ - من المئانية

هذا الكلام ومجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى ، وذلك أن
قريشاً لم تقدر على أذى النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب حتى يمنعه ، فلما مات طلبته
لقتله ، فخرج تارة إلى بني عامر ، وتارة إلى ثقيف ، وتارة إلى بني شيبان ، ولم يكن
يتجاسر على المقام بمكة إلا مستتراً حتى أجاره مطعم بن عدي ، ثم خرج إلى المدينة
فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه ، حين قاتلها فلم تقدر عليه . فما بالها بذلت في
أبي بكر مائة بعير أخرى وقد كان ردّ الجوارز وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ، ولا دافع
عنده ، يصنمون به ما يريدون . إما أن يكونوا أجهل البرية كلها ، أو يكون المئانية
اكتنب جيل في الأرض وأوقعه وجهاً . وهذا مما لم يذكر في سيرة ، ولا روى في
أثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به أحد .

(٩)

ص ٣١ - من المئانية

ما أعجب هذا القول ، إذ تدمي المئانية لأبي بكر الرفق في الدماء وحسن الاحتجاج
وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله الإسلام طوعاً برفقه ولطف
احتجاجه ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال السكره عليه ، ولا كان لأبي بكر
عند ابنه عبد الرحمن من التقدر ما يطبعه فيما بأمره به ويدعوه إليه ، كما روى أن
أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يقتلوه فخرج
ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب

(١) الأجناد من الجنأ ، وهو ميل النهر .

مكة يصلي وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآها أبو طالب قال لجعفر : تقدم
وصيل جناح ابن عمك ا فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وسلم فلما صاروا ثلاثة
تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

إن عليا وجعفرًا ثقتي عند ملي الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأخي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

فتذكر الرواة أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره .
وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبدالرحمن في الإسلام ، حتى أقام بمكة على كفره ثلاث
عشرة سنة . وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى : أنا عبد الرحمن بن عتيق
هل من مبارز ! ! ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذي
دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سبيلا .

وإبن كان رفيق أبي بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافة وهما في دار
واحدة ؟ هلا رفيق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وقد علمت أنه بقي على الكفر إلى يوم
الفتح فأحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالثفامة^(١) فنفر
رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال : فيروا هذا . فحضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى
فأسلم . وكان أبو قحافة فقيرا بدقما سيي الحال وأبو بكر عندهم كان مثريا قاض
المال ، فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان . وقد كانت امرأة أبي بكر
أم عبد الله ابنة — واسمها ثلة بنت عبد المزي بن أسمد بن عبد ود العامرية — لم تسلم
وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهي كافرة ، فلما نزل قوله تعالى : « ولا
تمسكوا بمصم الكوافر » فطلقتها أبو بكر . فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن
غيرهم من النرباء أعجز ، ومن لم يقبل منه أبوه وابنه وامرأته لا يرفق واحتجاج ،
ولا خوفا من قطع النفقة عنهم وإدخال المسكروه عليهم فقيرهم أقل قبولاً منه ، وأقل
خلافاً عليه .

(١) الثفام ، كسحاب ، ضرب من الثبات أبيض .

(١٠)

ص ٣١ - ٣٢ من المئانية

أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر ، إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وأبو قحافة لم يسلم ، وأخته أم فروة لم تسلم ، وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لأنه ولد في حجة الوداع . وأسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت أربع سنين ، وفي رواية من يقول : بنت سنتين . فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم . نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكارة . وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن يدعاه أبي بكر وليسوا من رهطه ولا من أترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا أنس وكيد . وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برقيقه وحسن دمايته ، وقد زعمت أنهما كانا يجلسان إليه لملته وطريف حديثه . وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام وقد ذكرت أنه أذبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش وماثرها . فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم - وهم منه بالحال التي وصفنا - ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة هيان . وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شباها به في أغلب أخلاقه . ولئن رجعت إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاه الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه أسلموا .

ولو فكرتم في حسن التآني في الدعاء ليصبحن لأبي طالب في ذلك - على شركه - أضما ف ما ذكرتوه لأبي بكر ، لأنكم رويتم أن أبا طالب قال للى عليه السلام : يا بنى الزمة فإنه لن يدعوك إلا إلى خير . وقال لجعفر : سل جناح ابن عمك . فأسلم بقوله ، ولأجله أسفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله

بمكة من بنى غزوم وبنى سهم وبنى جمع . ولأجله سبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه وإقباله على محمد صلى الله عليه وآله أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد . فهو أحسن رفقا وأمين قسبة من أبي بكر وغيره . وما منعه عن الإسلام إن ثبت أنه لم يسلم إلا قسبة . وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وفيه أنزل : « والذي قال لو أدبه أف لسكا أتعادني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ، وهما يستغنيان الله ويكف آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » .

وإنما يعرف حسن رفق الرجل وتأنيبه بأن يصلح أولاً أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بحث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفولة وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم أم أيمن خادمته . فهل رأيتم أحداً ممن كان يأوي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع ؟ وهل الثالث عليه أحد من هؤلاء ؟ فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدعاء . هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وأبو بكر عندكم كان موسراً وكان أبوه مُقْتَرَأً^(١) ، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله . والموسر في فطرة العقول أولى أن يتبع من المقتر . وإنما حُسن التأني والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببنى عبد الأشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيبي بأسلم لما دعاهم ، قالوا : أسلم بدعائه ثمانون بيتاً من قومه . وأسلم بنو عبد الأشهل بدعائه سعد في يوم واحد . وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه ولا أخته بدعائه فهيئات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء ، وحسن التأني والأناة .

(١) المقتر : القليل المال .

(١١)

ص ٣٣ - ٣٥ من المئانية

أما بلال وعامر بن فهيرة فإنما اعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله .
روى ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما . وأما باقى موالهم الأربع فإن
سأعناكم فى دعواكم لم يبلغ ثمنهم فى تلك الحال لشدة بنض موالهم لهم إلا مائة درهم
أو نحوها ، فأى فخر فى هذا ؟

وأما الآية فإن ابن عباس قال فى تفسيرها : « وأما من من أعلى واتى . وصديق
بالحنى . فسئسره لليسرى » أى لأن يمود . وقال فيه : نزلت فى مصعب بن عمير .

(١٢)

ص ٣٥ - ٣٦ من المئانية

أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال ، وفى أى وجه وضعه ، فإنه ليس
بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره .
وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزمكم ست رقاب لعلها يبلغ ثمنها فى
ذلك العصر مائة درهم . وكيف يدعى له الإنفاق الجليل وقد باع من رسول الله صلى
الله عليه وآله بغيره عند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن فى تلك الحال ، روى
ذلك جميع المحدثين .

وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة موسرا . ورويتم عن عائشة أنها
قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم . وقلم إن الله تعالى أنزل فيه :
« ولا تأتوا أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى » .
قلم : هى فى أبى بكر ومسطح بن أثانة . فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى
تخلل بالعباءة ^(١) .

(١) فى الأصل : « بالعباء » ، وأثبت ما فى ط .

ورويتم أن لله تعالى في سمائه ملائكة تحلقوا بالعباء وأن النبي صلى الله عليه وآله
 رأيهم ليلة الإسراء فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي
 قحافة صديقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله حتى يخجل عبادته في عنقه .
 وأنتم وويتم أيضا أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا
 ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم » ، الآية . لم
 يعمل بها إلاهلي بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وأبو بكر في
 الذي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته ، فمات الله المؤمنين في ذلك فقال :
 « أأشقتهم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » ،
 فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة . فكيف
 سخط نفسه بإفناق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج إلى
 إخراج درهمين .

وأما ما ذكرتم من كثرة عياله ونفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لأن
 نفقته على عياله واجبة . مع أن أرباب السير ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا ،
 وأنه كان أجيرا لابن جُدعان على مائته يطرد عنها الدياب .

(١٣)

ص ٣٧ - ٣٩ من المئانية

إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم . ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على
 جحد الأمور الملوثة ، ولكننا ننكر تفضيل أحد الصحابة على علي بن أبي طالب
 ولسنا ننكر غير ذلك - وننكر تعصب الجاحظ للمئانية وقصده إلى فضائل هذا
 الرجل ومناقبه بالرد والإبطال . وأما حجة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ،
 وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما فضل عرف غير متكر ، وكذلك الأثير وسعد ، وليس فيما ذكرنا ما يقتضي
 كون علي عليه السلام مفضولا لهم أولئيرهم إلا قوله « وكل هذه الفضائل لم يكن لعل
 عليه السلام فيها ناقة ولا جمل » فإن هذا من التعصب البارد والحيف ، الفاحش .

وقد قدمنا من آثار علي عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من النقاب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر هؤلاء . على أن أرباب السيرة يقولون : إن الشجرة التي شجها سعد ، وأن السيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، وهو الذي سير جعفراً وأصحابه إلى الحبشة . وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز . قال تعالى : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » فتبين أن التكليف له أوقات ، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، ومنها وقت يصلح فيه ويجب .

فأما قوله تعالى : « لا يستوى متكم من أنفق » فقد ذكرنا ما عندنا من دعوام لأبي بكر لإنفاق المال . وأيضاً فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفرداً ، وإنما قرن به القتال . ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمله الآية . وكان علي عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح . أما قتاله فعلوم بالضرورة ، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره . وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن^(١) ، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سرّاً ودرهماً علانية ليلاً ، ثم أخرج منها في النهار درهماً سرّاً ودرهماً علانية ، فأُنزل فيه قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية » .

وهو الذي قدم بين يدي نبيها صدقة دون المسلمين كافة .
وهو الذي تصدق بختائه وهو راحم ، فأُنزل الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

(١) هذا من عظيم الافتراء . زعم ذلك بعض فلاسفة الشيعة . انظر فصل الخطاب ، لحسين ابن محمد تقي النوري الطبرسي ص ١٥٦ ، فقد أورد سورة مختلقة أولها « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما عليكم آياتي وبعثناكم عناب يوم عظيم » !

(١٤)

ص ٣٩ - ٤٠ من الثمانية

لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان ، والخطأ أقدمه ، والخذلان أصاره إلى الحيرة ،
فما علم وعرف حتى قال ما قال . فزعم أن علياً عليه السلام قبل الهجرة لم يمتحن
ولم يكابد المشاق ، وأنه إنما قاسى مشاق التكليف وعن الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى
الحصار في الشعب ومأمنه به ، وأبو بكر وادع رافته يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب
على سريره طيبة نفسه ، ساكناً قلبه ، وعلى يقاسى الغمرات ويكابد الأهوال ،
ويجوع ويظمأ ، ويتوقع القتل صباحاً ومساءً ؛ لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار
قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقم به رمق رسول الله صلى الله عليه
 وآله وبني هاشم وهم في الحصار ، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله
 صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، والريد
 ابن الميرة ، وعتبة بن ربيعة ، وغيرهم من فراعنة قريش وجبايرتها . ولقد كان يجمع
 نفسه ويطلع رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه ، وهو
 كان الملل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنجوة عن ذلك
 لا يمسه مما يمسه ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشيء من أخبارهم
 وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين محرومة معاملتهم ومناحكتهم
 ومجاالتهم ، محبوسين محصورين ، ممنوعين من الخروج ، والتصرف في أنفسهم .
 فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه النصيحة ولا نظير لها .
 ولكن لا يبالى الجاحظ بمد أن يسوغ له لفظه وتُنسَق^(١) له خطابه ماضيع من
 المعنى ورجع عليه من الخطأ .

فأما قوله « وعلموا أن المأقبة للمتقين » ففيه إشارة إلى معنى غامض قصد
 الجاحظ ، يعني أن لا فضيلة لعل عليه السلام في الجهاد ؛ لأن الرسول كان أعلمه أنه

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « وتنفق » .

منصور ، وأن المأقية له . وهذا من وساوس الجاحظ وهزاته ولزاته ، وليس بحق ما قاله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم أصحابه بحجة أن المأقية لهم ، ولم يعلم واحداً منهم بميته أنه لا يقتل لا علياً ولا غيره . وإن صح أنه كان أهله أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه ، ولم يعلمه أنه لا يحسه ألم الجراح في جسده ، ولم يعلمه أنه لا يئلاه الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر ، وهو يومئذ بمكة ، أن المأقية لهم ، كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك . فإن لم يكن لملئ والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتلال الشاق قبل الهجرة ؛ لإعلامه إياهم بذلك . فقد جاء في الخبر : أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وأنه قال له : أرسلت إلى هؤلاء بالذبح وأن الله سيؤتينا أموالهم ويملكنا ديارهم . فاقول في الموضعين متساو ومتفق ^(١) .

(١٥)

ص ٤١ - ٤٢ من المئانية

ما نرى الجاحظ احتج لكون أبي بكر أغلظهم وأشدهم عنة إلا بقوله : لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها . وهذه الحجة لا تختص أبا بكر وحده ، لأن علياً عليه السلام أقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم . وقد كان الواجب عليه أن يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدهم عنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فلا احتجاج في نفسه فاسد .

ثم يقال له : ما بالك أهملت أمر مبيت على عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة ، هل نسيته أم تناسيته ؟ فإنها الهنة المظيمة والفضيلة الشريفة ، التي متى امتحنها الناظر وأجال فكره فيها ، رأى تحتها فضائل متفرقة ، ومناقب متنايرة . وذلك :

(١) في ط : « ومتفق » .

أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله مُجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معالجته ، وتماقدوا على أن يبيتوه في فراشه وأن يضربوه بأسيايف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيفٌ منها ؛ ليضيق دمه بين الشعوب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة ؛ بينها من بطون قريش ، وتخالقوا على ذلك تلك الليلة واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه ، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته ، وأسرعهم لإجابة إلى عاقته ، فقال له : إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة ، فامض إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردى الحضرمي ، ليروا أني لم أخرج ، وإني خارج إن شاء الله . فتمه أولاً من التحرز وإعمال الحيلة ، وسده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد والحيل التي يحتمط بها الناس لنفوسهم ، وألجأه إلى أن يعرض نفسه لظلمات السيوف الشحيذة من أرباب الحلق والنبيظة ، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً ، طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابراً محتسباً ، واثقاً له بمهجته ينتظر القتل . ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتبسها سائر ، ولا يلبسها طالب ، «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»^(١) . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنه أهل لذلك لما أهله ، ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه واختير لذلك ، لكان من اختاره منقوضاً في رأيه ، مضراً في اختياره . ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام ، وكلامهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب ، وأحسن في الاختيار . ثم في ذلك إذا تأمله التأمل وجوه من الفضل : منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يليه إلى الأعداء . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره فتير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه ومباشرة الأحوال ، فيفر من الفراش ، فيفطن

(١) عجز بيت سلم بن الوليد وسدده :

● مجود بالنفس إن ضن الجواد بها ●

لموضع الحيلة ويطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به ومنها أنه وإن كان ثقة ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلمه غير محتمل للبيت على الفراش ؛ لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف المنوع ، بل هو أشد مشقة من المكتوف المنوع ، لأن المكتوف المنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل إلى الحرب وهذا يجد السبيل إلى الحرب وإلى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة ، والمذاب النازل بساحته ، حتى ييوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يمل به ، وهو أنه أخذ طريق كذا ، فيطلب فيؤخذ . فلهذا قال علماء المسلمين : إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها ، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح . ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم ، لأنه قد روى أن إسحاق نكحاً لما أمره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ، ولذلك قال له : « فانظر ماذا ترى » ، وحال على عليه السلام بخلاف ذلك ، لأنه ما نكحاً ولا تمتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه . ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتهدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلث تمر المدينة ، فلنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه . وهذه كانت قاعدته معهم ومادته بينهم . وقد كان لملى عليه السلام أن يقتل بلة وأن يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون معك أحميك من العدو ، وأذب بسيفي عنك ، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي ، ونحمل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يتوهم القوم رؤيته قائماً في ردك أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك . فلم يقل ذلك ولا تحبس ، ولا توقف ولا تلمس ، وذلك لئلا يعلم كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة ، ولا يتورط في هذه المهلكة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والغفر بفضيلتها . وله من جنس ذلك أفعال كثيرة ، كيوم دعا عمرو بن عبدود المسلمين

إلى المبارزة ، فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدة . ثم كرر النداء فقام على عليه السلام فقال : أنا أبرز إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه صرو . قال : نعم وأنا على . فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله : برز الإيمان كله إلى الشرك كله . وكيوم أحد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه حتى قال جبريل عليه السلام : يا محمد ، إن هذه هي المواساة . فقال : « إنه منى وأنا منه » . فقال جبريل : وأنا مسكاً . ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا .

(١٦)

ص ٤٢ — ٤٣ من المائة

أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى المحيب لا إلى الجاب . على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ، وثواب نوح أكثر ، لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنهم .

وأما إنفاق المال فأين عنة النبي من محنة الفقير ، وأين يعدل إسلام من أسلم وهو غني إن جاع أكل وإن أهيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق بيساره واستغنى بماله ، واستعان على نوائب الدنيا بثروته — بمن لا يجد قوت يومه ، وإن وجد لم يستأثر به ، فكان الفقر شعاره ، وفي ذلك قيل : « الفقر شعار المؤمن » ، وقال الله تعالى لموسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين . وفي الحديث « إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء » . ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً وكان بالفقر سميماً ، فقامى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحجر على بطنه . وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله لمن صبر عليه ، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه ، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها ، وإنما هو شعار أهل الآخرة .

وأما طاعة على عليه السلام وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في هز محمد عزه
وعز رطله ، بخلاف طاعة أبي بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ،
وجهاد هبيدة بن الحارث ، وهجرة جعفر إلى الحبشة ، بل لعل عمادة المهاجرين من
قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لأن في دولته دولتهم ، وفي نصرته
استجداد ملك لهم . وهذا يجر إلى الإلحاد ويفتح باب الوثنية ، ويفضى إلى الطعن
في الإسلام والنبوة .

(١٧)

ص ٤٤ من المئانية

هذا فرق غير مؤثر ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراء ، فلا فرق بينه وبين
ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يبيحه إلا مجنون أو غير خالط لأهل الملة . أرايت
كون الصلوات خمساً ، وكون زكاة الذهب ربع العشر ، وكون خروج الريح ناقضا
للطهارة ، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه ، هل هو مخالف لما نص
في الكتاب عليه من الأحكام . هذا ما لا يقوله رشيد ولا مائل . هل أن الله تعالى لم
يذكر اسم أبي بكر في الكتاب ، وإنما قال : « إذ يقول لصاحبه » ، وإنما قلنا أنه
أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة . وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى : « ويمكر الله
والله خير الماكرين » كناية عن على عليه السلام ، لأنه مكر بهم . وأول الآية
« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين » . أنزلت في ليلة المعجزة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على
بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام على عليه السلام على الفراء . فلا فرق بين
المؤمنين في أنهم مذكوران كناية لا تصريحاً . وقد روى المفسرون كلهم أن قول
الله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أنزلت في على عليه
السلام ليلة البيت على الفراء . فهذه مثل قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه » ،
لا فرق بينهما .

هذا هو الكذب الصراح والتحريف ، والإدخال في الرواية ما ليس منها .
والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له : « اذهب فاضطجع في مضجعي
وتفش بيردى الحضري فإن القوم سيفقدوني ولا يشهدون مضجعي ، فلملهم إذا
رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا . فإذا أصبحت فاغد في أمانتي » . ولم ينقل
ما ذكره الجاحظ ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه الجاحظ ولا أصل له . ولو كان
هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه .

وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب وري بالحجارة قبل أن يملوا من هو حتى
تضور ، وأنهم قالوا له : رأينا تضورك ، فإننا كنا نرى محمداً ولا يتضور . ولأن
لفظة « المكروه » إن كان قالها إنما يراد بها القتل ، فعب أنه أمن من القتل كيف
يأمن من الضرب والمهوان ، أو من أن ينقطع بعض أعضائه ، وبأن سلمت نفسه .
أليس الله تعالى قال لنبيه : « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس » . ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت
ساقه ، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة . وكذلك المكروه الذي أو من على عليه
السلام منه — إن كان صح ذلك الحديث — إنما هو مكروه القتل .

ثم يقال له : وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في النار ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وآله قال له : « لا تحزن إن الله معنا » ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من
كل سوء ، فكيف قلت « ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في النار مثل ذلك »
فكل ما يوجب به عن هذا فهو جواباً عما أورده . فنقول له : هذا ينقلب عليك
في النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره ، فيجب على
قوله ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من
الأذى ، إذ كان أيقن بالسلامة والفتح في غده ^(١) .

(١) ط : « غده » أى وعده ، وأثبت ما في الأصل .

(١٩)

ص ٤٥ - ٤٧ من المئانية

لقد أعلی أبو عثمان مقولا وحرم مقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد ورجد ، ولم يذهب به مذهب اللبب والمزل ، أو على طريق التفاسيع والتشادق ، وإظهار القوة والسلاطة ، وذلاقة اللسان ، وحدة الخاطر ، والقوة على جدال الخصوم .

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر ، وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب وبلشت القلوب الحناجر . فنها يوم أحد ووقوفه بمد أن فر السليون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : على وأثير وطلحة وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فثت نبله ، وانكسرت سية قوسه ، واقطع وتره ، فأصر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر . قال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بئته بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت . وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بمضنا ! فأبى وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير . قالوا : فتطارنا عنه تطاير الشعائر^(١) ! فطمته بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور . ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ » . فكانه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلبون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر .

وثبت يوم حنين في تسمة من أهله ورهطه الأذنين ، وقد فر المسلمون كلهم ، والنفر التسمة محذون به : المباس أخذ بحكمة نبلته ، وعلى بين يديه مصلت سيفه ، والباقيون حول بنلة رسول الله صلى الله عليه وآله بمنة ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون

(١) جمع شعور ، وهو ما يجتمع على دبرة البعير من القبان .

والأنصار، وكلما فروا أقدم هو صلى الله عليه وآله، وصحهم مستقدياً يلقي السيوف والتبل بنحره وسدده، ثم أخذ كفاً من البطحاء وحصب المشركين وقال :
شاهت الوجوه ! !

والغبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر : « كفا إذا اشتد البأس
وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولُدُّنا به » . فكيف يقول
الجاحظ : إنه ما خاض الحرب ولا خالط السيوف . وأى فرية أعظم من فرية من نسب
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ! ثم أى مناسبة بين
أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقينه الجاحظ به ^(١) وينسبه
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الإسلام والملة
والمعروف بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإجماع والإشارة ، وهو الذى أحق
قريباً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلتهم وعيب دينهم وتفضيل أسلافهم ،
ثم وزم فيها بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم . وحق لمثله إذا تنحى عن الحرب واعتزلها
أن يقتضى ويعتزل ، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء ، إذ كان الجيش منوطاً بهم
ويقتاضهم ، فحق هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أسكن أن يبقى عليه ملكه
وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك
الحرب بنفسه ، وخطؤوا الإسكندر لما بارز فوراً ^(٢) ملك الهند ، ونسبوه إلى مجانبه
الحكمة ، ومفارقة الصواب والحزم . فليقل لنا الجاحظ : أى مدخل لأبي بكر في هذا
المعنى ؟ ومن الذى كان يعرفه من أعداء المسلمين ^(٣) ليقصده بالقتل ، وهل هو إلا واحد
من عرض المهاجرين حكمه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ، بل كان
عثمان أنه صيئاً ^(٤) وأشرف منه مركباً ، والعميون إليه أطمع ، والمدو عليه أحق

(١) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من المطبوعة .

(٢) ط : « قوسراً » سواءه في الأصل . وفي معجم استيعباس ٩٤١ أن « فوراً » راجعاً لتروج
قوله الإسكندر .

(٣) ط : « الإسلام » .

(٤) ط : « أكثر منه صيئاً » .

وأكلَب . ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفا أو يحدث فيه وهنا ، أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتعنى آثارها وتنطمس منارها ، ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها . نموذجاً بالله من الخذلان !

وقد علم القلاء كلهم ممن لم يسير معرفة ، والآثار والأخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كانت ، ووقوفه حيث وقف ، وحره حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ، وأن وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رئاسة وتدير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورأيهم ، ويخلفه عن التقدم في أوائلهم ، ولأنهم متى علموا أنه في أخراهم اطمأنت قلوبهم ، ولم يتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به من عدوم ، ولا يكون لهم فيئة يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم ، وأوى كل إنسان مكانه في الحماية والسكاية ، وعند المنازلة في السكر والحملة ، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم ، وأحصى وأحرس لبيضتهم ، ولأنه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدر أمورهم ووالى جماعتهم . ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وأن صلاح الحرب في وقوفه ، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته . فلترئيس حالات :

الأولى حالة يتخلف ويقف آخرها ليكون سندا وقوة ، ورده أعدة ، وليتولى تدير الحرب ، ويعرف مواضع الخلل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ويشجع الناكس^(١) . وحالة ثالثة وهي إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فإنها آخر النازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفشالة الجبان الموه .

(١) ط : « الناكس » بالسين .

فأين مقام الرئاسة المظنى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأين منزلة أبي بكر
ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين ؟

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، وممنوحا
من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قرينش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً صلى الله عليه وآله
وكان يدبر من أمر الإسلام وتسريب المساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء ما يديره
محمد صلى الله عليه وسلم لكان للجاحظ أن يقول ذلك . فأما وحاله حاله وهو أضعف
المسلمين جناناً ، وأقلهم عند العرب تيرةً ، لم يرم قط بسهم ولا سل سيفاً ،
ولا أراق دماً ، وهو أحد الأنبياء غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ،
فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته .
ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع الشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام منيظاً عليه فسل
من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله :
يا أبا بكر ، شمت سيفك وأمتنا بنفسك ! ولم يقل له « وأمتنا بنفسك » إلا لأنه
ليس أهلاً للحرب وملاقة الرجال ، وأنه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال
الشرك . وهل قامت حمد الإسلام إلا على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟
أترأه لم يسمع قول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص » . والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب . فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا
الصف وأعظم قتالا ، كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً . فلي
عليه السلام إذن هو أحب المسلمين إلى الله ، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص
لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله .

وأترأه لم يسمع قول الله تعالى : « وقضيل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً »
وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن » ، ثم قال سبحانه

مؤكداً لهذا البيع والشراء : « وَمَنْ أَوْقَى يَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ » . وقال الله تعالى : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَنْفِطُ الْكِفَارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ » .

فواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض . فمن دأب إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله سهام والنبل ، أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يتناه ذلك . ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة وأشدّهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت . وإن بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً — كما زعم الجاحظ — ليطعن على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالا .

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ، ونظرت السير وقرأت الأخبار ، عرفت أنها كانت تطلب عمداً صلى الله عليه وآله وتقصده قصده ، وتروم قتله ، فلئن أجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قريباً ، وأشدّهم عنه دفعا ، وأنهم متى قصدوا علياً قتلوه أضعفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكرته ، إذ كان أعلى^(١) من ينصره في البأس والقوة والشجاعة ، والنجدة والإقدام والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة ، فأخرج إليهم الرسول فقرأ من الأنصار فاستنصبوهم فانتصبوهم لهم ، فقالوا : ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا : يا محمد ،

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « على » .

أَخْرِجْ لَنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا . فقال النبي صلى الله عليه وآله لأَهْلِهِ الْأَدْنِيِّينَ : قَوْمُوا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَانصَبُوا حَقِّكُمْ الَّذِي آتَاكُمْ اللَّهُ عَلَى بَاطِلٍ هَؤُلَاءِ ، قَوْمِ يَاعَلَى ، قَوْمِ يَاهِجَرَةَ ، قَوْمِ يَاعَبِيدَةَ . أَلَا تَرَى مَا جَعَلْتُ هَذَا لِمَنْ قَتَلَهُ يَوْمَ أُحُدٍ لِأَنَّهُ اشْتَرَكَ هُوَ وَهِجَرَةُ فِي قَتْلِ أَبِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ هَذَا تَرَى أَهْلَهَا :

مَا كَانَ لِي عَنْ عَتَبَةَ مِنْ صَبْرٍ أَبِي وَصِيٍّ وَشَقِيقِي صَدْرِي
أَخِي الَّذِي كَانَ كَضَوْءِ الْبَدْرِ بِهِمْ كَسَرَتْ يَا عَلَى ظَهْرِي
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَخَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ عَتَبَةَ ، وَشَرِيكَهُ فِي قَتْلِ أَبِيهَا عَتَبَةَ . وَأَمَّا مِمَّا شَبَّهِهُ فَإِنَّ هِجَرَةَ تَفَرَّدَ بِقَتْلِهِ

وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ لَوْحَشِيٍّ مَوْلَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ : إِنْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا فَأَنْتَ حَرٌّ ، وَإِنْ قَتَلْتُ هِجَرَةَ فَأَنْتَ حَرٌّ فَقَالَ : أَمَا مُحَمَّدٌ فَسَيِّمْنَاهُ أَصْحَابَهُ . وَأَمَّا عَلَى فَرَجُلٍ حَذَرَ كَثِيرَ الْإِتْلَافَاتِ فِي الْحَرْبِ ، وَلَكِنِّي سَأَقْتُلُ هِجَرَةَ . فَقَعْدَ لَهُ وَزَوْقُهُ بِالْحَرْبَةِ فَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا قَلَّاهُ مِنْ مِقَارِبَةٍ حَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ لِحَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمُنَاسِبَتِهَا إِيَّاهَا ، وَمَا وَجَدْنَاهُ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ إِشْفَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحُزْنِهِ عَلَيْهِ ، وَدَعَائِهِ لَهُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَقَدْ بَرَزَ عَلَى إِلَى عَمْرٍو وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ بِمَحْضَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي هِجَرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَعَبِيدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَاحْفَظِ الْيَوْمَ [عَلَى] ^(١) عَلِيًّا ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ » . وَلِذَلِكَ ضَمَّنْهُ بِهِ عَنْ مِبَارَازَةِ عَمْرٍو حِينَ دُمَا عَمْرٍو وَالنَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ حَرَارًا ، فِي كُلِّهَا يُحْجَمُونَ وَيَقْدَمُ عَلَى ، فَيَسْأَلُ الْإِذْنَ فِي الْبَرَّازِ حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُ عَمْرٍو فَقَالَ : وَأَنَا عَلَى إِفَادَانِهِ وَقَبْلَهُ وَصَمِّهِ بِمَهْمَتِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَطَوَاتِ كَالْمَوْدِعِ لَهُ الْقَلْقَرُ لِحَالِهِ ، الْمُنْتَظَرُ لِمَا يَكُونُ مِنْهُ . ثُمَّ لَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ مُسْتَقْبِلًا لَهَا بِوَجْهِهِ ، وَالْمُسْلِمُونَ صَمُّوْهُ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، حَتَّى ثَارَتِ النَّبْرَةُ وَصَمُّوْهُ التَّكْبِيرَ مِنْ تَحْتِهَا

فعلوا أن علياً قتل عمراً ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبر المسلمون
تسكيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان :
« لو قسمت فضيلة على عليه السلام بقتل مرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم
لوسعهم » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » قال :
بلى بن أبي طالب .

(٢٠)

ص ٤٧ من المئانية

فيقال للجاحظ : فعلى أيها كان مشى على بن أبي طالب إلى الأفران بالسيف ؟
فأياً قتلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ورسوله . وإن كان مشيه ليس على وجه
مما ذكرت وإنما كان على وجه النصرة والتصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة ، والجهاد
في سبيل الله وإعزاز الدين ، كنت بجميع ما قلت معانداً ، ومن سبيل الإنصاف
خارجاً ، وفي إمام المسلمين طاعنا . وإن تطرق مثل هذا يوم على عليه السلام ليطرقن
مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال ، الذين نصرنا رسول الله
صلى الله عليه وآله بأنفسهم ، ووقوه بمجهم ، وفدوه بأبنائهم وآبائهم . فلمل ذلك
كان لعلته من الملل المذكورة ، وفي ذلك الطعن في الدين ، وفي جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يتوهم هذا في على عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله
عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ،
ولا قال لملى عليه السلام : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » ، ولا قال :
« أوجب طلحة »^(١) .

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تنظيمه لملى عليه السلام
تنظيماً دينياً لأجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه

(١) أى عمل محلاً أوجب له الجنة .

وآله ؛ إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لأمر آخر من الأمور التي عدّها وبشّه على التقوى بها إغواء الشيطان وكيد ، والإفراط في عداوة مَنْ أمر الله بحبّه ، ونهى عن بغضه وعداوته . أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفى عليه من أمر على عليه السلام ملاح للجاحظ والمثانية ، فذبحه وهو غير مستحق للمدح .

(٢١)

ص ٤٧ و ٤٨ من المثانية

فيقال له : فلعل إيفاق أبي بكر كما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له ، لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة ، لأنه يكون مطبوعاً على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى النار^(١) لا ثواب له فيه ، لأن أسبابه كانت له صهيحة ، ودواعيه غالبة ؛ لحبّه — كان — الخروج ، وبغضه — كان — المقام^(٢) . ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام ، وإكبابه على الصلوات الغلص في جوف الليل ، وتدييره أمر الأمة ، لا ثواب له فيه ، لأنه تكون نفسه غير معتدلة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحسها ، والمباة والالتذاذ بها .

ولقد كنا نوجب من مذهب أبي عثمان أن المارف ضرورة ، وأنها تقع طباعاً . وفي قوله بالتولد ، وحركة الحبحر بالطبع ، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه ، فزعم أنه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لأنه فعله طبعا . وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التولد^(٣) .

(١) إلى النار ، ساقطة من ط .

(٢) في ط : « غالبة حجة الخروج وبغض المقام » .

(٣) انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٢٢)

ص ٤٩ - ٥٠ من المئانية

هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الله تعالى قال له :
« والله يمعنكم من الناس » فلم يكن له في جهاده كبير طاعة وكثير طاعة . وكثير
من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله : « اقتدوا باللذين من بدى أبي بكر و عمر » .
فوجب أن يبطل جهادهما . وقد قال للزبير : « ستقاتل عليا وأنت ظالم له » فأشمره
بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال في الكتاب العزيز
لطلحة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده »
قالوا : نزلت في طلحة . فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده . فوجب أن لا يكون لها كبير
ثواب في الجهاد .

والذي صبح عندنا من الخبر ، وهو قوله « ستقاتل بمدى الناكثين » أنه قاله
لما وضعت الحرب أوزارها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووُضعت الجزية
ودان العرب قاطبة .

(٢٣)

ص ٥٨ - ٥٩ من المئانية

أمرُ مرو بن عبد ود أشهر وأكثر من أن يحتج له ، فليتلع كتب المنازى
والسير ، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل .
فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في مناقبه قال : وقال مسافع بن عبد مناف
ابن زهرة بن حذافة بن جحج ، يبي مرو بن عبد الله بن عبد ود ، حين قتله على بن
أبي طالب عليه السلام مبارزة ، لما جَزَعَ المذاد^(١) - أى قطع الخندق .

(١) ط : « لحبة الخروج وبض الحمام » وصواب النص من الأصل . و « كان » تزد
بين المتلازمين .

(١) المذاد ، بالفتح المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق . ط : « المزار » صوابه في الأصل .

عمرو بن عبد كان أول فارس
 تمنع الخلائق ماجد ذومرة
 ولقد علمت حين ولوا عنكم
 حتى تكلفه الكماة وكلهم
 ولقد تكلفت الفوارس فارساً
 سال النزال هناك فارس غالب
 فاذهب على ما ظفرت بمثلها
 نفس الفداء لفارس من غالب
 أحنى الذى جزع المذاذ ولم يكن
 وقال هُبيرة بن أبى وهب الخزوى ،
 يتندر من فراره عن على بن أبى طالب
 وتركه تمرأ يوم الخندق ويكيه :

لمرك ما وليت ظهري محمداً
 ولكنى قلبت أرى فلم أجد
 وقفت فلما لم أجد لى مقبدا
 ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد
 فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 فن لطراد الخيل تقدع بالقنا
 هنالك لو كان ابن عمرو وإزها
 كفتك على لن ترى مثل موقف
 فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها
 وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل
 لسبق فناء إن وقفت ولا نبلى
 صدرت كضرام هزبر أبى شبل
 مجالا وكان الحزم والرأى من فعل
 فقد ميت محمود اثنا ماجد الفعل
 فقد كفت فى حرب المدى مرهف النصل
 وللبذل يوماً عند قرقرة البزل
 لفرجها عنهم فنى غير ما وغل
 وقفت على شاول المقدم كالفضل
 أمّنت بها ما عشت من زلة النمل

(١) بيل مو وادى الصفراء ، دوين بدر .

(٢) ط : « فيهم لم يجبل » .

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرى عمرا ويكيه :

لقد علت عُلياً لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وأب الموت لاشك طالب
عشبة يدعوهُ على وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسى إنَّ عمرا لكائن يثرب لا زالت هناك المصاب
لقد أحرز العليا على بقتله وللخير يوما لاعالة جالب
وقال حسان بن ثابت الأنصارى يذكر عمرا :

أسى الفقى عمرو بن عبد ناظراً كيف المبور وليته لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جنادنا لم تُفهر
ولقد لقيت غداة بدر عصابة ضروك ضرباً غير ضرب الحر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكرو
وقال حسان أيضاً :

لقد شقيت بنو جح بن عمرو وغزومٌ وقيم ما قيل (١)
ومرو كالحمام فقى قريش كأن جبينه سيف سقيل (٢)
فقى من نسل طامر أرمي نطاوله الأسنة والنصول
دهاه الفارس القدماء لما تكشفت القناب والخيول
أبو حسن فقدمه حساما جُرازاً لا أفل ولا نكول
فنادره مكيباً مُسليحاً على صفراء لا بَمَدَّ القتل
فهذه الأَشْمار فيه ، بل بعض ما قيل فيه .

وأما الآثار والأخبار فوجوده في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم . وليس
أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال : كان فارس قريش وشجاعها . وإنما قال
له حسان :

(١) في الأصل : « لقد شقيت » و « ما قيل » .

(٢) هذا البيت ساقط من ط .

* ولقد لقيت غداة بدر عسبة *

لأنه شهد مع المشركين بدرآً وقتل قوماً من المسلمين ، ثم فر مع من فر ولحق بمكة . وهو الذي كان قال وهاه الله عند الكعبة ألا يدعو أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وطامر ؛ لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقريش أهل مدينة وساكنو بدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا يهبطون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء .

ويقال له : إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله على أرض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم إلى البراز مراراً ، لم يقتلب أحد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم أحد بنفسه ، حتى وبَّغتهم وقرعهم وناداهم : أستم ترمون أنه من قتل منا فإلى النار ومن قتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشتاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار ؟ فجنبوا كلهم ونكلوا ، وملكهم الرعب والوهل . فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم . وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وأنه جال بفرسه واستدار ، وذهب بمنة ثم ذهب بسرة ، ثم وقف تجاه القوم فقال :

ولقد بحثت من الغدا • بجمعهم هل من مُبارز
ووقفت إذ جُبِنَ المشي • مع وقفة القرن الناجز
وكذلك أني لم أزل • متسرعاً نحو المراهز
إن الشجاعة في الفتي • والجود من خير الفرائز

فلما برز إليه على أجابه فقال له :

لا تمجلن فقد أنا • كعجيب صوتك غير عاجز

دو نية وبمسيرة يرجو النداء نجاة فاز
إني لأرجو أن أقبـم عليك ناعمة الجنائز
من ضربة تفسى ويسـقى ذكرها عند المزائر

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بمضُ جهال الأنصار لما رجع رسول الله
من بدر وقال فتى من الأنصار شهد معه بدرا : « إن قتلنا إلا مجائرُ سلما ا » فقال له
النبي صلى الله عليه وآله : « لا تقل ذلك يا ابن أخ ، أولئك الملأ ا » .

(٢٤)

ص ٥٩ من الثمانية

كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ،
وكان مع شجاعته أيداً بصارع الفتيان فيصرهم ، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها
ما يجب أن يكون بطلا شجاعا ، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حربا ،
وقد رأى الناس آثاره فيها .

(٢٥)

ص ٦٢ من الثمانية

أما ثمانية يوم أحداً أكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه ، وهم يوم يروى
أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا على وطلحة والزبير وأبو دُجانة .
وقد روى من ابن عباس أنه قال : ولم خمس ، وهو عبد الله بن عباس . ومنهم
من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو .

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت لأبي : كم ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وآله يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دُجانة .
وهبُ أبا بكر ثبت يوم أحد كما يذهب الجاحظ ، أيموزله أن يقول : ثبت
علي ، فلا نفر لأحدهما على الآخر ، وهو يعلم آثار علي عليه السلام ذلك اليوم وأنه

قتل أصحاب الألوية من بنى عبد الدار ، منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنه مردف كبشا فأولاه وقال : كبش الكتيبة تقتله^(١) . فلما قتله على عليه السلام مبارزة — وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم — كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : هذا كبش الكتيبة !

وما كان منه من الحماسة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فر الناس وأسلموه ، فتصمد له كتيبة من قريش فيقول : « يا على » ، اكفني هذه . فيحمل عليها فيهزمها ويقتل حميدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

وحكى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال .

أن تكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ : لا نغر لأحدهما على صاحبه ! ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

(٢٦)

ص ٦٢ من الثمانية

ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر ؛ فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب ، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله له : ارجع ، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد ، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وأنت تعلم حنو الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة الغرب الأجنبي . وقوله له « ومتعنا بنفسك » إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج . ورسول الله كان أحرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلب بالحرب ، ومشى إلى السيف بالسيف ، فقتل السادة والقادة ، والفرسان والرجال .

(٢٧)

ص ٦٢ من الثمانية

أما قوله « إنه بذل الجهد » فقد صدق . وأما قوله « لا حال أشرف من حاله » فخطأ ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين ، أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الناية . ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة ، وحال البالغ الأيد أشرف من حال الصبي الضعيف .

قال ابن أبي الحديد :

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض الثمانية ، اقتصرنا عليها هنا . وسنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره .

وأنا أقول : قد تثبت ما تلا هذا القول مما ورد في أثناء الشرح من نصوص ، فوجدت أن ابن الحديد قد وقف عند هذا الحد ولم يورد في كتابه نصاً آخر من نصوص رد الإسكافي يزيد مما نقله في هذه المواضع التي حرصت على أن أقرنها هنا بالمواضع التي استدعت الرد .

(٢٨)

ص ١٠٧ - ١٠٨ من الثمانية

إن أبا عثمان يجرُّ على نفسه مالا طاعة له به من مطاعن الشيعة . ولقد كان في عُنية عن التعلُّق بما تعلَّق به ، لأن الشيعة تزعم أنَّ هذه الآية بأن تكون طعناً وميضاً على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له ، لأنَّه لما قال له « لا تحزن » دلَّ على أنه قد كان حزيناً وقنط ، وأشفق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين .

ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة ، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلم يكن ذنباً لم ينه عنه . وقوله « إن الله معنا » أى إن الله عالم بحالنا وما نضمه من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه : لا تضمرن سوءاً ولا تلوين قبيحاً ، فإن الله تعالى يعلم ما نُسره وما نملنه وهذا مثل قوله تعالى : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . أى عالم بهم . وأما السكينة فكيف يقول إنها ليست واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وبمدها قوله : « وأيده بمنود لم تروها » . أرى المؤيد بالجفود كان أبابكر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقوله « إنه مستغن عنها » ليس بصحيح . ولا يستغنى أحد من ألقاف الله تعالى وتوفيقه وتأيدته وتثبيت قلبه . وقد قال الله تعالى فى قصة حُثَيْن : « وضاعتْ عليكم الأرضُ بما رحبتْ ثم ولَّيْتُمْ مدبرين » . ثم أزل الله سكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الصحبة فلا تدلُّ إلا على المرافقة والاصطحاب . وقد تكون حيث لا إيمان ، كما قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك » .

ونحن وإن كنا نعتقد لإخلاص أبى بكر وإيمانه الصحيح السليم ، وفضيلته الثامة ، إلا أننا لا نحتاج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نعلق بما يجزئ علينا دواى الشيعة ومطاعنا .

(٢٩)

وهي مناقضة لم أعر على النص الذي سبقت له من الثمانية
وقد جاءت في شرح ابن الحديد عقب المناقضة رقم ١٨

قال الجاحظ :

وعلى أننا لو زلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالنار وخلعت فضائل أبي بكر
في غير ذلك عن معارض .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله :

قد بينّا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصلوة في النار بما هو واضح
لن أنصف . ونزيد هنا تأكيداً كيلاً بما لم نذكره فيما تقدم . فنقول :

إن فضيلة المبيت على الفراش على الصلوة لوجهين :

أحدهما أن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وحصل
له بمصاحبته قديماً أنس عظيم ، وإلف شديد ، فلما فارقه عديم ذلك الأنس وحصل
به أبو بكر ، فكان ما يجده عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه ،
لأن الثواب على قدر المشقة .

وثانياً : أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فرد ،
فازداد كراهية للقيام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق ذلك
هوى قلبه ومحبوب نفسه ، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازى فضيلة من احتمل
المشقة العظيمة ، وعرض نفسه لوقوع السيوف ، ورأسه لرضخ الحجارة ، لأن على
قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

تمت المناقضات

الفهارس

١ - فهرس القرآن الكريم	٣٤٦
٢ - الحديث »	٢٤٨
٣ - الأمثال »	٢٤٩
٤ - الشعر »	٣٤٩
٥ - الأعلام »	٣٥٠
٦ - القبائل والجماعات »	٣٥٦
٧ - البلدان والمواضع »	٣٥٨
٨ - الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف »	٣٦٠
٩ - » » بالمعارف العامة »	٣٦٣

١ - فهرس القرآن الكريم

صفحة

السورة	الآية	
٢ - البقرة ٤٨	والتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا	٢٠٨
١٢٤	انى جاعلك للناس اماما	٢١٠
١٤٢	وكذلك جعلناكم امة وسطا	٨١
١٩١	والفتنة اشد من القتل	٢٩
٢٠٨	يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة	١١٧
٣ - آل عمران ١٨٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
٤ - النساء ٢٠	وايتيم احداهن فنظرا	٢٢٠
٥٩	اطيعوا الله واطيعوا الرسول	١١٦ ، ١١٥
٥ - المائدة ٢٧	واكل عليهم نيا ابنى آدم	٢٠٩
٢٩	وذلك جزاء الظالمين	٢٠٨
٣٤	اذهب انت وريك فقاتلا	٥٧
٥٤	فسوف ياتي الله بقوم يعيبهم ويهينونه	١١٥
٥٥	الما وليكم الله ورسوله	١١٩ ، ١١٨
٥٦	ومن يتول الله ورسوله	١١٨
٧٥	ما المسيح بن مريم الا رسول	١٢٩
١١٨	ان تعطيهم فانهم عبادك	٦٩
٧ - الاحراف ١٤٢	اخلفنى في قومي	١٥٦
٨ - الانفال ٦٨	لولا كتاب من الله سبق	٩٢
٩ - التوبة ٣٣	ليظهره على الدين كله	٧٩ ، ٨١
٤٠	الا تنصروه فقصد نصره الله	٤٤ ، ٥١ ، ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٩
٤٠	وجعل كلمة الذين كفروا السفلى	١١٠
٥٨	ومنهم من يملؤك في الصدقات	١٩٤
١١٩	يا ايها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١١٤
٨٨	ربنا اطمس على اموالهم	٦٩
١١ - هود ٤١	لو ان لى بكم قوة	٤١
٤٢	ونادى نوح ابنته وكان في منزل	٢١٠
٤٦	انه ليس من اهلك انه عمل فيه صالح	٢٠٩
١٣ - الرعد ٤٣	قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم	١٢٠ - ١٢١
١٤ - ابراهيم ٣٦	فمن يمتنى فانه منى	٦٩
١٥ - الحجر ٤٧	اخوانا على سرر متقابلين	٢٤١
١٦ - النحل ٤٣	فاسألوا اهل الذكر	١٦١
١٠٦	الا من اكفر وقلبه مطمئن بالايمان	١٠٤
١٧ - الاسراء ٧٤	لقد كدت تتركب اليهم	٩٢
١٩ - مريم ٥٤	واذكر في الكتاب اسماعيل	١٢٨

الآية	السورة	صفحة
٥٦	والذكر في الكتاب اندريس	١٢٨
١١٥	فمنى ولم نجد له زميلا	٩١
٢١ - ٢٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٥
٦٧	الف لكم ولما تعبثون من دون الله	٦٨ - ٦٩
٧٩	فلهمناها سليمان	٩١
٨٧	ولما النون اذ ذهب مغاضبا	٩١
٢٢ - ٢٤	ولا ياتل اولو الفصل منكم والسمة	٥٥ ، ١١٢
٨٨ ، ٨٩	يوم لا ينفع مال ولا بنون	٢٠٨
٢٦ - ٢٨	يا ايت استاجرهم	٨٦
٢٦	كل شيء هالك الا وجهه	٨١
٨٨	كل نفس ذائقة الموت	٨٥
٢٩ - ٣١	يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما	٢٠٨
٢٣	ولو يراخذ الله الناس	٩٢
٣٥ - ٣٧	فالتقمه الحوت وهو مليم	٩١
٢٤٢	واكيناها الحكمة وفصل الخطاب	٩١
٢٥ - ٢٨	وهل الله نبي الضم	٩٢
٢١	انك ميت وانهم ميتون	٨٥
٣٩ - ٤١	يوم لا ينفي مولى عن مولى شيئا	٢٠٨
٤٤ - ٤٦	والذي قال لوالديه اف لكما	١١٣
٤٧ - ٤٨	لا تهنوا وتدعوا الى السلم	٢٥
٢	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	٩٢
١٦	قل للمظلمين من الامراء	١١٤
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام	٧٨
٤٩ - ٥١	ان الذين ينادونك من وراء الحجرات	١٩٤
١٣	ان اكرمكم عند الله اتقاكم	٢٠٢
١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق	٨٧
٥١ - ٥٢	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٢٥٦
٣٧	وابراهيم الذي ول	٢٠٦
٣٩	وان ليس للانسان الا ما سعى	٢٠٦ ، ٢٠٧
٢٦	ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم	٢١١
٢٨	لا يستوى منكم من اتقى	١٥
٩	ليظهره على الدين كله	٧٩ ، ٨١
٢	واشهدوا ذوى عهذ منكم	٢٧٧
١٠	كلانا نعت عبيدين من عبادنا صالحين	٢١٥
٢٢	اهن يمشى مكيا على وجهه	١١٣ - ١١٤
٢٦	وب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا	٦٩
١	عيسى واولى	٩٢
٢١ - ٢٥	فاما من اعطى والقي	٢٥ ، ١١٤

٢ - فهرس الحديث

٢١٧ ، ٢٣	بلال سابق الحيش	٥٣	ابشر ابا بكر
٤٤	تفش بيزدي الضرمى	١٤٨	ابو بكر وهو سيد كهول اهل الجنة
١٤٠	خير اهل الله عمر بن الخطاب	١٤٠	ابو سفیان خير اهل
٨٦	رغبت لامتى مارضى لها ابن ام عبد		ابى الله ورسوله الا ان يصلى
١٤١ ، ٢٢٤		١٦٦ ، ١٦٥	ابو بكر
١٦٤	الرفيق الاعلى	٦٣	ارجع الى مكانك
١٢٢ ، ١٢٢	الزبير حواري	١٦٠ ، ٥٦	ادم فداده ابي وامى
	زيد وما زيد ! يسبقه عضو منه الى	٧٥	ارنى مكانها
٢٤٩ - ٢٥٠	الجنة	٢٠٧	اشرف الناس يوسف بن يعقوب
١٧٢	سكنون فتنة هذا فيها يومئذ على الحق	٩٤	افرعكم زيد
٦٢	شم سيلك	١٤٢ ، ١٢٥	اقتدوا بالنادين من بعدى
٢٢٢	الشيطان يفرق من حسه	٩٤	افرعكم ابنى
٢٠	صبرا آل ياسر	١٥٠ ، ١٢٤	اللهم ائتني باحب الناس اليك
٢٢٢	ضرب بالحق على لسانه	٢٢٢	اللهم امل الاسلام بعمر
١٢٢	عثمان ذو النورين	١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٥	اللهم عاد من عاداه
٤١	هجيت من اخى لوط	١٢١	اللهم فقهه في الدين
٦٣	عليكم صاحبكم	١٦٤ ، ١٣١	اليكن على صواحب يوسف
٥١	فان ربي قد اذن لى في الهجرة	٢٨	اما والله لقد جنتكم بالجمع
٧٧	قوموا فانصروا	٧٨	امعها اعلى
١٤١	كم من ذى طمرين	٨١	امرت ان اقاتل الناس
٦٤	كيف ترون يامشر المسلمين	١٣٧	ان ابا بكر لم يسؤنى قط
	كيف لا استحي ممن تستحي منه	١٠٤	ان عادوا فعد
١٤١	الملاكة	١٦٤ ، ٨٥	ان ميذا من مباد الله
١٤٢	لا تزلوا عمارا		ان من امنى سبعين الفا يدخلون الجنة
٣٩	لا هجرة بعد الفتح	٢٤٩	بغير حساب
١٢٠ ، ١٢٩	لا يبلغ على الا رجل منى	٢٤٩	انت منهم
١٠٥	لعل الله ان يجعل لك صاحبا		انت منى بمنزلة هارون
٢٢٢ ، ١٤١	لكل امة امين	١٥٣ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٨	
١٨٣	لن تزالوا بخير	١٦٩ ، ١٦٣ ، ٦٥	انظروا جيش اسماء
١٤١	لو قال باسم الله رفته الملاكة	٤٩	انك مستغاث بعدى الناكثين
١٤٨ ، ١٤٢	لو كنت متخلدا خليلا	١٣٥	انه لم يكن نبى قبلى فيموت
١٣٥	ليس احد امن علينا بصحبته	٢٣٦	انه ليس سبب ولا نسب
٢٧٧	ليؤمكم خياركم	١٤١	اهتز العرش لوت سعد
١٤٨ ، ١٣٥ ، ٥١	ما احبنا من علينا بصحبته	٢٤	اهجهم ومعك روح القدس
١٢٨	مالا للث الفيراء	٧٤	الايمان فالايمن
١٢٧	مادعوت احدا الى الاسلام الا . . .	١٣٧	ايها الناس ان الله بعثنى

١١٣ ، ٧٢	هلا تركت الشيخ في رحله	٨٤	مامات نبى قف الا دفن حيث يقبض
١٣٦	هم الامر الخلافة	١٤٧	مامقالة بلفتني
٢٤	هيج الطعاريف على بنى عبد مناف	٢٣٦ ، ٨٤	مامن رجل يذنب ذنبا
	والذى نلنى بيده انى نلقام على	١٣٧ ، ٦٨	مثل ابي بكر في الملائكة
٨٥	الحوافى	١٧٠	مروا ابا بكر فليصل بالناس ١٦٤ ، ١٧٠
	والذى نلنى بيده ما انا بهذا احق	٢٠٧	المسلمون تتكافأ دماؤهم
٢٠٧	من رجل من المسلمين	٦١	من اراد ان ينظر الى رجل يعصب الله
٧٠	وانت الصديق	٨٢	من قبل الكلمة
١٢٧	ونفع رجل حجره حيث احب		من كنت مولاه فعلى مولاه ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٤٤
	ياأبا بكر فضع حجرا الى جنب حجرى	١٣٩	منا خير فارس في العرب
	١٣٦ — ١٢٧	٢٠٧	الناس كلهم سواء
٢٢٠	باسلمان لا يقبض العرب		نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٧	ياخيل بن عبد المطلب	٧١	الجمال من سبعة
١٣٧	ياشمان خذ حجرا	٤٣	ثم على فراش
١٨١	ياعلى قم فانظر	٢١٦ ، ١٦٠ ، ٥٩	هذا خالى اياهى فيه
١٣٩	يايكم خير ذى يمن		هذان سيدا كهول اهل الجنة ١٣٦ ، ١٥٩ ، ٢٢٥
١٤٢	يبحث يوم القيامة امة واحدة		
١٨١	يفسل ذكره وانثيه		

٢ — فهرس الأمثال

٢٢٠	لست منها في خير ولا نكير	٢٢٠	القيت جبلك على غاربك
٢٢٠	مالى في هذا الامر ناقة ولا جمل	٧١	الحرب سجال
		٣٦	قلة العمال أحد اليسارين

٤ — فهرس الشعر

١٢٥ ، ١١١	متكر	٧٢	النساء
٢٢٢	المفارضى القصصى	١١١	صاحبها كعب بن مالك
١٩٤	عباس بن مرداس	٢٢٠	واب
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١١٢	مطرد (جنى)
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١٣٦	محمد طريف بن عدى
١٢٧	الصديق البارلى	١٢٧	معبد طليعة الاسدى
١١١	فصلا حسان	١٣٦	الصعيد حسان
٢٠	عماد بن ياسر	١٢٥	ذئب المجاج
١٦٢	حسان	١٢٤	الكبرا شرح بن هانيء
١١٢	الحارث بن هشام	١١١	موالدا النجاشى

٥ - فهرس الاعلام

انس بن مالك	١٥٢ - ١٥٠ - ١٣٤ - ٧٥
(احيان بن اوس) مكرم اللقب	١٦٢، ١٤٠
اوس بن ثابت	١٦١
ايمن بن عبيد	٦٦
ايوب عليه السلام	١٥٢
ايوب الانصاري	١٨٢
البارقي ، الشاعر	١٢٧
ابن الصرخان	٢١٢
بديل بن ورقاء الخزاعي	١٠٢ ، ٦٤
البراء بن مالك	١٤١ ، ٤٥
ابو برة الاسلمي	٩٦
ابن بريدة	١٤٤
بسطام بن قيس	٥٩
بسطام بن نرسی دهقان بابل	٢١٣
ابو بكر الصديق ، عبد الله ، عتيق ،	
ابن ابي قحافة ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٢٤ -	
٣٩ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ -	
٥٧ ، ٦٠ ، ٨٧ - ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ -	
١٠٠ ، ١٠٣ - ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٣ -	
١٣٥ - ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ -	
١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٧٢ ، ١٧٧ -	
١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٢ - ٢٠٤ ،	
٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٢٦ -	
٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ -	
٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧	
بكر بن اخذ عبد الواحد	٢٤٦
ابو بكر عروة بن الزبير	٢٢٤
ابو بكر بن علي ابي طالب	٢٣٧
ابو بكر الهللي	١٠٦
بلال (بن رباح)	٣٠ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ١٠٣ ،
١١٨ ، ١٧٨ ، ١٧٠ ، ١٨٣ -	
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥	
اليوسفستان ؟	٢١٣
تمام	١٤٥
ثابت	١٢٧
جابر بن عبد الله	٩٣ ، ١٢١
ادم عليه السلام	٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩	
ابراهيم عليه السلام	٦٨ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ،
٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١	
ابراهيم التيمي	١٨٧
ابراهيم (بن يزيد النخعي)	٨٨
ابي بن خلف	٤٦
» » كعب	٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١
احمد (محمد صلى الله عليه وسلم)	١١١
لاحنف بن قيس	٩٦
بو احيحة	٧٣ ، ١٠٢
ابن ابي احيحة	١٩٢
لاخنس بن شريق	١٠٢
دريس عليه السلام	١٢٨
لارسطاطاليس	٢٦٦
بو انبهر	٢٤
ساجدة بن زيد	٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ - ١٦٩ ، ١٧٥ ،	
٢١٦ ، ٢٤٢	
سحاق عليه السلام	٢١٨ ، ٢١٩
ابن اسحاق	٣٧
سد قريش = نوفل بن خويلد	
سعد الله = حمزة	
سعاد بنت ابي بكر ، ذات النطاقين	
٢١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٢٢٤	
سعاد بنت عيسى	٩٥ ، ٢٤٠
سماعيل عليه السلام	١٢٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩
سيد بن حمير	٦٣ ، ٧٢
ابن الاشج	١٢٧
لاشعث	٩٥
لامش	٩١ ، ١٤٤
لاقرع بن حابس	١٩٤ ، ٢١٧
و امامة بن سهل	١٦١
مقلاس	٢١٣
زمن ، ابو عبيدة الجراح	٢٢٣
ية بن خلف	٣٢

٢٧	أبو الحكم ، أبو جهل	٢٤	جارية بنى مؤمل
١٦٦ ، ١٠٣	الحكم بن أبي العاص	٢٢٦	جالينوس
٢٢٣ ، ٢١١	حكيم بن حزام		جبريل عليه السلام ، روح القدس
١٢٣ ، ٧٢ ، ٣٧ ، ٩	حمزة ، أسد الله	٢٤ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٧	
١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٢		١٢٧ ، ١٦٤	
١٦٣ ، ١٣٩	حمى العير (عاصم بن ثابت)	٢٥	جديد بن مطعم
٢٧	حنيفة بنت هاشم ذى الرمة	١٨٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩	جرير بن عبد الله
٧١ ، ٦٠	حنظلة بن أبي سفيان	١٦٠	جمدة بن هيرة
١٦٣ ، ١٤٠	حنظلة بن أبي عامر ، فصيل اللاتكة	١٠٦ ، ٩٥ ، ٩	جمل بن أبي طالب الطيار
		١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٠	
٢٤٦	حوشب	٤٧	جعفر بن محمد
٧٠	حويطب بن عبد العزى	٢١٣	جفينة اليماني
٨٨ - ٨٧	بنت خازجة ، (وهى حبيبة)	٢١٢	جميل بن بسبري
٢١٢	خالد بن بسبري	أبو جهل ، أبو الحكم ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧	
١٧٢ ، ١٦٧	خالد بن سعيد بن العاص	١١٥ ، ١١٤ ، ١١٠	
١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٩ - ١٩٢ ، ١٩٦			
٢٣٨		١١٤	جولير
٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ١١٦ ، ٨٦	خالد بن الوليد	١٩٤	حابس
٢٩ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٤ ، ٣	خباب بن الارت	٦٣	الحارث بن العمة
١٧٨ ، ١٠٣ ، ٣٠		٢٦٦	الحارث بن قاتم
٢٢٤	أبو حبيب ، عبد الله بن الزبير	٢٢٦	الحارث بن كلفة
٩١	داود عليه السلام	١٢٧ ، ١٢٨	الحارث بن هشام بن المظفر
٨٩	داود بن أبي هند	١٢٧ ، ١٢٨	
٦٣ ، ٤٥ ، ٤٨ - ٥٠	أبو دجاجة	٦٣	الحباب بن المنذر بن الجموح
١٦٢ ، ٨٨	أبو الدرداء	١٠٨	حبيب بن أبي ثابت
٢١٣	هقان بابل	١٧٤ ، ٩٤	حبيب بن مسلمة القهري
٢١٣	هقان الفلوجة	١٥٢ ، ١٥٠	الحجاج بن يوسف
٢١٢	هقان نهر الملك	١٩٢ ، ٦١ ، ٦٠	أبو حذيفة بن عتبة
	ات النطافين = أسماء بنت أبي بكر	٢١٧	
٢٢٤ ، ٣١		٢٢٦ ، ١٨٠ ، ١٦٢ ، ١٣٦	حذيفة بن اليمان
١٨٠ ، ١٤٠ ، ١٢٨ - ٢٩	أبو ذر الغفاري	١٧٤	حرقوص بن زهير
٢٢٥ ، ١٨٣		١١٠ ، ٧٣ ، ٥٥ ، ٢٤	حسان بن ثابت
٢٤٨ ، ١٧٤	ذو الكلاع	١٢٦ - ١٢٨ ، ١٢٢	
٩١	ذوالنون = يونس بن متى	٩٦	أبو الحسن = علي بن أبي طالب
١٣٦	ربيعة بن حراش	١٢١ ، ١١٥ ، ٩٣ ، ٧٥	الحسن البصري
١٦٥	الربيع بن صبيح	٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ١٦٥	١٢٣ ، ١٢٤
٦٦	ربيعة بن الحارث	٢٦٥	الحسن بن حن
١٢٨	رشيد الهجري	٩٦	الحسن بن علي أبي طالب
٢١٢	رفيل ؟	١٩٤	حصن
		١٦٤ ، ١٣٠	حفصة أم المؤمنين

٢٤٨ ، ١٧٥
 سعيد بن العاص ١٩٢
 أبو سفيان بن النخعت ١٤٠٠٦٦ ، ٢٤
 أبو سفيان بن حرب ٧٢ ، ٧١ ، ٦٠
 ١٠٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٨
 سلمان الفارسي ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ —
 ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧
 أم سلمة أم المؤمنين ٧٧
 سلمة بن سلامة بن وقش ١٧٥
 أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ١٠٠٢٣
 أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٥٩
 سلمة بن كهيل ١٣٦
 سليمان عليه السلام ٩١
 سهل بن حنيف ٦٣ ، ١٦١ ، ١٨٢
 سهيل بن عمرو ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٧
 سياه وخش ٢١٣
 السيد الحميري ١٢٨
 ابن سيرين ١٧٥ ، ٧٥
 شرحبيل بن السمط ١٧٤
 شريح بن هانئ الحارثي ١٢٥ ، ١٢٥ ، ١٢٤
 الشمعي ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٢١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٣٥
 شبيب عليه السلام ١٥٢
 شيبه بن ربيعة ٢٥ ، ١٠٣
 أبو صالح (بالإمام) ١١٧
 الصديق = أبو بكر ٢٣٩
 الصديق الأكبر = علي ٢٠٧
 صفية بنت عبد المطلب ٢١٦ ، ١٧٨ ، ١٧٥ ، ٩٧
 فسمية بنت الزبير بن عبد المطلب ٢٢١ ، ١٨١
 الفصاحه ١٢١ ، ١١٤ ، ١٠٦
 ضراب ؟ ٢٢٥
 أبو طالب ٢٠٢ ، ١٠٢ ، ٢٠٥
 ابن أبي طالب = علي ١٢٧ ، ١٢٦
 طريف بن عدي بن حاتم ٢٤١
 ابن طلحة

روح القدس = جبريل
 ابن الزبير = عبد الله
 الزبير بن العوام ، أبو عبد الله ١١ ، ١٢ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ مع كتيبه أبي عبد الله ، ٦٣ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦
 أبو الزهراء ١٣٦
 أبو زهر ٢٢٥
 زهرة ٢٣
 الزهري ٢٣
 زياد بن أبيه ٩٥
 أبو زيد (جامع القرآن) ٩٣
 زيد بن ثابت ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٧٥
 زيد بن حارثة ٢ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ١٠٠ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢
 زيد بن حسن الطائي ١٧٤
 زيد بن صوحان ٢٤٩ ، ٢٥٠
 زيد بن عمرو بن الخطاب ٢٣٧ ، ٢٤٢
 زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢
 سالم مولى أبي حذيفة ٦١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٧٤
 سراقه بن مالك بن جشم ٢١٥
 سعد بن الربيع ١٦٢
 سعد بن عبادة ١٩٩
 سعد بن عبيدة ١٤٤
 سعد بن معاذ ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٦٣
 سعد بن أبي وقاص ٣١ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٥
 سعد بن وهيب = سعد بن أبي وقاص
 سعيد بن جبير ٣٠
 سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٦ ، ٦٥

عمر بن الخطاب ٦ ٣٢ ٣٤ ٣٧ ٤٢٤
 ٥١ ٥٧ ٦٥ — ٧٥ ٧٧ — ٨١
 ٨٤ — ٨٩ ٩٢ ٩٤ ٩٥ ٩٧ —
 ٩٩ ١٠٥ ١٠٧ ١١٤ ١٢١ ١٢٢
 ١٢٤ ١٢٥ ١٢٨ ١٣٥ — ١٣٧
 ١٤٠ ١٤١ ١٤٣ ١٤٦ ١٤٨
 ١٥٤ ١٥٩ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٨
 ١٦٩ ١٧٢ ١٧٨ — ١٨٠ ١٨٢
 ١٨٥ ١٨٩ ١٩٦ ١٩٨ — ٢٠١
 ٢١١ ٢١٢ ٢١٤ — ٢٢٣ ٢٢٦
 ٢٣٠ ٢٣٢ — ٢٣٧ ٢٤٠ — ٢٤٢
 ٢٤٨ — ٢٥٠ ٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧٣
 ٢٧٤
 عمر بن عبد العزيز ١٨٤
 عمر بن علي أبي طالب ٢٣٧ ٢٧٥
 عمرو بن العاص ١٢ ٩٥ ١٠٦ ٢٢٣٠
 ٢٢٤ ٢٤٣ ٢٤٨
 عمرو بن عبد ود ٥٩
 عمرو بن عبيد ٢٦٥
 عمرو بن واقد الفامدي ١٧٤
 العموم بن حوشب ١٨٧
 عيش بن أبي ربيعة ١٤٦
 عيسى بن مريم، المسيح بن مريم عليه
 السلام ٩ ١٢ ٦٧ ٦٩ ٧٩
 ١٠٠ ١٢٩ ١٥٢
 عيسى بن يونس السبيعي ١١٦
 عيينة بن حصن ١٧٨ ١٩٤ ٢٠٧ ٢١٧٤
 فسيل الملكة = حفظة بن أبي عامر
 ١٤٠ ١٦٣
 ابن الفيلة ٣٣
 فيلان ٢٦٥
 الفاروق، عمر ٢٣٣
 فاطمة بنت أسد بن هاشم ٢٠٥
 فاطمة بنت ثعلبة بن عبد شمس ٦١
 فاطمة بنت محمد رسول الله ٧٢ ٢٣٦
 فاته ٢٠
 فرعون ١٠٠
 فروة بن نوفل الأشجعي ١٣ ١٧٤
 الفضل بن دهم ١١٥

٤٧٤ ٧٥ ٤٧٩ ٨٢ ٨٩ ٩٢ ٩٤
 ٩٥ ١٠٣ ١٢١ ١٢٢ ١٢٥ ١٢٨
 ١٣٦ ١٣٧ ١٦١ ١٦٢ ١٦٨
 ١٧٣ ١٨٠ ١٨٢ ١٨٤ ١٨٩ —
 ١٩٢ ١٩٩ ٢٢٠ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٣٦
 ٢٣٤ ٢٤١ — ٢٤٣ ٢٦٨ ٢٧٠
 ٢٧٤ ٢٧٥
 عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٣٧
 المجاج بن ربيعة ١٢٥ ١٢٧ ١٢٨
 ابن المدوية = نوفل بن خويلد
 عروة بن الزبير ٢٢٤
 عروة بن مسعود ٦٤ ٦٥ ١٠٢
 العزير، قزير مصر ٨٦
 ابن عفراد ٤٥ ٤٨ — ٥٠
 عقبة بن أبي معيط ١٠٣
 عقيل بن أبي طالب ٩
 عكاشة الغنمي ١٢٧
 عكاشة بن محصن ١٣٩ ١٤٠ ٢٤٩
 عكرمة ١٢١ ٢٤٨
 العلاء بن الحضرمي ١١٦
 علي بن أبي طالب ٥ ٧ ٩ — ١٤
 ١٨ ٢٣ ٢٧ ٣٠ ٣٢ ٣٨
 ٣٩ ٤١ — ٤٨ ٤٥ ٥١ ٥٤
 ٥٧ ٦١ ٦٢ ٧٢ ٧٤ ٧٦
 ٧٨ ٧٩ ٨٢ ٨٤ — ٩٢ ٩٥
 ٩٩ ١١٥ — ١٢٢ ١٢٨ ١٣٠
 ١٣٢ ١٣٤ ١٣٦ — ١٤٦ ١٥٠
 ١٥٢ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٩ ١٦١ —
 ١٦٣ ١٧١ — ١٧٣ ١٧٥ — ١٧٧
 ١٨٠ ١٨١ ١٨٥ — ١٨٧ ١٩٠ — ١٩٣
 ١٩٥ ١٩٦ ٢٠٥ ٢١٢ ٢١٨٤ —
 ٢٢٠ ٢٢٢ — ٢٢٦ ٢٣٥ — ٢٤٤
 ٢٤٦ ٢٤٩ ٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٥
 ٢٧٧
 عماد بن ياسر، أبو الفيلان ١١ ٢٩
 ٣٠ ١٠٣ ١٠٤ ١٤٢ ١٦٢
 ١٧٦ ١٧٨ ١٨٠ ١٨٢ ١٨٣
 ٢١٧ ٢٢٦
 ابن عمر = عبد الله

٥٨	مرحب اليهودى	١٤٥	٦٦	الفصل بن عباس
٢٦٥	مرداس بن ادية	٢١٢		فيروز بن يزدجرد ، دهقان نهر الملك
١٩٤	مرداس والد عباس	٩٥		قبيصة بن جابر الأسدى
٢٢٧	مروان بن الحكم	٢٢٧	١٠٦	قتادة
٨٨	مسروق	١٤٥		قثم
١١٥	مسطح بن اثالة	١١٣	٧٣	ابو لحافة والد ابى بكر
١١٦		١٦٧		
١٨٢	ابو مسعود البدرى			ابن أبى لحافة = أبو بكر
١٧٤	ابو مسلم الخولانى	٢٨		الفرينان : طلحة وأبو بكر
١٧٤	مسلمة بن مغلد	٢٦٦		قيس بن ذهير
	الشيخ بن مريم = ميسى	٢١٤		قيس بن مكشوح
١٩٨	مسيلمة			ابن أبى كبشة (من سسلامة أبى
٢٤٨		٧١		سليان)
١١٦	معاذ بن جبل	٢١٤	٥٦	كسرى
١٧٤	معاوية بن حديج	١٨٦	١٧٩	١١٤
	معاوية بن أبى سفيان	٢١٥		
٢٤٨	٩٥			كعب بن مالك
١٠٨	ابو معاوية الفهرى	١٧٣		كعب بن مرة البهزرى
١٤٥	معبد			الكلبى = معبد بن السائب
١٤٧	أم معبد	٨٨		أم كتوم بنت أبى بكر
٢١٤	المغيرة بن شعبه	٢٣٧	٢٣٦	أم كتوم بنت على
٢٢١	المقداد بن عمرو	٢٩	٢٨	الكنانى (مالك بن النخلة)
١٥٢	أين أم كتوم	١٤٨	١٠٠	لقمان
١٧٤	مكحول	١٠٢	١٠٠	أبو لهب
٧٠	مكرز بن حفص بن الاخيف	٢٠٩	٤١	لوط
١٦٢	مكلم اللثب ، عبيان بن أوس	٢٨		(مالك بن النخلة)
١٢٨	متصور النمرى	١٢١	١١٨	مجاهد
٢٤٨	المهاجر بن أمية	١٢٥	١١١	أبو مجنون
٢٣٧	مهران بن بلخان	١٢٥	٨٥	معبد
٨٦	موسى عليه السلام	٣٣	٣٢	معبد صلى الله عليه وسلم
٩١	١٠٠	٧٠	٦٧	٦٤
١٤٢	١٣٧	١١٢	١٠٤	١٠٠
١٥٣	١٦٠	٢٢١	١٩٤	١٢٦
٢٦٠	٢٢٨	٢٤٦	٢٤٨	٢٧٦
	أبو موسى الأشعري	١١٧		محمد بن السائب الكلبي
٢٤٢		٢٢٥		محمد بن عائشة
١٣٧	١٠٨	١١٦		محمد بن على بن أبى طالب
٢٦٦	ميثايل			محمد بن مسلمة
	النايفة	٧٠	٤٩	٤٨
١١١	النجاحى (الشمار)	١٧٤	١٥٢	
١٠٦	النجاحى (ملك الحبشة)	٩٦		المختار بن أبى عبيد
		٩٦		ابن مغيرة الصيدى

١٨١	هشام بن عروة	٢١٢	ابن النخعي
١٨٧	هشيم	١٧٤	النعمان بن بشير
١٧٤	والدة بن الاسقع	٥٢	النفاي (عبد الله بن اريقط)
٢٧	الواقدي	٢٣	النهدي
٢٢	ورقة بن نوفل	٢١١ - ٢٠٩	نوح عليه السلام
١١٥	وكيع	٢٧	نوفل بن خويلد ، اسد قریش
١٠٢ ، ٥٩	الوليد بن عتبة	١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٥٢	هارون عليه السلام
٥٩ ، ٥٨	ياسر اليهودي	٢٢٨ ، ١٦٠ ، ١٥٨ - ١٥٦	١٥٤
١٢ ، ٩	يحيى بن زكريا ، عليه السلام	٢٤٦	هاشم الاوقص
١٨٢	ابو اليقظان ، عمار بن ياسر	٣٧	هاشم ذو الرمحين
١٣١ ، ١٣٠	يوسف بن يعقوب عليه السلام	٢٢٠	هاشم بن عبد مناف
١٦٤ ، ٢٠٧		٢٦٦	هرم بن سنان
١٥٦ ، ١٥٥	يوشع بن نون	٢١٣ ، ١٢٦	الهرمزان
٩١	يونس بن متى عليه السلام	٩٢ ، ٧٥	ابو هريرة

٦ - فهرس القبائل والجماعات

٩٤	البحريون	٢٦٩	الإباضية
٨٣	بكر بن وائل	٢٨ ، ٦٤ ، ٨١	الاحابيش
٢١٢	بلى	٥٩	الاحلاف
٢٤٨ ، ٨٣	تميم	٢٦٩	الأزرقية
٢٦٩	التهاميون	٢١٤	الاساورة
١١١ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٢٧	ليم	٢١٨ ، ٢١٩	بنو اسعاف
٢٢٨ ، ٢٠٠ ، ١٩١ ، ١٦٧ ، ١٢٦		٦٣ ، ١٢٦	اسد
٢٢٨		١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٧	اسرائيل
١٠٢	لقيل	٢١٨ ، ٢١٩	بنو اسماعيل
٢٦٩	الجزرية	١٣	اصحاب اليرانس
٢٢١ ، ١٢٦ ، ٣٢ ، ٢٨	بنو جمح	٢١١	بنو الاصل
١٠٥ ، ١٠٤ ، ٣٢	الحبيشة ، الحبشة	١٩٦ ، ١٠٣ ، ٦٠	بنو أمية
٢١٧ ، ١٩٢		٥٢ - ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ -	الانصار
٢٦٩	الحجازيون	٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٥	
٢٦٩	الحصينيون	١٣١ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١	
٢٦٩	الحصينيون	١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢	
١٢٣	الحثوية	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠٤	
١١٤	بنو حنيفة	٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨	
١٠٢ ، ٥٩	خزاعة	٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩	
١٩٧	الخزرج	٢٦٨ ، ٢٧٣	
١٢٨	بنو خلف الخزاعي	٣٨ ، ١٧٣ ، ١٩٧	الأوس
٢٦٥ ، ١٨٥	الخوارج	٦١ ، ٢١٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٥	البحريون

٢٦٩	العراقيون	٥٩	دوس
١٥٩ ء ١١٣	المنشدة	٥٨٢ ء ٤٢ ء ٢٠ ء ٩	الرافضة ء الروافض
١٨٧ ء ١٩	المطوية	١٢٠ — ١١٧ ء ١١٥ ء ١٠٩ ء ٨٤	
٢٢٣ ء ٩٤ ء ٩٢	العمرية	١٤٨ ء ١٤٦ ء ١٤٢ ء ١٢٩ ء ١٢٨	
٢١٧ ء ٢١٤ ء ١٣٩ ء ١١٤	فارسي ء الفرس	١٤٩ ء ١٧٧ ء ١٨٨ ء ٢١٥ ء ٢٢٤ —	
٢١٩	قسطان	٢٢٦ ء ٢٣٥ ء ٢٤٩ ء ٢٧٦ ء ٢٧٧	
٢٦٩	القرشيون	٢٧٩	
٢٩ ء ٢٧ ء ٢٥ ء ٢٣ ء ١٤ ء ٩	قريش	٢١٩ ء ٢١٢	ربيعة
٩٤ ء ٦٠ ء ٥٩ ء ٥٦ ء ٥٣ ء ٥٢		٢١٧ ء ٢١٤ ء ١١٤ ء ٦٥	الروم
٩٧ ء ٩٦ ء ٧٨ ء ٧٧ ء ٧٠ ء ٦٩ ء ٦٧		٢٤٢	
١٠٠ — ١٠٢ ء ١٠٥ ء ١١٣ ء ١٢٥		٦٣	بنو زهرة
١٢٦ ء ١٢١ ء ١٧٢ ء ١٧٦ ء ١٧٨		١٨٠ ء ٢٦٥ ء ٢٦٩ ء ٢٧٦	الزبدية
١٩١ ء ١٩٦ ء ١٩٧ ء ٢٠٠ — ٢٠٢		٢٧٩	
٢١٧ ء ٢١٩ ء ٢٢٨ ء ٢٢٩		٩٤	بنو ساسان
٢٢٦ ء ٢١٩	فصي	١٥٩	السبيعة
٢٢٦ ء ٨٣	قيس	٢٧٠ ء ٢٦٨ ء ١٥٩	الستة
٥٢	بنو قيلة	٢٢٧	سودان مروان
٢١٩ ء ١١٢ ء ٦٤	كعب	٢٦٩	الشاميون
١٩١	كلاب	٤٩ ء ٤٤ ء ١٨ ء ١٣	الشيعة ء الشيعة
٢١٢	كلب	٨٢ ء ١٢٤ ء ١٣٨ ء ١٣٩ ء ١٥٠	
٨٣	كنانة	٢٣٥	
١٢٧	كننة	٢٦٩	الصفرية
٧	الكهنة	٢١٢	طبي
٢٤٨ ء ٢٩ ء ٢٣	بنو مفلح	٦٤ ء ٦٢	بنو عامر
١٤٩ ء ٨٢	المرجئة	١٨٧	العباسية
٢١٩ ء ٢١٢	مفسر	٢٣	بنو عبد الدار
٢١٩	بنو المطلب بن عبد مناف	٢١٩ ء ١٢٦	بنو عبد شمس
٥٩	الطبيون	٢١٩ ء ٢٠٥ ء ١٩١ ء ٢٣	بنو عبد المطلب
٢٦٥	المعتزلة	١٦٧ ء ١٠٣ ء ٦٠ ء ٢٤	بنو عبد مناف
٢٧٩	العلمون	١٦٨ ء ١٩٠ — ١٩٢ ء ٢٢٠ ء ٢٢٦	
١٦٧	بنو الحظيرة	٢٢٨ ء ٢٢٨	
١٣٧ ء ١٠٩ ء ١٠٨ ء ٦٨ ء ٥٦	الملاحدة	٣ ء ٧ ء ١٣ ء ١٩ ء ٧٤ ء ٩٢	الضمانية
١٤١ ء ١٤٢ ء ٢٢٥		٩٤ ء ١١٥ ء ١٢٠ ء ١٢٢ ء ١٢٣ ء ١٢٤	
١٨١ — ٨٣ ء ١٠٠ ء ١٠٣ ء ١٠٥	المهاجرون	١٤٦ ء ١٤٩ ء ١٥٨ ء ١٨٧ ء ٢٠٤	
١٠٧ ء ١١٢ ء ١١٣ ء ١٢٢ ء ١٤٦		٢٠٦ ء ٢٢٣ ء ٢٢٥ ء ٢٢٧ ء ٢٧٧	
١٤٧ ء ١٤٩ ء ١٦٠ — ١٦٢ ء ١٦٣		٢٧٩	
١٦٩ ء ١٧١ ء ١٧٦ ء ١٧٨ ء ١٩٣		١٨٦ ء ٢١٣ ء ٢١٤ ء ٢١٧ ء ٢١٩	العجم
٢١٤ ء ٢١٧ ء ٢٢٢ ء ٢٢٤ ء ٢٢٨		٢٢١	
		٣٤	عدى بن كعب

١٠٣ ، ٩٨ ، ٨٣ ، ٦٣ ، ٦٠	بنو هاشم	١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠١ — ٢٠٤ ، ٢١١
٢١٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٠ ، ١٩١ ، ١٦٦		٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ —
٢٢٥ ، ٢٢٤		٢٤٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ — ٢٧٥
٢٠	آل ياسر	٢٤
٢١٩ ، ٢١٢ ، ١٣٦	اليمن	٢٦٩
٢٤٥ ، ١٥٥ ، ٥٢	يهود	١٤٥ ، ١٩٩ ، ١٥٥
		بنو مؤمل
		النجدات
		النصارى

٧- فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٢٠٧ ، ٦٦	حنين	١٤١ ، ٨٥ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٤٥ ، ١٤١
٨٥	الحوض	١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ١٧٨
٣٢	حس جمع	٢٩
١٨٥	الحرة	٩٤
٢٦٥ ، ٩٤	خراسان	٩٤
٤٥	الطنطيق	٩٥ ، ٩٤
٧٣	الطنعمة	٢١٣
١٤٣ ، ٤٥	خيبر	١٢٥
٥١ ، ٣٢	دار أبي بكر	١١ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٣ —
١٩٠	دار خالد بن سميد	٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٤ ، ١٠١
١٢٨	دار بنى خلف الطراوى	١١١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ،
٢٤٣ ، ١٦١	دار عثمان	٢١١ ، ٢٤٦
٢٦٥ ، ١٨٠	دمشق	٥٧
١٦٩	ذات السلاسل	٢٤٩
٧٣	ذو طوى	١٦١
٩٥	سجستان	٣٢ ، ٣٧
٨٠	السنج	٨٣
١٧٩ ، ١٧٣ ، ٩٦ ، ٧٠ ، ٦٩	الشام	٦٤
٢٤١ ، ١٨٥		٦٤
	شعر عمان	٦٩
١٧٥ ، ١٥٢ ، ١٢٥ ، ١١	صقلين	٣٣ ، ٥٢
١١٣ ، ٨٥ ، ٥١	الطائف	١٥٢
٨٧	العالية	١٢٥
٩٦	العرال	١١٢
١٤٣ ، ١١١ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٣	عرش بدر	٢١٤
١٤٦		١٤٤
٧١ ، ٣٧ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٠	الغزى (صنم)	٧٣
٢٤٨	عمان	٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ،
٤٤ ، ٤٣ ، ٣٣ ، ٣١	الغار ، غار حراد	١٩٤ ، ١٣٧
		برك ذات القماد
		بزاغة
		البصرة
		بطحاء مكة
		البانيق
		بلدج
		البيت الحرام
		بيت المقدس
		بئر معونة
		تبوك
		تستر
		الجبيل ، (أبو قبيس)
		جلولاه
		الحجاز
		الحجون
		الحديبية

١٩٩	١٦١	مسجد الرسول	١٠٩٤ ١٠١ ١٠٠ ٥٤ ٥٢ ٥١
١٣٦		مسجد قباء	١٤٣ ١٢٠ ١١٦ ١١٥ ١١١
١٣٦		مسجد المدينة	٢٣٩
١٢٥		القشقر	١٧٦ ١٣٤
٢٣٤	٧٠	مصر	٢١٣
٢٣ ٢٢ ٢٠ — ٢٥ ٢٢ ٢٠	٢٠	مكة	٢١٥ ٢١٤
٢٩٥ ٥٢ ٥١ ٤٥ ٤٢ ٤١ ٣٧			١٣٦
١٠٣ — ١٠١ ٧٨٤ ٧٢ ٧٢ ٦٩			٧٢
١٢٥ ١١٢ ١١٢ ١١٠ ١٠٥			١١٢
٢٢٤ ٢١٧ ٢٠٣ ١٩٢ ١٦٧			٢٣٧
٧٩		منزل عائشة	٩٤
١٢٥		مهران	٧٨ ٢٩
١٤٦		مؤنة	١٨٢
٢٤٨		نجف	٦٤ ٣٧ ٣٣ ٣٢ ٢٠
٢٥٠		نهاوند	١٧٨
١٢٥ ١١		النهر	٤٢ ٣٣ ٣٠ ٢٨ ١٠ ٦
٢١٢		نهر الملك	١٠٥ ١٠٣ ٧٢ ٦٦ ٦٥ ٥٢
٧١		هبل (صنم)	١٧٥ ١٦١ ١٥٣ ١٤٧ ١٣٦
٤١		يثرب	١٩٧ ١٩٠ ١٨٧ ١٨٥ ١٨٤
١٩٨ ١٨٥ ٦٠		اليمامة	٢٣٧ ١٩٨
٢٤٨ ١٩٠ ١٨٥		اليمن	٣٢ ٢٩ ٢٨
٩٨		يشيع	٧٨ ٦٤
			مسجد أبي بكر
			المسجد الحرام

٨ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف

أسامة بن زيد :

فصله ١٤٦ سميته بالحجب ١٤٧ تفصيل عمر له على ابنه عبيد الله ١٤٧ ، ٢١٦

أنس بن مالك :

اتهم الرافضة بالكفر والكذب ١٥٠ - ١٥٢

أبو بكر الصديق :

قول الثمانية انه افضل الامة واولاها بالامامة ٣ اول الناس اسلاما ٣ فصل اسلامه على اسلم
زيد وغياث ٢٢ القول في منزلته ٢٤ كان جبر بن مطعم تلميذه في النسب ٢٥ مآلتيه بمكة ٢٧
جواد الكناني له ٢٧ عتقه للمعلمين ٣٠ ، ٢٢٤ طلب قرشله ٣١ دعاؤه العرب الى الاسلام ٣١
من اسلم على يده ٣٢ استجب له سعد ٥٦ مهاجرة باسلامه ٣٧ انفاقه ماله ٩٧ ، ٩٨
بنى كيم برد معالته في بيت المال ولم يفل ذلك على ٩٨ استمراره في التجارة بعد الخلافة وفرض
المسلمين نفقة ضرورية له ٩٩ بين زهده وزهد على ٩٧ موازنة بين مآلتيه هو ومآلتيه على ٩٩
موازنة بين صحبة الفار وميت على على الفرائض ٤٢ صحبته للرسول ٥٠ تمزيق الرسول له
في الفار ١٠٧ تليبه بالصديق ٥١ ، ١٢٢ عظم لقب الصديق ١٢٨ اختصاصه بتسميته ١٢٣
ويلقونه بالخليفة رسول الله ١٣ اشعار في تليبه بالصديق لشعراء الشيعة وغيرهم ١٢٤ ما قيل
من الشعر فيه ١١٠ محتاجة قرشاً في امر الاسراء ٦٩ انفراده بالرسول في العرش ٥٣ كان
له الفضل على زعماء من شهدوا بدر ٥٤ شفاعته لاسرى بدر ٦٧ كان اول من حث على قتال
المركبين ٥٦ ، ٦٤ توليته ميمنة حنين ٦٦ ثبالة فيها ٦٦ معارضته لجندبيل بن وراق وعروة
ابن مسعود في التخليل ٦٤ تقديم النبي له في الحديبية ٧٠ صواب رأيه في صلح الحديبية ٧٦
لفضلاء على الفتنة فيها ٧٨ نحر الرسول جملاً من سبعة اولهم أبو بكر ٧١ موازنة النبي بينه
وبين عمر ١٧٣٦٨ اجل النبي لابييه ٧٣ مسابقة الرسول له وحده يوم فتح مكة ٧٢ لخواجة بينه
وبين حمزة ١٤٧ نزوله قبر حمزة اول لائل ٧٢ علو منزلته عند ابي سليمان ٧٢٧ تركية عبيد الله بن مسعود
له ٨٦ ، ٢٢٤ تركية على له ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٥ اقتراح عمر تقديمه في الشرب ٧٣ وثيقة خلافة
الزبير به ٢٢٣ ، ٢٢٤ أنزل فيه من القرآن ظلم ينزل في أحد ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ليس في
العشرة رجل مؤمن الا بغيره ١١٣ ليس في المسلمين صاحب ابن صاحب ابن صاحب غير ولده
عبد الله ١١٢ احاديث في أنه غلبت الرسول ١٢٥ وفي فصله ١٣٧ وضع حجر المسجد بعد
الرسول ١٣٦ تأييده على الحج ١٢٩ تفصيله بأمانة الناس في مرضه الثاني ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥
صلى بالناس سبع عشرة صلاة ١٧٠ امامته لمضى ١٢٩ سعة فقهه ٨٢ تبطنه لأم الرسول ٨٥
حسن فهمه لكلامه واشارته ١٦٤ ، ١٦٥ تماسكه حين علم بموت الرسول ٧٩٦٦ تحكيمة في موضع
دفن الرسول ٨٣ حرمه بعد وفاة الرسول ١٩٩ انقلاذه جيش اسامة ٨٣ فصله في منع النكاح
الدعوة ١٨٤ تصميجه في الردة ٦٥ شدته في أخذ الزكاة وفقهه في المطالبة بها ٨١ ، ٨٣ تقديم
عمر له ٢٢٢ وكذلك أبو مبيدة ٢٢٢ توليته خالداً ٨٦ استغلاله لعمر واصراره على ذلك ٨٦ ،
٢٧٢ ، ٢٧٤ صدق عنه وقوة حسه في مرض موته ٨٧ لم يتزوج في خلافته ولا اتخذ سيرة ٩٨
وثيقة بيعته ٢٢٣ تثبيت على بيعته ٢٢٥ المعارضة في استغلاله ١٦٧ من الرافضة في تخلفه من
جيش اسامة ١٦٦ ظنهم في شجاعته ٢٢٤ دعواهم في نفاقه ٢٤٣ تكليمهم له بعجده امامة
على ٢٤٩ زعمهم أن خالداً تربيعته لثلاثة أشهر ١٩٠ البتة اسلامه ٢٢٦ تحقيق قوله في احصاء

فريش وإنسابها وقوله « ان هذا الأمر ليس بخلعة » ٢٠٠ ملجبه في الإحساب تبينه خطبة له ٢٠٢
مناقشة قوله « وليت عليكم ولست بخيركم ٢٢٧ نقيه كلمته هذه من كلام العرب ٢٢١

بلال بن رباح :

تعذيبه ومثقه ٢٢ ادماء الرافضة طمنه على أبي بكر وعمر ١٨٠

حمزة بن عبد المطلب :

مواخاة أبي بكر له ١٤٧

خالد بن الوليد :

زعم الرافضة تركه بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠

الرافضة :

قولهم في اسلام علي ٥ ، ١٨ ، ٢٠ تلخيمهم للتلى على : مرحب ، وعمر بن عبد ود ، والوليد
ابن عتبة ٥٨ قولهم ان قريشا تصعبت على لتلقيه اقربها ٦٠ وان بني أمية صرفوا الإمامة
عنه لظنهم ١٩٦ قولهم ان عليا كان اظلم من أبي بكر ٧٤ رد على دعوامه في نزول القرآن
في علي ١١٦ استشهاد بعديت راء مرضي عندهم ١١٦ قولهم ان عليا كان يتصدق وهو
في الصلاة ١١٩ تكفيرهم للانصار والهجرة ١٤٩ قولهم بالنص على امامة علي ١٢٩ ، ٢٧٦
اتهمهم بالنس بالكفر والكلب ١٥٠ اكفارهم له لانه كان يعمل للحجاج ١٥٠ احتجاجهم بانس
حين يؤيد ملجهم واكفارهم له حين لا يرشيهم ١٥٢ طمنهم عليه بما أصابه من سوء في جسده ١٢
مدحهم عليا بما لا يليق به ١٥٣ احتجاجهم بعديت « أنت مني كهرون من موسى » ١٥٢ ، ١٥٨
الرد على زعمهم مواخاة الرسول لعلي ١٦١ طمنهم في صلاة أبي بكر بالناس ١٧٠ زعمهم ان خلافته
كانت بغير اجماع ١٧٢ احتجاجهم بقول الانصار « هنا أمير وعنتكم أمير » وبقول سلمان الفارسي
« كرداد وتكرداد » ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٧ قولهم « ان ربيعة أبي بكر كانت فتنة » ١٩٦ قولهم
ان ابا بكر وعمر كانا لا يلقوان بالتسوية ٢١١ ربيعهم عمر بالعصية ٢٢٠ تطبيق قولهم ان الزبير
خرج شادا بسيفه ٢٢١ تكفيرهم بانكر امامة علي ٢٢٥ توليهم حليفة وعمارا بعد اكفارهما ٢٢٦
طمنهم على أبي بكر في قوله دلوليتكم ولست بخيركم « ٢٢٧ طمن الجاحظ فيهم ٨٢ ، ٨٤ وفي
زعمهم في الامام ٢١٥ جورهم في الحكم ١٤٢ مقابلة الجاحظ لهم ان يستشهدوا أهل الكتاب ١٥٥
النفور من الانتماء اليهم ١٧٦ يحتجون بانصار شعرالهم ويرفضون اشعار سواهم ١٢٨ ادمالهم
طمن بلال على أبي بكر وعمر ١٨٠ وطمن القناد ١٨٠ وطمن عمار على أبي بكر وعمر ١٨٢ وطمن
أبي ذر على عمر ١٨٢ قولهم ان خلانا تركه بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠ ربيعهم ابا بكر وشمان
بالجبن ٢٢٢ دعوامه نفاق أبي بكر ٢٢٣ تكفيرهم اياه بجسده امامة علي ٢٢٩ زعمهم ان الانصار
اني على علم ما كان وما يكون ٢٤٢ قولهم ان عليا كان الحقون طلعة والزبير ٢٤٩ جملة دعواهم
٢٣٨ جملة مناقضاتهم لكل مفاخر أبي بكر ٢٣٨ جملة ردودهم على مظان المشافهة ٢٣٩

الرسول الكريم :

تكرمه بزيارة أبي بكر ٥١ كتاب الارسولة ٩٧ لم يسلم من معارضة بعض أمته له ١٩٢ طبقات
الناس بعد وفاته ١٩٦ رعايته الكبرى لم يئلفها بالنمب ٢٠٥

الزبير بن العوام :

تحقيق قول الشيعة ان الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ طاعته لعمر ٢٢٢ انتباهه في هوى

بكر ٢٢٢ وصية عثمان وعبد الرحمن بن عوف له ٢٢٣ وثلاثة علاقته بابى بكر ٢٢٤ معاداة
على ومفاخرته له ٢٢٤

زيد بن حارثة :

بصله ١٤٦ ذكره باسمه في القرآن ١٤٨

الزبعية :

كثيرهم من ائمة امامة على ١٨٠ تمسكهم بأمر الوصية ٢٧٦

سعد بن ابى وقاص :

ثان من المستجيبين لآبى بكر ٥٦ مطالبته بالامامة ١٥٩ ٢٧٥ فصله ١٥٩ احاديث في فصله ١٦٠

سلمان الفارسي :

لديره ١٧٩ احتجاج الرافضة بكلمته ١٧٧ ١٨٣ ١٨٦ ٢٢٧

سهل بن حنيف :

واخاة على له وقتله به ١٦١

ابو طالب :

حمايته للرسول ٢٣

عبد الله بن مسعود :

زكته لآبى بكر ٨٦ ولعثمان ٢٢٤

عثمان بن عفان :

نكر لآل وهلة موت الرسول ٧٩ - ٨٠ احتج الثغور كلها ٩٤ تزكية على له ١٣٦ آخر عمر
ل تجسيم أخطائه ١٨٤ تقديم ابن مسعود له ٣٢٤ طعن الرافضة في شجاعته ٢٢٢

لثمنانية :

لؤلهم : الفصل الامة واولاها بالامامة أبو بكر ٣ قولهم في اسلام على ١٩ ٢١ كثرة الفقهاء
المحدثين فيهم ١٧٦ ملهمهم في النسوة ٢٠٦ قولهم بان الله اختار للناس اماما لآلى النص
التسمية ٢٧٧ وسأل أقوالهم ورددهم على مظان الرافضة . انظر (الرافضة) .

على بن أبى طالب :

لقول في اسلامه ١١ ١٣ ١٨ ٢٠ تعظيم التاريخ في آليات وقت اسلامه ١٩ موازنة
سلامه باسلام زيد وخيـاب ٢٢ آخر حماية أبى طالب في اسلامه ٢٣ لم يكن له صنيع ظاهر
في اول الاسلام في خلال ثلاث عشرة سنة ٣٨ اقراره بفضل أبى بكر ١٠ ٨٤ ١٣٦ ٢٢٥
يفضلـه هو وعمر وثمان ١٣٦ ٢٢٥ تبيته بيعة أبى بكر ٢٢٥ تزويجه أم كلثوم لعمر ٢٣٦
صميمته اولاده باسماء أبى بكر وعمر وثمان ٢٣٧ قبوله تولية عمر اياه ٢٣٧ موازنة بين صحة
لغار وصيته على الفراض ٤٢ موازنة بين مآلفيه هو ومآلفيه أبو بكر ٢٩ هو ورجل من عرض
لمسلمين سواء ٨٧ كان من فقهاء الصحابة ٨٨ خطؤه في الفقه ٨٩ - ٩١ اعتذار من خطئه
خطأ الصحابة والائنياء ٨٩-٩١ رجوعه في فتاويه ٨٩ لاجبة في اشارته على عمر ٨٧ لم يذكر
في الطوائف ٩٢ ولا الفراء ولا اصحاب التفسير والحديث ولا من يتبعه الفقهاء ٩٣ ولا اصحاب
نوة السلطان ولا اصحاب الفتوح ولا البارمين في السياسة ٩٤ ولا الدهاة ٩٥ ولم يكن مشتهرا

يعلم الكتاب ولا الغرائص والتاويل والقرامات ١٢١ القول في حروبه ٤٥ كان يقال وهو على ثقة من النصر ٤٩ سجلت خطبة له أن القوم كانوا يشكون في علمه بالحرب ٩٦ دليل آخر على عدم معرفته بالحرب ٩٦ حديث المباهي معه في ذلك ٩٧ شذبه يوم الحديبية ٧٨ تقدس الرافضة ٩٢ قولهم بأن الله أمر إليه علم ما كان وما سيكون ٢٤٣ ما نزل فيه من القرآن فيها يزعمون ١١٥ قولهم أنه كان يتصدق وهو في الصلاة ١١٩ فخرهم بأن الرسول بعثه ليقرأهم سورة براءة على الناس سنة تسع ١٢٩ ، ١٣٠ ويحدث «من كنت مولاه فعلي مولاه» ١٣٢ ، ١٤٣ - ١٤٦ ، ١٤٨ وبأخاء الرسول له ١٣٤ ، ١٦١ مؤاخاه لسهل بن حنيف ١٦١ كان مقلا ثم أرى ٩٨ نصحه بيت المال ٩٩ تكلم الرافضة إن أنكر امامته ٢٢٥ النص على امامته ١٤٩ الطعن في خلافته ١٧٣ معاداة الزبير لعومفاخره ٢٢٤ تسميته حربه لطلحة والزبير «الفتنة» ١٧٥ نفور الصحابة والبهريين من الدخول في حروبه ١٧٥ كثرة الفتن في هذه ١٨٥ انتفاض المسلمين عليه ١٩٥ خلاف أصحابه عليه ١٩٥ مناقشة مذهبه في التسوية ٢١٨ زعم الرافضة أن أريضا تعصبت عليه لتقريبه أقرابها ٦٠ وأن بنى أمية صرفت الإمامة عنه لحقدتها عليه ١٩٦ منازعة سعد بن أبي وقاص له ٢٧٥ الوصية له وانكر ابنه من لها ٢٧٥

عمر بن الخطاب :

تركبة على له ١٣٦ ، ٢٣٥ قبله توليته ٢٣٧ تسمية على ولده باسمه ٢٢٧ تزويجه إياه أم كلثوم ٢٣٦ لاحجة في إشارة على عليه ٨٧ تعليم ابن مسعود له ٢٢٤ استخلاف أبي بكر له ٨٦ ، ٢٧٤ تقديمه لأبي بكر ٢٣٢ ، ٢٣٣ تغيبه أسامة على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦ أحاديث في الموازنة بينه وبين أبي بكر ٦٨ ، ١٣٧ شذبه في الحديبية ٧٨ انكاره موت الرسول ٧٩ - ٨٠ أنه في تجسيم أخطاء عثمان ١٨٤ تعليق تهجينه لأمر المعجم ٢١٤ قوله في التسوية ٢١٥ تعليمه لصهيب الرومي ٢١٦ ، ٢١٧ والسلام مولى أبي حنيفة ٢١٧ ، ٢٧٤ وصيته لسلام ٢٧٤ جعله الخلافة بعده شوري بين ستة ٢٧٤ رمى الرافضة له بالعصية ٢٢٠ السر في ذلك ٢٢١

مسطح بن اثابة :

خبره ٥٥ ، ١١٧

هارون عليه السلام :

وزارته موسى ١٥٦

٩ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالمعارف العامة

آية :

آيات في التسوية ٢٠٨

أجاء :

كلمة فيه ١١٦ أجماع الأمة أمر لابن ل ١٩٥

أحاديث :

في التسوية ٢٠٧ في فضل البراء ١٤١ وأبي بكر ١٣٧ ، وأبي ل ١٣٨ ولزبد بن عمرو ١٤٢ وسعد بن معاذ ١٤١ وسعد بن أبي وقاص ١٦٠ وأبي سليمان ١٤٠ وطلحة ١٤١ وأبي عبيدة ١٤١ وثمان ١٤١ ومكاشة ١٣٩ ومصار ١٤٢ وعمر ١٣٧ ، ١٤٠ وابن مسعود ١٤١ في الموازنة بين أبي بكر وعمر ٦٨ ، ١٣٧

اخ :

تحقيق معناها والتفرقة بينها وبين الخليل ١٢٥

اختيار :

كلمة فيه ٢٥٢ تركه الاختيار ربما كان اختيارا ٢٧٨

اسباب :

الاسباب المشجعة على القتل ليس الدين اولها ٤٧

استثناء :

تركه حين يكون معروفا مشهورا ١٢٨

اسراء :

معاذة ابي بكر قريشا في امر الاسراء ٦٩

امامة :

تعلقق فيها ١٥٤ هل على الناس ان يتخلوا اماما ٢٥٠ ليس للامامة ان تختار الامام ١٥٦ يجب

على الخاصة اقامته ٣٦١ متى يكون ذلك ؟ ٢٦٢ وكيف يكون ٢٦٥ طرق اقامته ٢٧٠ النص

على الامام ٢٧١ ليس في القرآن آية تنص على امامة ٢٧٢ وكذلك الحديث ٢٧٣

انبياء :

بعض ما صابهم من السوء في جسدكم ١٥٢

تاريخ :

تكميمه في البتة وقت اسلام على ١٩

تحقيق :

كلمة الاغ والخليل ١٢٥ المولى ٢٠٨

تخصيص :

تركه حين يكون معلوما مشهورا ١٢٨

تسوية :

مذهب الثمانية فيها ٢٦٠ احاديث فيها ٢٠٨ آيات فيها ٢٠٨ زعم الرافضة ان ابا بكر ومم

كانا لا يولان بالتسوية ٢١١ قول عمر فيها ٢١٥ مناقشة مذهب على فيها ٢١٨ .

تهذيب :

تهذيب المسلمين ٢٩

توقييت :

توقييت زمن الدنيا الى عمر الجاحظ بسبعين قرنا ٢٠٩

حديث :

الحديث الضعيف والشاذ ١١ الاعتماد على قوة السند ١٣١ . وانظر (احاديث) .

خاصة :

احتياج العامة اليهم ٢٥٢ وجوب اقامة الامام عليهم ٢٦١ متى يلزمهم ذلك ٢٦٢ وكيف يجوز؟

٢٦٥ كيف يختارون واحدا من عشرة ٢٦٨

خبر :

خبر مسطح ٥٥ ، ١١٧

خلافة :

النظر (امامة)

خليل :

التفرقة بينه وبين الآخر ١٢٥

دفاع :

دفاع عن البدرين والمهاجرين ٦١

دنيا :

صلاحها بتدبير الخاصة وطاعة العامة ٢٥١

دين :

ليس الدين اول الاسباب المشجعة على القتل ٤٧ صغوبة علم الدين ١٧

رياسة :

فصل رئيس الجيش على المقاتلين ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ لاستحقاق الدين بغير الدين ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

شبه :

شبه صاحب وللوزير برئيس الجيش ٥٠

شعر :

في أبي بكر ١١٠ في تاليف أبي بكر الصديق ١٢٢

صبي :

حكم اسلام الصبي ٢١

طاعة :

متى تتعلق الطاعة والمعصية في العامة ٢٥٢

عامة :

جهل العامة بالدقائق ٢٥٠ تشبيههم بجوارح البدن ٢٥٠ صلاح الدنيا بتدبير الخاصة وطاعة العامة

٢٥١ احتياجهم الى الخاصة ٢٥٢ متى تتعلق الطاعة والمعصية فيهم ٢٥٢ ماذا يعلمون وماذا

يجعلون ٢٥٢ باب آخر تجهل العوام ولا يشعرون بمعجزهم منه ٢٥٢ معرفتهم بالله ورسوله ٢٥٥

ليس لهم ان يقتاروا الامام ٢٥٦ هل العامة معججون ٢٥٨

عتاب :

عتاب الله لرسوله ٩٢

علوة :

مداوة خراطة وتاليف وابي لهب للمسلمين ١٠٢

علم :

علم الدين والكلام ، صغوبتهما ١٧

قتال :

فصل الرئاسة فيه على مباشرته ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ تهوين أمر القتالة ٤٦ ، ٤٧ الأسباب المشجعة عليه ليس الدين أولها ٤٧

قرآن :

امجازه ١٦ نقله بأمر الفار ٤٤ كيف نعلم قصده لبعض الناس ١٠٠ منازل منه في أبي بكر ١٠٠ دعوى الرافضة نزول القرآن في علي ١١٦ ليس فيه آية تنص على امامة ٢٧٣

كلام :

صموية علم الكلام ١٧

مسلمون :

تدبيرهم ٢٩ مداوة خراطة وتقليف وأبى لهب لهم ١٠٢

مصاحف :

رغمها ١٢

ملائكة :

التأييد بالملائكة ١٠٨ الملكان الكائنان ١٠٩

مؤاخاة :

المؤاخاة بين الصغابة ١٦١

مولى :

تحقيق معانها ٢٠٨

ناس :

طبائهم بعد وفاة الرسول ١٩٦ العامة والخاصة ٢٥٠ . اختلاف طبائع الطوائف ٢٥٦

نبوغ :

لا يحتاج في معرفته الى اجتهاد ٢٦٦

هجرة :

الهجرة وسريتها ٥١ فصل هجرة المدينة على هجرة الحبشة ١٠٦

وزارة :

وزارة هارون موسى ١٥٦ شبه الصاحب والوزير برئيس الجيش ٥٠

وصية :

الوصية بالامامة ٢٧٥ - ٢٧٩ قول الرافضة انها كانت بالسنة لابلالكتاب ٢٧٦

استدراك وتذييل

س	س	بمخفف رقم (٥ -) من مبدأ السطر .
١٦	٦	
١٣	٢٤	« هَيْجِ النطاريِف » . يراد بالنطاريِف القصائد الجياد البارة ، وهو تحريض على هجوم . وأصل معنى النطريف السيد الشريف ، كما ورد في الحواشي س ١٦ .
٢٠١	١١٨	كُذِّبَ في الأصل ، والظن أن في الكلام بده سقطا .
٥	١٣٤	هكذا وردت العبارة في الأصل . ولعل الكلام : « فإن قالت الرافضة : مما يدل على تقصيل . . الخ .
١٤	١٤٩	« عدد الفعل » كُذِّبَ في الأصل . ويصح أن تقرأ « الفُعل » جمع فاضل . أو لعلها « عدد ذوى الفعل » .
١٦	١٧٢	« بأن يكون له في الإمامة » . هكذا وردت في الأصل ، والوجه « بأن لا يكون له في الإمامة » .

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٣٠	١٢	من المذَّيِّبين المفتونين	١٧٤	٢	مَسَكَةٌ
٣٣	١٧	الفتح ٤٦٣	١٧٦	٩	انتقاماً
٤٩	١٥	إلا أن يزعموا أن النبي	١٩٨	١	والطغَام
٩١	١٤	فَفَهَّمَهَا سُلَيْمَانَ	٢٢٦	٨	وإنه لِحَيْفَةٌ
٩٧	٧	تمصر عينيك	٢٣٢	١٠	إِلَّا سَبَقْنَا
٩٨	١٤	وَمِنْهُ	٢٥٠	٧	ونفى التثقيص
١٠٠	٢٢	أى ولو لم يذكر	٢٥٣	٧	خبر ليس للخاصة فيه
١٧٢	١	ولا حق			

مؤلفات و تحقيقات أخرى

للمؤلف

تطلب من مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد

عدد	المؤلف
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخي اجتماعي أدبي لغوي)
٦	تحقيق النصوص ونشرها (أول كتاب عربي في هذا الفن)
١	تهذيب سيرة ابن هشام
٧	نوادير المخطوطات (ظهر منها إلى الآن ٢ كتابا في سبع مجموعات / شرح وتحقيق)
٧	الحيوان ، للجاحظ
٤	البيان والتبيين ، للجاحظ
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس
٢	مجالس ثعلب
٤	شرح الحماسة ، للبرزوقي
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم
١	مزيات أبي تمام
١	المفضليات الخمس
١	المفضليات
١	الأصمعيات
١	إصلاح المنطق
١	تعريف القدماء
٥	شروح سقط الزند

مطبع
دار الكتاب
محمد بن الحسين بن محمد